


الجمهوريّـة الجزائريّـة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العــالي والبحث العلمــي

جامعة الشّهيد حمّه لخضر–الوادي




كليّة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة قسم التّاريخ

عنوان الأطروحة:

# الإيَّالة الجزائريَّة والأزمات السِّياسيَّة في تونس العثمانيَّة

# من 996هـ/1587م إلى 1246هـ/1830م

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه الطّور الثّالث (ل.م.د) في التّاريخ

تخصّص: تاريخ بلاد المغرب الحديث

إعداد الطّالب: إشـــــراف الأستاذ الدّكتور:

أحمد مجوري معـــاد عــمـرانـــي

نوقشت بتاريخ: 21 سبتمبر 2023م

أعضاء لجنة المناقشة:

| الاسم واللّقب | الرّتبة العلميّة | المؤسّسة الأصليّة | الصّفة |
|---|---|---|---|
| رضـوان شـافـو | أستاذ التّعليم العالي | جامعة الشّهيد حمّه لخضر–الوادي | رَئيساً |
| معـاد عـمراني | أستاذ التّعليم العالي | جامعة الشّهيد حمّه لخضر–الوادي | مُشْرِفاً ومُقَرِراً |
| موسى بن موسى | أستاذ التّعليم العالي | جامعة الشّهيد حمّه لخضر–الوادي | عُضْواً مُنَاقِشاً |
| نـجـوى طـوبـال | أستاذ التّعليم العالي | جامعة الشّهيد حمّه لخضر–الوادي | عُضْواً مُنَاقِشاً |
| مـخـتـار هـواري | أستاذ التّعليم العالي | جـامعة الحـاج لخضـر– باتنة 01 | عُضْواً مُنَاقِشاً |
| مـولـود قـريـن | أستاذ محاضر قسم أ | جامعة الدّكتور يحي فارس– المدية | عُضْواً مُنَاقِشاً |

السّنة الجـامعيّة: 1443-1444هـ/ 2022-2023م




الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العـالـي والبحث العلمـي

جامعة الشّهيد حمّه لخضر – الوادي




كليّة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة قسم التّاريخ

**عنوان الأطروحة:**

# الإيَّالة الجزائريَّة والأزمات السِّياسيَّة في تونس العثمانيَّة

# من 996هـ/1587م إلى 1246هـ/1830م

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه الطّور الثّالث (ل.م.د) في التّاريخ

**تخصّص:** تاريخ بلاد المغرب الحديث

**إعداد الطّالب:**
أحمد مجوري

**إشـــــراف الأستاذ الدّكتور:**
معــــاد عــمـــرانـــي

**أعضاء لجنة المناقشة:**

| الاسم واللّقب | الرّتبة العلميّة | المؤسّسة الأصليّة | الصّفة |
|---|---|---|---|
| رضـوان شـافـو | أستاذ التّعليم العالي | جامعة الشّهيد حمّه لخضر –الوادي | رَئِيساً |
| معـاد عـمرانـي | أستاذ التّعليم العالي | جامعة الشّهيد حمّه لخضر –الوادي | مُشْرِفاً ومُقَرِراً |
| موسى بن موسى | أستاذ التّعليم العالي | جامعة الشّهيد حمّه لخضر –الوادي | عُضْواً مُنَاقِشاً |
| نـجـوى طـوبـال | أستاذ التّعليم العالي | جامعة الشّهيد حمّه لخضر –الوادي | عُضْواً مُنَاقِشاً |
| مـخـتـار هـواري | أستاذ التّعليم العالي | جـامعة الحـاج لخضر– باتنة 01 | عُضْواً مُنَاقِشاً |
| مـولـود قـريـن | أستاذ محاضر قسم أ | جامعة الدّكتور يحي فارس– المدية | عُضْواً مُنَاقِشاً |

**السَّنة الجـامعيّة: 1443-1444هـ/ 2022-2023م**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ
إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن
فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾

[سورة الحُجُرات، الآية:9]

# الشّكر والعرفان

أولاً، أحمد الله تعالى حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه وأشكره على أنْ منّ عليّ بإتمام هذا العمل المتواضع.

ثمّ كل الشّكر والامتنان مع فائق التّقدير والاحترام إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدّكتور معاد عمراني، الذي أحاطني بالرّعاية ورافقني بالنّصح والإرشاد مُتتبعاً خطواتي ومُصححاً لعثراتي طيلة عمر هذه الدّراسة، منذ كانت فكرة حتّى أصبحت واقعاً ملموساً.

كما أشكر كل أساتذتي في قسمي التّاريخ والعلوم الإنسانية بجامعة الشّهيد حمّه لخضر بالوادي على كل الجهود التي يبذلونها من أجل الرّقي بقسم التّاريخ وبطلبته، وكل أساتذتي في جميع الأطوار التّعليميّة.

ومن هذا المقام أشكر كل من ساعدني من أجل إتمام هذا العمل المتواضع، خاصة الأساتذة الكرام الذين ساعدوني في الوصول على مصادر مهمة في البحث وأذكر منهم: أ.د لزهر بديدة، أ.د نجوى طوبال، أ. محمد شرعي بن معيزة، د. أمير شريبط، د. إبراهيم شرايطة وأ.د أحمد فرحات، أ.د يمينة شودار وغيرهم.

كما أقدم شكر خاص للبروفيسور نصر الدّين وهابي، من قسم اللّغة والأدب العربي بكلية الآداب اللّغات بجامعة الوادي، الذي خصّ أطروحتي بمراجعة لغوية شاملة، وكل من الدّكتور محمّد شوشاني عبيدي والأستاذ حمزة بالي من قسم اللّغات على ترجمة الملخّصات.

وشكر خاص لإخوتي في المديرية الفرعية للميزانية والمحاسبة بجامعة الوادي على دعمهم ومساندتهم المتواصلة لي طوال هذا المشوار.

ولا يفوتني كذلك أنْ أشكر عمال وموظفي المؤسّسات التي زرتها فترة إعدادي لهذا البحث داخل وخارج الوطن، وهي: الأرشيف الوطني الجزائري، وأخص بالذّكر الآنسة بشرى عون، والمكتبة الوطنية الجزائرية، خاصة الأستاذ محمّد الفقري والسّيدة كنزة، وكذلك عمال الأرشيف الوطني، والمكتبة الوطنية بجمهورية تونس الشّقيقة، وجميع موظفي المكتبة المركزية ومكتبة كلية العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة بجامعة الشّهيد حمّه لخضر بالوادي.

ولا أنسى من شكري وامتناني كل من مد لي يد المساعدة ودعمني ولو بكلمة طيبة.

✍ **أحـمـد**

# الإهـــداء

إلى روح والدتي العزيزة تغمدها الله بواسع رحمته وأسكنها فسيح جناته.

إلى والدي الكريم أطال الله في عمره ومتعه بالصّحة والعافية.

إلى الزّوجة الكريمة التي تحملت عني الكثير من الأعباء العائلية والأسرية، طيلة سنوات هذا المشوار، ولو لا تضحياتها وصبرها معي لما خرج هذا العمل إلى النّور.

إلى بناتي وابني، وأعتذر لهم عن تقصيري تجاههم طيلة فترة انجازي لهذا العمل، وأتمنى لهم التّوفيق والنّجاح في حياتهم، خاصة المقبلتين على شهادات 2023م (شهادة التّعليم المتوسط وشهادة التّعليم الثّانوي 2023م).

إلى إخوتي وأخواتي وأزواجهم وأبنائهم.

إلى أصدقائي الأعزاء وزملاء العمل.

إلى جميع طلبة العلم في كل مكان.

إلى من ضحوا من أجل أنْ تبقى الجزائر حرّة مستقلة.

إلى كلّ هؤلاء أهدي ثمرة جهدي هذا.

✍ **أحـمـد**

# قائمة المختصرات

## باللّغة العربية

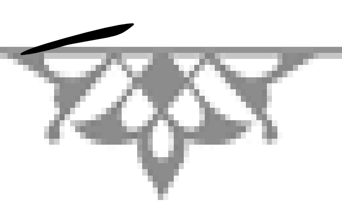
| | |
|---|---|
| أ.و.ت | الأرشيف الوطني التّونسي |
| أ.و.ج | الأرشيف الوطني الجزائري |
| ت | توفي |
| تح | تحقيق |
| تر | ترجمة |
| تص | تصدير |
| تع | تعريب |
| تعل | تعليق |
| تق | تقديم |
| ج | جزء |
| جم | جمع |
| د.ب.ن | دون بلد نشر |
| د.ت | دون تاريخ |
| د.ط | دون طبعة |
| ر.ع | الرّصيد العثماني |
| ع | عدد |
| م.و.ت | المكتبة الوطنية التّونسية |
| م.و.ج | المكتبة الوطنية الجزائرية |
| مج | مجلد |
| مر | مراجعة |
| و | ورقة |
| وث | وثيقة |

## باللّغة الفرنسية

| | |
|---|---|
| A.E.S.C | Annales Economies, societies, civilisations |
| Ann | Annoté |
| C.P.U | Centre Publication Universitaire |
| N° | Numero |
| p | Page |
| Préf | Préface |
| R.A | Revue Africaine |
| R.N.M.S.A.D.C | Recueil des notices et mémoires de la société archéolo-gique du départe-ment de Constan-tine |
| R.O.M.M | Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée |
| R.T | Revue Tunisienne |
| Trad | Traduit |
| Vol | Volume |



# مُقدّمة



ألقت مستجدات بداية الفترة الحديثة بظلالها على منطقة بلاد المغرب، التي لم تكن استثناءً، وليس من باب المبالغة إذا قلنا إنّ هذه المستجدات شمل تأثيرها جميع أرجاء العالم تقريباً، ومن نتائجها تغير الخارطة السّياسية لبلاد المغرب خلال القرن العاشر الهجري/ السّادس عشر الميلادي، فقد اختفت دول وظهرت إلى الوجود دول أخرى، وأدى ظهور الإخوة بربروس في مياه البحر المتوسط منذ بداية القرن السّادس عشر ونشاطهم الكبير هناك إلى استنجاد سكان المدن التي ترزح تحت الهيمنة الاسبانية بهؤلاء البحارة بعد أنْ ذاع صيتهم، ومع الوقت تمكن خير الدّين بربروس من ربط بلاد المغرب بالحكم العثماني عندما ألحق مدينة الجزائر بالدولة العثمانية منذ 1520م.

ولم تكم هذه سوى البداية، فقد أدى نمو وتطور مدينة الجزائر بعد عثمنتها إلى توسع مجالها الجغرافي على حساب الإمارات والدّول المجاورة، وأصبحت خلال سنوات قليلة إيّالة ذات مكانة وأهمية في منطقة البحر المتوسط، ولعبت دوراً محورياً في الأحداث التي شهدها المتوسط، وفي الصّراع الإسلامي المسيحي بين الدّولة العثمانية وإسبانيا؛ خلال القرن السّادس عشر الميلادي، ومع الأمم المسيحية الأخرى كفرنسا وانجلترا في القرنين المواليين، وقد خول لها هذا الدّور المساهمة في عثمنة باقي بلاد المغرب، حيث ساهم بايلرباياتها بتوجيه من الباب العالي في إلحاق طرابلس الغرب سنة 1551م، ثم تونس سنة 1574م بالدّولة العثمانية، ولم يبق إلاّ المغرب الأقصى خارج النّفوذ العثماني، رغم أنّ السّعديين الذين وصلوا إلى الحكم منتصف القرن السّادس عشر دانوا لهم بالطّاعة في بعض الأوقات.

ونظراً للدّور الكبير لبايلربايات الجزائر في ضمّ كل من طرابلس الغرب وتونس للدّولة العثمانية، فقد كافأهم الباب العالي بجعل هاتين الإيّالتين تحت نفوذهم مدّة من الزّمن، لكن الهيمنة الجزائرية على الإيّالتين المجاورتين تواصلت إلى غاية 1587م، وهي السّنة التي توفي بها العلج علي، وأصدر السّلطان العثماني قراره بتشكيل ثلاث باشويات منفصلة تتبع رأساً للباب العالي، ومنذ هذا التّاريخ أخذت كل إيّالة تشق طريقها في استقلالية عن الإيالات المجاورة، وتباعدت أهداف حكام هذه الإيّالات عن بعضهم البعض، لكنهم ظلّوا في الوقت نفسه معترفين بسلطة الباب العالي عليهم، واشتغل هؤلاء الباشوات بشؤون إيّالاتهم الدّاخلية

وبمحاولة السّيطرة على الأوضاع فيها، لكن ذلك لم يمنعهم من التّدخل في شؤون بعضهم البعض من حين لآخر.

كما لم تمنع عوامل الوحدة كالغطاء السّياسي والجغرافيا والدّين واللّغة والمصير المشترك هذه الإيّالات من الدّخول في صراعات لأسباب مختلفة، ولأنّنا أشرنا قبل ذلك إلى مكانة الجزائر في المنطقة خلال الفترة الحديثة، فقد وصفتها بعض الدّراسات بكثرة التّدخل في شؤون الأقطار المجاورة حتى بعد 1587م، خاصة إيّالة تونس بحكم المجاورة. وتاريخ تونس الحديث، كغيره من الفترات الأخرى، لا يخلو من الأزمات السّياسية التي كانت تظهر من حين لآخر مهددة بذلك أمن الإيّالة، ولأنّ الدّولة بصفة عامة تصبح أضعف ما يكون خلال الأزمات السّياسية، فقد حاولنا معرفة علاقة الجزائر بالأزمات السّياسية في تونس، والمقصود هنا دراسة علاقات الجزائر السّياسية مع إيّالة تونس خلال فترات ضعف الأخيرة، ومنه جاء موضوع الدّراسة الموسوم بـ: **الإيّالة الجزائرية والأزمات السّياسيّة في تونس العثمانيّة من 996هـ/1587م إلى 1246هـ/1830م**، مع الإشارة إلى أنّ الأزمات التي عالجتها هذه الدّراسة هي الأزمات الدّاخلية، ولم تتطّرق إلى الأزمات السّياسية التي لها علاقة بأطراف خارجية كالدّول الأوروبية مثلاً، والتي هددّت حملاتها العسكرية إيّالة تونس عديد المرّات.

**أولاً- أهمية الموضوع:**

تأتي أهمية هذه الدّراسة من معالجتها لموضوع حسّاس بين قطرين متجاورين جغرافيا مشتركين في الدّين واللّغة والعادات والتّقاليد إضافة إلى أنهما أصبحتها منذ القرن السّادس عشر ميلادي إيّالتين تابعتين للدّولة العثمانية، ورغم هذا لم يخل تاريخهما في أي فترة من الفترات من وجود أزمات تعكر صفو هذه الوحدة، وقد طغى خلال الفترة الحديثة من تاريخهما ظاهرة التّدخل في شؤون الآخر، في حين حاولت هذه الدّراسة الوقوف على حقيقة هذه التّدخلات من خلال التّعرف على طبيعة الأسباب التي كانت تدفع بالطّرف الجزائري إلى التّدخل في شؤون تونس الدّاخلية، وهل كانت هذه الأسباب ذاتية أو أنّها ردّ فعل على السّياسة التّونسية تجاه إيّالة الجزائر، وتوضيح مختلف مواقف الجزائريين سلطة وشعباً من أزمات تونس، وبالتّالي معرفة أخطاء الماضي والاستفادة من عدم تكرارها مستقبلاً.

**ثانياً- دوافع اختيار الموضوع:**

في الحقيقة هناك عدّة دوافع وأسباب ساهمت في قرار اختيار موضوع الدّراسة، بعضها ذاتية وأخرى موضوعية.

**أ- الدّوافع الذّاتية:**

- الرّغبة الشّخصية والاهتمام بدراسة مواضيع العلاقات بصفة عامة، وتفضيلها عن المواضيع القطرية، التي تهتم بتاريخ بلد واحد، وقد كان أوّل معرفتنا بموضوع العلاقات خلال مرحلة الماستر، من خلال دراسة مقاييس العلاقات المغاربية العثمانية والعلاقات المغاربية المغاربية والعلاقات المغاربية الأوروبية، ومنذئذ بدأ اهتمامي بمثل هذه المواضيع، وازداد ذلك الاهتمام مع الوقت.
- الانتماء المغاربي، خاصة وأنّنا ننتمي إلى ولاية الوادي بالجمهورية الجزائرية، وهي ولاية واقعة على حدود البلدين (الجزائر وتونس)، إضافة إلى ما تساهم به مناطق الحدود في عملية التّواصل بين القطرين منذ أقدم العصور.

**ب- الدّوافع الموضوعية:**

- أشار المرحوم "أبو القاسم سعد الله" في مقدمة الطبعة الأولى لكتاب تاريخ الجزائر الثقافي أنّ «وزاد إهمال الدّارسين العرب والمسلمين لتاريخ الجزائر من حرصي على البحث والتنقيب. فالجزائر قد ظلمها أعداؤها وأشقاؤها على السواء»، ومن هذا المُنطلق أردنا الخوض في غمار هذا الموضوع الذي لا يزال يكتنف جوانبه وجزئياته بعض الغموض.
- التّعمق أكثر في موضوع العلاقات الجزائرية التّونسية، فيما يتعلق بالشّق السّياسي منها، حيث أنّه عادة ما يتم طرق هذه المواضيع بصفة عامة، وأردت من خلال هذه الدّراسة الخوض في العلاقات بين الإيالتين خلال الفترات الاستثنائية؛ فترات الأزمات السّياسية.
- تخصّص تاريخ بلاد المغرب الحديث يُلزمنا بعدم الخروج عن الرّقعة الجغرافية والفترة الزّمنية المتعلقة به، وهو ما دفعنا إلى اختيار موضوع حول العلاقات الجزائرية التّونسية خلال الفترة الحديثة.

**ثالثاً- أهداف الدّراسة:**

- إثراء المكتبة الوطنية بدراسة أكاديمية في موضوع العلاقات الجزائرية التّونسية خلال الفترة الحديثة، فبحكم الجوار ارتبط البلدان منذ أقدم العصور بعلاقات خاصة، تراوحت بين السّلم تارةً والتّوتر العداء تارة أخرى.
- الاطلاع على وثائق جديدة تخص موضوع العلاقات بين البلدين (الجزائر وتونس).
- المساهمة في تسليط الضوء على جانب من هاته العلاقات، وعن بعض جوانب الموضوع التي لم تأخذ حقها من الدّراسة والبحث، خاصة وأنّ الكثير من الدّراسات ركزت على العلاقات السّياسية بين الإيالتين في طابعها العام، وتميزت هذه الدّراسة عن سابقاتها بالبحث في العلاقات السّياسية فترة الأزمات.
- هدفت الدّراسة إلى تصحيح بعض المفاهيم المتعلقة بالتّدخلات الجزائرية في شؤون الإيالة التّونسية من خلال وضع الأحداث في سياقها التّاريخي، ومحاولة النّظر إلى هذه الأحداث من زوايا متعدّدة وبروايات مختلفة، وذلك بسبب أنّ بعض الدّراسات روّجت، عن قصد أو عن غير قصد، لفكرة محاولة الجزائر العثمانية السّيطرة على الإيالات المغربية، بحكم ما تمتعت به من مكانة مميزة في الحوض الغربي للمتوسط خلال الفترة الحديثة.

**رابعاً- حدود الدّراسة:**

بالنّسبة للإطار الزّماني، فالدّراسة تغطي الفترة من نهاية القرن السّادس عشر إلى بداية القرن التّاسع عشر ميلادي، وبالتّحديد من سنة 1587م وهي السّنة التي قرّر فيها الباب العالي فصل إيالات بلاد المغرب وتشكيل ثلاث باشويات منفصلة بعدما كانت كل من إيالتي تونس وطرابلس الغرب ولفترة من الزّمن تحت اشراف لبايلرباي الجزائر، أمّا نهاية الإطار الزّماني للدّارسة فكانت سنة 1830م، والتي تمثل نهاية إيالة الجزائر بعدما أسقطت الحملة الفرنسية الحكم العثماني بها.

في حين كان الإطار المكاني قد شمل المجال الجغرافي لإيالتي الجزائر وتونس، حيث دارت أحداث ووقائع موضوع الدّراسة كالحملات العسكرية والتّدخلات المتبادلة بين الطّرفين.

**خامساً- الإشكاليَّة الرَّئيسيَّة والتَّساؤلات الفرعيَّة:**

يندرج موضوع الدّراسة ضمن المواضيع التي تهتم بالعلاقات السّياسية بين الجزائر وتونس خلال الفترة الحديثة، وتركز الدّراسة على هذه العلاقات خلال فترات الأزمات السّياسية التي مرت بها إيّالة تونس على مدى أكثر من قرنين من الزّمن، وعلاقة الجارة الغربية (إيّالة الجزائر) بتونس وبأزماتها السّياسية، ومن هذا المنطلق فإنّ فحوى إشكالية الدّراسة تدور حول مدى تأثير إيّالة الجزائر في أزمات تونس السِّياسيّة وتأثُّرِها بهذه الأزمات.

وينبثق عن هذه الإشكالية مجموعة من **التَّساؤلات الفرعيَّة أبرزها:**

- ما هي أهم الأزمات السّياسية التي عصفت بالإيّالة التّونسية؟ وما أسبابها ونتائجها على تونس؟
- ما أسباب ودوافع تدخل سلطة الجزائر وقبائلها في شؤون تونس الدّاخلية؟ وما أهدافهما؟
- كيف كانت مواقف الجزائريين (حكومة وقبائل) من أزمات تونس السّياسية؟
- ما مدى تأثير نمط الحكم في الجزائر العثمانية (الباشوات-الآغوات-الدّايات) في المواقف الجزائرية من أزمات تونس السّياسية؟
- هل اقتصرت تدخلات السّلطة العثمانية في الجزائر خلال فترات الأزمات السّياسية في إيّالة تونس على الجانب العسكري فقط؟
- كيف تعاملت القبائل الجزائرية مع أطراف الصّراع في تونس؟
- هل سعى حكام الجزائر إلى خلق أزمات سياسيَّة في تونس خلال الفترة الحديثة؟
- هل خطّطت السَّلطة العثمانية في الجزائر للسَّيطرة على تونس وضَمِّها إلى أراضيها والاستقلال عن الدولة العثمانية؟
- كيف كانت انعكاسات أزمات تونس السِّياسيَّة على إيّالة الجزائر؟

**سادساً- الدّراسات السّابقة:**

أوّل هذه الدّراسات هو كتاب **العلاقات السياسية بين حكام الجزائر وتونس خلال القرن 18م/12هـ لعمار بن خروف**، وهو في الحقيقة كتاب مهم، ويظهر ذلك من خلال ثرائه بالمعلومات حول علاقات حكام البلدين والأزمات والصّراعات التي اشتركت فيها الإيّالتان، إلاّ أنّه وبحكم طبيعة الموضوع لم يُركز على الانعكاسات المختلفة لهذه الأزمات

واكتفى بإشارات مقتضبة هنا وهناك، وقد أفادني هذا المؤلَّف في الجزء الخاص بالأسرة الحسينية بداية من القرن الثّامن عشر ميلادي وإلى غاية 1830م، وعلاقات بايات هذه الأسرة وصراعاتهم مع دايات الجزائر، لأنّه لم يغطي كل الفترة المدروسة وركّز على القرن الثّامن عشر.

والدّراسة الثّانية عبارة عن أطروحة دكتوراه موسومة بـ: **الحضور الجزائري في إيالة تونس 1628-1830م لزهيرة سحابات**، ناقشتها الباحثة نهاية سنة 2020م بقسم العلوم الإنسانية بجامعة سيدي بلعباس، ورغم تطّرق الباحثة للأزمات السّياسية في تونس إلاّ أنّها ركزت على التّدخلات العسكرية للجزائر وعلى الصّراع بين السّلطتين الجزائرية والتّونسية دون معالجة باقي المواقف الجزائرية من هذه الأزمات، في حين خصّصت الشّق الثّاني من الأطروحة لمعالجة الحضور الاقتصادي والاجتماعي الجزائري في تونس، كما لم تتعمق هذه الدّراسة في مواقف القبائل الجزائرية من الصّراعات التّونسية ولا في انعكاسات هذه الأزمات على إيّالة الجزائر.

أمّا ثالث الدّراسات فكانت بعنوان **الصراع بين الإيالتين الجزائرية والتّونسية من خلال المصادر المحلية الجزائرية والتونسية 1587-1830م لمحمّد عطية**، وهي عبارة عن رسالة ماجستير ناقشها الباحث سنة 2015م بقسم العلوم الإنسانية بجامعة سيدي بلعباس، ركز فيها الباحث أولاً على مظاهر الصّراع بين الإيالتين خلال القرن السّابع عشر الميلادي (بين دايات تونس وباشوات الجزائر، ثمّ بين البايات المراديين ودايات الجزائر)، لينتقل بعدها لمظاهر الصّراع بين بايات الأسرة الحسينية ودايات الجزائر من بداية القرن الثّامن عشر إلى 1830م، في حين أنّه أغفل دور القبائل في الصّراع بين الإيالتين، ولم يشر إلاّ لقبيلة واحدة وهي الحنانشة في الفصل الأخير من رسالته.

ورابع دراسة، مقال بعنوان " **الجزائر والأزمات السّياسية في تونس خلال القرنين الثامن عشر والتّاسع عشر**"، **لعبد القادر سوداني**، ورغم جدية الطّرح في هذا المقال خاصة وأنّه يتقاطع مع فكرة الدّراسة، إلاّ أنّ تناول الموضوع في مقال محدود الصّفحات أثّر على طريقة المعالجة، بحيث لم يأخذ الموضوع حقه من الدّراسة، في حين أنّ الباحث اختار فترة زمنية طويلة نوعاً ما (حوالي قرنين من الزّمن)؛ غطّت العلاقات بين الإيالتين خلال فترة

حكم الدّايات في الجزائر وبداية الاحتلال الفرنسي لها، بحيث لم تتجاوز صفحات الجزء المُخصّص للفترة العثمانية الأربع (04) صفحات.

في حين حملت الدّراسة الخامسة عنوان **العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات 1711-1830م**، للباحثة **كوثر العايب**، وهي عبارة عن رسالة ماجستير نوقشت بقسم العلوم الإنسانية بجامعة الوادي سنة 2014م، وقد عالجت الباحثة في هذه الدّراسة العلاقات بين البلدين على جميع الأصعدة؛ سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، واستفدت منها في عدّة مواضع من دراستي خاصة فيما تعلق بفترة الأسرة الحسينية في تونس.

وآخر الدّراسات السّابقة، كان عنوانها **العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، للباحثة **صورية حصام**، رسالة ماجستير نوقشت بقسم التّاريخ وعلم الآثار بجامعة وهران سنة 2013م، وقد اهتمت الباحثة في دراستها بالعلاقات بين البلدين السّياسية والثّقافية والاقتصادية والاجتماعية، واحتوت على الكثير من المعلومات المهمة، واستفادتي منها كانت في الفصلين الثّاني والرّابع.

وجميعها دراسات ساهمت بشكل أو بآخر في زيادة فهمي للموضوع وإثْرَاء أفكاري، وساعدتني في بناء الهيكل العام للبحث، من خلال تركيزي على ما أغفلته هذه الدّراسات، تجنباً للتّكرار، وحتى يكون هناك نوع من التكامل بين هذه الدّراسة والدّراسات السّابقة، كما استفدت منها كذلك في التّعرف على مصادر مهمة لها علاقة بموضوع البحث.

**سابعاً- مناهج الدّراسة:**

اعتمدت في دراستي هذه على المنهج التّاريخي الذي يعتمد الوصف والتّحليل نظراً لطبيعة الموضوع المدروس والمليء بالأحداث التّاريخية والوقائع الحربية التي تحتاج إلى وصفها وتحليل نتائجها، بالإضافة إلى ذلك فقد استخدمت المنهجين الاحصائي والمقارن خاصة في الفصلين الأخيرين (الثّالث والرّابع) من الأطروحة بسبب احتوائهما على جداول وبيانات إحصائية تمّ جمعها من بعض الوثائق ومن مصادر مختلفة إضافة إلى بعض الأشكال البيانية التي حاولت من خلالها شرح وتدعيم بعض وجهات النّظر أو دحضها.

**ثامناً- خطة الدّراسة:**

للإجابة على هذه الإشكالية وتساؤلاتها الفرعية، قمنا باعتماد خطة تكوّنت من مقدّمة وأربعة فصول وخاتمة، وذلك حسب ما توفر لنا من مادة تاريخية من مصادر مختلفة، وقد

اخترت التقسيم الموضوعي للبحث، لأنني رأيت من وجهة نظري أنّه أكثر فائدة بالنّسبة لطريقة الطّرح التي اعتمدتها، حيث أردت أنْ أجمع الأزمات في فصل والمواقف في فصل والانعكاسات في فصل آخر، إلاّ أنني عدت إلى التّقسيم الكرونولوجي للمعلومات داخل الفصول.

فبالنّسبة للفصل الأوّل والذي حمل عنوان **إيّالة الجزائر ومسار علاقاتها مع تونس الحفصية والعثمانية 1520-1587م**، وقد احتوى على ثلاثة مباحث، عالج أوّلها الأوضاع في حوض المتوسط الغربي مطلع الفترة الحديثة، من خلال عرض تاريخي للمستجدات التي طرأت على المنطقة خلال هذه الفترة؛ كالكشوفات الجغرافية وسقوط غرناطة وتداعياته، وعرّج على أوضاع بلاد المغرب؛ سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وبيّن مدى الضّعف الذي آلت إليه منطقة بلاد المغرب، وما تبعه من هجمة استعمارية شرسة من الأيبيريين.

أمّا المبحث الثّاني فدرس تشكل إيّالة الجزائر، ومحاولة العثمانيين مدّ نفوذهم إلى باقي مناطق بلاد المغرب، وعلاقة الإيّالة الجديدة بالحفصيين في تونس، في حين بحث المبحث الأخير من هذا الفصل التّطور السّياسي في تونس بداية من سنة 1569م، وعلاقة الجزائر به من خلال محاولات تحريرها من السّيطرة الاسبانية إلى غاية ضمها للحكم العثماني سنة 1574م، وعلاقات حكام الإيّالتين إلى غاية 1587م.

ووُسِم الفصل الثّاني **بأزمات إيّالة تونس السّياسية 1587-1830م**، وعدد مباحث هذا الفصل بعدد مراحل الحكم؛ الدّايات والأسرة المرادية ثمّ الأسرة الحسينية، حيث عالج في كل مبحث أزمات واحدة من المراحل الثّلاث، فالمبحث الأوّل تطرّق إلى ثلاث أزمات عرفها عهد الدّايات في تونس، وهي حادثة البلوكباشية سنة 1591م، والتي أوصلت الدّايات إلى السّلطة، ثمّ صراع الدّايات مع الشابية 1592-1616م، وآخر الازمات خلال هذا العهد هي أزمة الحدود بين تونس والجزائر 1614 و1628م.

وكان نصيب المبحث الثّاني أزمات تونس خلال العهد المرادي 1631-1702م، وعالج خمس أزمات بداية من حروب الشّابية التي تواصلت مع حمودة باشا 1631-1666م، ثمّ الصّراع بين الدّايات والبايات المراديين 1631-1675م، وعرج على الصّراع بين ورثة العرش المرادي 1675-1686م، وثورة بن شكر على محمّد المرادي 1694-1695م، وأخيراً ثورة مراد بوبالة على عمه رمضان باي سنة 1699م.

أمّا المبحث الثّالث فيتعلق محتواه بأزمات تونس السّياسية من قيام الأسرة الحسينية إلى 1830م، وعالج خمس أزمات كذلك، أوّلها ثورة علي باشا على عمه حسين بن علي 1728-1740م، وثورة يونس علي والده علي باشا 1752م، وعودة أبناء حسين بن علي إلى حكم تونس واسقاط علي باشا 1756م، ثمّ ثورة اسماعيل بن يونس على علي باي بن حسين 1759-1762م، وآخرها ثورة أولاد مساهل ضدّ حمودة باشا 1795م.

واخترت للفصل الثّالث عنوان **مواقف الجزائريين من الأزمات السّياسية بإيّالة تونس،** وهدفت الدّراسة من خلال إدراج هذا الفصل إلى توضيح جميع المواقف الجزائرية (السّلطة والشّعب) من الأزمات التّونسية، خاصة وأنّ هناك دراسات وآراء ركّزت على التّدخلات الجزائرية في حين أهملت مواقف الجزائريين الأخرى كالحياد وغيرها، وقُسم الفصل إلى ثلاثة مباحث، تناول الأوّل مواقف السّلطة الجزائرية، ومن خلاله حاولت رصد جميع مواقف السّلطة العثمانية في الجزائر من هذه الأزمات على امتداد فترة الدّراسة، واهتممت بإبراز المواقف التي عادة ما تهملها الدّراسات التي تتهم الجزائر وسلطتها بالتّدخل الدّائم في شؤون تونس.

والمبحث الثّاني عالج مواقف قبائل بايلك الشّرق الجزائري من أزمات تونس السّياسية، بحكم القرب الجغرافي لهذه المنطقة من إيالة تونس، ورّكزت فيه على أهم القبائل فيها ومشاركتها في الحروب والصّراعات التّونسية ومختلف الأسباب التي دفعتها إلى ذلك، وختمت الفصل بمبحث ثالث حاولت من خلاله القيام بقراءة نقدية تحليلية لمختلف المواقف الجزائرية سواء منها ما تعلق بمواقف السّلطة أو بقبائل الشّرق الجزائري، كما ضمنت المبحث بعض الجداول الإحصائية والأشكال البيانية في محاولة تفسير لهذه المواقف والخروج بصورة واضحة عن موقف الجزائر من تونس وأزماتها السّياسية.

أمّا الفصل الرّابع والذي حمل عنوان **انعكاسات الأزمات السّياسية في تونس على إيالة الجزائر**، فجاء في أربعة مباحث، خُصّص الأوّل منها للانعكاسات السّياسية والعسكرية، من خلال مناقشة تأثيرها في اضطرابات السّلطة في الجزائر وعلى الجيش الجزائري، وما انجر عن التّدخلات الجزائرية في شؤون تونس خلال الأزمات من هيمنة جزائرية على باياتها، ومحاولات بايات تونس التّخلص من هيمنة الجزائريين.

في حين عالج المبحث الثّاني الانعكاسات الاقتصادية، كتأثير الأزمات على النّشاط التّجاري بين الإيالتين، وما تبع التّدخلات الجزائرية من نفوذ اقتصادي جزائري في تونس والذي تواصل طيلة النّصف الثّاني من القرن الثّامن عشر ميلادي، كما تطرّق المبحث الثّالث إلى الانعكاسات على الجانب الاجتماعي كالهجرة التّونسية نحو الجزائر، وما لحق القبائل الجزائرية جراء مشاركتها في الحروب والصّراعات التّونسية، وتناول المبحث الأخير الانعكاسات الثّقافية والدّينية، في ثلاث نقاط رئيسة؛ كتأثير الأزمات السّياسية في تونس على الجانب الثقافي بإيّالة الجزائر، ونشاط علماء تونس في الجزائر بعد استقرارهم بها، وأوقاف بايات تونس على مؤسسات دينية جزائرية كالمساجد والزّوايا مثلاً.

وذيَّلتُ البحث بخاتمة ضمنتها أهم النّتائج التي توصلت إليها بعد الخوض في تفاصيل الموضوع، وأردفتها بمجموعة من الملاحق زيادة في شرح وتوضيح بعض النّقاط التي لم تأخذ حقها من الدّراسة في متن البحث.

**تاسعاً– نقد المصادر والمراجع:**

حاولت قدر المستطاع جمع أكبر قدر ممكن من المصادر والمراجع التي رأيت أنّها تخدم الموضوع–بدرجات متفاوتة– وجاءت هذه المصادر مختلفة، منها الوثائق الأرشيفية والمخطوطات والمصادر المطبوعة العربية والمعربة وأخري بلغات أجنبية، إضافة إلى العديد من المراجع العربية والأجنبية والمقالات والرّسائل والأطروحات الجامعية، ومن أهمّها:

- **الوثائق الأرشيفية:**

تزخر الأرشفيات الوطنية في مختلف البلدان بكم هائل من الوثائق التي تساعد الباحثين في إنجاز دراساتهم، ومن الأرشيفات التي استطعت الاستفادة من رصيدها؛ الأرشيف الوطني التّونسي والأرشيف الوطني الجزائري، والمكتبتان الوطنيتان للبلدين المذكورين، فبالنسبة للأرشيف الوطني الجزائري أكثر استفادتي كانت من وثائق دفتر مهم، في حين استفدت من الأرشيف الوطني التّونسي من وثائق السّلسلة التّاريخية والدّفاتر الإدارية والجبائية، أما المكتبة الوطنية التّونسية فقد اطلعت خلال زيارتي لها على بعض المخطوطات التي لها علاقة بموضوع البحث، في حين اطلعت خلال زيارتي للمكتبة الوطنية الجزائرية على

الرصيد الوثائقي وانتقيت منه مجموعة من الوثائق من المجموعات 1641 و 1642، و1903، و3190.

- **المصادر:**

اعتمدت كذلك في إعداد هذا البحث على مجموعة من المصادر منها العربية والأجنبية، فبالنّسبة للمصادر العربية اخترت بعض المصادر التّونسية التي عاصر أصحابها الأحداث؛ أهمها **المشرع الملكي في سلطنة أولاد بن علي تركي** للصّغير بن يوسف(ت:1764م) وهو في أربعة أجزاء وقد عاصر المؤلّف بداية الدّولة الحسينية في تونس وكان شاهداً على كثير من الأحداث التي وقعت في تلك الفترة وقد رافقت هذه الأجزاء الأربعة البحث في كل مراحله وفصوله وكانت استفادتي منه كبيرة خاصة الفصل الثّاني، أمّا المصدر الثّاني؛ **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس** لأبن أبي دينار، وبحكم أنّ المؤلّف عاش خلال القرن السّابع عشر الميلادي، فإنّ الإفادة منه كانت عن الأزمات التي عرفتها تونس خلال فترة الدّايات والأسرة المرادية لأنّه كان مقرباً من أصحاب القرار فيها.

وثالث هذه المصادر **الكتاب الباشي** للوزير حمودة بن محمّد بن عبد العزيز، ورغم أنّ الكتاب ألّفه صاحبه لمدح الباي علي بن حسين، حيث كان شديد القرب منه، وتقلد في عهده عدّة مناصب، وجاء المؤلّف إلى الجزائر مبعوثاً من سيده، وبحكم معاصرته للأحداث التي جرت في عهد علي باي بن حسين، فقد احتوى على معلومات مهمة عن ثورة اسماعيل بن يونس على هذا الباي، وإشارات عن ثورة جدِّه علي باشا سنة 1728 على مؤسس الأسرة الحسينية، ولا يمكن أنّ ننهي الحديث عن المصادر التّونسية دون التنويه والإشارة إلى كتاب: **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان** لابن أبي الضياف، وهو في أربعة مجلدات وثمانية أجزاء، وكانت استفادتي من الجزء الثّاني كبيرة لأنه المصدر الوحيد تقريباً الذي غطى كامل الإطار الزّماني للدّراسة، حيث احتوى على أخبار الأسرتين المرادية والنّصف الأوّل من عهد الأسرة الحسينية، وتعرض المؤلّف في هذا الجزء إلى معظم الأزمات السّياسية التي مرّت بها الإيّالة التّونسية، واعتمدت بدرجة أقل على الجزئين الثّالث والسّابع، ومع أهمية هذا المصدر إلاّ أنّه لا يخلو من بعض الأحكام المنحازة إلى السّلطة التّونسية.

أمّا المصادر الجزائرية فقد اعتمدت على **المرآة** لحمدان خوجة، والكتاب خصّصه المُؤلِّف للحديث عن تاريخ الجزائر العثمانية، في شتى جوانبها إلاّ أنّ معاصرته للخمسين سنة الأخيرة من الحكم العثماني للجزائر وبداية الاحتلال الفرنسي لها جعلت الاستفادة منه تكون أكثر حول العلاقات بين الإيالتين بداية القرن التّاسع عشر، وحملة 1756م والمعاهدة التي أبرمت في نفس السّنة بين الإيّالتين، وموقف بايات تونس من الاحتلال الفرنسي للجزائر، كما اعتمدت على تاريخ العدواني خاصة فيما تعلق بالفصلين الثّالث والرّابع نظراً لأنّه من المصادر النّادرة التي تناولت قبائل الحدود بين الإيالتين ودورها في صراعات السّلطة، وهو مصدر غني بالمعلومات حول القرن السّابع عشر الميلادي، أمّا **مذكرات الحاج أحمد الشّريف الزهار**، والذي عايش أحداث القرن الثّامن عشر الميلادي، وكان شاهد عيان على الكثير من الأحداث والصّراعات بين دايات الجزائر وبايات الأسرة الحسينية، لذلك كان من أهم المصادر الجزائرية ذات الفائدة لموضوع الدّراسة نظراً لغزارة معلوماته، أمّا المصدر الرّابع فهو **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها** لحسين بن رجب شاوش، وقد ولد المؤلِّف خلال ثمانينات القرن السّابع عشر، واحتوى الكتاب على الكثير من المعلومات حول الحكم العثماني في الجزائر، ومن بين المعلومات التي وردت في الكتاب حروب الإيّالتين الجزائرية التّونسية، وقد أفادني في الفصل الثّاني، وبشكل أقل في الفصول الأخرى.

وإضافة إلى المصادر المطبوعة العربية منها والأجنبية، استخدمت أيضاً الوثائق المنشورة مثل العمل الذي قدّمه فاضل بيات بعنوان: **البلاد العربية في الوثائق العثمانية،** خاصة الجزئين الثّامن الذي خصّصه المؤلف لإيّالة الجزائر والعاشر الخاص بإيّالة تونس وذلك خلال القرن العاشر الهجري/ السّادس عشر ميلادي والوثائق مأخوذة من دفاتر مهمة، وقد استفدت منها في الفصل الأوّل من هذه الأطروحة، بالإضافة إلى كتاب الجزائر في الوثائق العثمانية، واختير لهذا الكتاب 96 وثيقة ومن وثائق مركز الأرشيف العثماني باسطمبول، وتمّ ترجمة هذه الوثائق إلى العربية، وتغطي هذه الوثائق الفترة العثمانية في الجزائر وبداية الاحتلال الفرنسي، خاصة مساعي الدّولة العثمانية من أجل استعادة الجزائر.

أمّا المصادر الأجنبية فحاولت استغلال الوثائق المنشورة خاصة **مراسلات دايات الجزائر مع البلاط الفرنسي** لـ أوجان بلانتي (Eugène Plantet) ( **Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France**) الجزئين الأوّل والثّاني، **ومراسلات بايات تونس مع البلاط الفرنسي** لنفس المؤلِّف ( **Correspondance des Bey de Tunis et des consuls de France avec la Cour**) الجزئين الأوّل والثّاني، وكانت الاستفادة منها كبيرة نظراً لما احتوته هذه المصادر من معلومات عن الإيالتين وعن حروبهما، إضافة إلى بعض المصادر الأخرى والتي عاصر أصحابها الأحداث وكتبوا ما شاهدوه، ومن هذه المصادر كتاب هايدو (Fray Diègo de Haedo) تحت عنوان **Histoire des Rois d'Alger**، والذي كان أسيراً في الجزائر خلال القرن السّادس عشر، وعاصر الأحداث التي جاءت في كتابه، ولذلك يعتبر من أهم مصادر القرن السّادس عشر، وكتاب فنتور ديبرادي (Venture de Paradis) بعنوان **Alger au XVIII ème siècle**، وهو كذلك ممن زار الجزائر خلال القرن الثّامن عشر ودون ملاحظاته عن الإيّالة في هذا المصدر، ويعتبر كذلك من أهم المصادر عن تاريخ الجزائر خلال الفترة الحديثة.

- **المراجع:**

كانت المراجع متنوعة بين الكتب والرسائل والأطاريح الجامعية والمقالات، وتنوعت كذلك من حيث اللّغة، فمنها العربية والمعربة ومنها ما كان بلغات أجنبية، وأهم هذه المراجع:

أولها الكتب العربية والمعربة، واعتمدت منها على ما كتبه باحثون تونسيون وجزائريون، وذلك من أجل إعطاء الموضوع حقه من الدّراسة وسعياً وراء الموضوعية العلمية، ومن الدّراسات التي استفدت منها كتاب **تونس العثمانية بناء الدّولة والمجال** لعبد الحميد هنية، وهو كتاب مهم نظراً للمصادر الأرشيفية التي اعتمدها الباحث، ولما تميز به من زخم معلوماتي، إضافة إلى الموضوعية في الطّرح، وقد أفادني كثيراً في الفصلين الأوّل والثّاني خاصة من ناحية الأزمات السّياسية في تونس، أما الكتاب الثّاني فهو **الأرض والهوية** لفاطمة بن سليمان، وهو دراسة تناولت تشكل المجال الجغرافي لإيّالة تونس، وتناولت الأستاذة حرب الحدود بين الإيالتين بكثير من التّفصيل، واعتمدت فيه على وثائق من أرشيفات مختلفة، بالإضافة إلى هذه الدّراسات كان يجب الإشارة إلى كتاب **الحوليات**

**التّونسية** لألفونص روسو والذي احتوى معلومات مهمة عن إيّالة تونس خلال الفترتين المرادية والحسينية، رغم انحيازه الواضح للجانب التّونسي، ونقمته على السّلطة العثمانية في الجزائر.

أمّا الكتابات الجزائرية فهي كثيرة أيضاً، ولا يمكن للباحث في التّاريخ العثماني المغاربي أنْ يستغني عن كتابات الأستاذ سعيدوني كـ: **ورقات جزائرية** و**النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني**، وكتابات الأستاذ بن خروف، إضافة إلى كتابات حنيفي هلايلي ومنور مروش وغيرهم، كما انتقيت بعض المراجع الأخرى، لعل أهمها كتاب **الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية** لعزيز سامح التر، وهو مرجع مليء بالأحداث التّاريخية الهامة لمنطقة بلاد المغرب من نهاية القرن الخامس عشر إلى نهاية القرن التّاسع عشر، وعلاقات هذه البلدان ببعضها البعض وبالسّلطة العثمانية.

أمّا المراجع الأجنبية فنذكر على سبيل المثال لا الحصر كتاب **Histoire d'Alger sous la domination turque** لـ دي غرامون (de Grammont)، وأرخ فيه صاحبه للسّلطة العثمانية، ويعتبر من أهم المراجع التي كتبت عن تاريخ الجزائر الحديث نظراً للمعلومات التي تضمنها، وكذلك كتاب**Histoire de Constantine** لـ أرنست مرسيي (Mercier Ernest) وهو على شكل حوليات تؤرخ لمدينة قسنطينة وباياتها وعلاقتهم بالسّلطة في تونس، وأيضاً كتاب للمؤرخ التّونسي محمد الهادي الشّريف (M.H Cherif) بعنوان: **Pouvoir et Société dans la Tunisie de H'usayn Bin 'Ali** وهو كذلك من الكتب المهمة عن الأسرة الحسينية خاصة فترة مؤسس الأسرة حسين بن علي وعلاقة السّلطة بالمجتمع في عهد هذا الباي.

كما استفدت مما كُتب في مجلات مختلفة من أبحاث في التّاريخ العثماني للإيالتين، خاصة المجلات الجزائرية والتّونسية بالإضافة، إلى بعض المجلات باللّغة الفرنسية كالمجلة الافريقية (La Revue Africaine) والمجلة التّونسية (La Revue Tunisienne)، وعدد من الدّراسات الأكاديمية تمثلت في رسائل ماجستير وأطروحات دكتوراه، استثمرتها في تغطية بعض الثّغرات النّاجمة عن نقص المعلومات الذي يتميز به الجانبان الاجتماعي والاقتصادي على وجه الخصوص مقارنة بالجانب السّياسي والعسكري، ولا يمكنني أنْ أنهي الحديث عن

المصادر والمراجع المعتمدة دون أنْ أنوِّه لأعمال الأستاذ خليفة حماش خاصة كشافات تاريخ الجزائر، ونذكر منها: **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التّونسي، وكشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية**، وللجهد الجبار الذي من أجل أنْ ترى هذه الأعمال النّور.

**عاشراً- الصُّعوبات:**

- فيروس كوفيد 19 الذي ظهر في الجزائر بداية سنة 2020م، وما ترتب عن ذلك من تقييد الحركة وغلق الحدود، وتمّ بسبب ذلك الغاء الرّحلة العلمية الثّانية التي كانت مقرّرة في شهر مارس من نفس السّنة بهدف زيارة الأرشيف الوطني والمكتبة الوطنية بدولة تونس الشّقيقة، وقد طالت مشكلة الغلق واستمر هذا الوضع إلى غاية منتصف شهر جويلية من سنة 2022م، حيث استطعنا القيام بزيارة للمؤسستين المذكورتين في شهر سبتمبر 2022م.
- البحث الأكاديمي في مجال التّاريخ بصفة عامة والبحث في تاريخ العلاقات بصفة خاصة يحتاج إلى تنقلات وسفريات كثيرة من أجل زيارة دور الأرشيف هنا وهناك، وهو أمر لا تسمح به الظّروف دائما خاصة لمن هو مقيد بالتزامات أخرى عائلية ووظيفية.

وفي الأخير لا يسعني إلاّ أنْ أُجَدِّدَ شكري وعرفاني بالجميل للأستاذ المشرف البروفيسور معاد عمراني على سعة صدره وصبره معي طوال الخمس سنوات التي قضيناها في إعداد هذه الأطروحة، ورغم انشغاله الدّائم، بسبب الأعباء الادارية والبيداغوجية، إلاّ أنّه كان لي نعم الرّفيق في هذا الدّرب الصّعب، وكان هدفنا المشترك إخراج هذا العمل على أكمل وجه، مع أنّ هذا لا يمنع من السّهو النِّسيان اللّذين جُبل عليهما الإنسان، فإنْ وُفقت فمن الله وإنْ أخطأت فمن نفسي والشّيطان، وأتمنى أنْ يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأنْ يكون إضافة إلى المكتبة الجزائرية، وأنْ يجد فيه طلاب العلم ضالتهم.

الوادي في: 29 رمضان 1444هـ

الموافق لـ: 20 أفريل 2023م

✍ **الطالب: أحمد مجوري**

# الفصل الأوّل:

## إيالة الجزائر ومسار علاقاتها السّياسيّة مع تونس الحفصيّة والعثمانيّة 1520-1587م

**المبحث الأوّل:**

**الأوضاع في حوض المتوسط الغربي مطلع الفترة الحديثة**

**المبحث الثّاني:**

**إيّالة الجزائر وعلاقاتها السّياسيّة مع الحفصيين**

**في تونس 1520–1569م**

**المبحث الثّالث:**

**التّطور السّياسي في تونس 1569–1587م**

**وموقف الجزائر منه**

تتَّفق معظم الدِّراسات والكتابات التَّاريخية حول أوضاع بلاد المغرب، نهاية العصور الوسيطة ومطلع الفترة الحديثة، حيث يُقِّر المؤرخون الذين عاصروا تلك الفترة بحالة الضُّعف العامة التي كانت عليها بلاد المغرب، بل وتفنَّن الكثير ممَّن كتب عن أواخر القرن الخامس عشر ومطلع القرن السَّادس عشر الميلادي في إطلاق أوصاف تَحمِلُ جُلَّهَا –دون مبالغة– مدلولات الضُّعف، والانهيار، والفُرقة، والعداء بين الأشقاء، رغم ما توافر لهم من عوامل الوحدة بينهم كاللُّغة، والدِّين، والمصير المشترك، وغيرها. هذه الوضعية جعلت منطقة المغرب الإسلامي عرضة للأطماع الأوروبيّة، خاصة الأيبيرية (الاسبانية والبرتغالية).

ولقد شهدت بلاد المغرب، بعد سقوط غرناطة هجمة شرسة تمثَّلت في غزو الأيبيريين لسواحلها، وتقاسمت كل من البرتغال وإسبانيا النفوذ في المنطقة، ففي حين كان المغرب الأقصى من نصيب البرتغال، شملت السَّيطرة الاسبانية كل من المغربين الأوسط والأدنى؛ وما إنْ حلَّت سنة 1510م حتّى أصبحت معظم المدن السَّاحليّة، من طرابلس الغرب شرقاً إلى سواحل المغرب الأقصى الأطلسيّة غرباً، تحت سيطرة الأيبيريين، وانتقل بذلك الصِّراع الإسلامي المسيحي من شرقي البحر المتوسّط إلى غربه. وفي هذه الظُّروف ظهر العثمانيون في الحوض الغربي للبحر المتوسّط، وتمكَّنوا خلال فترة وجيزة من تحرير معظم المدن السَّاحليَّة من بلاد المغرب الواقعة تحت الاحتلال الإسباني، ما دفع سكان الجزائر سنة 1516م إلى الاستنجاد بالأخوين عروج وخير الدّين لتخليص المنطقة من الخطر الإسباني، ومنذ 1520م أصبحت الجزائر أوّل إيّالة عثمانيّة في حوض المتوسط الغربي.

ومع انضمام المغرب الأوسط تحت لواء الدولة العثمانية، وتشكل أوّل إيّالة عثمانيّة في بلاد المغرب (إيّالة الجزائر)، وتعيين خير الدّين بربروس حاكماً عليها برتبة بايلرباي، ظهر نوع من التّوازن في القوى بين طرفي الصّراع؛ الإسلامي بقيادة الدولة العثمانية، والمسيحي تحت سلطة إسبانيا الكاثوليكية، وبرز دور إيّالة الجزائر المهم في المنطقة خلال القرن السّادس عشر الميلادي، خاصة وأنّها أصبحت قوّة بحريّة لا يستهان بها، حيث تمكنت هذه القوة من طرد الإسبان من معظم سواحل بلاد المغرب تقريباً، وساهمت في المعارك البحريّة للدّولة العثمانية ضدّ التّحالفات الأوروبيّة، وكان لها دور بارز في ضمّ كل من طرابلس الغرب وتونس تحت لواء الدولة العثمانية؛ وأصبحت سلطة بايلرباي الجزائر تمتد إليهما نظير ما قدّمه هؤلاء من خدمات جليلة للدّولة العثمانية.

## المبحث الأوَّل: الأوضاع في حوض المتوسّط الغربي مطلع الفترة الحديثة

تعتبر بداية القرن السَّادس عشر الميلادي، فترة مفصليَّة في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي، نظراً لما عرفته هذه المنطقة من أحداث وتطورات أثرّت على مجريات الأحداث خلال هذه الفترة وحتّى الفترات اللاحقة، ففي حين كانت بلاد المغرب والأندلس غارقة في تخلفها وتمزقها الصِّراعات على العروش، بدأت أوروبا الغربيّة عهدها الحديث بظهور النَّهضة فيها، وتوجته بكشوفاتها الجغرافية التي توسّعت من خلالها خارج حدودها، حيث وجدت سواحل شمال افريقيا، بحكم قربها الجغرافي، هدفاً سهلاً نتيجة سوء أوضاعه الدّاخلية.

### أولاً- مستجدات الضّفة الشّمالية لحوض المتوسّط الغربي:

### أ- القوى الفاعلة في حوض المتوسّط الغربي بداية العصر الحديث:

### 1- إسبانيا:

يرجع ميلاد دولة إسبانيا الحديثة إلى الزَّواج السِّياسي الذي تمَّ بين "فرديناند (Fernando)"[1] ملك أراغون و"إيزابيلا (Isabella)"[2] وريثة عرش قشتالة سنة 1469م[3]. وعلى الرّغم مِنْ أنَّ هذا الزَّواج لم يدمج المملكتين دمجاً تاماً، لأنَّ لقب ملوك إسبانيا ظلَّ موجوداً[4]، إلاَّ أنَّ الملكين تمكّنا من وضع سياسة مشتركة هدفت إلى تحقيق الوحدة الاسبانية التي وطّدت النِّظام الدَّاخلي، وأوقفت الحرب بين النُّبلاء[5].

ونفس الاهتمام حظيت به السِّياسة الخارجيَّة من ملوك إسبانيا، حيث زاد اهتمامهم بالعالم الجديد (أمريكا) وايطاليا، وبشمال افريقيا الذي أعطياه أولويّة خاصة بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، وما رافق ذلك من تعصّب رجال الدِّين الإسبان، الذين لم يتوقّفوا عن

1- وُلِد سنة 1452م، ابن خوان الأوّل ملك أراغون، تولى عرش أراغون عام 1479م، وأصبح مع زوجته ايزابيلا منذئذ يعرفان بملكي أراغون وقشتالة، أو الملكين الكاثوليكيين. جمال يحياوي، **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين 1492-1610م**، دار هومة، الجزائر، 2004م، د.ط، ص 33.

2- وُلِدت سنة 1451م، إبنة خوان الثّاني ملك قشتالة، استلمت العرش بعد وفاة أخيها "انريكي الرابع" سنة 1474م. المرجع نفسه والصّفحة.

3- أحمد توفيق المدني، **حرب الثّلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م**، الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، د.ت، د.ط، ص 48؛ جمال يحياوي، المرجع السّابق، ص 33.

4- محمّد خير فارس، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، مطابع ألف باء الأديب، دمشق، 1969م، ط 01، ص 14.

5- نور الدّين حاطوم، **تاريخ عصر النّهضة الأوربيّة**، دار الفكر، دمشق، د.ت، د.ط، ص 19.

تغذية نار التَّعصب المتأجِّجة في قلب ملكة قشتالة ضدّ المسلمين، وعلى رأس هؤلاء "الكاردينال خمينيس (Ximénès)"[1]، ورغم وفاة الملكة إيزابيلا سنة 1504م، إلاَّ أنَّ هذا لم يمنعها مِنْ أنْ تحثَّ في وصيتها على عدم التَّوقُّف عن فتح إفريقية[2]. وقد واصل زوجها المهِّمة بعدها، ثمَّ حفيدهما شارلكان الذي تولى العرش، بعد وفاة فرديناند سنة 1516م[3].

**2- البرتغال:**

استكملت البرتغال وحدتها الوطنيَّة سنة 1413م[4]، وعندما عجزت عن إيجاد مركز لها داخل قارة أوروبا نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، دفعها ذلك إلى تحقيق هذا الحلم خارجها، عن طريق احتكار تجارة أوروبا الخارجيَّة مع الهند والشّرق الأقصى، وقد جعلها ذلك دولة بَحْرِيّةً بامتياز[5]، وكانت بذلك أوّل امبراطورية استعمارية رغم صغر مساحتها وقلّة عدد سكانها[6]. فقد وصل الملك ايمانويل الأوَّل إلى العرش سنة 1491م، وكانت سبته (1415م) وميناء القصر الصّغير (1458م) وأصيلا وطنجة (1471م)، تحت الاحتلال

---

1- وُلِد سنة 1436م بالقرب من مدريد، قضى مدة في دراسة اللغات الشّرقية، لا سيما اللّغة العربية، وأصبح في 1492م من أعظم رجال الكنيسة. عُرِف بالتّعصب وحارب الإسلام والمسلمين في الأندلس وشمال إفريقيا، وقاد بنفسه الحملة الاسبانية على وهران سنة 1509م، توفي سنة 1517م، فلا غرابة إذاً في أنْ تحظى هذه الشخصيَّة بعدد هائل من الدِّراسات، فقد أشارت بعض المصادر إلى أنّ هناك ثلاثمائة وتسعة وثلاثون (339) كتاباً مطبوعاً، تناولت كلُّها حياة الكاردينال، بالإضافة إلى ستة وتسعون (96) مخطوطاً، **يُنظر:** هنري تشارلس لي، **العرب والمسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة**، (تر): حسن سعيد الكرمي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 1409هـ/1988م، ط 01، ص 45؛

Henri Léon Fey, **Histoire d'Oran avant, pendant et après la domination Espagnole**, Oran, Typographie Adolphe PERRIER Editeur, 1858, p 66.

2- محمّد خير فارس، المرجع السّابق، ص ص 15، 18.

3- هو شارل فان هابسبورغ (1500-1558م)، حفيد فرديناند وإيزابيلا من ابنتهم جوانا زوجة فيليب الجميل ابن مكسميليان امبراطور النمسا، اعتلى عرش اسبانيا بعد وفاة جده فردينلند سنة 1516م، ورث عرش أهله في الأراضي المنخفضة، وأراضي جده النمساوي على الدانوب، وأُختير على رأس العرش الإمبراطوري للإمبراطورية الرومانيَّة المقدَّسة سنة 1519م، وأصبح يدعى شارل الخامس. جون ب.وولف، **الجزائر وأوروبا 1500-1830**، (تر) و(تع): أبو القاسم سعد اللّه، عالم المعرفة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2015م، د.ط، ص 35.

4- الشافعي درويش، **علاقات الإيالات المغاربية في غرب المتوسّط مع إسبانيا خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، المركز الجامعي بغرداية، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، 1431-1432هـ/2010-2011م، (غير منشورة)، ص 27.

5- عبد العزيز سليمان نوّار ومحمود محمّد جمال الدّين، **التّاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتّى نهاية الحرب العالميّة الأولى**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1419هـ/ 1999م، د.ط، ص 63.

6- عبد المجيد القدوري، **المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر (مسألة التجاوز)**، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2012م، ط 02، ص 92.

البرتغالي، وواصل سياسة أسلافه، حيث استطاع السَّيطرة على آسفي وأزمور، وتطلَّع للاستيلاء على مراكش. وتُعْتَبر فترة حكمه قِمَّة ما وصل إليه النُّفوذ البرتغالي في المغرب[1].

وفي الشَّرق، استطاع البرتغاليون، بعد وصولهم إلى مياه الهند، أنْ يهدِّدوا تجارة العرب والمسلمين مع الهند والشّرق الأقصى، وآثروا القضاء على كل منافسة لهم في تلك المنطقة. وتصادموا مع العثمانيين بعد سيطرتهم على منطقة المشرق العربي، بدايةً من منتصف العقد الثَّاني للقرن السَّادس عشر الميلادي.

**3- فرنسا:**

كانت فرنسا مطلع الفترة الحديثة بلداً متقدمًا عن غيره من بلدان أوروبا، وكانت في طريقها إلى الوحدة القومية، أمّا الملك الفرنسي "شارل الثّامن (1483-1498)"[2] فقد تمتع بمكانة مرموقة بين حكام أوروبا وسادتها[3]، وقد كانت له مشاريع توسعيّة، بدأها من ايطاليا عندما تطلَّع إلى احتلال مدينة نابولي سنة 1494م، حيث وجد تأييداً من البلاط الفرنسي وتشجيعاً من بعض الأمراء الإيطاليين. ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ هذه المغامرة جعلت ملك فرنسا في مواجهة مع الإمبراطور مكسيمليان حاكم ألمانيا وفرديناند ملك أراغون بالإضافة إلى عدد من الإمارات الإيطالية، واستمرَّ الصراع بين الطرفين حوالي عشرين سنة، انتهى بفوز الفرنسيين بمساعدة البندقية في "معركة مارينيون" سنة 1515م؛ وهي السّنة التي اعتلى فيها "فرنسوا الأوّل (1515-1547م)"[4] عرش فرنسا، والتي تمكَّن الفرنسيون على إثرها من احتلال مدينتي ميلان وجنوة، وسيطروا على سهل لومبارديا[5].

---

1- شوقي عطا الله الجمل، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1977م، ط 01، ص-ص 44-62.

2- ابن لويس الحادي عشر، كانت أخته آن دي فرانس وصية عليه أول الأمر، وفي سنة 1495م بدأ شارل الثّامن الحروب الايطالية باستيلائه على نابلي لكن ذلك لم يستمر طويلاً، **يُنظر**: حسين محمد نصار وآخرون، **الموسوعة العربية الميسرة**، مج 04، المكتبة العصرية، لبنان، 1431هـ/2010م، ط 01، ص 1988.

3- نور الدّين حاطوم، المرجع السَّابق، ص 18.

4- فرانسوا الأوّل (1494-1547م): ابن شارل دي فالوا وأمه لويز دي صافوا، حكم فرنسا اثنان وثلاثون سنة بين (1515-1547م)، وذلك بعد موت صهره لويس الثاني عشر، لأنَّ الأخير لم يُخلِّف وريثاً، لم يستطع فرانسوا منافسة ملك اسبانيا شارل الخامس على عرش الأمبراطورية المقدّسة بعد وفاة الإمبراطور مكسيمليان، دخل بعدها في حروب ضدّه إلى غاية سنة 1544م، عُرِف بتسامحه مع البروتستانت، وشهدت فترة حكمه رخاءً اقتصادياً. لكحل الشيخ، **نشاط وكالة الباستيون وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال النصف الأول من القرن 11هـ/17م (1013-1070هـ/1604-1659م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، 2013/2012م، ص 13.

5- جمال قنان، **معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م**، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص ص 32، 33.

فبعد موت الملك فرديناند سنة 1516م، اعتلى شارل الأوَّل عرش إسبانيا، وبوفاة الإمبراطور مكسيمليان (جدُّهُ من والده فيليب) أصبح شارل الأوَّل إمبراطورًا للإمبراطورية الرُّومانيَّة المقدَّسة منذ 1519م، وأخذ اسم شارل الخامس كما سبق وأشرنا[1]، في حين كان يحكم فرنسا الملك "فرنسوا الأوّل. هذه التَّطورات زعزعت التَّوازن الذي أقامته المعاهدة بعد معركة مارينيون، وأعادت الصِّراعات إلى الواجهة في أوروبا بين الملكين الجديدين، الفرنسي والإسباني، هذا الصِّراع انتهى بطرد الفرنسيين من ايطاليا وأسر الملك الفرنسي في معركة بافيا سنة 1525م، واضطُّر إلى التَّوقيع على معاهدة مدريد المجحفة. وفي خِضَم هذه الظُّروف وُلِد التَّحالف الفرنسي العثماني للوقوف في وجه إسبانيا[2].

**4- الجمهوريّات الايطاليَّة:**

كانت المدن الإيطاليّة خاصة جنوة والبندقية، مع نهاية القرن الخامس عشر (15م) ومطلع القرن السادس عشر (16م) الميلادي قويّة وذات نفوذ، بسبب ما تمتّعت به من ثراء، جرَّاء سيطرتها على المبادلات التِّجارية التي تتم بين الشّرق الأقصى وأوروبا[3]، ومنها انطلق شعاع النّهضة وتوسَّع ليشمل جميع أقطار القارة الأوروبيّة[4].

فقد كانت البندقية تمتلك أكبر أسطول في العالم خلال القرن الخامس عشر الميلادي، وكان لها مع جنوة مستعمرات في أوروبا، ومراكز تجاريّة في اليونان وألبانيا، لكنّ الدولة العثمانية، بعد فتحها للقسطنطينيّة، هدَّدت مصالح هذه الجمهوريات التِّجاريّة، لذلك فلا غرابة في أنَّ وفاة السُّلطان العثماني "محمَّد الفاتح (1451-1481م)"[5] بالسُّم الذي دسَّه له طبيبه

---

1- أحمد توفيق المدني، المرجع السَّابق، ص 55.

2- جمال قنان، المرجع السَّابق، ص ص 33، 34.

3- حسب "روسي" فإنَّ المدن الإيطالية كالبندقية، بدأت تفقد قوتها وازدهارها خلال هذه الفترة، وأصبحت مضطرَّة، حسب تعبيره، إلى الدِّفاع عن امبراطوريّتها الاستعمارية بالسِّلاح والسِّياسة، في حين وحَّدت الحركات القوميّة دُول أوروبا الغربيّة في ممالك كبيرة، وزادت من قُوَّتها السِّياسيّة والتِّجاريّة، **يُنظر**: ايتوري روسي، **طرابلس تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا**، (تر وتق): خليفه محمَّد التّليسي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، 1985م، ط 02، ص 17.

4- جورج قرم، **تاريخ أوروبا وبناء أسطورة الغرب**، (تر): رلى ذبيان، دار الفارابي، بيروت، 2011م، ط 01، ص 147. وحول هذه الدُّويلات، يضيف المُؤَلِف: «ففي الواقع، مارست هذه الجمهوريات في وقت مبكر جداً، أنماطاً مختلفة في إدارة شؤون الأملاك الاستعمارية والوكالات التجارية الأجنبية، وهي أنماط ستُقْبِل الدول الأوروبية الأخرى على اعتمادها فيما بعد»، المرجع نفسه، ص-ص 152-153.

5- اسمه محمَّد الثاني، ولد في أدرنه بتاريخ 30 مارس 1432م، أصبح ولياً للعرش وعمره 11 عاماً (سنة 1443م) بعد وفاة أخيه الأكبر علاء الدين، اعتلى العرش في سن 19؛ أي في 1451م، وهو سابع سلاطين بني عثمان، فتح القسطنطينية سنة 1453م وجعلها عاصمة لدولته، فأخذ لقب الفاتح من وقتها، وقد عُرِف بثقافته العالية وحبه للعلم والعلماء، واتقانه للعديد من اللّغات إلى جانب التّركية، وتوفي رحمه الله سنة 1481م، يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة=**

البندقي الأصل أثناء الاستعدادات لحملة كبيرة موجهة ضدَّ ايطاليا، كانت المحاولة الخامسة عشر (15) للبندقية من أجل ذلك[1].

**5- الدولة العثمانية:**

في الشَّرق، تزامن سطوع نجم "العثمانيين"[2] مع بداية ضعف وأُفول الامبراطوريَّة البيزنطيَّة[3]، ويبدو أنَّ هذه الظُّروف شجَّعت العثمانيين وساعدتهم على الفتح، رغم بعض محاولات الوحدة المسيحيّة للوقوف في وجه هذا الزَّحف[4].

فقد وصل الأمير عثمان (1299-1326م) إلى السُّلطة مع مطلع القرن الرابع عشر الميلادي، وكان يسيطر على المناطق الواقعة في أقصى شمال غرب الأناضول، على حدود "بيزنطة"[5]، وكان انتصاره الذي حققه على البيزنطيين، بالقرب من بافيون، سنة 1301م قد جعل منه شخصيّة مشهورة. كما أضاف إلى انتصاراته السّابقة، في آخر حياته، فتح مدينة "بورصة"[6] سنة 1326م وجعلها عاصمة لإمارته، وكانت قبل ذلك تابعةً للدَّولة البيزنطيَّة[7]. وبين 1300 و1516م تداول على حكم الدولة العثمانية تسعة (09) سلاطين، وتوسَّعت

---

=**العثمانية**، مج 01، (تر): عدنان محمود سلمان، (مر) و(تن): محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1408هـ/1988م، ط 01، ص-ص 131-139.

1- يلماز أوزتونا، المرجع السّابق، ص ص 174، 176، 177، 178.

2- يعود أصل هذه التَّسمية إلى عثمان بن أرطغرل (1299-1326م)، الذي يعتبره المؤرخون المؤسِّس الحقيقي للدَّولة العثمانيَّة، والعثمانيون هم من القبائل التّركمانية التي نزحت من بلاد تركستان إلى هضبة الأناضول، وفي سنة 1299م قام الأمير عثمان بوضع أُسس هذه الدَّولة بعد أنْ انقرضت الدّولة السّلجوقيّة بموت السّلطان علاء الدِّين، إبراهيم بك حليم، **التّحفة الحليميّة في تاريخ الدّولة العليّة**، مطبعة ديوان عموم الأوقاف، د.ب.ن، 1323هـ/1905م، ط 01، ص 36.

3- كلود ديلماس، **تاريخ الحضارة الأوربيّة**، (تر): كوليت حبيب، (مر): إبراهيم أبو حيدر، الفن الحديث العالمي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، د.ت.ن، ط 01، ص-ص 51-52.

4- أحمد فؤاد متولي، **تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتّى نهاية عصرها الذهبي**، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، د.ط، ص-ص 51-53.

5- مدينة يونانية قديمة على البوسفور بنى مكانها الامبراطور قسطنطين سنة 330م مدينة القسطنطينية التي فتحها محمّد الفاتح سنة 1453م وأصبحت تُسمى اسطمبول، **يُنظر**: لويس رايت وجوليا ماكليود، **الحملات الأمريكية على شمالي افريقيا في القرن الثامن عشر**، (تع): محمّد روحي البعلبكي، مكتبة الفرجاني، ليبيا، د.ت، د.ط، ص 16.

6- تقع عند سفح جبل أوليمبس Olympus أو الجبل الكبير، وهذه المدينة دُفن بها السِّتة الأوائل من حكام آل عثمان وهم: عثمان، أورخان، مراد الأول، بايزيد الأول، محمّد الأوَّل، مراد الثَّاني، وبعد فتح محمّد الثاني (الفاتح) للقسطنطينية دُفن فيها هو ومن أتى بعده من السَّلاطين العثمانيين، **يُنظر**: أحمد فؤاد متولي، المرجع السَّابق، ص37.

7- خليل اينالجيك، **تاريخ الدَّولة العثمانيَّة من النشوء إلى الانحدار**، (تر): محمَّد.م.الأرناؤوط، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2002م، ط 01، ص 15.

فتوحاتها بواسطة الجيش الانكشاري داخل قارة أوروبا، وتمكّنوا من فتح بلاد البلقان وبلاد المجر وغيرها من المناطق، وكان أكبر عمل قام به العثمانيون خلال تلك الفترة هو فتح القسطنطينية، عاصمة الدَّولة البيزنطيَّة، سنة 1453م، على يد السُّلطان محمَّد الفاتح[1].

وقد واصل خُلفاء السُّلطان محمَّد الفاتح على نهجه، لكنّ الظُّروف الجديدة مع بداية القرن السَّادس عشر الميلادي، باستفحال الخطر الشِّيعي وتحالفهم مع مماليك مصر، غيَّرت اتجاه الفتوحات العثمانيَّة من أوروبا إلى المشرق العربي، واستطاع السُّلطان سليم الأوّل ضمَّ مصر والشّام والحجاز بعد معركة مرج دابق في أوت 1516م والرَّيدانية جانفي 1517م[2]، وقد تغيرت نتيجة عثمنة الإطار السّياسي بالأناضول والغرب الأوروبي ثمّ المنطقة العربية معطيات التّاريخ المشرقي وأضحت استنبول مركز ثقل العالم الإسلامي، وقد استفاد العثمانيون من الموقع الجغرافي العربي لضرب البرتغاليين في البحر الأحمر والاسبانيين والبنادقة وفرسان مالطة في البحر الأبيض المتوسط، وشجعهم على التّحرك في غرب البحر المتوسّط، وفسّر سياستهم في هذه المنطقة طوال سنوات القرن السّادس عشر الميلادي[3].

**ب- الكشوفات الجغرافيَّة الأوروبيّة ونتائجها:**

ما يهمنا هنا هو الكشوفات الجغرافيّة الأولى، بداية الفترة الحديثة، والتي قامت بها إسبانيا والبرتغال خلال القرنين الخامس عشر والسّادس عشر الميلاديين[4]، فقد دشَّنت أوروبا هذا العصر بخروجها من مجالها المغلق إلى مجال مفتوح من أجل السَّيطرة على بقيّة العالم[5]. حيث استطاع الأوروبيون كشف مناطق كثيرة جداً من العالم، وأصبح، ولأوَّل مرّة، باستطاعتهم الإبحار على أيِّ مسطح مائي والعودة إلى نقطة انطلاقهم[6]؛ ولا أَدَلَّ على ذلك من دورة ماجلان حول الأرض ورحلات كريستوف كولمبس وفاسكو دي غاما الكشفيّة.

1- أحمد توفيق المدني، المرجع السَّابق، ص-ص 59-60.

2- أحمد فؤاد متولي، المرجع السَّابق، ص-ص 221-224؛ يلماز أوزتونا، المرجع السَّابق، ص-ص 215-225.

3- عبد الجليل التميمي، "**رؤية منهجية لدراسة العلاقة العثمانية-المغربية في القرن 16م**"، المجلة التاريخية المغربية، مج 10، ع 29-30، 1982م، تونس، ص-ص 71-72.

4- فيصل محمَّد موسى، **موجز تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر**، (مر): ميلاد المقرحي، منشورات الجامعة المفتوحة، د.ب.ن، 1997م، د.ط، ص 64.

5- عبد المجيد القدوري، المرجع السّابق، ص 72.

6- عيسى علي إبراهيم، **الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000م، د.ط، ص 93.

ولقد كانت هذه الكشوفات في الحقيقة أحد نتائج "النَّهضة الأوروبيّة"[1] والتّقدم العلمي[2]، بينما تَمَثَّل أبرز أهدافها في اكتشاف أوروبا للطَّريق البحريّة الموصلة إلى الهند، عوضاً عن الطَّريق التي تَمُرُّ بالبلاد العربيَّة والبحر الأحمر[3]، قاصدةً بذلك تحطيم تجارة المسلمين المزدهرة حينئذ، وكسر احتكارها لتجارة الشَّرق؛ لأنَّ مُهمَّة العرب والمسلمين في حركة التَّبادل التِّجاري، بين الشَّرق والغرب، لم تقتصر على دور الوسيط فقط كما هو سائد، بل لعبوا دور المنتج والشّريك والتّاجر كذلك، فقد شارك مسلمو الهند وشرق افريقيا في الانتاج والتّصدير للموانئ العربيّة، بينما قام العرب بأعمال التِّجارة والنّقل البحري والبرّي، وتسهيل مهمّات التُّجار الأوروبيين بالموانئ الإسلامية[4]، كما قصدت أوروبا كذلك التخلّص من سيطرة تجار البندقية وجنوة على جزء من تجارة الشَّرق[5]، بخصوص ما تعلَّق منها بنقل البضائع من موانئ البلاد العربيّة والاسلاميّة إلى موانئ أوروبا.

---

1- هي مرحلة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصر الحديث، وأدّت إلى تقدُّم علمي وثقافي واجتماعي كبير، كما استطاع رواد النّهضة تخليص الانسان من سيطرة الكنيسة على عقله وفكره وروحه، وعَرَفَ بواسطتها الحريّة، وكانت ايطاليا مهد النهضة بسبب تظافر عدّة عوامل منها أنّها كانت وريثة لأمجاد الرّومان ومركزاً للبابويّة وللكنيسة الكاثوليكيّة، كما كان لاحتكاك الايطاليين بالثقافة العربيّة الاسلاميّة واحتكارهم للتّجارة مع العرب والمسلمين أثر واضح في قيام النهضة فيها، جفري براون، **تاريخ أوروبّا الحديث**، (تر): علي المرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع، عَمَّان، 2006م، ط 01، ص 141.

2- شوقي عطاالله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **تاريخ أوروبا من النهضة حتّى الحرب الباردة**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م، د.ط، ص 20. في الحقيقة لا يستطيع أحد أن يُنكِر دور النّهضة الأوروبيّة في حركة الكشوف الجغرافيّة بسبب إسهامها في التّقدم العلمي الواضح الذي عرفته أوروبا في تلك الفترة، لكنّ ما يجب التنويه إليه بخصوص هذه النّقطة هو دور الحضارة العربيّة الإسلاميّة بالأندلس في هذه الكشوفات؛ فقد كانت الأندلس هي الجسر الذي عَبَرَت من خلاله تأثيرات الحضارة الاسلاميّة إلى بقيّة أوروبا، ويستدل على ذلك بأنّ هذه الكشوفات قد انطلقت من شبه الجزيرة الأيبيريّة دون سواها. وللمزيد حول دور واسهام الحضارة الإسلامية في حركة الكشوف الجغرافية، **يُنظر**: السيد حسين جلال، **فضل المسلمين في كشف الطريق البحري إلى الهند (1415-1498)**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2003م، ط 01، ص-ص 13-21، 37-40، 123-135.

3- فيصل محمَّد موسى، المرجع السَّابق، ص 64. كانت هناك أربعة (04) طرق تُنقل عبرها السِّلع من آسيا إلى أوروبا، سيطر التُّجار العرب والمسلمون وقتئذ عليها جميعاً. للمزيد من التَّفاصيل حول هذه الطُّرق والمدن والموانئ التي تمرّ بها، **يُنظر**: السيد حسين جلال، المرجع السَّابق، ص-ص 46-49.

4- رياض محمود الأسطل، **الصراع الاسلامي البرتغالي وأثره في حركة التجارة الدولية 1500-1730م/ 906-1143هـ**، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة السند، باكستان، 1412هـ/ 1991م، ص 66، 67.

5- فيصل محمَّد موسى، المرجع السَّابق، ص 65.

ولهذا الغرض خرج كريستوف كولمبس سنة 1492م، وكان يعمل لحساب ملك إسبانيا، سالكاً طريق الغرب، وحطَّ رحاله في الثالث (03) أوت 1492م بـ:"القارة الأمريكيّة"[1] مُعتقِداً بأنَّه وصل بلاد الهند؛ مصدر الغنى والثَّروة، وأَطلَق على سكانها اسم "الهنود"، وقضى سنوات ما بين 1493 و1504م في اكتشاف سواحل أمريكا الجنوبيّة[2]، وكذلك كان الحال بالنِّسبة للرَّحالة فاسكو دي غاما الذي غادر لشبونة في شهر جوان سنة 1497م متوجهاً إلى الهند التي وصلها في ماي سنة 1498م بعد أنْ استطاع الدَّوران حول قارة افريقيا[3]. وقد حظيت هذه الرِّحلة بشهرة كبيرة، رغم أنَّ بدايات اكتشاف سواحل إفريقيا الغربية كانت قد انطلقت على يد الملك البرتغالي هنري الملاح (1384–1460م)[4].

ورغم أهمِّية العامل الاقتصادي في دفع عجلة الكشوفات الجغرافيّة قُدماً، غير أنَّ غاياتها كانت متعدِّدة، وتنوّعت بين الاقتصاديّة والدّينيّة والسِّياسيّة والعسكريّة[5]، ولذا لقيت هذه الحركة الدَّعم الماديّ والمعنوي من ملوك أوروبا وأمرائها، ومن الكنيسة ممثَّلةً في باباواتها، وبذلك تعدَّدت نتائجها بتعدُّد أهدافها وغاياتها.

أمّا نتائج هذه الكشوفات، فهي كثيرة ومتنوعة، ويمكن ايجازها في النِّقاط الآتية:

- تحوّلت بفضل هذه الحركة طريق التِّجارة من البحر المتوسّط إلى المحيط الأطلسي[6]، وقد سبَّب هذا الاكتشاف ضربةً قاضيَّةً للاقتصاد الاسلامي[7].

---

1- سُميت كذلك سنة 1507م نسبة للبحَّار الإيطالي "أميريكو فسيبوشي"، وكان يسكن إسبانيا، فقد كتب رسالة سنة 1503م، بعد رحلات قادته إلى العالم الجديد سنتي 1501 و1502م، أكَّد فيها أنَّ هذه القارّة ليست بلاد الهند كما كان يعتقد كولمبس، بل هي قارة جديدة. **يُنظر:** صالح حسن العكيلي، **الوجه الآخر للنهضة الأوروبية (محاضرات في تاريخ أوروبا في عصر النهضة 1453–1789)**، الوراق للنشر والتوزيع، عمَّان، 2006م، ط 01، ص 42؛ أحمد توفيق المدني، المرجع السَّابق، ص 31.

2- المرجع نفسه، ص 30.

3- عبد العزيز سليمان نوّار ومحمود محمّد جمال الدّين، المرجع السَّابق، ص 61.

4- مؤلف مجهول، **يوميات رحلة فاسكو داجاما وتقرير رحلة دوز سانتوس،** (تر) و( درا): عبد الرحمان عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995م، د.ط، ص 13.

5- صالح حسن العكيلي، المرجع السَّابق، ص 35. وهناك أيضا من يقدِّم العامل الدّيني على العامل الاقتصادي رغم أهمية الأخير، بحيث كان القضاء على المسلمين أهمّ عند الأوربيين من احتكار التِّجارة. عبد العزيز سليمان نوّار ومحمود محمّد جمال الدّين، المرجع السَّابق، ص 55.

6- شوقي عطاالله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السَّابق، ص 21.

7- عبد العزيز سليمان نوّار ومحمود محمّد جمال الدّين، المرجع السَّابق، ص 57.

- أنَّ أوروبا في مطلع الفترة الحديثة قد وصلت مرحلة استنزافيّة فرضتها على الآخرين[1]، فقد جلب التَّقدم الصِّناعي الرّخاء للمُسْتَعْمِر والشّقاء للمُستَعمَر. كما انطلقت الهجرة الأوروبيّة نحو المناطق المكتشفة، والتي كرَّست التّفرقة العنصريّة بين الأجناس[2].
- سعت أوروبا من خلال هذه الحركة إلى نشر الدِّين المسيحي في مستعمراتها الجديدة، فقد كانت الحملات الأوروبية تحمل المبشرين إلى المناطق البعيدة المكتشفة للعمل على تعليم أهلها مبادئ وأصول المسيحيّة[3].
- كما برزت إلى الوجود مع حركة الكشوفات ظاهرة الاستعمار، وسيطرت فكرة الاستيلاء على العالم على كل مِنْ إسبانيا والبرتغال، وعُقدت معاهدة تورد سيلاس بين الطّرفين سنة 1495م؛ وأصبح منذئذ "حجر بادس"[4] حداً فاصلاً بينهما، فكل ما هو واقع غربه للبرتغال، وكل ما هو شرقه لاسبانيا[5]. وبالتالي أصبحت جميع بلاد المغرب تحت رحمة الأيبيريين.

**ج- سقوط غرناطة 1492م وتداعياته:**

بدأ انحصار وتراجع المد الإسلامي بالأندلس مع نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، بسقوط حواضر كبرى بيد النَّصارى؛ مثل طليطلة سنة 1085م، وسرقسطة 1118م، وتسارعت وتيرة سقوط الحواضر الإسلاميّة أكثر بعد هزيمة الموَّحدين في معركة حصن العقاب سنة 1212م، حيث سقطت جزيرة ميورقة سنة 1229م، وقرطبة في 1236م، وبلنسية في 1238م، ومرسية 1242م، وجيان 1246م، وإشبيلية 1248م. وكان استمرار هذا التَّراجع مؤشراً للقضاء النِّهائي على الوجود الإسلامي بالأندلس، الذي انحصر في غرناطة المُمزَّقة أصلاً من جرَّاء الصِّراعات على السُّلطة[6].

---

1- عبد المجيد القدوري، الرجع السَّابق، ص 6.

2- شوقي عطاالله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السَّابق، ص 22.

3- عبد العزيز سليمان نوّار ومحمود محمّد جمال الدّين، المرجع السَّابق، ص 80. ويضيف الأستاذ جورج قرم، بأنّ هناك ارساليات تبشيرية خرجت إلى وسط آسيا وشرق المتوسّط قبل ذلك بمدة طويلة. جورج قرم، المرجع السَّابق، ص 153.

4- تسمى أيضا جزيرة بادس، وهي جزيرة صغيرة على شاطئ البحر الأبيض المتوسّط بين مدينتي سبتة ومليلية، يبلغ طولها حوالي 360م وعرضها 100م، **يُنظر:** الصّديق بن العربي، **كتاب المغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1404هـ/1984م، ط 03، ص 120.

5- أحمد توفيق المدني، المرجع السَّابق، ص 33.

6- حنيفي هلايلي، **أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي**، دار الهدى، الجزائر، 2010م، د.ط، ص-ص 11-12؛ جمال يحياوي، المرجع السَّابق، ص 27.

عندما عرفت إسبانيا الوحدة في 1469م كما أسلفنا الذِّكر، كان "مولاي الحسن"[(1)] قد وصل إلى السّلطة في غرناطة قبل ذلك بخمس سنوات، وخلال فترة حكمه بدا الضُّعف واضحاً على ما تَبَقَّى من الدَّولة الاسلاميّة في الأندلس، بسبب استهتار الأخير وكثرة الصِّراعات على الحكم[(2)]. ومن الواضح أنَّه تمَّ الاتفاق بين البرتغال وإسبانيا، خاصة بعد اعتلاء فيرديناند عرش أراغون سنة 1479م، من أجل القضاء على غرناطة، لأنَّنا نجد الأولى قد تحركت منذ بداية القرن الخامس عشر الميلادي من أجل تطويق المسلمين في الأندلس وقطع كل إعانة قد تصلهم من بلاد المغرب، وافتتحت هذه المهمَّة باحتلال مدينة سبته عام 1415م[(3)]، في حين تمكنت مملكة قشتالة الاسبانية من الإستيلاء على مدينة الزَّهراء المجاورة لغرناطة سنة 1417م، ثمَّ جبل طارق في 1462م[(4)].

وصل الصِّراع داخل البيت النَّاصري (بين العم وابن أخيه)[(5)] بغرناطة إلى درجة قام فيها عبد الله الصّغير بطلب المساعدة من العدو النَّصراني، خاصة وأنَّه كان أسيراً عندهم وأُطلِق سراحه بموجب اتفاقية عقدها معه ملك إسبانيا بهدف استعماله ضدَّ عمِّه، في حين راسل أبو عبد الله محمَّد بن سعد (المعروف بالزَّغل أي الشُّجاع) أمراء إفريقية وسلطان مصر من أجل مساعدته، لكنْ دون جدوى، واستمر الطَّرف المُسلم في حربه الأهلية[(6)]،

---

1- هو أبو الحسن علي، وُلِد سنة 834ه (1430-1431م)، تولى العرش في 1464م وفي رواية أخرى 1461م، وتنازل عن العرش سنة 1485م، وتوفي في نفس السَّنة. محمَّد عبده حتاملة، **محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها**، مطابع دار الشعب، الأردن، 1397ه/ 1977م، ط 01، ص 7.

2- يورد صاحب كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، بأنَّ مولاي الحسن أصبح على هذه الحال من الاستهتار واللامبالاة بعد سيل غرناطة العظيم سنة 1478م، وكان على عكس ذلك قبلها. **يُنظر**: مؤلف مجهول، **كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر (تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيّين إلى المغرب)**، (ضبطه وعلّق عليه): الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1423ه/ 2002م، ط 01، ص5؛ محمَّد عبده حتاملة، المرجع السّابق، ص 21.

3- جمال يحياوي، المرجع السَّابق، ص 31، 34.

4- طه عبد المقصود عبد الحميد عُبيَّة، **موجز تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة (92-897ه/ 711-1492م)**، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، د.ب.ن، د.ت، د.ط، ص 177.

5- ثار عبد الله الصغير ضدّ أبيه مولاي الحسن مطالبا بالعرش سنة 1482م، ووصل الأمر إلى نشوب حرب أهلية بين الطرفين، لكن تدَّخَل الوزراء والعلماء وأقترحوا أن يسلم العرش لأبي عبد الله الزَّغل أخ مولاي الحسن وعم عبد الله الصغير، وتمَّ ذلك بالفعل، **يُنظر**: خوسيه أنطونيو كنده، **تاريخ حكم العرب في إسبانيا**، (تر): لارا نيكولا ڤاليه، (مر) و( تحر): أحمد أبيش، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 1435ه/2014م، ط 01، ص-ص 369-373.

6- خوسيه أنطونيو كنده، المرجع السّابق، ص-ص 375-377؛ عبد الحميد بن أشنهو، "**أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة دفين فاس أم تلمسان؟**"، مجلة الأصالة، عدد 26، جويلية/ أوت 1973م، ص 275.

والتي انتهت بعد ذلك بتقسيم غرناطة بينهما[1]، في حين استمر الإسبان في السَّيطرة على المزيد من القلاع، فدخلوا رُندة ولوشة سنة 1485م، وسقطت مالقة في أكتوبر 1487م[2]، وثغر المنكب في نهاية سنة 1489م. لقد أثر هذا الوضع كثيراً في قوات الزَّغل، وانتقاماً من ابن أخيه، آثر عدم التَّضحية بسكان المرية ووادي آش؛ وكانت تحت حمايته، وبما تبقى من قواته، وانتهى به الحال بتوقيع معاهدة صلح مع الإسبان بداية سنة 1490م مقابل امتيازات له ولأُسْرَتِه[3]، وباستسلام المرية لم يبق أمام القوّة الاسبانية إلاَّ غرناطة تنتظر مصيرها.

لم تَدُمْ فرحةُ أبي عبد الله الصّغير طويلاً بعد أنْ تخلَّص من منافسه على العرش، فسرعان ما تنكَّر النَّصارى لعهودهم كعادتهم. فبعد أن تخلَّصوا من أبي عبد الله الزَّغل، لم يبق بينهم وبين تحقيق حلمهم إلاّ الصّغير، ورغم محاولات الأخير الدِّفاع عن مملكته لكنّ استفاقته جاءت متأخِّرة، واضطَّره هذا الوضع إلى توقيع "معاهدة الاستسلام"[4] مع الملكين الكاثوليكيين بتاريخ 25 نوفمبر 1491م، وتمَّ التَّسليم النِّهائي للمملكة في جانفي 1492م[5].

بعد أزيد من عشر سنوات من الحرب سقطت غرناطة بيد ملوك إسبانيا، ولم يكن سقوطها مجرد نهاية حكم أو تغيير نظام سياسيّ، لأنَّ المسلمين فيها فقدوا سيادتهم وأملاكهم وحتّى كرامتهم، رغم وعود ملوك إسبانيا[6]. ولم تقف مأساة المسلمين عند هذا الحدِّ، بل

---

1- طه عبد المقصود عبد الحميد عُبيَّة، المرجع السّابق، ص-ص 177-178.

2- خوسيه أنطونيو كنده، المرجع السَّابق، ص-ص 377-382.

3- مؤلّف مجهول، **كتاب نبذة العصر**...، المصدر السَّابق، ص-ص 27-28.

4- تحوي هذه المعاهدة على سبعٍ أربعين مادة، حدّد فيها الملكان الكاثوليكيان شروط تسليم الملك عبد الله الصَّغير لمملكة غرناطة، كما نصَّت في بنودها على احترام المسلمين، وعلى حريتهم في ممارسة معتقداتهم، وعدم إكراههم على شيء يكون مخالفاً للعقيدة الإسلاميَّة، بينما يذكر صاحب الاستقصا بأنَّ المعاهدة تضمُّ سبعاً وستين (67) شرطاً، وللمزيد من التفاصيل حول بنودها، **يُنظر**: جمال يحياوي، المرجع السَّابق، ص-ص233-248؛ هنري تشارلس لي، المرجع السَّابق، ص-ص 32-38؛ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولة المرينية)**، ج 04، (تح وتعل): جعفر الناصري ومحمَّد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م، د.ط، ص 104.

5- خوسيه أنطونيو كنده، المرجع السَّابق، ص-ص 399-404. وقد حصل الصَّغير على امتيازات مقابل تسليم غرناطة من بينها أنْ تُخَصَّص له بلدة أنْدَرَش من منطقة البشرات يعيش فيها مع حاشيته وخَدَمِهِ، لكنّ ملوك اسبانيا اضطروا الملك المخلوع، إلى توقيع معاهدة أخرى في أفريل 1493م، يغادر بموجبها إسبانيا نهائياً إلى المغرب في أكتوبر من السّنة نفسها، وأنْ يبيع جميع ضِيَاعِهِ بالمنطقة التي استقر بها بعد المعاهدة الأولى، وكلّ أملاكه بغرناطة للملكين الكاثوليكيين. وقد استقر المخلوع بعد مغادرته الأندلس في مدينة فاس إلى غاية وفاته. **يُنظر**: محمَّد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس (نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين)**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ط 04، ص-ص 273-277.

6- جمال يحياوي، المرجع السّابق، ص 41.

تجاوزته إلى اشتعال الرُّوح الصَّليبية، من جديد، حين عزم الإسبان على تصفية الوجود الإسلامي من حوض البحر المتوسّط كَكُل[1]، لهذا تنكرت إسبانيا لماضيها العربي الإسلامي، وأقامت محاكم التفتيش وطردت المسلمين إلى بلدان المغرب والمشرق العربي، ونكلت بمن بقي منهم في إسبانيا أشد تنكيل، وقد كتب أحد المؤرخين الفرنسيين حول مأساة المسلمين في الأندلس وقال إنّه خلال العشر سنوات الأولى التي أعقبت سقوط غرناطة أفنى الإسبان حوالي مليون (1.000.000) مسلم بطرق شتى كحرقهم أو إغراقهم أو إجاعتهم وقتلهم[2]، ولاحقتهم إلى سواحل بلاد المغرب، واحتلتها[3].

**ثانياً: الأوضاع العامة في بلاد المغرب بداية العصر الحديث:**

**أ- الأوضاع السِّياسيَّة:**

فقدت بلاد المغرب وحدتها السِّياسيَّة بسقوط الإمبراطوريَّة المُوحِدِيَّة[4]؛ وظهرت بذلك ثلاث دويلات تقاسمت النُّفوذ على هذا الإقليم (بلاد المغرب)، حيث سيطر الحفصيون (1228-1574م)[5] على المغرب الأدنى من إقليم طرابلس الغرب إلى نواحي دلّس[6]، أمَّا المرينيون (1258-1471م) ومن بعدهم الوطاسيون (1471-1549م)[7] فقد حكموا منطقة

1-جمال قنان، المرجع السَّابق، ص 16.

2- يلماز أوزتونا، المرجع السَّابق، ص 197.

3- لأكثر تفاصيل حول تداعيات سقوط غرناطة على الجزائر. **يُنظر:** محمّد دراج، **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543)**، (تص): ناصر الدّين سعيدوني، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1433هـ/ 2012م، ط 01، ص-ص 61-64؛ مريم بوخاوش، **آثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط 6-10هـ/ 12-16م**، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2015/2014م، ص-ص 135-445.

4- أسَّسها المهدي بن تومرت، وقد استطاعت توحيد بلاد المغرب تحت حكمها ما بين 524-667هـ/ 1130-1269م. الصّديق بن العربي، المرجع السَّابق، ص 18.

5- الحفصيُّون فرع من الموَّحدين، استقلوا عنهم وأقاموا دولة لهم بالمغرب الأدنى دامت أكثر من ثلاثة قرون، وحكمت من طرابلس الغرب إلى الجزائر. زاهية قدورة، **تاريخ العرب الحديث**، دار النّهضة العربيّة، بيروت، د.ت، د.ط، ص 453.

6- وسُمِّيت أيضا "تدلس"، وهي مدينة عتيقة بناها الأفارقة، على ساحل البحر المتوسّط، شرق مدينة الجزائر، وهي تتبع هذه المدينة حكومةً وإدارةً. **يُنظر:** الحسن بن محمّد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، ج 02، (تر): محمّد حجي ومحمّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ط 02، ص 42.

7- حكم المرينيّون المغرب الأقصى بعد معارك طاحنة دارت بينهم وبين الموحدين عندما ضعفت دولتهم، ودام حكمهم أكثر من قرنين (1258-1471م) عرف فيها المغرب الأقصى الاستقرار والرخاء. ثم خلفهم الوطاسيّون (1471-1549م)=

المغرب الأقصى من وادي ملويَّة إلى منطقة السّوس، في حين بسط الزَّيانيُّون (1236-1554م) نفوذهم على المغرب الأوسط من مدينة الجزائر شرقاً إلى نواحي وادي ملويّة غرباً[1]، وكانت هذه الدُّول في نزاع شبه دائم، تحاول كل منها التَّوسع على حساب جاراتها[2].

فالمغرب الأوسط كان، بسبب موقعه الجغرافيِّ، مسرحاً للصِّراعات من أجل النُّفوذ بين هذه الدُّويلات الثَّلاث أكثر من المغربين الأدنى والأقصى[3]، وظلَّت أراضيه ردحاً من الزَّمن عرضة لغزو كُلٍ من المرينيين ثمَّ الوطاسيين من الغرب، والحفصيين من الشَّرق[4]، فقد هدَّد ملوك المغرب الأقصى عاصمة الدَّولة الزَّيانية (تلمسان) عدّة مرّات[5]، لكنّها كانت تعاود الاستقلال دائماً[6]، في حين استطاع الحفصيون السَّيطرة على قسنطينة منذ 1228م، وضَمِّها لمملكتهم[7]. هذه الوضعيَّة جعلت المغرب الأوسط يعاني من فقدان سلطةٍ مركزيةٍ قويَّةٍ[8]، وأدَّت به إلى تمزّقٍ سياسيٍّ، لخَّصه "وولف" في العبارة التّالية: « فقد كان [المغرب الأوسط] عبارة عن مستنقع سياسي من مدن صغيرة وقرى مستقلة ومن قبائل بدوية أو نصف

---

=وشهدت فترة حكمهم الكثير من الاضطرابات، وكان هذا من أسباب عدم استمرار الدَّولة الوطاسيّة في الحكم طويلاً، حيث دام حوالي ثلاث وثمانين (83) سنة. الصّديق بن العربي، المرجع السَّابق، ص-ص 18-19.

1- ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، البصائر للنّشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، د.ط، ص 11. كانت تلمسان باعتبارها مركزاً تجارياً هاماً عاصمةً للدَّولة الزَّيانيَّة التي امتدَّ نفوذها شرقاً -في بعض الفترات- حتّى قسنطينة على حدود المملكة الحفصيَّة، جون ب.وولف، المرجع السأبق، ص 23.

2- شوقي عطا الله الجمل، المرجع السَّابق، ص 26؛ يحي بوعزيز، **علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830**، دار البصائر للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2009م، د.ط، ص 10.

3- صالح عبّاد، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م**، دار هومة، الجزائر، 2014م، د.ط، ص 7.

4- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)**، ج 01، موفم للنشر، الجزائر، 2002م، د.ط، ص 256.

5- يذكر الوزان، بأنّ ملوك فاس (المرينيين) احتلوا تلمسان حوالي عشر(10) مرات، وكان مصير ملوكها إمّا القتل أو الأسر أو الفرار، الحسن بن محمّد الوزان الفاسي، المصدر السَّابق، ج 02، ص 08.

6- عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيّون في إفريقيا الشّماليّة**، (تر): محمود علي عامر، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت، 1989م، ط 01، ص 16؛ جون ب.وولف، المرجع السَّابق، ص 23.

7- علال بن عمر، "**قسنطينة في العهد الحفصي؛ محور صراع وتنافس بين دول المغرب الإسلامي**"، مجلة المعارف للبحوث والدِّراسات التَّاريخيَّة، جامعة الوادي، مج 01، ع 03، نوفمبر 2015م، ص-ص 52-53. ووصل نفوذ الحفصيين في بعض الفترات إلى عاصمة الدَّولة الزَّيانيَّة تلمسان، حيث احتلها السُّلطان الحفصي أبو فارس (1394-1434) سنة 1424م، ونصَّب عليها الأمير الزَّياني أبو حمزة، الذي كان موالياً للحفصيين. **يُنظر:** محمّد خير فارس، المرجع السَّابق، ص 12.

8- محمّد خير فارس، المرجع السَّابق، ص 7.

بدوية من البربر والعرب ...»[1]، أمَّا الأستاذ "عبد القادر حليمي" فقد وصف حال المغرب الأوسط عند وصول العثمانيين بأنَّه كان منقسِماً إلى أحزاب وشيع وممالك قزميَّة[2]. فقد كان جنوبه مقسماً بين "الإمارة الجلابيّة" التي استقلّت بمنطقة وادي ريغ[3]، وإمارة بني زناسن وفقيق، وكذلك "إمارة الذّواودة"[4] في الحضنة والزَّاب، أمَّا جزؤه الشَمالي فتقاسمته إمارة الثّعالبة وعاصمتها مدينة الجزائر[5]، و"إمارة كوكو"[6] وبني عباس ببلاد القبائل[7].

في الحقيقة هناك شيء من المبالغة عند بعض من كَتَبَ حول الإمارة الزَّيانية وأوضاعها، فمن غير المعقول أنْ تعيش هذه الدَّولة أكثر من ثلاثة قرون–وهي المدة التي تُشَّكل عمر هذه الإمارة– في صراعات دائمة مع أطراف أخرى؛ سواء كانت خارجيَّة أو داخليَّة، فقد كتب من عاصر هذه الدَّولة وزار المغرب الأوسط مثل ابن خلدون والبكري وغيرهما عن تلمسان وعمرانها، وعن علمائها وازدهار تجارتها وأسواقها، والازدهار كما هو معروف مرتبط ارتباطاً وثيقاً بفترات الاستقرار التي تعرفها الدُّول، وقد وصف ابن خلدون تلمسان عاصمة الدَّولة الزَّيانيَّة بقوله: « ... إلى أن نزلها آل زيان واتخذوها داراً لملكهم،

---

1- جون ب.وولف، المرجع السَّابق، ص 24.

2- عبد القادر حليمي، **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م**، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972م، ط 01، ص 161.

3- يرجع أصل بني جلاب إلى بني مرين حكام المغرب الأقصى. للمزيد من التفاصيل حول أصل هذه الأسرة وقصة قيام حكمهم في منطقة تقرت. **يُنظر:** معاد عمراني، **منطقة وادي ريغ في ظل الاحتلال الفرنسي (1854-1962م) دراسة سياسية**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، بوزريعة، 1436-1437هـ/ 2015-2016م، ص-ص 44-46. وقد شمل حكم هذه الإمارة جميع واحات وادي ريغ، كما امتدَّ نُفوذها في بعض الفترات من وادي سوف شرقاً وإلى ورقلة غرباً. للمزيد **يُنظر:** جميلة معاشي، **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشَّرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) إلى 13هـ (19م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015م، د.ط، ص 71.

4- معلومات حول هذه الإمارة، **يُنظر:** المبحث الثّاني من الفصل الثّالث من هذه الأطروحة.

5- كورين شوفالييه، **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541**، (تر): جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، د.ط، ص 9. لقد شبه "سبنسر" حال مدينة الجزائر خلال حكم إمارة الثعالبة بحال مدينة البندقية وبيزا ودويلات المدن النّصرانية، بحيث كانت إدارتها بأيدي الطبقة التّجارية المتنفذة، ويضيف بأنَّ سكانها تمتعوا بدرجة من الأمن كانوا قد حرموا منها قبل ذلك. وليم سبنسر، **الجزائر في عهد رياس البحر**، (تع وتق): عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، د.ط، ص 32.

6- لأكثر تفاصيل حول تاريخ هذه الإمارة وعلاقتها بأتراك الجزائر، **يُنظر:** سالم جوامع وعبد الحق زريوح، "**آل بربروس وآل القاضي بين التحالف والصراع خلال القرن 16م (دراسة تاريخية انثروبولوجية)**"، مجلة أنثروبولوجية الأديان، جامعة تلمسان، المجلد 16، العدد 02، 2020/06/15م، ص-ص 100-119.

7- يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر**، ج 02، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م، ط 02، ص 08.

وكرسيًّا لسلطانهم، فاختطوا بها القصور المونقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب»[1].

أمّا بالنِّسبة للمغرب الأدنى، فقد تقلَّبت أحوال الدّولة الحفصية، -كغيرها مِنَ الدُّول- بين القوَّة والاستقرار حيناً، والضُّعف والفوضى أحياناً أخرى، وكانت أزهى فترات هذه المملكة، ما بين نهاية القرن الرَّابع عشر ونهاية القرن الخامس عشر الميلادي؛ أي خلال فترتي حكم أبي فارس عبد العزيز (1394-1434م)، الذي أُعتُبِر من أعظم سلاطين بني حفص على الإطلاق، وخليفته أبي عمرو عثمان (1435-1486م)، ثمَّ دخلت بعدها في مرحلة من الانحطاط والتَّراجع[2]، التي اتَّضح بعد ذلك أنَّها كانت آخر أطوار هذه السَّلطنة. وأدَّى هذا إلى تقلَّص تأثير سلطة الحفصيين على مختلف أقاليم تونس، وانتشار الانتفاضات الدَّاخليَّة، واستقلَّت جهات كثيرة مُشَكِّلَةً إماراتٍ مُستقلَّة، مثل: عنابة، قابس، صفاقس، طرابلس، بجاية، وقسنطينة[3]، وكذلك انفصلت منطقة الزَّاب (بسكرة حالياً) عنها حوالي سنة 1488م[4]، كما استعادت معظم قبائل البلاد التُّونسيَّة حريَّتها واستقلالها[5]. وظهرت خلال هذه الفترة الحركات الدّينيّة كقوة زاحمت الحفصيين سياسياً[6].

ولم يكن المغرب الأقصى أحسن حالاً من المغربين الأوسط والأدنى، فقد ضَعُف الوطاسيون، وعجزوا عن توحيد المغرب تحت سلطتهم، وحمايته من خطر الاحتلال

---

1- عبد الرحمان بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون المُسمّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر**، ج 07، (تح): خليل شحادة، (مر): سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م، د.ط، ص 105.

2- إبراهيم جدلة، **المجتمع الحضري بإفريقيّة في العهد الحفصي**، المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الانسانيات، قفصة، 2010م، ص-ص 29-30. ويذكر الزركشي بأنّ الاستقرار عاد إلى الدَّولة الحفصيَّة على يد أبي العباس أحمد الحفصي (1370-1394م)، وهو والد السُّلطان أبي فارس عبد العزيز. **يُنظر**: أبي عبد الله محمّد بن إبراهيم الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحّديّة والحفصيّة**، (تح) و(تعل): محمّد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ط 02، ص 106.

3- دلندة الأرقش وآخرون، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي-ميدياكوم، تونس، 2003م، د.ط، ص 51؛ عبد الحميد هنيّة، عبد الحميد هنيّة، **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، أوتار-تبر الزّمان، تونس، 2016م، ط 02، ص 81.

4- توفيق البشروش، **جمهورية الدايات في تونس 1591-1675**، د.د.ن، تونس، 1992م، د.ط، ص 28.

5- محمَّد الهادي الشريف، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، (تعر): محمّد الشاوش ومحمّد عجيّنة، دار سراس للنشر، تونس، 1993م، ط 03، ص 65.

6- شارل مونشيكور، **القيروان والشّابية (1450-1592)**، (تر): محمّد العربي السنوسي، دار نقوش عربية، تونس، 2015م، ط 01، ص 28؛ دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السّابق، ص 51.

الأيبيري[1]، واقتصر نفوذهم على جهات فاس ومكناس والقصر الكبير[2]، فيما تمكَّن البرتغاليون من السّيطرة على طنجة وبعض من المدن المغربية الأخرى ما بين 1458م و1505م[3]. هذه الأوضاع ساعدت على تقسيم البلاد إلى وحدات سياسيّة صغيرة خاضعة لزعامات دينية أو قبليّة، وخرج السّعديون ليتزعموا الجهاد ضدّ المحتلين عندما بايعتهم قبائل السّوس سنة 1510م، وتمكنوا بعد ذلك من القضاء على الوطاسيين وتأسيس دولتهم[4].

ومن المُؤكَّد أنَّ هذه الوضعيَّة قد استنزفت قوَّة الدّولة في المغرب الإسلامي، ولم يبق تحت نفوذ كل دولة من هذه الدّول غير العاصمة وبعض المدن القريبة منها، وهو الأمر الذي زاد من تدهورِ أوضاعها وعجَّل بانحطاطها، ودَفَعَها بسرعة نحو الزَّوال، وكان له أبلغ الأثر على مناحي الحياة الأخرى؛ الاقتصادية والاجتماعية والدّينية والثّقافية[5].

**ب- الأوضاع الاقتصاديّة:**

لا يمكن الفصل بين الوضع السّياسي والأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعية، لأنّ العلاقة بينهم علاقة تأثير وتأثّر، فما دامت الأوضاع السّياسيّة في بلاد المغرب متدهورة كما ذكرنا، فلا يمكن للأوضاع الاقتصاديّة مثلاً أنْ تكون جيّدة. ومن المعروف لدى العام والخاص أنّ النّشاط الاقتصادي يقوم على ثلاثة مرتكزات أساسيّة هي: الزّراعة والصّناعة والتّجارة.

---

1- محمَّد دراج، المرجع السَّابق، ص ص 65، 67.

2- ناصر الدّين سعيدوني، المرجع السّابق، ص 12.

3- Ernest Mercier, **Histoire de Constantine**, J.MARLE et F.Biron Imprimeurs Editeurs, Constantine, 1903, p 182.

4- محمَّد دراج، المرجع السَّابق، ص 69.

5- إنَّ الفُسيفساء السِّياسيَّة التي طبعت بلاد المغرب مطلع العصور الحديثة، أرجعتها الكثير من الدِّراسات إلى عدَّة أسباب ساعدت في ظهورها، فالأسباب الدّاخليّة، تمثلت في محاولة حكَّام الدَّولتين الحفصيَّة والمرينيَّة إقامة امبراطورية قويَّة على الطِّراز المُوَّحِديِّ قد ساهمت مساهمة فعَّالة في ذلك؛ في حين أنَّهُما لم تكونا مؤهَّلتين لهذه المهمَّة، إضافة إلى غياب سلطة مركزيَّة قويَّة تُحْكِم سيطرتها على جميع أطراف الإمارة أو الدّولة، وإلى الصّراعات على السّلطة بين أبناء الأسرة الواحدة في المغربين الأوسط والأدنى، وكذلك صراع الإمارات والأسر المختلفة كالصِّراع بين المرينيين والوطاسيين في المغرب الأقصى. أمّا الأسباب الخارجيّة، فتعود إلى الهجمة الأيبيرية الشّرسة على شمال افريقيا ونتائج الكشوفات الجغرافيّة. **يُنظر:** محمّد خير فارس، المرجع السَّابق، ص 6؛ أحمد توفيق المدني، المرجع السَّابق، ص 65؛ يحي بوعزيز، "**المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية 1236-1554م**"، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد 26، 1973م، ص 12؛ إبراهيم جدلة، المرجع السَّابق، ص 30.

فخلال القرنين الخامس عشر والسّادس عشر الميلاديين كانت ببلاد المغرب مدن كبيرة، وكانت هذه المدن وموانؤها وسيطاً تجارياً بين بلدان أوروبا شمالاً وبلاد السّودان جنوباً[1]، إلاَّ أنَّ الوضع الدّاخلي المتدهور، وانعكاسات الوضع الدُّوليّ الجديد، نتيجةً للاكتشافات الجغرافيّة، التي تسبَّبت في سيطرة البرتغاليين على طرق التِّجارة، منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، الذين حولوها إلى شواطئ افريقيا الغربيّة عبر المحيط الأطلسي، أبلغ الأثر على المدن التّجارية الواقعة على ضفتي البحر الأبيض المتوسط[2]، فقد أدّت إلى تراجع مكانة هذا البحر، وأضرَّت باقتصاد بلدان المغرب الإسلامي الذي فقد مواردهُ الخارجيَّة بسبب ضُعف نشاطه التِّجاريّ، أمّا التّجارة مع بلاد السّودان فقد شارفتْ على الانقراض بسبب تحوّل طريقها نحو مصر والمشرق، ونتج عن ذلك توقف تدفّق الذّهب الافريقي على المغرب[3].

ولم تقتصر تأثيرات الكشوفات الجغرافية على النشاط التِّجاري الذي يتمُّ عبر الموانئ، بل وصل تأثيره إلى تجارة القوافل التي كانت مزدهرة قبل القرن السَّادس عشر الميلادي بين بلاد المغرب والسُّودان، وكان هذا النَّشاط يُدِّر أرباحاً معتبرة على من يمتهن هذه الحرفة[4]، وحول نفس الموضوع يورد الأستاذ "جدلة" في دراسته المتعلقة بإفريقية في العهد الحفصي، ما نصه: «أما التدهور الحقيقي فلم تعرفه التجارة الصحراوية إلا بداية النصف الثاني من القرن التاسع هـ/ الخامس عشر م عندما بدأ الأوربيون يتحسسون السواحل الغربية للمحيط الأطلسي وما سيهمش فعلا هذا النوع من التجارة هو اكتشاف العالم الجديد والتجارة عبر المحيطات في القرن الموالي»[5].

---

1- فرنان بروديل، **المتوسّط والعالم المتوسّطي**، (تع) و(ايج): مروان أبي سمرا، دار المنتخب العربي، بيروت، 1993م، ط 01، ص 102.

2- عبد الحكيم تركية، "**التوسع البرتغالي الإسباني في العالم خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر**"، مجلة الدراسات التاريخية، مج 17، ع 01، ديسمبر 2016م، جامعة الجزائر 2، ص 177.

3- عبد الله حمّادي، **الموركسيون ومحاكم التفتيش في الأندلس 1492-1616**، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، د.ط، ص-ص 131-132.

4- عبد الحميد هنيّة، المرجع السَّابق، ص 46.

5- إبراهيم جدلة، المرجع السَّابق، ص 88.

وما زاد هذه الأوضاع سوءًا هو تدهور التّجارة بين المدن الدّاخلية، وركود النَّشاط الفلاحي والصناعي[1] بسبب سوء الأحوال الدّاخلية وانتشار الفوضى وانعدام الأمن، إضافة إلى هجمات الأيبيريين على سواحل شمال افريقيا[2]، ففي نفس السّياق، ذكر الأستاذ سعيدوني بأنَّ البلاد الجزائريّة، خلال نفس الفترة، كانت تعاني تقهقراً اقتصادياً[3]، وكذلك كان المغرب الأقصى يمر بأزمة سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة حادّة[4]، وقد أدّت هذه الأوضاع بالسّلطات (الحفصية والزّيانيّة والوطاسيّة) إلى زيادة الضّغط الجبائي على السّكان، لأنّه يكاد يكون مصدر الدّخل الوحيد لها[5]. لكنّ هذه الأوضاع سرعان ما تحسّنت، خلال القرن السّادس عشر الميلادي، بسبب دخول الجزائر وطرابلس الغرب وتونس تحت الحكم العثماني تباعاً، وازدياد عدد المهاجرين الأندلسيين واستقرارهم في أرجاء بلاد المغرب، خاصة بعد سقوط غرناطة، واندماجهم في السُّكان، ومساهمتهم تطوير نشاطه الاقتصادي.

**ج- الأوضاع الاجتماعيّة:**

عرفت بلاد المغرب بداية الفترة الحديثة وضعاً صعباً، فقد دخلت في انقسام سياسيّ وتراجع اقتصادي صاحبه اضطراب اجتماعي وانكماش ديمغرافي، وأصبحت الحواضر الكبرى مجرد أنقاض، وارتبط هذا الوضع كذلك بحدوث أوبئة وكوارث طبيعيّة؛ كالجراد والزلازل والفيضانات والجفاف، فانكمشت المدن وأقفرت الأرياف، وانخفض مستوى المعيشة، وعانت الشعوب، نتيجة ذلك، البؤس والحرمان وظلم الحكام، وتحوّل قسم من السكان إلى حياة البداوة[6]، حتّى تفوق البدو على الحضر من حيث العدد، ففي المغرب الأدنى أصبح البدو

---

1- محمَّد دراج، المرجع السَّابق، ص 70.

2- ناصر الدّين سعيدوني، **ورقات جزائريّة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ط 01، ص 558.

3- المرجع نفسه والصّفحة.

4- محمود علي عامر ومحمد خير فارس، **تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى-ليبية)**، جامعة دمشق، سوريا، د.ت، د.ط، ص 12؛ صالح عبّاد، المرجع السَّابق، ص 16.

5- محمّد عطية، **الصراع بين الإيالتين الجزائرية والتونسية من خلال المصادر المحلية الجزائرية والتونسية 1587-1830م**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الانإنسانية والغجتماعية، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2015/2014م، ص 18.

6- ناصر الدّين سعيدوني، "**الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر-تونس-طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (من القرن السادس عشر حتّى القرن التاسع عشر الميلادي)**"، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد 31، 1431هـ/ 2010م، جامعة الكويت، ص 12، 45؛ عبد الحميد بن أشنهو، **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، د.ت، د.ط، ص 28.

يعتبرون أنفسهم أصحاب تونس الحقيقيين، واضطرّ أمراء بني حفص إلى إغرائهم بالأموال لكسب ودِّهم[1]، كما بقي الطَّابع القبلي السِّمة الغالبة على المجتمعات في بلاد المغرب[2].

وتجدر بنا الإشارة إلى أنَّ منطقة شمال افريقيا شهدت هجرات الأندلسيين قبل سقوط غرناطة، لكنّ وتيرة هذه الهجرات تزايدت بشكل كبير وملحوظ بعد سقوطها سنة 1492م، وساهمت في ارتفاع عدد السُّكان، حيث توزعوا وانتشروا في أرجاء بلاد المغرب، وسكنوا مدنه، وشكلوا أحد فئات مجتمعه، وكان لهذه الفئة أثر طيب في تحسن أوضاع البلاد.

أمّا الواقع الثّقافي فلم يكن بأحسن حال، وكان للأوضاع السّياسية والاقتصادية والاجتماعية المتدهورة أثره في ذلك، ففي تونس مثلاً والتي كانت دار علم وفقه ومنارة لطلاب العلم، شهدت مع مطلع القرن العاشر الهجري/ السّادس عشر الميلادي بسبب الفتن وعدم الاستقرار الذي عرفته الدّولة الحفصية ركوداً ثقافياً، وكاد العلم أنْ ينقطع منها تماماً بعد الاحتلال الاسباني، الذي استباح معاهدها وأتلف كتبها وفتك بعلمائها وأعلامها[3]، ونفس الوضع عرفته باقي بلدان المغرب العربي في الميدان الثّقافي، خاصة وأنّ الأيبيريين احتلوا معظم المدن السّاحلية لبلاد المغرب من المحيط إلى حدود مصر، فقد عمل هؤلاء النّصارى بعدما استطاعوا القضاء على الدّولة الإسلامية بالأندلس مواصلة مشروعهم الرّامي إلى محاربة الاسلام أينما كان، فحاولوا طمس معالمه في جميع المدن التي احتلوها بعد ذلك في حملتهم التّوسعية على بلاد المغرب الإسلامي.

فمن خلال ما استعرضناه من أوضاع بلاد المغرب، تتضّح أوجه الشّبه، ونقاط التَّقاطع الكثيرة التي تجمع أقطاره، فالصِّراعات الدَّاخليَّة على الحكم، والحروب بين الأشقاء على النُّفوذ زادت من تأزُّم الأوضاع السِّياسيَّة، وانعكس ذلك على مناحي الحياة الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة. ومن المؤَّكد أنَّ هذه الوضعيّة أغرت الإسبان والبرتغاليين وحملتهم على طرد المسلمين من شبه الجزيرة الأيبيرية، وشجعتهم على التَّوسع في بلاد المغرب. وتأكيداً لذلك يكفي أنْ نُذَكِّر بما كتبه الأستاذ أبو القاسم سعد الله، عليه رحمة الله، حول هذا الموضوع:

---

1- محمَّد دراج، المرجع السَّابق، ص-ص 74-75.

2- صالح عبّاد، المرجع السَّابق، ص 9.

3- حمّودة بن محمّد بن عبد العزيز، **الكتاب الباشي**، ج 01، (تح): محمّد ماضور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970م، د.ط، ص 14.

«فإن المغرب العربي قد دخل عصور الظلام منذ سقوط غرناطة عام 1492م»[1]. وأدى ذلك إلى تجدُّد الصّراع الإسلامي المسيحي في الحوض الغربي للبحر المتوسّط.

**ثالثاً: الصِّراع الإسلامي المسيحي في حوض المتوسّط الغربي بداية الفترة الحديثة:**

**أ- بدايات نشاط العثمانيين في الحوض الغربي للبحر المتوسّط:**

**1- حملات كمال رايس على سواحل إسبانيا:**

يذكر الأستاذ "أزيتونا" أنَّ أوَّل اتصال للعثمانيين بالحوض الغربي للبحر المتوسّط كان قبل سقوط غرناطة، وذلك سنة 1487م[2]، عندما أرسل "السُّلطان بايزيد الثَّاني (1481-1512م)"[3] حملة إلى سواحل إسبانيا بقيادة "كمال رايس"[4]، وكان ملك غرناطة أبو عبد الله الصّغير قد أوفد سفارة إلى الباب العالي تطلب المساعدة ضدّ الإسبان. ورغم وصول هذه الحملة إلى المياه الاسبانية وقصفها لبعض الموانئ هناك، وسيطرتها على ميناء مالقة بعض الوقت، إلاَّ أنَّ هذا التَّهديد لم يثن عزم ملوك إسبانيا عن انهاء حكم المسلمين في الأندلس[5].

وفي سنة 1505م وَرَدَ من أهالي الأندلس نداء استغاثة إلى السّلطان بايزيد الثَّاني، وذلك بسبب معاناة هؤلاء من اضطهاد الإسبان لهم نتيجة للثورة التي قاموا بها؛ وهي ثورة

---

1- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 01، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص 363.

2- بينما جاء عند الأستاذ محمَّد دراج بأنَّ أهل غرناطة راسلوا السُّلطان محمَّد الفاتح سنة 1477م، عبر سفارة نقلتْ له واقع المسلمين هناك ومعاناتهم وتدهور أوضاعهم، وناشدتْه التَّدخل من أجل إنقاذهم، غير أنَّ انشغاله بصدّ عدوان التَّحالف الصَّليبي ضدَّ الدَّولة العثمانية وقتئذ حال دون استجابته لهذا النِّداء. **يُنظر**: محمّد دراج، المرجع السَّابق، ص 57.

3- وُلِد سنة 1447م، وهو أكبر أولاد السُّلطان محمَّد الفاتح، تولى الحكم سنة 1481م بعد وفاة أبيه، وانتصاره على أخيه الأصغر؛ الأمير جم، وكان بايزيد الثاني ميالاً للسِّلم لكنّ سياسة الدَّولة جعلته يشتغل بالحروب، وفي أيامه لم تكن هناك فتوحات ذات أهميّة، بسبب انشغاله بصدّ هجمات جيرانه على تخوم الدّولة العثمانيّة. محمد فريد بك، **تاريخ الدّولة العليّة العثمانيّة**، مطبعة محمد أفندي مصطفى، مصر، 1314هـ/1896م، ط 02، ص 68، 70.

4- هو أحمد كمال الدين بك (1451-1511م)، وأبوه قره مانلي علي، ويعتبر مؤسّس البحرية العثمانية وقائدها الذي أشرف على الكثير من معاركها في حوضي البحر المتوسّط، الشرقي والغربي. **يُنظر**: رابحة محمد خضير، "**من أعلام الجغرافيا البحرية العثمانية محي الدين بيري ريس**" مجلة التّربية والعلم، جامعة الموصل، العراق، المجلد 16، العدد 04، 2009م، ص 71. وتذكر بعض المصادر بأنَّه كان مسيحياً؛ ربما من أصل يوناني. اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ج 02، (تر): صلاح الدِّين عثمان هاشم، (مر): ايغور بليايف، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر لجامعة الدُول العربيّة، القاهرة، 1963م، ص 588.

5- يلماز أوزتونا، المرجع السَّابق، ص-ص 194-195؛ محمّد دراج، المرجع السَّابق، ص-ص 58-59؛ إبراهيم بك حليم، المرجع السَّابق، ص 71؛ نجم الدين بيرقدار، المرجع السَّابق، ص-ص 119-120.

البشرات 1501م[1]، فأرسل السّلطان العثماني بعض جنوده فأغاروا على سواحل إسبانيا قصد مساعدة إخوانهم في الدين[2]. وما بين 1487 و1510م قام كمال رايس بعدة حملات على سواحل إسبانيا، فقام بقصفها، ونقل المهاجرين الأندلسيين إلى بلدان المغرب الإسلامي، وقابل آخر ملوك غرناطة في إقامته بفاس، وكانت وفاته سنة 1511م، في حادثة غرق سفينته بالقرب من غاليبولي أثناء عودته من حملة على إسبانيا[3]، ومن المؤكد أنَّه رافق كمال رايس خلال لهذه الحملات رياس آخرون قد يكونون أقل شهرة منه؛ أمثال بوراق رايس، وكورت أغلو مصلح الدِّين رايس، وسنان رايس، وبيري رايس[4].

**2- ظهور الإخوة بربروس في حوض المتوسّط الغربي:**

نسبت بعض الدِّراسات ظهور الإخوة بربروس (عروج وخير الدّين وإسحاق)[5] في مياه الحوض الغربي للبحر المتوسّط إلى سنة 1494م، بينما ينفي الأستاذ "التر" ذلك ويُرجعه إلى الخلط الذي وقع فيه البعض بين آل بربروس وبين أسطول كمال رايس وبحارته، لأنّهم تواجدوا بالفعل في حوض البحر المتوسّط الغربي، أكثر من مرَّة، ما بين نهاية القرن الخامس

1- استصدرت الكنيسة الكاثوليكيّة في اسبانيا، ممثلة في شخص الكاردينال خمينيس، سنة 1499م أمراً حكومياً يقضي بتنصير مسلمي غرناطة، **يُنظر**: ليلي الصباغ، "**ثورة مسلمي غرناطة عام 976هـ أواخر عام 1568م والدَّولة العثمانيَّة**"، مجلة الأصالة، الجزائر، عدد 27، سبتمبر/ أكتوبر 1973م، ص 117.

2- محمَّد عبد الله عنان، "**موقف القسطنطينية وباقي العالم الإسلامي من سقوط الأندلس وآخر مسلميها وأمام الغزو الأوربي للعالم الإسلامي عموماً**"، مجلة الأصالة، عدد 27، سبتمبر/أكتوبر 1973م، الجزائر، ص 107؛ حنيفي هلايلي، المرجع السَّابق، ص 141؛ ليلي الصباغ، المرجع السَّابق، ص 118؛ مريم بوخاوش، المرجع السَّابق، ص 131.

3- يلماز أوزتونا، المرجع السَّابق، ص 197.

4- عزيز سامح التر، المرجع السَّابق، ص 39.

5- يعود أصل الإخوة بربروس إلى جزيرة مدللّي (Médelin أو Mitilène) وهي احدى الجزر اليونانية، أبوهم يسمى يعقوب، كان انكشارياً في الجيش العثماني، واستقر مع الحامية التي تركها السُّلطان محمَّد الفاتح في هذه الجزيرة بعد فتحها سنة 1457م، واختلفت الدِّراسات في تحديد أصلهم، فمنهم من ذكر بأنه كان مسيحياً وأسلم بعد ذلك، في حين رجّحت مصادر أخرى أصولهم الإسلامية، وتضاربت المعلومات أيضاً حول أصل والدتهم بين أرملة مسيحيّة وبين سيّدة أندلسيّة، لكن المتفق عليه أنّهم كانوا أربعة (04) إخوة هم: إسحاق وعروج وخير الدِّين والياس، والرّاجح أنَّ هذا ترتيبهم حسب تواريخ ولادتهم من أكبرهم سِناً إلى أصغرهم، للمزيد حول حياة الإخوة بربروس، **يُنظر**: خير الدّين بربروس، **مذكرات خير الدين بربروس**، (تر): محمّد دراج، شركة الأصالة للنّشر والتوزيع، الجزائر، 1431هـ/ 2010م، ط 01، ص-ص 21-22؛ مؤلف مجهول، **سيرة المجاهد خير الدين بربروس في الجزائر**، (تح) و(تق) و(تعل): عبد الله حمادي، دار القصبة للنّشر، الجزائر، 2009م، ص-ص 5-6؛ وأيضاً: بسّام العسلي، **خير الدّين بربروس والجهاد في البحر 1470-1547م**، دار النفائس، بيروت، 1400هـ/1980م، ط 01، ص 27؛ محمّد دراج، المرجع السَّابق، ص-ص 150-175.

عشر (15) وبداية القرن السَّادس عشر (16) الميلادي[1]، وتُشير دراسات أخرى إلى سنة 1502م عندما استقر عروج في جزيرة جربة لكونها قريبة من صقلية ومالطة وجنوب ايطاليا التي كانت تعج بالقراصنة المسيحيين، وبعد مُدّة اتصل عروج وإخوته بالأمير الحفصي أبو عبد الله محمَّد (1493–1525م) الذي وافق على استقرارهم في ميناء حلق الوادي في عام 1504م، مقابل خمس الغنائم التي يحصلون عليها من جهادهم ضدّ النَّصارى[2].

ومع استقرارهم في حوض المتوسّط الغربي واصل الإخوة بربروس جهادهم البحري ضدّ الممالك الأوروبيّة، خاصة إسبانيا، وذاع صيتهم بالمنطقة ابتداءً من سنة 1503م[3]، وخلال هذه الفترة عملوا على انقاذ آلاف الموريسكيين، ونقلوهم إلى السِّواحل المغربيّة من الرِّباط إلى طرابلس الغرب، أو إلى بلدان المشرق العربي، ولهذا السّبب فضَّل عدد كبير من الموريسكيين العمل كمحاربين على هذه السُّفن، وذلك بحكم معرفتهم للسَّواحل الاسبانية حق المعرفة، كما ضمّ هذا الأسطول، الذي تطوَّر مع الوقت، جنوداً جزائريين ومغاربة وتونسيين، ومن غير المستبعد أنّه ضمّ أيضاً عدداً من الأعلاج والزّنوج، وكان نشاطه هذا من العوامل التي شجَّعت الإسبان على غزو سواحل الضِّفة الجنوبية لحوض البحر المتوسّط الغربي[4].

لقد مثّلت هذه المحاولات بدايات التّواجد العثماني في حوض المتوسّط الغربي، خاصة وأنَّ العثمانيين في هذه المرحلة ظهروا كقوَّة لها تأثيرها على الصَّعيد العالميّ، وكان لهذا أثره الطَّيب في نفوس المسلمين عامة وفي سكان شمال افريقيا بوجه الخصوص. وهو ما دفع المغاربة بعد ذلك للتَّعاون معهم لصدِّ الهجمة الاسبانية على سواحل المغرب الإسلامي.

**ب–التَّوسُّع الإسباني في بلاد المغرب الإسلامي:**

يقول النَّاصري: « فلما دخلت المائة التاسعة [القرن 9 هـ] ومضى صدرها وتداعت دول المغرب من بني أبي حفص بافريقية، وبني زيان بالمغرب الأوسط، وبني مرين بالمغرب الأقصى، وبني الأحمر بالأندلس، وأشرفت على الهرم وحدثت الفتن بين المسلمين...، وافق

---

1– عزيز سامح التر، المرجع السَّابق، ص 39.

2– يحي بوعزيز، **علاقات الجزائر** ...، المرجع السَّابق، ص 34.

3– شهرة الأخوة بربروس في منطقة المغرب الإسلامي ابتداءً من 1503م تؤكِّد وتدعم أكثر الرّأي القائل بأنَّ استقرارهم بجزيرة جربة كان سنة 1502م.

4– عبد الحميد بن أشنهو، "**الدور الذي لعبته الجزائر في القرن السادس عشر بالبحر المتوسّط**"، مجلة الأصالة، الجزائر، العدد 08، 1972م، ص–ص 295–296.

ذلك ابتداء ظهور الجلالقة وهم الاصبنيول والبرتقال [إسبانيا والبرتغال] ... ...، ثم شرهوا لتملك سواحل المغرب الأقصى، فهجموا عليها وجالدوا أهلها دونها، حتّى تمكنوا منها ونشبوا فيها، فقويت شوكتهم وعظم ضررهم على الاسلام وطمحت نفوسهم للاستيلاء على ما وراء ذلك»[1]. لقد لخَّصت هذه العبارة الوضع العام في حوض المتوسّط الغربي، وما وصلت إليه بلدان الضِّفة الجنوبية في هذا الحوض من ضعف جعلت القوى في الضِّفة المقابلة تُقْدِم على غزو سواحلها مدفوعة بحقدها الصَّليبي.

لذلك لم يقف طموح الإسبان عند تحطيم دولة الإسلام في الأندلس سنة 1492م، وطرد المسلمين من شبه جزيرة أيبيريا وتنصيرهم والتّنكيل بهم بعد ذلك، بل تطلَّعت وبمساعدة برتغالية إلى ملاحقة الفارّين من الأندلسيين إلى شمال افريقيا واحتلال سواحلها كمرحلة أولى، ممهدة بذلك لمرحلة جديدة؛ وهي التّوغّل والسَّيطرة على دواخل القارة الإفريقيّة، بهدف استغلال خيراتها وتنصير سكانها[2]. لذلك سيطرت النَّزعة الصَّليبية على نفوس ملوك إسبانيا[3]، فلا يمكن للمرء أنْ يشك في إخلاصهم الدِّيني، بدليل أنَّ الملك فيرديناند قد صرَّح، في أكثر من مناسبة، أنَّه يجاهد في خدمة الرَّب، ويعمل بدافع الغيرة عن دينه المقدَّس[4]، ونفس التَّعصب، وحتّى بدرجة أكبر، نجده في رسائل وخطابات الكردينال خمينيس، كنموذج عن فئة رجال الدِّين، وهو ما يُؤكِّد دورهم في تغذية هذا التَّعصب لدى جميع فئات المجتمع الاسباني، وتشجيعهم فكرة غزو القارة الإفريقيّة، وتكون طائفة رجال الدّين قد وفَّرت لهذه

---

1- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السَّابق، ص-ص 109-110.

2- أطلق الأستاذ "ولف" على الهجمة الإسبانية الشَّرسة على موانئ ومدن شمال افريقيا بـ: "سياسة الإحتواء" بدل الاحتلال، مع أنَّه يُقِر بعد ذلك بعنف تلك الهجمات، ويضيف بأنَّ المعاملة القاسيَّة التي لقيها سكان شمال افريقيا قد خلفَّت موجة من الرُّعب على طول السَّاحل. أمّا عن الدَّوافع، فقد نفى الصبغة الدِّينية لهذه الهجمات، وأكَّد أنّ هذه السِّياسة كانت تهدف إلى وقف نشاط البحارة القراصنة (المغاربة) ضدّ الممتلكات الاسبانيّة أكثر ممّا كانت مدفوعة بأية اعتبارات دينية. جون ب.وولف، المرجع السَّابق، ص-ص 26-27.

3- يبدو أنَّ النَّزعة الصليبيّة لدى الإسبان وغيرهم من المسيحيين استمرت بعد ذلك لقرون، ومازالت إلى اليوم. ونورد هنا ما كتبه المؤرخ "بربروجر": «إن الراهب خيمينس، يستحق كل تقدير، من أجل تفكيره على الأقل في انقاذ شمال افريقيا من الوحشية الإسلامية، لكي تنتصر فيها المسيحية والحضارة». **نقلاً عن:** أحمد توفيق المدني، المرجع السَّابق، ص 82. حتّى أنَّ دراسات برتغالية معاصرة للأحداث جعلت من عمليات الغزو الأيبيري للسواحل المغربية إرادة ربانيّة ورسالة سماويّة، وأنَّ قرار الغزو كان قراراً إلهياً لا بشرياً، **يُنظر:** عبد المجيد القدوري، المرجع السَّابق، ص 90.

4- Fernand Braudel, **Les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492 à 1577**, R.A, N° 69, 1928, pp 199-200. **وكذلك:** محمّد خير فارس، المرجع السَّابق، ص-ص 16-17.

الأفكار الغطاء الدِّيني، وبمباركة بابوية[1]، فليس غريباً إذاً مشاركة رجال الدِّين في الحملات العسكريّة بأنفسهم وبأموالهم وأموال الكنيسة كذلك على سواحل بلاد المغرب خلال هذه الفترة.

كما اجتمعت عدَّة دوافع وتظافرت مع العامل الأوَّل (الدِّيني) من أجل تحقيق هذا الهدف؛ منها الاقتصاديَّة والسِّياسيَّة والاستراتيجيَّة[2]، فهذا التَّعاون ظهرت نتائجه جليةً في الحملات العسكرية على شمال افريقيا، وتمثَّلت في دخول الضباط العسكريين في خدمة رجال الدِّين، فقد أكَّد المؤرِّخ بربروجر (Berbrugger) هذا الأمر في عبارة ترجمتها: «كان الكونت بيدرو نافارو [Le Compte Bedro Navaro] ذراع خمينيس في عملياته العسكرية في وهران وبجاية وطرابلس الغرب»[3].

ومع انتهاء حكم المسلمين في الأندلس كان على النَّصارى نقل المعركة، ضدّ المسلمين، إلى أراضي شمال افريقيا، ومع ذلك فقد انتظر الإسبان حتّى سنة 1497م لوضع أوَّل قدم لهم في بلاد المغرب باحتلال "مليلية"[4]، وافتكاك "سبته"[5] من البرتغاليين[6]، ويُرجِع الأستاذ "ولف" الأمر إلى امتصاص العالم الجديد (قارة أمريكا)، منذ اكتشافه سنة 1492م، للنُّبلاء والجنود والمغامرين، خاصة القشتاليين، الرَّاغبين في الثَّروة، في حين كان اهتمام الأرغونيين مُنْصَباً نحو ايطاليا، وبالنِّزاع الذي كان يتطوّر هناك بين الدُّول الأوروبية[7]، لكن الحقيقة أنَّ اهتمام الإسبان ببلدان المغرب الإسلامي كان دائما ضمن أولوياتهم السِّياسيّة، فبمجرد سقوط

---

1- Nelly Blum, **La croisade de Ximénès en Afrique**, Imprimerie Typographique et Lithographique, Oran, 1898, p IV.

2- للمزيد حول أسباب ودوافع الغزو الأيبيري لشمال افريقيا، **يُنظر:** أحمد توفيق المدني، المرجع السَّابق، ص-ص 83-89؛ محمّد دراج، المرجع السَّابق، ص-ص 119-131؛ مريم بوخاوش، المرجع السَّابق، ص-ص 137-154.

3- Adrien Berbrugger, **Le pégnon d'Alger ou les origines du gouvernement Turc en Algérie**, Challamel libraire, Alger, 1860, p 7.

4- مدينة على ساحل البحر المتوسّط، بين وهران وسبته، ويعود تأسيسها إلى العصور القديمة، كانت تُسمّى مليلة وحُرِّفت الكلمة إلى مليلية، احتلها الإسبان ، وما زالت في أيديهم إلى الآن، الصّديق بن العربي، المرجع السَّابق، ص 186.

5- مدينة على ساحل البحر المتوسّط، وبها أقرب ميناء مغربي إلى السّاحل الإسباني، احتلها البرتغاليون سنة 1415م، ثمَّ استولى عليها الإسبان بعد ذلك، ولاتزال في حوزتهم إلى اليوم، المرجع نفسه، ص-ص 225-226.

6- كانت البرتغال سباقة إلى مد نفوذها على سواحل المغرب باحتلالها مدينة سبتة سنة 1415م. يحي بوعزيز، **علاقات الجزائر** ...، المرجع السَّابق، ص 12؛ ناصر الذين سعيدوني، **تاريخ الجزائر**...، المرجع السَّابق، ص 16.

7- جون ب.ولف، المرجع السَّابق، ص 25.

غرناطة، بدأ ملوك إسبانيا عملياتهم "التَّجسسيَّة"[1] على سواحل شمال افريقيا بهدف احتلالها، ولا يسعنا المقام هنا لذكرها كلِّها، ونكتفي بمثالٍ واحدٍ فقط، فقد كلَّفت الملكة إيزابيلا لورنزو دي باديا(Lorenzo de Padilla)، حاكم مدينة القلعة بالأندلس، بمهمة تجسسيَّة إلى مدينة تلمسان سنة 1493م، في اطار مشروع حملة لاحتلالها، ورجع بعد حوالي السَّنة بالمعلومات الضَّروريّة لذلك[2]، وتوالت البعثات بعد ذلك لنفس الغرض، مع تغيير صاحب المهمّة التّجسسيّة في كل مرّة.

ومع أنَّ مرض الملكة إيزابيلا ثمَّ وفاتها سنة 1504م قد أخَّرت عمليّة الاحتلال قليلاً، لكنّ وتطبيقاً لوصيتها فإنَّ كل الجهود بُذِلت من أجل ذلك، واِسْتَأنفت إسبانيا هجومها بداية القرن السادس عشر الميلادي باحتلالها "المرسى الكبير"[3] 1505م، ثمَّ وهران 1509م[4]، بجاية وطرابلس الغرب 1510م، كما سارعت مدن "تنس"[5] و"مستغانم"[6] والجزائر ودلّس، ومملكة الحفصيين بتونس خلال نفس الفترة، إلى إعلان الخضوع والتبعية للإسبان، بعد توقيع اتفاقية مع كل مدينة تجبرها على دفع التزامات مالية وهدايا مختلفة[7]، أمَّا البرتغال،

1- كان من بين هؤلاء الجواسيس مَنْ يأتون متخفين مع جموع الموريسكيين الفارين من اضطهاد ملوك اسبانيا إلى شمال إفريقيا، **يُنظر**: أحمد توفيق المدني، المرجع السَّابق، ص 51.

2- H.-D. de Grammont, **Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)**, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1887, p 04; Nelly BLUM, Op.cit, p 03.

**وكذلك:** محمّد خير فارس، المرجع السَّابق، ص 18؛ كاميلية دغموش، **قبائل الغرب الجزائري بين الإحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509–1792)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2013/2014م، ص 26.

3- مدينة صغيرة أسّسها ملوك تلمسان على ساحل البحر المتوسّط، بالقرب من وهران، بها ميناء كبير، وصفه الوزان بقوله ما أظن أن في الدنيا أكبر منه، ترسو فيه وبسهولة مئات السفن الحربية في مأمن من العواصف، **يُنظر**: الحسن بن محمّد الوزان الفاسي، المصدر السَّابق، ص 31. لذلك، في اعتقادي، جعله الإسبان أوّل أهدافهم من سواحل المغرب الأوسط.

4- الأغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، (تح) و(درا): يحي بوعزيز، ج 01، درا الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ط 01، ص 211.

5- ميناء صغير غرب الجزائر، أسَّسه القرطاجيون، كان أوَّل الأمر مستودعاً تجارياً، ثمَّ أقام الرومان مكانه مدينة "كارطيناس" ومنه جاء اسم "تنس"، أعاد بناءها مهاجرو الأندلس بعد أن خربها البربر، وخضعت للحكم العثماني منذ 1520م إلى غاية سقوطها بيد الاستعمار الفرنسي 1833م. الحسن بن محمّد الوزان الفاسي، المصدر السَّابق، ص 35؛ أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية، الجزائر، د.ت، د.ط، ص 205.

6- من أكبر مدن الغرب الجزائري، لها ميناء صغير على ساحل المتوسّط، اختطها يوسف بن تاشفين، وازدهرت المدينة في عهد الزيانيين والمرينيين، وخضعت لحكم الأتراك إلى غاية احتلال فرنسا لها في 1833م. **يُنظر**: نفسه، ص 237.

7- ناصر الدّين سعيدوني، **تاريخ الجزائر**...، المرجع السَّابق، ص 16؛ يحي بوعزيز، **علاقات الجزائر** ...، المرجع السَّابق، ص 12؛ محمّد دراج، المرجع السَّابق، ص–ص 99–118؛ نعيمة بوحمشوش، "**دور البحرية الجزائرية في الصراع العثماني الإسباني بالبحر الأبيض المتوسّط خلال القرن السادس عشر**"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 15، العدد 01، جوان 2015م، جامعة الجزائر 2، الجزائر، ص–ص 118–119.

فكانت مع نهاية القرن الخامس عشر الميلادي تسيطر على ميناء القصر الصّغير وأصيلا وطنجة كما أسلفنا الذكر، وواصلت سياستها مع بداية القرن السادس عشر الميلادي حيث احتلت البريجة سنة 1502م، وأغادير 1505م، آسفي 1506م، أزمور 1508م، المهدية 1515م[1].

وتجدر بنا الإشارة إلى أنَّ جميع هذه المدن لقيت نفس المصير بعد عمليّة الاحتلال، مِنْ تقتيل للسُّكان المسلمين دون تمييز، ومن تخريبٍ للمعالم الإسلاميّة فيها؛ كالمساجد، و تحويل بعضها إلى كنائس[2]، وذلك نتيجة الرُّوح الانتقاميّة والنَّزعة الصَّليبيّة لهذه الحملات. وفي مقابل ذلك زاد نشاط البحارة المغاربة في الحوض الغربي للبحر المتوسّط، والذي تزامن مع هجرة الأندلسيين إلى شمال افريقيا واندماجهم في المجتمع المغربي، وتعاونهم مع البحّارة الأتراك، الذين اتخذوا من هذا الحوض مسرحاً لجهادهم البحري.

**ج- ردود الفعل في بلاد المغرب مِنَ الغزو الأيبيري:**

**1- حصر الأيبيريين في المدن السّاحليّة والحيلولة دون وصولهم إلى دواخل البلاد:**

لم يقترن جهاد المغاربة ضدّ الأيبيريين باحتلال هؤلاء لسواحل بلاد المغرب مع مطلع القرن السَّادس عشر الميلادي، بل كان سابقاً لذلك، حيث انطلق مع بداية توافد الأندلسيين على بلدان المغرب واستقرارهم بها، بعد أن ضعفت دولة الإسلام في الأندلس، إلى أنْ تمَّ القضاء عليها نهائياً سنة 1492م، فقد انضم هؤلاء المهاجرون إلى إخوانهم المغاربة في هجوماتهم على سواحل إسبانيا رداً على اضطهاد النَّصارى لمسلمي الأندلس[3]. هذه الظُّروف أدَّت إلى اشتداد الضَّغط الأيبيري على سواحل المغرب الإسلامي، ففي حين عجزت سلطاته عن مقاومة هذا الضغط، تعاظم بالمقابل نفوذ الزَّوايا التي استطاعت تنظيم شؤون السُّكان، وشجعتهم على مواجهة الغُزاة دفاعاً عن أوطانهم[4].

فما إنْ حاول الإسبان التوغّل إلى دواخل البلاد حتّى اصطدموا بمقاومة عنيفة من الأهالي تحت زعامات محليّة من علماء الدِّين وشيوخ الطُّرق الصُّوفية ورؤساء بعض

---

1- محمّد علي داهش، **الدّولة العثمانيّة والمغرب (اشكاليّة الصّراع والتّحالف)**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011م، ط 01، ص 10.

2- جمال قنان، المرجع السَّابق، ص 17.

3- عزيز سامح التر، المرجع السَّابق، ص 17.

4- ناصر الدّين سعيدوني، **تاريخ الجزائر...**، المرجع السَّابق، ص-ص 11-12.

الإمارات التي قامت في أرجاء بلاد المغرب، مما أكسب هذه الفئة حُب الأهالي وتقديرهم[1]، كما اتصل بعض علماء وشيوخ المغرب الأوسط بالإخوة بربروس كالشّيخ أحمد بن القاضي أمير جبل كوكو، ووُجِدت كذلك مراسلات سرية بين شيوخ المغرب الأوسط والمغرب الأقصى لنفس الغرض (الجهاد ضدّ الأيبيريين في القطرين)[2]. ومع ذلك وجبت علينا الإشارة إلى أنَّه قد كانت هناك استثناءات، لأنَّ محاولات التّوغل الاسبانية التي شهدتها بعض المناطق في المغرب الأوسط مثلاً، قد تَمَّت بمساعدة بعض الفئات من السُّكان؛ كقبائل بني عامر بالغرب الجزائري، الذين دخلوا في طاعة الإسبان منذ احتلالهم للمرسى الكبير ووهران[3].

وقد أكَّد الأستاذ توفيق المدني هذا، بقوله: « فإذا كانت إسبانيا لم تستطع تحقيق أي شيء من هذه الغايات، ولم تتمكن من احتلال المغرب العربي ولا من ارضاخه، ... ... انما كان ذلك نتيجة لهذه المقاومة الصلبة العنيفة التي قابل بها شعبنا المجاهد الأبي هذه الغزوة الصليبية الاستعمارية، سواء قبل أن يأتيه المدد العثماني، أو بعد ما جاءه هذا المدد، وذلك رغما عن خيانة الخائنين، وأعمال المتعاونين، فالشعب هو الذي قاوم. والشعب هو الذي ضحى، والشعب هو الذي انتصر...»[4].

في الحقيقة هناك عنصر آخر انضمَّ إلى عمليّة الجهاد البحري ضدّ الإسبان، بداية القرن السَّادس عشر الميلادي، وبالتالي فإنَّ هذه المهمَّة الشَّاقة قد تضافرت فيها جهود ثلاث عناصر وَحَّدَهُم الدِّين والهدف والمصير المشترك، وهذه الأطراف هي: سكان شمال افريقيا، والمهاجرون الأندلسيون، ومجموعة البحارة العثمانيين الذين جعلوا من حوض البحر المتوسّط الغربي منطلقاً لجهادهم البحري ضدّ النَّصارى؛ وأشهرهم الأخوان عروج وخير الدّين[5]،

---

1- محمّد دراج، المرجع السَّابق، ص-ص 139-140.

2- المهدي البوعبدلي، "**أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**"، مجلة الأصالة، العدد 08، 1972م، الجزائر، ص-ص 278-281.

3- أحمد بن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، (تح) و(تق): المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ط 01، ص 456؛ عبد الحميد بن أشنهو، **دخول الأتراك** ...، المرجع السّابق، ص 23. للمزيد حول هذه القبائل وأسباب تعاونها مع الإسبان، **يُنظر**: كاميلية دغموش، المرجع السَّابق، ص-ص 56-88.

4- أحمد توفيق المدني، **حرب** ...، المرجع السَّابق، ص 89.

5- عبد الرحمان عبد الله الشيخ، "**دور المسلمين في انهاك الاقتصاد الإسباني في القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر**"، مجلة جامعة الملك عبد العزيز الآداب والعلوم الإنسانية، مج 01، 1408هـ/1988م، المملكة العربية السّعودية، ص 126.

وحسب وولف، فإنّ تحرير المدن السّاحليّة في بلاد المغرب والتي اِحْتُلَّت من طرف الأيبيريين لا يمكن أن يتمّ دون مساعدة الأتراك[1]، ممَّا جعل عملياتهم أكثر فاعليّة وتأثيراً في العدو.

**2- تحرير سواحل بلاد المغرب مِنَ الاحتلال الأيبيري:**

**1.2- المحاولة الأولى لتحرير بجاية من الاحتلال الإسباني سنة 1512م:**

كان وصول الإخوة بربروس إلى بجاية، حسب ما جاء في مذكرات خير الدّين، بسبب مخالفة الرِّياح[2]، لأنّ وجهتهم في الأصل كانت مدينة جنوة، وفي هذه الأثناء كانت سفن اسبانية تبحث عن أسطول خير الدّين وعروج بعد أنْ ذاع صيتهم في المنطقة، والتقى الطّرفان في ساحل بجاية، وبسبب خطورة الاشتباك على السّاحل بالنّسبة للإخوة بربروس، نظراً لوجود حاميّة اسبانية في قلعة بجاية، التجأت السّفن الإسلاميّة إلى مناورة ظنّ بسببها العدو أنَّها في حالة فرار، فاندفعوا وراءها، وبعد أنْ أصبح الطّرفان على مسافة بعيدة من الشّاطئ اشتبكا في معركة كبيرة جعلت سفن العدو تفر باتجاه بجاية، في حين واصلت سفن بربروس ملاحقتهم إلى هناك، على أمل هزيمتهم وتحرير القلعة نهائياً من سيطرتهم، وخلال هذه المعركة أصيبت ذراع عروج، جرّاء القصف الكثيف الذي تعرّض له المجاهدون من القلعة، مما جعل الأطباء في تونس يجمعون على قطعها بعد استحالة شفائها. وانتهت هذه المحاولة لتحرير بجاية من الاحتلال الإسباني بالفشل، لكنها مع ذلك لم تكن الأخيرة[3].

**2.2- تحرير مدينة جيجل من سيطرة الجنويين في 1514م:**

استقرّ الجنويون في مدينة جيجل منذ 1260م. وفي 1513م استغل الإسبان وضع المدينة واحتلوها[4]. وعندما اقتنع عروج بِبُعد منطقة حلق الوادي عن أرض المعركة ضدّ الإسبان المستقرين في بجاية، وبحكم حصانة مدينة بجاية ذاتها، فقد وقع اختيار عروج على

---

1- جون ب.وولف، المرجع السّابق، ص 37.

2- بينما تُرجع مصادر أخرى سبب تواجد الأخوة بربروس في سواحل بجاية سنة 1512م، إلى اتصال أهالي المدينة بعرّوج وطلب مساعدته على طرد الإسبان منها، **يُنظر:** صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 44.

3- خير الدين بربروس، المصدر السّابق، ص-ص 50-54.

4- الطاهر بخدّة، "**دور العثمانيين الأتراك في انبعاث ووحدة الدولة الجزائرية الحديثة**" مجلة عصور الجديدة، العدد 11-12، 2014/2013م، جامعة وهران، ص 199. بينما ذكر المدني بأنَّ "دوريا" عندما احتل جيجل في 1513م كان في خدمة فرنسا. **يُنظر:** أحمد توفيق المدني، **حرب** ...، المرجع السّابق، ص 166.

قلعة جيجل من أجل الاستقرار بها[1]. وتحقيقًا لهذا الهدف، تمّ الهجوم على جيجل من البحر بقيادة عروج ومن البر بقيادة خير الدّين وأحمد بن القاضي، وبمساعدة قبائل المنطقة، وتمكنوا من السّيطرة عليها دون كبير عناء، وكانت غنائمهم منها كبيرة. وعلى إثر هذا النّصر بايع الجميع عروجاً أميراً على جيجل، وأخد منذئذ يحاول الابتعاد عن الحفصيين، وقام بنقل مقرّه من تونس إلى جيجل نظراً لحصانتها جرّاء السِّلسلة الجبليّة التي تحيط بها، وكذلك لعلمه بنوايا أمراء بني حفص في استعادة المناطق التي سبق وكانت تحت سلطتهم، ومنها جيجل[2]، وهو ما دفعه للتّقرب من الدولة العثمانية، حيث أرسل للسّلطان العثماني 600 أسير، جاؤوا نتيجة عمليّة استعادة المدينة من الجنويين. ومن المُمكِن أنْ يكون هذا أوّل اتصال فعلي بين الإخوة بربروس والدولة العثمانية[3].

### 3.2- المحاولة الثّانية لتحرير بجاية من الاحتلال الإسباني سنة 1514م:

أدرك الإخوة بربروس منذ البداية أهميّة تحرير بجاية ودورها في حماية سواحل شرق الجزائر وسواحل تونس من هجمات القراصنة، وكذلك في قطع الطّريق بين المركز الشّرقي للقوات الاسبانية في ايطاليا ومركزها الغربي في إسبانيا[4]. وما شجع الإخوة بربروس على إعادة الكَرَّة هو اتصال الأهالي بهم[5]، وفي شهر أوت من سنة 1514م خرج الأخوان في أسطول مكوّن من 12 سفينة، على متنها أكثر من ألفين (2.000) من البحارة، وانضم إليهم

1- محمّد دراج، المرجع السّابق، ص 191. يشير الأستاذ إلتر إلى أنَّ هجوم الإخوة بربروس على جيجل وتحريرها كان سنة 1515م، والأمر نفسه بالنِّسبة لحملة بجاية الثّانية. عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص 47.

2- وهناك من أشار إلى أنَّ حسد الأمير الحفصي وغيرته من انتصارات الإخوة بربروس وشهرتهم، وخوفه على ملكه منهم هو ما دفعه إلى التّخلي عنهم. خير الدّين بربروس، المصدر السّابق، ص 69؛ كورين شوفالييه، المرجع السّابق، ص 26.

3- صالح عبّاد، المرجع السَّابق، ص 45. بينما يذكر خير الدين في مذكراته، بأنَّ أوّل اتصال بالسُّلطان العثماني سليم الأوّل كان قبل استعادة مدينة جيجل (قبل 1514م). وبأنَّ الغنائم التي أُرسلت إلى السُّلطان كانت من غزوة قام بها الأخوة بربروس على جزيرة صقلية، وبلغ عدد الأسرى 200 أسير، ذهب بهم بيري رئيس إلى استانبول مع أعمدة شراعية حصلوا عليها من أسرهم لسفينة فرنسيّة في مياه البحر المتوسّط. **يُنظر:** خير الدّين بربروس، المصدر السّابق، ص-ص 61-62.

4- محمّد دراج، المرجع السّابق، ص-ص 192-193.

5- اختلفت الدِّراسات حول من اتصل بالإخوة بربروس من أجل تحرير بجاية من الإحتلال الإسباني، حيث ذهب الرّأي الأوّل إلى أنَّ أهالي بجاية هم من اتّصل بالإخوة كما أشرنا إلى ذلك في المتن، بينما يرى آخرون بأنَّ أمير كوكو، أحمد بن القاضي، هو من قام بذلك، فيما يُرجعه رأي ثالث إلى الإمارة الزَّيانيّة بتلمسان، ورابع إلى الأمير بجاية عبد الرّحمان الحفصي، وخامس إلى عبد الملك أمير قسنطينة، ومن غير المستبعد أنْ يكون أكثر من طرف قد راسل الإخوة بربروس لنفس الغرض. محمّد دراج، المرجع السّابق، ص-ص 193-194.

بعد ذلك حوالي عشرين ألفاً من رجال القبائل القريبة، وقاموا بمحاصرة قلعة بجاية الذي دام حوالي الشّهر تقريباً[1]، وبالرّغم من ذلك فإنَّ الحملة كان مصيرها الفشل مثل سابقتها[2]، ويعود سبب هذا الفشل إلى عدم امتلاك الأسطول المسلم لمدافع خاصة بقصف الحصون، وإلى وصول النّجدة الاسبانية مكونة من عشر (10) قطع بحرية[3] مزودة بالسِّلاح والمعدات العسكريّة[4] وكذلك نفاذ بارود المجاهدين، وعدم وصول الكميات التي طلبوها من السُّلطان الحفصي، وتخلي رجال القبائل عن القتال بسبب طول مدّة الحصار، وحلول موسم البذار. مما جعل عروج يضطر إلى رفع هذا الحصار والانسحاب إلى مدينة جيجل[5].

ورغم فشل الحملة الثّانيّة كذلك، إلاَّ أنَّها أظهرت للإسبان قوّة المسلمين في شمال افريقيا رغم قلّة الإمكانيات، ومدى قدرتهم في التّأثير على الملاحة في البحر المتوسّط، وعلى أساطيل الدُّول المسيحيّة وقراصنتها، فخلال هذه الفترة تكبّد الإسبان مثلاً خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد بسبب احتلالهم لبعض موانئ بلاد المغرب، كما زادت انتصارات الإخوة بربروس من شهرتهم في الحوض الغربي للمتوسّط، بل وتعدته إلى مناطق بعيدة، وهو ما دفع مُدناً أخرى لطلب مساعدتهم ضدّ الاحتلال الإسباني، ومنها مدينة الجزائر.

**4.2- احباط أسطول بربروس محاولة الفرنسيين احتلال بنزرت التّونسيّة:**

كان نشاط آل بربروس قد أرهق الأمم المسيحيّة التي لها مصالح تجارية في البحر المتوسّط، لذلك ردّ الفرنسيون بمحاولة احتلال مدينة بنزرت على السّاحل التّونسي، ويبدو أنّ فرنسا أرادت إيجاد مكان لها بين الإمبراطوريات الاستعمارية آنذاك (إسبانيا والبرتغال)، وأنَّ ما دفعهم إلى اختيار هذه المدينة كان سيطرة الإسبان على معظم السّاحل الجزائري. ومهما يكن السّبب فإنَّ أسطولاً فرنسياً من ثلاثة وثلاثين (33) سفينة توجه إلى هناك، وكان جزء

---

1- يشير "التر" إلى أن حصار بجاية دام 24 يوماً، **يُنظر**: عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص 48.

2- خير الدّين بربروس، المصدر السّابق، ص 70؛ كورين شوفالييه، المرجع السّابق، ص 26.

3- يذكر هايدو أنَّ عدد قطع هذه النّجدة خمس (05) قطع فقط، بينما بالغت مصادر أخرى وجعلتها مئتي (200) قطعة. **يُنظر**: Fray Diègo de Haedo, **Histoire des Rois d'Alger**, Trad et Ann: H-D de Grammont, Adolphe JOURDAN Libraire-Editeur, Alger, 1881 ,p 14

**وأيضاً**: محمّد دراج، المرجع السّابق، ص 196؛ عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص 48.

4- خير الدّين بربروس، المصدر السّابق، ص-ص 70-71.

5- محمّد دراج، المرجع السّابق، ص 198.

من أسطول الإخوة بربروس بقيادة "مصلح الدّين كورت أغلو" متواجداً بالمنطقة، حيث دارت معركة داميّة بين الطّرفين انتهت بهزيمة الفرنسيين، وفي طريق انسحابهم، وبداعي الانتقام، توجهت القوات الفرنسيّة إلى حلق الوادي، حيث اصطدموا بقوّة تركيّة، على رأسها خير الدّين بربروس، أجبرتهم على التّراجع دون تحقيق هدفهم من هذه الحملة[1].

لقد ولَّد الصّراع الإسلامي المسيحي بين القوتين الصاعدتين؛ إسبانيا والدولة العثمانية، في حوض البحر المتوسّط قوَّة جديدة، كان لها بعد ذلك وزنها وتأثيرها على سير الأحداث في المنطقة، ونعني هنا إيّالة الجزائر[2]، فقد أضحت بعد ذلك كياناً سياسياً قائماً بذاته، حيث ربطتها علاقات مع الكثير من دول العالم آنذاك، لكنّ علاقاتها مع الجارة الشَّرقية (تونس) كانت أكثر خصوصيّة من غيرها، بسبب العامل الجغرافي أولاً، ثمَّ الغطاء السِّياسي والدِّيني المشترك الذي جمع القطرين تحت ظِل الخلافة العثمانيّة؛ كولايتين تابعتين للباب العالي، ابتداءً بالجزائر منذ 1520م، كأوَّل إيّالة عثمانيّة في بلاد المغرب، في حين استمرّت تونس تحت الحكم الحفصي ما يفوق الخمسين (50) سنة أخرى حتّى تلتحق بركب الإيالات العثمانيّة بمنطقة المغرب الإسلامي؛ وكان ذلك بدايةً من سنة 1574م.

## المبحث الثَّاني: إيّالة الجزائر وعلاقاتها السِّياسيّة مع الحفصيين 1520-1569م

### أولاً- المغرب الأوسط يتحوّل إلى أوّل إيّالة عثمانيَّة ببلاد المغرب(إيّالة الجزائر):

#### أ- مدينة الجزائر، مركز متقدِّم لصدّ الاعتداءات الإسبانية ونواة للإيّالة الجديدة:

أزعجت غارات الأتراك، في البحر المتوسّط وخاصة سواحل إسبانيا، الملك فيرديناند، فأمر باحتلال الجزر المقابلة لشاطئ مدينة الجزائر وإقامة حصن سُمي بِ"حصن البينيون" (حصن الصّخرة le Pégnon) على بعد 300م من الشاطئ، وهو ما جعل شيخ المدينة سالم التومي يوقِّع في سنة 1510م معاهدة مع ملك إسبانيا ويقبل بدفع جزية سنوية له[3]. لكنّ وفاة الملك فيرديناند سنة 1516م جعلت سالم التومي يطلب النّجدة من عروج، الذي

---

1- عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص-ص 53-54.

2- جون ب.وولف، المرجع السَّابق، ص 24؛ Nelly Blum, Op.cit, p VI.

3- مارمول كربخال، **افريقيا**، ج 02، (تر): محمّد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1989م، ص 364؛ وليام سبنسر، المرجع السّابق، ص 35.

استجاب لهذا النِّداء، وقاد اسطوله من جيجل إلى الجزائر في نفس السّنة[1]، حيث افتكّ شرشال، وعاد إلى مدينة الجزائر حيث نصبه أهلها أميراً للجهاد[2]. وقد يكون موقع مدينة الجزائر الممتاز على ساحل البحر المتوسّط، وكذلك وجودها في نقطة الوسط بين مدينتي بجاية ووهران، المحتلتين من قِبل الإسبان، قد أغرى آل بربروس على الاستقرار بها، وجعلها قاعدة للجهاد ضدّ العدو المسيحي[3].

بعد استقراره بالمدينة بدأ عروج يُشيّد الحصون، ويحفر الخنادق وينصب المدافع، كما شدّد الحصار على حصن الصّخرة، ولولا الدّسائس والمؤامرات التي قام بها شيخ المدينة وأتباعه، بعد ندمهم على استدعاء الأتراك إلى المدينة، لكان من المُمكن أنَّه دحر الإسبان وطردهم من الحصن، وبسبب ذلك قضى عليهم عروج، ونصّب نفسه حاكماً على المدينة[4]. لقد كان الإسبان على يقين بأنَّ استقرار الإخوة بربروس في مدينة الجزائر سوف يسبب لهم قلقاً كبيراً، وهو كذلك خطر على تواجد الإسبان في شمال افريقيا، وأنّ الحلّ يكمن في طردهم من المنطقة ككل، لذلك قاموا بتوجيه حملة عسكريّة من وهران بقيادة حاكمها "دييقو دي فيرا (Diego de Vera)" إلى مدينة الجزائر في شهر سبتمبر 1516م، أرست على شاطئ باب الواد، وبعد مناوشات استنزفت قواهم، اغتنم عروج فرصة هبوب ريح شماليّة وزحف عليهم بقواته يقتل ويأسر. لقد كانت هزيمة كبيرة للإسبان زادت من شهرة عروج وإعجاب الأهالي به، وهو ما دفع سكان البليدة والمدية ومليانة ودلّس إلى مبايعته[5].

**ب- محاولة عروج التّخلص من الإسبان وحلفائهم الزّيانيين بالجهة الغربيّة:**

كانت تنس يومئذ تحت حكم الأمير الزّياني حميد العبد، وكان هذا الأخير متعاوناً مع الإسبان وتحت طاعتهم، حيث وبعد الانتصار الذي حققه عروج في مدينة الجزائر، وخوفًا

---

1- ثم أرسل له خير الدين جزءاً آخر من الأسطول بقيادة أخوهم الأكبر إسحاق. **يُنظر:** علي عبد القادر حليمي، المرجع السّابق، ص 164. بينما تذكر مصادر أخرى أنَّ عرّوج جاء إلى الجزائر عن طريق البر مع ثمانمائة تركي وثلاثة آلاف جزائري من نواحي جيجل. Fray Diègo de Haedo, Op.Cit, p 17.

2- الطاهر بخدّة، المرجع السّابق، ص 199.

3- أحمد توفيق المدني، **حرب** ...، المرجع السّابق، ص 173.

4- علي عبد القادر حليمي، المرجع السّابق، ص 164.

5- يحي بوعزيز، **الموجز**...، المرجع السّابق، ص-ص 13-14. بينما يذكر الأستاذ محمّد دراج أنّ هناك حملتين اسبانيتين فاشلتين سنة 1516م على مدينة الجزائر بعد استقرار عرّوج بها. الطاهر بخدّة، المرجع السّابق، ص-ص 213-216.

من أنْ يلقى نفس مصير شيخ مدينة الجزائر سالم التومي، أعلن هذا الأمير الحرب على أتراك الجزائر، لكنّ عروج لم ينتظر، وبعد أنْ ترك خير الدّين يحرص المدينة، زحف على تنس في جوان 1517م وسيطر عليها بعد أنْ قضى على أميرها[1]. وبينما كان عروج ينظم شؤونها، وصله وفد من مدينة تلمسان يطلب مساعدتهم ضدّ الإسبان، وضدّ أبو حمو الثّالث الذي خلع ابن أخيه (أبو زيان الثّالث)، ودون تردّد استجاب عروج لطلب الوفد، وخرج قاصداً تلمسان، وفي طريقه سيطر على قلعة بني راشد، بالقرب من معسكر، وخلّف بها أخاه إسحاق على رأس حامية عسكرية تؤمن له خط العودة وتحمي ظهره، وعند وصوله تلمسان دخلها بعد أن هزم جيش أبي حمو الثّالث، وأعاد الأمير أبا زيان حاكماً عليها[2].

وبعد هزيمة حليفهم أبو حمو الثّالث سارع الإسبان بإرسال تعزيزات عسكرية إلى تلمسان حاولَتْ دحر الأتراك وإعادة المخلوع إلى عرش المدينة، وبعد شهور من المقاومة حاول عروج الانسحاب والالتحاق بالجزائر، لكنّه اضطُرَّ لخوض معركة مع قوات الإسبان بالوادي المالح (نواحي عين تيموشنت) انتهت باستشهاده وجنوده في شهر ماي 1518م[3]، ولقي أخوه إسحاق نفس المصير في قلعة بني راشد. ورغم ما لحق بالأتراك من هزيمة، إلاَّ أنَّ هذا لم يشف غليل الإسبان، ولم ينسهم هزيمتهم في 1516م أمام ساحل مدينة الجزائر، فراحوا يعدون العُدَّة للانتقام، فما إنْ حلَّ صيف 1518م حتّى تعرضت مدينة الجزائر لحملة اسبانية بقيادة "هيجو دي مونكادا (Hugo de Moncada)" استطاع خير الدّين، بدافع الانتقام لإخوته، هزيمتها، وكبّد الإسبان في هذه الحملة حوالي ثلاثة آلاف (3.000) قتيل و تدمير ستة وعشرون (26) سفينة، وأسر عدد كبير من جنود الأعداء[4].

**ج- ضمّ المغرب الأوسط للدّولة العثمانيّة (إيّالة الجزائر):**

لم يكن الإسبان هم الخطر الوحيد الذي هدّد خير الدّين ومدينة الجزائر بعد وفاة عروج، فقد تمرَّدت تنس وشرشال عليه، فأرسل عساكره لتأديبهما، وعاد أبو حمو الثّالث لحكم

---

1- Fray Diègo de Haedo, Op.Cit, pp 25-27.

2- محمّد عطية، المرجع السّابق، ص 24.

3- جاء عند "بيقي Biguet" أنّ استشهاد عروج كان بجبال ازناسن ولم يكن بوادي المالح. **يُنظر:**
Faure Biguet, **Histoire de l'Afrique septentrionale sous la domination musulmane**, Henri Charles-lavauselle éditeur militaire, Paris, p 261.

4- ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر**...، المرجع السّابق، ص-ص 27-28.

تلمسان ووصل نفوذه إلى مليانة بالقرب من مدينة الجزائر، ورغم ذلك فقد نجح خير الدّين بفضل دهائه في كسب الأهالي إلى صفِّه[1]، وعلى رأسهم العلماء والمرابطون[2]. وفي وضع تسوده الدّسائس والمؤامرات، من أطراف داخليّة وخارجيّة، وتعاظم الخطر المسيحي يوماً بعد يوم، تيقن خير الدّين من ضرورة وجود حليف قوي ينقذ المنطقة، فطلب من أهالي الجزائر ربط الاتصال بالسُّلطان العثماني والدّخول تحت راية الخلافة العثمانيّة، عن طريق الدّعاء له في الخطبة وسك العملة باسمه، فقبلوا طلبه[3].

بعد هذا الاتفاق، قام خير الدّين بإرسال أربع (04) سفن تحمل وفداً برئاسة صديقه الوفي "حاجي حسين آغا"[4]، إلى إسطنبول محملاً بالهدايا، مع رسالتين، واحدة من أهالي المدينة[5] والثّانية من خير الدّين إلى السُّلطان سليم الأوّل وحاشيته، حيث طلبوا منه المساعدة، وشرحوا له ميزات الجزائر وموقعها كقاعدة أماميّة لقتال المسيحيين. وتشير المصادر إلى سرور السُّلطان العثماني بهذه الرّسائل، التي يبدو أنّها تستجيب لرغباته وتطلعاته، لذلك استجاب لطلب الوفد الجزائري، وأَرْسَل معهم فرماناً يتضمن تولية خير الدّين حاكماً على الجزائر، برتبة بايلرباي، وأعطى الإذن للحاكم الجديد بسك عملة خاصة للتّعامل بها في الإيّالة، وأرسل له ألفين (2.000) من الانكشاريّة وأربعة آلاف (4.000) من

---

1- يشير سبنسر في وصفه لسكان مدينة الجزائر بأنّهم لا يثبتون على حال، وفي هذا إشارة على كثرة تمردهم، **يُنظر:** وليم سبنسر، المرجع السّابق، ص 45.

2- عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص 71. توجد رواية أخرى تشير إلى أنَّ خير الدّين، بعد انتصاره على الإسبان في حملتهم على الجزائر سنة 1519م، عزم على الرّحيل وترك مدينة الجزائر، لكنّ أهل المدينة ألحوا عليه بالبقاء معهم، وقبلوا اقتراحه بدخولهم تحت الحكم العثماني. **يُنظر:** عمار بن خروف، **العلاقات بين الجزائر والمغرب 923-1069هـ/ 1517-1659م**، رسالة ماجستير في التّاريخ، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1403هـ/1983م، ص 26.

3- الشافعي درويش، "**دور الجزائر في معارك البحر المتوسط خلال القرن 16م (مواجهة المشروع المسيحي)**"، المجلة الجزائرية للدّراسات التاريخية والقانونية، المجلد 10، العدد 10، ديسمبر 2020م، المركز الجامعي بتندوف، ص 9.

4- يذكر "دراج" أنَّ وفد مدينة الجزائر إلى القسطنطينية تكون من شخصيتين؛ الفقيه أحمد بن القاضي ممثلاً عن أهالي المدينة، وحاجي حسين آغا ممثلاً خاصاً عن خير الدّين. محمّد دراج، المرجع السّابق، ص 230.

5- ذكر "حماش"، نقلاً عن المؤرخ التّركي "إسماعيل حقي أوزون جارشيلي" الذي وجد هذه الرّسالة في أرشيف "توبقابي" بإسطنبول، بأن تاريخها يعود إلى أوائل شهر نوفمبر 1519م. خليفة حماش، **العلاقات بين إيّالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 إلى 1830م**، رسالة ماجستير في التّاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب، جامعة اسكندرية، 1408هـ/1988م، ص 30، **يُنظر** ترجمة هذه الرّسالة في الملحق رقم 01، ص 320.

المتطوعين[1]، وكان ذلك سنة 1520م[2]. وفي خضم هذه التّطورات شكّلت مدينة الجزائر نواة الإيّالة، وشرع البايلربايات بعدها في تثبيت الحكم العثماني بالمناطق المحيطة بالعاصمة، شرقاً وغرباً وجنوباً، ووضعوا أُسس للتنظيم الإداري والسّياسي، وظهرت بذلك إيّالة الجزائر كقوة لها وزنها في حوض البحر المتوسّط.

**ثانياً- توطيد الحكم العثماني بإيّالة الجزائر**

**أ- مواجهة الأخطار الدّاخليّة والخارجيّة:**

انضوت الجزائر تحت الحكم العثماني، بداية القرن السّادس عشر الميلادي، وكانت تعاني من تمزّق وفوضى داخليّة، ومن أخطار وتهديدات خارجيّة، تمثلت في احتلال إسبانيا لبعض مدنها السّاحليّة، ومن غارات الإسبان المتكرّرة على سواحلها، ومن تحالف هؤلاء مع أمراء بني حفص وبني زيان ضدّ الحكومة الجزائريّة الفتيّة.

**1- موقف سلطان تونس وأمراء بني زيان من دخول الجزائر تحت الحكم العثماني:**

لم يكن انضواء الجزائر تحت لواء الخلافة العثمانية حدثاً عادياً، ولم يكن أيضاً أمراً يسيراً، رغم أنّه تمّ طواعيّة وبرغبة من أهلها، ذلك أنّ الحدث في حد ذاته تمّ في ظرفيّة خاصة كانت تمر بها بلاد المغرب، كما أسلفنا الذّكر، فقد كانت عيون الإسبان على المنطقة منذ سقوط غرناطة، وطموحاتهم في احتلالها لم تتوقف، وما زاد الطّين بلة موقف العداء الذي أظهره الأمراء المحليون من الوجود العثماني بالجزائر، حيث أكّد خير الدّين ذلك في مذكراته، حين قال: « ... إلاّ أننا منذ استقرارنا بالجزائر كنا مضطرين إلى الانشغال بالأمراء المحليين وأشباههم في الجزائر وتونس والمغرب الذين كانوا مستائين من وجودنا، ...»، ويضيف بأنّ هؤلاء الأمراء تحالفوا مع الأعداء وحاكوا ضدنا المؤامرات سراً وعلانيّة[3].

ورغم أنّ السّواحل التّونسيّة كانت أوّل محطات استقرار الإخوة بربروس في بلاد المغرب، عندما اتخذوا من جربة ثم ميناء حلق الوادي قاعدة لهم، عن طريق الاتفاق الذي

---

1- خير الدّين بربروس، **مذكرات**...، المصدر السّابق، ص-ص 95-96؛ وليم سبنسر، المرجع السّابق، ص 45.

2- خليفة حماش، المرجع السّابق، ص 30؛ Asma Moalla, **The regency of Tunis and the Ottoman Porte 1777-1814**, RoutledgeCurson, London, New York, 2004, p 03.

وقد اختلفت المصادر حول تاريخ دخول الجزائر تحت الحكم العثماني، فيذكر بعضها 1518م، بينما تشير أخرى إلى سنة 1519م و1520م. للمزيد **يُنظر**: كورين شوفالييه، المرجع السّابق، ص 38.

3- خير الدّين بربروس، المصدر السّابق، ص 98.

عقدوه مع الأمير الحفصي، إلاّ أنّ العلاقات بين الطّرفين تعكّرت بعد ذلك، ووصلت إلى حد القطيعة، خاصة بعد طلب خير الدّين الدّخول تحت طاعة السّلطان العثماني وتعيينه على رأس إيّالة الجزائر، ومحاولة الحفصيين القضاء على أتراك الجزائر قبل تعاظم قوتهم[1]. فقد جاء في رسالة بعث بها سلطان تونس إلى أمير تلمسان، أنّه علينا أن نكون يداً واحدة، ولنقضي على جميع الأتراك في بلاد المغرب، لأنهم خلال عشر (10) سنوات منذ قدومهم إليها تسلّطوا علينا وصاروا أسياداً في المنطقة[2]، كما قام الحفصيون بدعم "المتمردين"[3] على السّلطة العثمانية في الجزائر، عندما تحالفوا مع ابن القاضي، أمير كوكو، ضدّ خير الدّين.

**2- قضاء خير الدّين على حلف ابن القاضي مع الحفصيين:**

شرع خير الدّين في تنظيم شؤون الدّولة، بعد أنْ رفعه فرمان السّلطان العثماني إلى كرسيّ حُكم الإيّالة، حيث قَسَّمَها إلى مقاطعتين؛ شرقيّة تمتد من شرقي العاصمة إلى حدود المملكة الحفصيّة، ووضع على رأسها صديقه أحمد بن القاضي، وأخرى غربيّة تمتد من العاصمة إلى حدود مملكة الزّيانيّين غرباً، وجعلها تحت سلطة زعيم محلي يدعى محمّد بن علي، فيما بقيت لمدينة الجزائر السّلطة العُليا يباشر فيها بنفسه أمور السّياسة والحرب[4].

لقد تسبّب نشاط خير الدّين في خلق حلف ثلاثي ضدّه؛ مُكوَّن من ابن القاضي[5] وقارة حسن[6]، وأمير تونس، المُبادر والسّاعي وراء نجاح هذا الحلف، حيث قام بإرسال قواته للإغارة على المناطق الخاضعة لسلطة خير الدّين في شرق الجزائر، وعلى الرّغم مِنْ أنَّ

1- صالح عبّاد، المرجع السابق، ص 51.

2- خير الدّين بربروس، المصدر السّابق، ص 100.

3- حول مصطلح التّمرد، **يُنظر:** الفصل الثّاني، المبحث الأوّل، في عنوان أزمة السّلطة وقيام حكم الدّايات، عنوان فرعي مجريات الأزمة.

4- أحمد توفيق المدني، **حرب** ....، المرجع السّابق، ص-ص 211-212.

5- ذكرت "شوفالييه" أنّ أسباب العداء المفاجئ بين ابن القاضي وخير الدّين غير واضحة، فربما تكون وشاية اتُّهم فيها ابن القاضي بالتّخلي عن عرّوج أثناء جهاده في تلمسان سنة 1518م وهو ما تسبب في استشهاده، أو سببه غيرة أمير تونس وخوفه على ملكه من الأتراك، أو تأثّر ابن القاضي بوفاة شيخ مدينة الجزائر، سالم التومي، بسبب صلة القرابة التي تجمعهما، فتحوّل من صديق وحليف للأتراك إلى عدو لهم، **يُنظر:** كورين شوفالييه، المرجع السّابق، ص-ص 36-37.

6- بحار تركي، كان يعمل في أسطول خير الدّين، وقد قام الأخير بطرده عندما عَلِم بأنّه على اتصال مع ابن القاضي، وكان حسن قارة يطمح إلى حكم الجزائر بعد التّخلص من خير الدّين، وقد توفي أثناء المعركة التي خاضها خير الدّين ضدّ ابن القاضي من أجل استعادة مدينة الجزائر سنة 1527م، **يُنظر:** خير الدّين بربروس، المصدر السّابق، ص 112، 129.

خير الدّين استطاع هزيمة قوات الحفصيين[1]، إلاَّ أنَّ حليفهم ابن القاضي تغلّب على قوة الأتراك، وسيطر على مدينة الجزائر، وأجبر خير الدّين على الخروج منها واللّجوء مع ما تبقى من قواته إلى جيجل ما بين 1520 و1527م[2]. لكنّ خير الدّين لم يستسلم للأمر واستغلّ المدّة التي قضاها في جيجل بين الجهاد البحري وتوسيع منطقة نفوذه على حساب الحفصيين بالشّرق الجزائري، حيث سيطر على القل في 1521م، ثمّ عنابة وقسنطينة سنة 1522م، وتحالف مع شيخ بني عباس ضدّ ابن القاضي الذي أساء التّصرف مع أهالي الجزائر، وتمكنوا من هزيمته سنة 1527م. بعدها عاد خير الدّين للاستقرار في المدينة يباشر مهامه كحاكم لها، وركّز نظره هذه المرّة على الحاميّة الاسبانية في قلعة البينيون[3].

**3- طرد الإسبان من حصن صخرة البنيون المقابلة لمدينة الجزائر:**

بعد القضاء على تمرّد ابن القاضي، استطاع خير الدّين أن يستعيد سلطته على شرشال وتنس ومتيجة، كما تمكن من استمالة قبيلة بني هاشم بالغرب الجزائري، وهي قبيلة قوية تضاهي في قوتها قبيلة بني عامر، التي تحالفت مع الإسبان. لكنّ هدف خير الدّين الأساسي، بعد عودته إلى مدينة الجزائر، كان طرد الحامية الاسبانية من حصن البنيون[4].

اهتم خير الدّين بعد رجوعه لمدينة الجزائر بتنظيم شؤونها، وكرّس كل جهده وطاقته لهذا الأمر، وعندما انهى الاستعدادات واستقر الوضع بالمدينة، طلب من قائد قلعة البنيون "دون مارتن دي فرغاس (Don Martin de Vergas)" تسليمها دون قتال[5]، لكنّ الأخير رفض، عندها قام خير الدّين في السّادس (06) من شهر ماي 1529م بالهجوم على الحصن وقصفه قصفاً عنيفاً من البطاريات الموجودة في مدينة الجزائر، كما قام الأسطول الجزائري بالمشاركة في هذه العمليّة التي انتهت بتحرير الحصن من الوجود الإسباني يوم

---

1- محمّد دراج، المرجع السّابق، ص-ص 249-250. ويذكر خير الدّين بأنّ ابن القاضي كان له ابن طائش تولى بعده الإمارة، وهذا الأخير هو من ثار ضدّ خير الدّين بتحريض من أمير تونس، أمّا الأب فبقي وفياً لخير الدّين حتّى عندما حاول الحفصيون استمالته، خير الدّين بربروس، المصدر السّابق، ص 109.

2- تراوحت تقديرات المؤرخين، لعدد السّنوات التي قضاها خير الدّين في جيجل، بين ثلاث (03) وسبع (07) سنوات.

3- محمّد السّعيد عقيب، "**دور خير الدين بربروسا في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر**"، مجلة البحوث والدراسات، العدد 13، السنة 9، 2012م، جامعة الوادي، ص-ص 299-300؛ عمار بن خروف، المرجع السّابق، ص 29.

4- صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 52.

5- خير الدّين بربروس، المصدر السّابق، ص 131، 135.

27 ماي[1]، حيث دام الحصار حوالي واحد وعشرين (21) يوماً[2]، قام بعدها خير الدّين بهدم ما تبقى من الحصن مستخدماً أسرى المدينة من المسيحيين، واستغلّ حجارته في بناء رصيف ميناء الجزائر. وأراد بذلك قطع كل أمل للإسبان في العودة واحتلال المدينة ثانية[3].

لقد أغضب انتصار خير الدّين شارلكان الذي كلّف "اندريا دوريا"[4] بالاستعداد للقيام بحملة ضدّ الجزائر، حيث شن دوريا سنة 1531م هجوماً على مدينة شرشال انتهى بالفشل، واضطر قائد الحملة للانسحاب قبل أن يلحق به خير الدّين الذي وصلته أخبار الحملة، وكان في طريقه لنجدة المدينة[5]. وبهذا الانتصار لم يُبق خير الدّين تحت يد الإسبان من المدن الجزائريّة إلاّ بجاية في ناحية الشّرق، ووهران والمرسى الكبير من جهة الغرب، عندما استدعاه السّلطان العثماني سنة 1533م لتولي قيادة البحرية العثمانيّة، حيث استخلف "حسن آغا (1533–1543م)"[6] مكانه لحكم إيّالة الجزائر قبل توجهه إلى إسطنبول.

---

1- أحمد توفيق المدني، **حرب ...**، المرجع السّابق، ص-ص 214-216. جاءت الذّخائر التي استعملت في هذه العمليّة من الغنائم التي جلبها بحارة خير الدّين أثناء عملهم بالجهاد البحري في حوض المتوسط ضدّ النّصارى، ومنها البارود، الرّصاص وقذائف المدفع، **يُنظر:** خير الدّين بربروس، المصدر السّابق، ص 133.

2- ذكر خير الدّين أنّ قصف الحصن دام عشرون (20) يوماً، بينما جاء عند الأستاذ "بن خروف" أنّ مدة القصف كانت خمسة عشر (15) يوماً فقط، في حين جعله "سبنسر" ستون (60) يوماً، **يُنظر:** خير الدّين بربروس، المصدر السّابق، ص 135؛ عمار بن خروف، المرجع السّابق، ص 30؛ وليم سبنسر، المرجع السّابق، ص 46.

3- محمّد دراج، المرجع السّابق، ص 263؛ جون ب.وولف، المرجع السّابق، ص 40.

4- بحار جنوي عاش ما بين 1466 و1560م، كان في خدمة الحكام الذين يدفعون له المال، ففي أوّل الأمر خدم فرنسوا الأوّل ملك فرنسا، وتحوّل بعدها لخدمة شارلكان، وقد كان عالماً بأمور البحر، ماهراً في رسم الخرائط الجغرافية وبناء السّفن. استمرت عائلته في خدمة ملوك إسبانيا كبحارة مرتزقة طوال القرن السّادس عشر الميلادي. جون ب.وولف، المرجع السّابق، ص 40؛ عبد الحميد بن أشنهو، **دخول الأتراك...**، المرجع السّابق، ص 158.

5- عمار بن خروف، المرجع السّابق، ص-ص 30-31.

6- عاش ما بين 1486 و1543م، أَسَرَهُ خير الدّين في سواحل سردينيا، وهو لا يزال طفلاً، تربى وأسلم كذلك على يد خير الدّين، أظهر كفاءة وشجاعة كبيرتين في المهمات التي أوكلها له خير الدّين أهلته لحكم الجزائر حوالي عشر سنوات (1533–1543م)، بعد انتقال خير الدّين إلى إسطنبول كوزير للبحريّة العثمانيّة. صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 64.

**ب- جهود البيربايات في توسيع رقعة النّفوذ العثمانيّ بالجزائر:**

**1- اخضاع البايلرباي حسن آغا لمملكة كوكو ومنطقة الزّاب:**

بعد أن استتب الأمر لحسن آغا، خاصة بعد الفشل الذّريع لحملة شارلكان على مدينة الجزائر سنة 1541م، فكّر الباشا في اخضاع مملكة كوكو، بعد أنْ جاهر حاكمها ابن القاضي بالعصيان، وتقرّب من الإسبان إثر انتصارهم على خير الدّين وقواته في تونس سنة 1535م[1]، فقد سار باشا الجزائر، في أفريل سنة 1542م، نحو مملكة كوكو على رأس جيش من ثلاثة آلاف (3.000) تركي وألفي (2.000) فارس من الأهالي وألف (1.000) راجل، لقد جعلت هذه القوات ابن القاضي يستسلم لها دون قتال، كما قدّم لهم مبلغاً معتبراً من المال، وزودهم بعدد كبير من الأغنام، والتزم بدفع الضّريبة سنوياً، وأكّد وفاءه للأتراك بتسليمهم وَلِي عهده سيدي أحمد كرهينة[2].

أمّا منطقة الزّاب (بسكرة) فقد قاد حسن آغا ضدّها حملة عسكريّة، سنة 1534م، هي الأولى من نوعها على المنطقة، سببها ثائر يُدعى "الهادف بن بلقاسم الفطناسي الزّابي"، غير أنّها لم تخضع رسمياً للحكم العثماني في الجزائر إلّا حوالي 1542م، بعد حملة ثانية قادها الباشا بنفسه على المنطقة، على إثر فشل الحملة الاسبانية على مدينة الجزائر سنة 1541م، حيث دعا الباشا إلى الوحدة ولمّ الشّمل[3]، وقد حصل بعدها "علي بوعكاز" قائد الذّواودة على لقب شيخ العرب من باشا الجزائر، عندما رافقه من بسكرة إلى قسنطينة[4].

**2-حملة صالح رايس على مدينتي تقرت وورقلة سنة 1552م:**

كوّن بنو جلاب سلالة حاكمة في مدينة "تقرت"[5] شملت سُلطتها جميع واحات وادي ريغ، ووادي سوف، وكانت لا تعترف بالحكم المركزي إلّا صورياً، سواء في العهد الحفصي

---

1- عمار بن خروف، المرجع السّابق، ص 35.

2- صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 69.

3- الطاهر بخدّة، المرجع السّابق، ص-ص 203-204؛ أحمد توفيق المدني، المرجع السّابق، ص 299.

4- صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 69.

5- مدينة تقع بالجنوب الشّرقي الجزائري بناها النوميديون، مساحتها ما بين ثلاثين وأربعين فرسخاً مربعاً، سكانها أغنياء يملكون نخيلا مثمراً ويقومون بمقايضة التمور التي تنتجها نخيلهم بالحبوب التي تجلب من قسنطينة، خضعت هذه المدينة لملوك مراكش وأمراء تلمسان و حكام تونس ثمّ أتراك الجزائر، **يُنظر**: مارمول كربخال، المصدر السّابق، ج 03، ص165.

أو العثماني[1]. وكان "صالح رايس (1552-1556م)"[2] قد طلب، عند وصوله لمنصب بايلرباي الجزائر، من حاكم الإمارة الجلابيّة دفع الضّريبة في محاولة منه اخضاع الجنوب الجزائري للسّلطة المركزيّة[3]، وعندما رُفِض طلبه خرج في أكتوبر سنة 1552م، مع حليفه أمير قلعة بني عباس[4]، على رأس حملة ضمّت حوالي ألف (1.000) فارس وثلاثة آلاف (3.000) راجل، واستطاعت هذه القوات ارغام السّلطان الجلابي أحمد بن سليمان على الاعتراف بالسّلطة العثمانيّة، ودفع غرامة ماليّة للباشا مقابل بقائه على رأس الإمارة[5]. وبعد نجاح حملته على تقرت توجه صالح رايس نحو مدينة ورقلة التي رفض حاكمها كذلك دفع الضّريبة للعثمانيين، إلّا أنّ أهل المدينة بادروا إلى الدّخول في طاعة العثمانيين[6]، أمّا حاكمها الذي انسحب فلم يرجع حتّى خرج صالح رايس منها، ووافق على الضّريبة التي فرضها باشا الجزائر قبل مغادرته وألتزم بها دون معارضة[7].

---

1- جميلة معاشي، المرجع السّابق، ص 71.

2- أصله من الأسكندرية، انتقل إلى تركيا عندما ضمّ السّلطان سليم الأوّل مصر إلى الدّولة العثمانيّة. عمل مع خير الدّين وأصبح من كبار قادته، وتدرج في المناصب إلى أنْ عُيِّن حاكماً على الجزائر. صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 74.

3- كانت المدينتان (تقرت وورقلة) قد دخلتا منذ أيام خير الدّين بربروس ضمن الوحدة الجزائرية، وتعهدتا بدفع الإتاوة السّنويّة إلى خزينة الإيّالة، أمّا أمر التّمرد فيرجعه مارمول إلى سوء معاملة الأتراك وبُعد المنطقة عن مركز السّلطة، بينما نجد عند توفيق المدني أنّ السّبب في ذلك يعود إلى ابتعاد خير الدّين عن السّلطة في الجزائر، وانشغال الدّولة بحوادث تلمسان وربما يقصد بذلك محاولات السّلطات الجزائريّة ابعاد خطر الإسبان والسّعديين، **يُنظر**: مارمول كربخال، المصدر السّابق، ج 02، ص 386؛ أحمد توفيق المدني، **حرب** ...، المرجع السّابق، ص 338.

4- قُدرت القوات التي شارك بها أمير قلعة بني عباس بحوالي 1780 مقاتل، وحسب مارمول، فإنّ هذا العدد مقسّم إلى 1600 فارس و180 من المشاة، بينما أشار سعيدوني بأنّ قوات قبائل بني عباس وجرجرة على رأسهم عبد العزيز أمير قلعة بني عباس قُدِّرت إجمالاً بحوالي 8000 رجل، دون ذِكر المزيد من التفاصيل. **يُنظر**: الطاهر بخدّة، المرجع السّابق، ص 202؛ مارمول كربخال، المصدر السّابق، ج 02، ص 386؛ ناصر الدّين سعيدوني، **ورقات**...، المرجع السّابق، ص 104.

5- ناصر الدّين سعيدوني، **ورقات**...، المرجع السّابق، ص 104، 526؛ رضوان شافو، "**العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والإمارات الصحراوية في الجزائر(إمارة بني جلاب بوادي ريغ أنموذجا 1531-1854م)**"، مجلة القرطاس، ع 02، جانفي 2015م، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، ص 150.

6- الطاهر بخدّة، المرجع السّابق، ص 203.

7- رضوان شافو، **الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري-ورقلة أنموذجا 1844-1962م**، أطروحة دكتوراه علوم في التّاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، بوزريعة، 1432/1433هـ-2011/2012م، ص 76.

## 3- القضاء على الدّولة الزيانيّة وضم تلمسان سنة 1554م:

كانت الإمارة الزّيانيّة بتلمسان تلفظ أنفاسها الأخيرة، فقد اشتدّ التّنافس على عرشها بين أمرائها، وازدادت التّدخلات الخارجيّة في شؤونها من الإسبان والسّعديين، وتحيّن كل طرف الفرصة المناسبة من أجل احتلالها، ومن غير المستبعد أنّه كانت هناك مساعٍ من الطّرفين للتّعاون وابعاد العثمانيين عن تلمسان. فهذه الأوضاع لم تكن خطراً على تلمسان فحسب، لأنّها هدّدت كذلك مستقبل الوجود التّركي في الجزائر ككل، لذلك عزم صالح رايس على إنهاء أمر المملكة الزّيانية، فقاد حملة ضدّ السّعديين؛ في المغرب الأقصى، لأنّهم تعاونوا مع الإسبان وحاولوا غزو تلمسان، وفي طريق عودته مرّ صالح رايس على تلمسان وعَزَلَ أميرها الحسن الزّياني، حليف الإسبان، وألحقها بالسّلطة المركزيّة بالجزائر سنة 1554م[1].

## 4- تحرير بجاية من الاحتلال الإسباني 1555م:

في اطار استكمال مشروعه الرّامي إلى توسيع النّفوذ العثماني في الجزائر، قام صالح رايس سنة 1555م بحملة عسكريّة على مدينة بجاية، مجموع جيشها، حسب مارمول، حوالي أربعين ألف (40.000) مقاتل[2]؛ من بينهم عشرة آلاف (10.000) فارس، إضافة إلى اثنين وعشرين (22) سفينة حربيّة، نجحت في تحريرها بعدما حاصرها خمسة وعشرين (25) يوماً تقريباً، واستسلم حاكمها "الدون ألفونس دي بيرالت (Don Alphonse de Peralte)" بعدما تعذّر عليه الصّمود، وبذلك تمكّن صالح رايس من أخذ حصونها من الإسبان[3].

وقد أبلى جنود الانكشارية في هذه الحملة بلاءً حسناً جعلت صالح رايس يراسل السّلطان العثماني سليمان القانوني من أجل تكريمهم خاصة فئة المدفعجية الذين كان لهم دور بارز في فتح القلعة، ومنهم القائد حسن والقائد محمّد، وقد وافق السّلطان العثماني على طلب صالح رايس وأرسل لكل من الشّخصيتين المذكورتين مبلغاً من المال نظير

---

1- يحي بوعزيز، **الموجز**...، المرجع السّابق، ص-ص 19-20.

2- جعلها "دان (Pierre Dan) ثلاثة وثلاثون ألفاً منها ثلاثة آلاف تركي والباقي من الجزائريين، **يُنظر:**
Pierre Dan, **Histoire de Barbarie et ses Corsaires**, Pierre Rocolet Imp et Libr, Paris, 1637, p 88.

3- مارمول كربخال، المصدر السّابق، ج 02، ص-ص 379-380؛ محمّد بن عميرة ولطيفة بشاري بن عميرة، **تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين**، دار الفاروق للنشر والتوزيع، الجزائر، 1436هـ/2015م، ط 01، ص 328.

خدماتهما[1]. وفي المقابل، فإنّ ملك إسبانيا، فليب الثّاني، وبسبب افلاس خزينته، لم يتمكّن من ارسال حملة عسكريّة ضدّ الجزائر، ومن أجل تهدئة الرّأي العام الإسباني أعدم حاكم بجاية المهزوم[2].

**5- اخضاع قلعة بني عباس بجبال القبائل 1559م:**

إلى غاية سنة 1552م، كان عبد العزيز، أمير قلعة بني عباس حليفاً للعثمانيين، لكنّ الأمر تغير بعد ذلك، ويعود العداء بين الطّرفين إلى الاختلاف في تقسيم غنائم حملة صالح رايس على تقرت وورقلة، كما اعتبر عبد العزيز تصرّفات حسن قورصو مع رجال زواوة في هذه الحملة إهانة له، إضافة إلى ذلك رفض صالح رايس السّماح له بمد نفوذه إلى مناطق الحضنة والزّيبان، وهو ما جعله يلتحق بقلعته ويُعلن عصيانه وتمرده على العثمانيين[3].

ما بين 1552 و1554م أرسل صالح رايس ثلاث حملات عسكرية ضدّ الأمير عبد العزيز، قاد الحملة الأولى بنفسه، فيما أرسل ابنه محمّد على رأس الحملة الثّانية (1553م)، في حين كانت الثّالثة بقيادة كل من سنان رايس والقائد رمضان، ورغم أنّ هذه الحملات كبّدت الطّرفين خسائر كبيرة، إلّا أنّها لم تحقق الهدف المنشود، وبقي الحال كذلك، حتّى تمكّن حسن بن خير الدّين (1557-1561م)[4]، عند رجوعه لحكم الإيّالة، إنهاء حالة التّمرّد هذه؛ سنة 1559م[5].

**ج- تطور مدينة الجزائر بعد الاستقرار العثماني بها:**

أصبحت الجزائر منذ انضوائها تحت الخلافة العثمانية أحد أهم الأوجاق التي يعتمد عليها الباب العالي في محاربة الأعداء في البحر المتوسط وأضحت بتكليف منه تسهر على

---

1- أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 02، حكم رقم 538، بتاريخ: الثّامن (08) جمادى الثّانية 963ه؛ أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 02، حكم رقم 565، بتاريخ: التّاسع (09) جمادى الثّانية 963ه.

2- Pierre Dan, Op.Cit, p 88؛ محمّد خير فارس، المرجع السّابق، ص 41.

3- ناصر الدّين سعيدوني، **ورقات**...، المرجع السّابق، ص 105. بينما أضاف "عباد" سبباً آخر للعداء بين الطّرفين، وهو محاولة قتل الأتراك للأمير عبد العزيز في قصر الجنينة. **يُنظر**: صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 75.

4- حكم حسن بن خير الدّين إيّالة الجزائر ثلاث مرات، الأولى (1544-1551م) بعد وفاة حسن آغا، والثّانية (1557-1561م) بعد وفاة صالح رايس، والثّالثة (1561-1566م)، ثمّ كُلّف بعدها بمهمة قيادة الأسطول العثماني إلى غاية وفاته سنة 1570م. **يُنظر**: عمار بن خروف، المرجع السّابق، ص 39 وما بعدها.

5- ناصر الدّين سعيدوني، **ورقات**...، المرجع السّابق، ص-ص 105-106.

حل الخلافات وإصلاح ذات البين بين المتخاصمين من الأشقاء، وذلك ما نستشفه من فرمان السّلطان سليمان القانوني بشأن تكليف بايلرباي الجزائر حسن بن خير الدّين سنة 972هـ/1565م ببذل جهده من أجل إزالة الخلاف بين حاكم المغرب عبد الله وأخويه[1]، وقد ورد في أحد الفرمانات تكليف السّلطان العثماني لبايلرباي الجزائر بمساعدة أهل الأندلس الذين راسلوا الباب العالي بشأن ما تعرضوا له من تضييق وتعدي المسيحيين عليهم، وقد جاء في هذا الفرمان أمر السّلطان إلى أمير أمراء الجزائر، نورد مقتطفاً منه: «وقد أرسل أمري الهمايوني المؤكد إلى أمير أمراء الجزائر الذي تتجه أنظاره وأفئدته نحوكم لارسال النّجدة والمعونة لكم أما بأرسال العساكر المظفرة أو بإرسال العدة والعتاد وبموجب أمري الشّريف فإن أمير الأمراء المشار إليه سيكون خير معين وظهير لكم»[2].

ويقول "التميمي" حول مدينة الجزائر: «إلا أن تمركز العثمانيين بالجزائر المدينة قد أعطى لأول مرة حركة سياسية وعسكرية سرعان ما جعلت من الجزائر خلال القرن السادس عشر مركز الثقل بالنسبة للمغرب العربي برمته. وقد غطى نشاطها وأهميتها على الدّولة الحفصية التي انهارت وانحصر نفوذها الفعلي في مدينة تونس وضواحيها القريبة. كما غطى أيضا على المغرب الأقصى الذي عرف هو الآخر معارك داخلية على السلطة خلال النصف الأول من القرن السادس عشر على الخصوص»[3]. وفي تقديمهما لكتاب تاريخ مملكة الجزائر لِـ: لوجي دي تاسي (Laugier de Tassy) أشار كل من نويل لافو ( Noël Laveau) وأندري نوشي (André Nouschi) أنّه بحلول القرن السّادس عشر ميلادي وبعد انضوائها تحت الحكم العثماني أصبحت مدينة القرصنة الصغيرة (الجزائر) خلال قرن من الزّمن واحدة من أقوى المدن وأغناها في حوض البحر الأبيض المتوسط[4].

---

1- مصطفى بوداق وآخرون، **الجزائر في الوثائق العثمانية**، (تر): زينب دراج وعبد الباسط مكي، سيستام أوسات، أنقرة، دار الوراق للدراسات والنشر، الجزائر، 2018م، ص-ص 6-7. صدر هذا المؤلَّف باللغة التّركية سنة 2010م في مدينة أنقرة تحت عنوان: "**OSMANLI BELGELERINE CEZAYIR**"، ثمّ ترجمته إلى العربية وطبعه بشراكة تركية جزائرية سنة 2018م كما هو موضح في الهامش.

2- أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 9، حكم رقم 231، بتاريخ: الرّابع والعشرين (24) شوال 977هـ.

3- عبد الجليل التميمي، **وثيقة عن أملاك المحبّسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر**، منشورات المجلة التاريخية المغربية، ع 05، 1980م، تونس، ص 09.

4- Laugier de Tassy, **Histoire du Royaume d'Alger: Un diplomate Française à Alger en 1724**, Préf: Noël Laveau et André Nouschi, Edition Loysel, Paris, 1992, p III.

**يُنظر أيضاً:** Federico Cresti, **Description et iconographie de la ville d'Alger au XVIe siècle**, R.O.M.M, N° 34, 1982, pp 1-22.

ونجد نفس المعنى عند "سعد الله" عندما تناول بالدّراسة شخصية العلج علي الذي حكم الجزائر برتبة بايلرباي، حيث قال عن هذه الشّخصية أنّها تهمنا نحن أيضاً كجزائريين، إذ يُعتبر عهده استكمالاً لبناء الجزائر الإدارية والسّياسية خلال الفترة الحديثة، وهو البناء الذي أرسى قواعده الإخوة بربروس، وأردف بأنّ الفضل في نشأتها يرجع بالدّرجة الأولى إلى هؤلاء الرّجال الذين جعلوا من المملكة الزّيانية وجزء من الدّولة الحفصية ومن إمارات سويد والثّعالبة والذّواودة وغيرها دولة الجزائر التي استمرت عدة قرون، أنّ حكم العلج علي للجزائر جعله حاكماً على تونس وطرابلس الغرب أيضاً، وأصبحت هذه المدينة في عهده عاصمة للمغرب العربي، ما عدا المغرب الأقصى، الذي بقي خارج نفوذ العثمانيين كما أشرنا إلى ذلك سابقاً[1].

**ثالثاً- علاقة العثمانيين في الجزائر بالصّراعات الدّاخلية في تونس:**

**أ-محاولة خير الدّين ضم تونس إلى الدولة العثمانية سنة 1534م:**

كان السّلطان الحسن بن محمّد الحفصي (1525-1543م) قد خلف أباه على عرش تمزّقه الخلافات الدّاخلية والصّراعات على السّلطة، التي جعلت المملكة الحفصيّة على حافة الانهيار، وقد وصل الحسن إلى السّلطة بعد أنْ قتل إخوته، ولم ينج من هذا المصير إلاّ الرّشيد وعبد المؤمن[2] نظراً لغيابهما عن المملكة. لقد ساعدت هذه الظّروف خير الدّين على التّفكير في الاطاحة بالحفصيين، خاصة وأنّ العداء بدا واضحاً بين الطّرفين بعد جلوس خير الدّين على كرسي الحكم في الجزائر، وظهر هذا العداء جلياً في تحالف أمراء بني حفص مع أطراف داخليّة وخارجيّة ضدّ العثمانيين في الجزائر. لقد وجد خير الدّين الفرصة المناسبة في استنجاد الرّشيد به ضدّ أخيه الحسن[3]، ومن جهته فإنّ السّلطان العثماني "سليمان القانوني (1520-1566م)"[4] بارك بدوره هذه الخطوة، نظراً للموقع الاستراتيجي الذي تحتله تونس

---

1- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 04، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ط 01، ص-ص 189-190. ونظراً للدور الكبير والمجهود الذي قام به العلج علي في إدارة الجزائر تمّ تكريمه من السّلطان العثماني سليم الثّاني بخلعة سلطانية سنة 976هـ/1568م، **يُنظر**: مصطفى بوداق وآخرون، المصدر السّابق، ص 18.

2- بينما ذكر إلتر بأنّه لم ينجُ من القتل سوى الرّشيد فقط، **يُنظر**: عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص 93.

3- هذه الأمر سوف يترسخ أكثر خلال الحكم العثماني في تونس، حيث أصبحت الجزائر فيما بعد ملجأً للنّاقمين والثّائرين على السّلطة في تونس.

4- وهو عاشر سلاطين آل عثمان، وُلِد سنة 900هـ/1494م، عَرَفت الدّولة العثمانيّة في عهده أوج قوتها وعظمتها، لذلك عُدَّ من أعظم سلاطينها، عاصر هذا السّلطان شارلكان ملك اسبانيا وفرنسوا الأوّل ملك فرنسا. محمّد فريد بك، المرجع السّابق، ص-ص 79-81.

بين حوضي المتوسط الشّرقي والغربي[1]، كما دعمه بالمساعدة التي مكّنته مع النّجدة التي وصلت مع حسن آغا إلى عنابة من دخول تونس صيف 1534م واعلان تبعيتها للسّلطان العثماني دون صعوبة، وتمكّن من استمالة عناصر كثيرة من السّكان. أمّا السّلطان الحفصي المخلوع فقد ذهب يطلب النّجدة من شارلكان لاستعادة عرشه من العثمانيين[2].

**ب- الحملة الاسبانية على تونس 1535م:**

في الحقيقة، لم يكن من السّهل على ملك إسبانيا تقبل هذا الوضع، خاصة وأنّ السّلام كان قد طبع العلاقات الفرنسيّة الإسبانية خلال هذه الفترة، وكذلك وصول مولاي الحسن يطلب المعونة، وبسعي حثيث من اندريا دوريا غادرت حملة عظيمة إسبانيا في جوان سنة 1535م تكونت من أكثر من أربعمائة (400) سفينة تحمل أربعة وعشرين ألف جندي[3]، وتوقفت القوات الاسبانية في حلق الوادي حيث جابهت مقاومة عنيفة قبل أن تستولي على هذا الحصن، وانسحبت القوات العثمانيّة من مدينة تونس بعد أنْ تيقّن خير الدّين بأنّ ليس له القدرة على مجابهة قوات شارلكان التي دخلت المدينة[4]، واِسْتَبَاحَتها مدّة ثلاثة أيام (21-

1- ذكر ابن أبي دينار أنّ السّلطان العثماني سليمان القانوني لم يكن على علم بحملة خير الدّين سنة 1535م على تونس، وأضاف أنّ الصّدر الأعظم إبراهيم باشا أرسل خير الدّين إلى تونس دون إذن من السّلطان. محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار، **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، دار المسيرة، بيروت، 1993م، ط 03، ص 184. وسوف أشير إليه لاحقاً: بابن أبي دينار، المصدر السّابق.

2- أحمد توفيق المدني، **حرب** ....، المرجع السّابق، ص-ص 229-230؛ محمّد خير فارس، المرجع السّابق، ص-ص 33-34. وذهب روسو إلى أنّ الحسن الحفصي فرّ إلى قسنطينة، بعد سيطرة خير الدّين على تونس، وهناك أقنعه علج من أصل جنوي بالاتصال بشارلكان وطلب مساعدته لاستعادة عرش تونس، **ينظر:** ألفونص روسو، **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتّى احتلال فرنسا للجزائر**، (تر): محمّد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، د.ت، ص 86.

3- أختلفت المصادر حول عدد جنود الحملة، حيث ذهب الأستاذ هنيّة، إلى أنّ عددهم كان ثلاثون ألف مقاتل، أمّا "التر" و "فوكون (Faucon)" رغم اتفاقهم على أنّ هذا الجيش من جنسيات مختلفة؛ ألمان وإيطاليين ومن فرسان مالطة، إلاّ أنّهم اختلفا في تعداده فذهب الأوّل إلى أنّهم عشرين ألف من المشاة وألفين من الخيالة، جعلها الثّاني 26.500 جندي **يُنظر:** عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 78؛ عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص 115؛

Narcisse Faucon, **La Tunisie avant et dpuis l'occupation Française**, T 01, Augustin Challamel Editeur, Paris, 1893, p 128.

4- عَزا خير الدّين، في مذكراته، سبب انسحابه من تونس، بعد المقاومة العنيفة التي أبداها أوّل الأمر، إلى تخلي المتطوّعين البدو والمقدر عددهم حوالي ستة آلاف متطوّع، **يُنظر:** خير الدّين بربروس، المصدر السّابق، ص 174.

24 جويلية)، وذلك برضى مولاي الحسن الذي أعاده شارلكان إلى حكم تونس كتابع له[1]. أمّا الأمير الحفصي فقد قضى الفترة ما بين 1535 و1542م في استعادة نفوذه على جميع المناطق التي كانت في السّابق تابعة له، حيث وجّه أنظاره في السّنة المواليّة (مارس 1536م) نحو مدينة قسنطينة لافتكاكها من أيدي بني عثمان، لكنّه فشل[2]، بينما كان في خضوع تام للإسبان الذين لم يتأخّروا عن مساعدته[3].

**ج- الإمارة الشّابيّة بالقيروان 1535م وصراعها مع الحسن الحفصي وابنه مولاي حميدة:**

رغم عودة المَلِك الحفصي إلى عرشه خريف سنة 1535م بمساعدة اسبانية إلاّ أنّ نفوذه لم يتعد المناطق الممتدة حول بنزرت وباجة وبعض المناطق التي لا تبعد سوى مسيرة يوم واحد عن عاصمته، أمّا باقي المملكة فكانت خارج سيطرته، حيث أصبحت كل من المنستير وسوسة والمهدية تحت حكم خير الدّين بربروس ويدفعون له إتاوة باسم السّلطان العثماني، وانضمت القيروان كذلك إلى المدن المناوئة للسّلطان الحفصي خلال هذه الفترة[4]، بسبب اتخاذها من طرف "الشّابيّة"[5] مركزاً لدولتهم النّاشئة نظراً للبعد الرّوحي التي تتمتع به

---

1- Narcisse Faucon, Op.Cit, p 128؛ جون ب.وولف، المرجع السّابق، ص-ص 47-49. في حين تذكر بعض المصادر بأنّ مولاي الحسن، وبعد خمس سنوات من اعادته لعرشه (1540م)، وقّع معاهدة مع الإسبان لاسترجاع ممالكه، وفي المقابل ترك ابنه محمّد رهينة عند الإسبان في حلق الوادي، لأنّ المدن التي وقعت بيد خير الدّين سنة 1534م، سُلِّمت لشارلكان في السّنة المواليّة بعد حملته على تونس بموجب معاهدة مُذِّلة مع مولاي الحسن. **يُنظر**: شارل مونشيكور، المرجع السّابق، ص 158.

2- عمار بن خروف، المرجع السّابق، ص 35.

3- عقد شارلكان معاهدة مع مولاي الحسن سنة 1535م، مقابل إعادته للسّلطة، أصبحت بموجبها المملكة الحفصية تحت سلطة شارلكان. للاطلاع على بنود المعاهدة، **يُنظر**: عزيز سامح الترٍ، المرجع السّابق، ص-ص 119-120.

4- شارل مونشيكور، المرجع السّابق، ص 62.

5- تنسب إلى مؤسسها أحمد بن مخلوف (1431- 1492م) المولود ببلدة الشّابة بتونس، وقد عَرَفت الطَّريقة انتشاراً واسعاً في المغرب والمشرق؛ انطلاقاً من مدينة القيروان بتونس إلى الجزائر وطرابلس الغرب، ثمَّ مصر وبلاد الشام. وتحوَّلت بعد ذلك من حركة دينيّة إلى قوَّة سياسيَّة، منذ منتصف القرن 16م، حيث اتَّخذت من القبائل المتأثِّرة بدعوتها دعامة أساسيّة لقوتها العسكريَّة، **يُنظر**: يوسف بن حيدة، **التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية- الطريقة الشابية نموذجاً**، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2016/2017م، ص ص 03، 26، 107. وللمزيد حول هذه الطَّريقة يمكن الرُّجوع إلى كتاب: شارل مونشيكور، المرجع السَّابق، وكذلك: على الشابي، **تاريخ الشابيّة خلال العهدين الحفصيّ والعثماني-من سنة 1431 إلى سنة 1867-**، دار نقوش عربية، تونس، 2015م، ط 01.

كأقدم مدينة اسلامية بإفريقية، خاصة وأنّ الحسن الحفصي تحالف مع الإسبان –أعداء الدّين– من أجل عودته إلى الحكم.

وفي غمرة هذا التّفكك عزم سيدي عرفة على تحرير إفريقية وأخذ ينشر نفوذه على مقربة من مدينة تونس وبلاد السّاحل، وفي الوسط والشّمال الغربي والجنوب، وواصل عمله باستمالة طوائف الأعراب القريبة من تونس لأنّ أعراب الجهات الأخرى كانت تحت نفوذه منذ زمن، حيث وصل نفوذ الشّابيّة إلى مقاطعة قسنطينة بالجزائر وحتّى وادي سوف بجنوب هذه المقاطعة[1]، وما النّجدة التي أرسلها من القيروان للإنقاذ الفارين من أهل تونس، الذين فتكت بهم جيوش الإسبان، اثر حملتهم على العاصمة سنة 1535م[2]، والمتمثلة في خمسمائة جمل لإعانتهم ونقلهم إلى مدينة القيروان إلاّ دليل على محاولاته لكسب تأييد السّكان[3]، وأضاف "علي الشابي" في موضع آخر بأنّ جيش سيدي عرفة مكوّن من أهم القبائل الموالية له: الحنانشة، النّمامشة، الهمامة، دريد، الحراكتة، أولاد سعيد، وبني بربار، وهو متفوق على جيش الحسن الحفصي من حيث العدد رغم أنّه لا يختلف عنه من حيث التسليح[4]، وقد أضاف مُؤلِّف الصّروف أنّ طرودا انضمت إلى سيدي عرفة الشّابي في حربه ضدّ الحسن الحفصي، وكان وقتها مقيماً بعبيدة قرب الكاف، ومن شدة فرحه بهم قال مُرحِباً: «يا طرود من نصرتموه انتصر ومن كسرتموه انكسر، قليلكم كثير وكثيركم لا حد له»[5].

---

1- علي الشابي، **عرفة الشّابّي رائد النّضال القومي في العهد الحفصي**، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م، ص121. تجدر الإشارة إلى أنّ سيدي عرفة اعتمد في حكمه للقيروان على القبائل التي استطاع هو ووالده كسبها عن طريق الوعظ والإرشاد أوّل الأمر وأصبحت مع الوقت حلفاءهم، ومن هذه القبائل: الحنانشة، طرود، الهمامة، أولاد سعيد، دريد والنّمامشة، وتنتمي بعض هذه القبائل لتونس وأخرى للجزائر وهو ما يدّل على مدى نفوذ وانتشار الطريقة، وحول دور هذه القبائل في صراع الشابية مع العثمانيين في تونس، **يُنظر**: علي الشابي، **تاريخ الشابية**...، المرجع السّابق، ص–ص 240–249؛ وأيضاً المبحث الثّاني من الفصل الثّالث من هذه الأطروحة.

2- علي الشابي، **تاريخ الشابية**...، المرجع السّابق، ص 237.

3- شارل مونشيكور، المرجع السّابق، ص 59.

4- علي الشابي، **عرفة الشّابّي** ...، المرجع السّابق، ص 124.

5- إبراهيم محمّد السّاسي العوامر، **الصُرُوف في تاريخ الصحراء وسوف**، (تعل): الجيلاني بن إبراهيم العوامر، المعارف للطباعة، د.ب.ن، د.ت، د.ط، ص 219.

في حين قضى الحسن الحفصي ما تبقى من سنوات حكمه في محاولاته من أجل القضاء على الشّابيّة واستعادة نفوذه على مدينة القيروان؛ في خريف 1535 وبداية 1536[1] وربيع 1540م فشل في ثلاثتها، رغم بقائه وفياً للإسبان الذين أمدوه دائما بالمساعدات من أجل القضاء على العثمانيين والشّابية معاً، غير أنّ محاولاته لم تُفلح إلاّ في استرجاع بنزرت فقط إلى نفوذه في ديسمبر 1535م، إلى غاية عزله من طرف ابنه مولاي حميدة الذي ثار عليه سنة 1542م. أما سيدي عرفة فقد لمع نجمه منذ انتصاره على الحفصيين سنة 1540م في وقعة المنستير (12 نوفمبر) بقيادة ابنه "أبو العباس أحمد الشّابي" وأصبح أهم شخصية بمدينة القيروان ومحيطها[2].

وعرفت سنة 1542م وصول السّلطان أحمد بن الحسن (مولاي حميدة) إلى حكم تونس، بعد أنْ أطاح بوالده الذي انهزم أمام الشّابية التي قاسمته السّلطة والنّفوذ على إفريقية من عاصمتها؛ مدينة القيروان، فقد قام مولاي حميدة ضدّ والده عندما حاول الأخير الاستنجاد بحلفائه الإسبان، خوفاً من أنْ تُستباح القيروان من الإسبان، كما استباحوا تونس قبل ذلك؛ سنة 1535م[3]، فلم تشهد سنة 1542م زوال حكم الحسن الحفصي فقط، بل عرفت كذلك وفاة سيدي عرفة الذي خلفه ابن أخيه "محمّد بن أبي الطّيب"[4].

وقد كان القائد الجديد للشّابية شديد الطموح، حيث أراد أن تستولي الدّولة الشابية على إرث الحفصيين، لكن ظهور "درغوث باشا"[5] والذي استولى على المهدية، حيث دخل بعدها

---

1- مُني الحسن الحفصي بهزيمة ساحقة خلال حملته هذه على القيروان ضد الشّابية والحامية التّركية التي تركها خير الدّين بالمدينة، وانتهت الحملة بفراره واستنجاده بأحد شيوخ أولاد سعيد؛ وهو الشّيخ بالضّياف الذي أنقذه من خطر حقيقي، **يُنظر:** محمود التايب، **السلوك السياسي للقبيلة بتونس في العهد الحديث- أولاد سعيد بين الولاء والمقاومة-عائلة بن الواعر نموذجا (1864-1881)**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 2009م، د.ط، ص 74.

2- شارل مونشيكور، المرجع السّابق، ص 68؛ علي الشابي، **عرفة الشّابّي** ....، المرجع السّابق، ص 39.

3- ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص 187؛ Charles Féraud, "**Les Hrar seigneurs des Hanencha étude historique sur la province de Constantine**", R.A, N° 104, Mars 1874, p 137.

4- شارل مونشيكور، المرجع السّابق، ص 82.

5- ولد حوالي 1485 بمقاطعة منتشيه على السواحل الغربية للأناضول، كان عاشقا للبحر منذ شبابه لذلك عمل مع خير الدّين بربروس، أُسر سنة 1540م في سواحل كورسيكا، ونظراً لمكانته استطاع خير الدّين افتداءه بعد أربع سنوات، شارك مع سنان باشا في فتح طرابلس الغرب سنة 1551م، وعينه السّلطان سليمان القانوني حاكماً عليها سنة 1553م، وتوفي سنة 1565م أثناء حصار مالطة، **يُنظر:** ايتوري روسي، المرجع السّابق، ص-ص 68-76؛ عمر محمد الباروني، **الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، مطبعة ماجي، طرابلس، 1952م، د.ط، ص-ص 118-143؛ الشافعي درويش، "**أمير البحر درغوث رايس (طرغوت) ودوره في الحوض الغربي للبحر المتوسط**" مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج 05، ع 02، ديسمبر 2021م، جامعة عين تموشنت، ص 881.

في خدمة السّلطان العثماني الذي عينه على طرابلس الغرب بعد فتحها سنة 1551م، وقد استطاع الأخير طرد الشّابيّة من قفصة سنة 1556م[1]، الذين هزموا مولاي حميدة قُرب مدينة تونس في نفس السّنة، وبما أنّ العثمانيين وأحمد الحفصي كانا خلال هذه الفترة في صراع مع الشّابية[2] فقد حصل بينهما تقارب تمّ تدعيمه بتحالفهم مع العثمانيين في الجزائر[3]، حيث طلب مولاي حميدة المساعدة من حسن بن خير الدّين والي الجزائر[4]، الذي أمدّه بالفرق العسكريّة لمواجهة الشّابيّة الذين كانوا في صراع مع درغوث باشا حول القيروان، وبسبب هذا التّعاون تعرضت الحامية التّركية بمنطقة بسكرة إلى الإبادة سنة 1560م من طرف "محمّد الزّفراف (ت:1577م)"[5]، لكنّ الحاكم الحفصي لم يكن قادراً على كسب تأييد سكان تونس؛ بسبب سياسته المشابهة لسياسة والده، خاصة وأنّه استنجد بعد ذلك بالإسبان، ما جعله يفشل في هذه المهمة، وأنتهى الأمر بلجوء سكان تونس لحاكم الجزائر "العلج علي"[6] للإطاحة به[7].

---

1- صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص-ص 92-93.

2- في نفس الفترة حصل تقارب بين الشابية وبين السّلطان المخلوع وتدعم بمصاهرة ابن الحسن الحفصي وابنة زعيم الشّابية محمّد بن أبي الطيب، وفي 1552م أصبح الحلف ثلاثي اثر انضمام الحاكم الاسباني لمدينة المهدية بتحالفه مع محمّد بن الحسن الحفصي، **يُنظر:** محمود التايب، المرجع السّابق، ص 76.

3- ويبدو أنّ هذا التقارب هو الذي شجع السّلطان سليمان القانوني على ارسال خطاب إلى حاكم تونس يعلمه فيه بمحاولة الأعداء غزو المنطقة ويطلب منه الحذر والذفاع عن المنطقة إلى غاية وصول الأسطول العثماني إلى هناك، **يُنظر:** فاضل بيات، **البلاد العربية في الوثائق العثمانية: ولاية تونس في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**، مج 10، (تق): خالد أرن، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثّقافة الإسلامية، إستانبول، 2022م، د.ط، ص-ص 25-26.

4- طلب المساعدة من ولاة الجزائر سوف يجعله أمراء تونس وخصومهم على السّلطة تقليداً خلال الفترة العثمانية، وهو ما سنلاحظه خاصة في الفصل الموالي من هذه الأطروحة ، والذي خصصناه لدراسة الأزمات السّياسيّة في إيّالة تونس.

5- سادس شيوخ الطّريقة الشّابية، حمل لواء الثّورة على العثمانيين والسّلطان الحفصي مولاي حميدة بعد سقوط الإمارة الشّابية، واستطاع الشّيخ جمع السّلطتين الرّوحية والزّمنية للطّريقة وأعاد لها إشعاعها الرّوحي بعد أنْ خف بسبب انشغال الشّيخين أحمد بن عرفة ومحمّد بن أبي الطّيب بالحروب، **يُنظر:** علي الشابي، **عرفة الشّابّي** ....، المرجع السّابق، ص 42.

6- وُلد سنة 1520م في كالابريا، وأُسر في احدى غزوات خير الدّين بربروس لجنوب ايطاليا، وأتي به إلى الجزائر سنة 1536م، وقد كان منذ صغره مولعاً بحب البحار والمغامرات، وخلال مسيرته تقلّد مناصب مهمة؛ كحاكم طرابلس الغرب 1565و ثمّ الجزائر1568م، وفي سنة 1571م أُسندت له قيادة الأسطول العثماني. للمزيد حول هذه الشّخصية **يُنظر:** عزيز سامح التر، المرجع السَّابق، ص ص 223-225، 231؛ المنور مروش، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الأساطير والواقع**، ج 02، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م، ص 138؛ عباس تركي، "**إضاءات حول شخصية بايلرباي الجزائر قليج علي 1568-1587**"، مجلة الدّراسات التّاريخية العسكرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في التاريخ العسكري الجزائري، الجزائر، مج 02، ع 04، جويلية 2020م، ص-ص 107-125.

7- صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 93؛ علي الشابي، **عرفة الشّابّي** ....، المرجع السّابق، ص 44.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ قبائل إفريقية لم تكن بمنأى عن هذا الصّراع، التي تعددت أطرافه، ففي حين كانت الطريقة الشّابية تستغل القبائل التّونسية والجزائرية الواقعة تحت سلطتها الرّوحية وتستغلها في مشروعها السّياسي، كانت السّلطة الحفصية في الوقت ذاته تسعى لكسب القبائل القوية مثل أولاد سعيد، ونجحت في ذلك، بدليل تردي علاقة هذه القبيلة مع مولاي حميدة إثر انقلابه على والده سنة 1542م[1]، رغم ما ذكره "علي الشابي" من تقلب ولاء هذه القبيلة بين السّلطة الحفصية تارة والطّريقة الشّابية تارة أخرى[2].

## المبحث الثَّالث: التّطور السّياسي في تونس 1569-1587م وموقف الجزائر منه

### أولاً- الصّراع العثماني الإسباني على المملكة الحفصيّة 1569-1574م:

#### أ-محاولة العلج علي ضمّ تونس إلى الحكم العثماني 1569م:

عندما وصل العلج علي إلى حكم الجزائر سنة 1568م كانت الظّروف في المنطقة قد أصبحت أحسن بكثير مِمَّا كانت عليه أيام محاولة خير الدّين بربروس ضمّ تونس لممتلكات الدولة العثمانية سنة 1534م، فمن جهة استطاع درغوث باشا سنة 1551م انقاذ طرابلس الغرب من أيدي فرسان مالطة وأصبح فيما بعد والياً عليها[3]، وتوغل بعد ذلك في أراضي المملكة التّونسيّة على حساب الحفصيين، ونجح سنة 1560م في مساعدة بيالة باشا قائد الأسطول العثماني الذي حرّر جزيرة جربة من الإسبان؛ الذين احتلوها قبل سنة واحدة (1559م)، بعد عدة معارك بين الطّرفين[4]، ومن جهة أخرى، إسبانيا المتمركزة في حلق الوادي منذ 1535م كانت تواجه ثورة المسلمين في غرناطة 1568م[5]، واضطرابات في هولندة سنة 1569م. وكانت قد تزامنت تلك الأحداث والظّروف مع خلاف وشقاق في البلاط الحفصي بين مولاي حميدة ووزيره أبي الطّيب الخضّار، الذي استنجد بوالي الجزائر ووعده بتقديم العون من أجل القدوم إلى تونس وافتكاكها من أيدي الحفصيين[6].

---

1- محمود التايب، المرجع السّابق، ص 75.

2- علي الشابي، **تاريخ الشابية**...، المرجع السّابق، ص-ص 244-245.

3- الشافعي درويش، "**أمير البحر** ..." المرجع السّابق، ص-ص 884-885.

4- فاضل بيات، المصدر السّابق، ص 31 وما بعدها؛ Asma Moalla,Op.Cit, pp 03- 04.

5- راسل أهالي الأندلس أثناء ثورتهم السلطان العثماني سليم الثّاني، وطلبوا منه المساعدة، وأخبر السّلطان الأندلسيين بأنّه منشغل بكفار جزيرة قبرص الذين تمادوا في الاعتداء على التّجار والحجاج المسلمين، وكلّف بايلرباي الجزائر العلج علي بالحرص على تقديم المساعدة لهم، **يُنظر**: أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 09، حكم رقم 231، بتاريخ: الرّابع والعشرون (24) شوال 977هـ؛ أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 14، حكم رقم 283، بتاريخ: الثّالث (03) صفر 979هـ.

6- محمّد خير فارس، المرجع السّابق، ص-ص 48-49.

وفي سبتمبر 1569م اتجه العلج علي نحو تونس بحملة عسكرية مكوّنة من خمسة آلاف (5.000) جندي وستة آلاف (6.000) من القبائل، والتقت هذه الحملة مع جيش مولاي حميدة، المُؤلّف من حوالي ثلاثين ألف (30.000) جندي، في باجة، لكن سرعان ما انضمت هذه العساكر إلى العلج علي، بعد أنْ تخلّت عن مولاي حميدة؛ حيث لجأ بعدها إلى الاسبانيين في حلق الوادي واستنجد بهم. في حين استطاع العلج علي دخول مدينة تونس، التي خضعت له دون مقاومة، نهاية سنة 1569م، وقضى فصل الشّتاء في اخضاع المدن السّاحلية والدّاخلية هناك، ثمّ غادرها بعد أنْ ترك على رأسها رمضان باشا رفقة ثلاثة آلاف (3.000) جندي[1]، نحو مدينة الجزائر، التي وصلها منتصف شهر أفريل 1570م[2]، وكان قد أرسل إلى الباب العالي يطلب المساعدة لتحرير حلق الوادي من يد الإسبان، لأنّ هذا الوضع يشكل تهديداً للقوات العثمانيّة في تونس[3]، خاصة وأنَّ مالطة وصقلية كانتا أيضاً تمنحان للإسبان إضافة إلى حلق الوادي موقعاً حصيناً في وسط البحر الأبيض المتوسط[4].

ونظراً لما قدّمه بايلرباي الجزائر العلج علي من خدمات من أجل رفع ضرر الأعداء عن تونس فإنّ أهلها راسلوا السّلطان العثماني سليم الثّاني يشيدون بخدماته، ويعربون عن رضاهم عنه وشكرهم له، بينما ردّ السّلطان العثماني بأنّه عقد النّية من أجل ارسال الأسطول العثماني إلى البحر المتوسط، في الرّبيع القادم، اهتماماً منه بأوجاقات الغرب لرفع ظلم الأعداء وضررهم الواقع على المسلمين هناك[5].

لقد كانت السّنوات التي تلت استعادة العثمانيين لتونس نهاية 1569م عامرة بالأحداث في حوض البحر المتوسط، فقد استطاع السّلطان العثماني سليم الثّاني فتح قبرص سنة 1570م؛ بعد حصار طويل، وكان ردّ الإسبان قاسياً سنة 1571م بانتصارهم عليه في

---

1- أشار ابن أبي دينار بأنّهم ثمانمائة من الترك ومثلهم من الزواوة، **يُنظر:** ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص 196.

2- Fray Diègo de Haedo, Op.Cit, pp 141-143؛ عبد الجليل التّميمي، "**رؤية منهجية...**"، المرجع السّابق، ص-ص 94-95.

3- يبدو أنّ طلبات المساعدة تعددت مصادرها، فبعد العلج علي راسل أهالي تونس السّلطان العثماني بخصوص نفس الموضوع، **يُنظر:** أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 19، حكم رقم 264، بتاريخ: الرّابع (04) صفر 980هـ.

4- جون ب.وولف، المرجع السّابق، ص 114.

5- فاضل بيات، المصدر السّابق، ص-ص 39-40. حول التعاون العثماني مع الإيّالات المغربية في القرن السّادس عشر الميلادي بخصوص قضايا البحر المتوسط، **يُنظر:** Emrah Safa Gürkan, **The centre and the frontier: Ottoman cooperation with the North African corsairs in the sixteenth century,** Turkish Historical Review, N° 01, 2010, pp 125-163.

"معركة ليبانت 1571م"[1]، ضمن الحلف المقدّس، وتوسعت طموحاتهم أكثر، فرغم مراسلة السّلطان العثماني لحكام الإيالات المغاربية يأمرهم بأخذ الاحتياطات من الهجوم التي تخطط له إسبانيا ضدّ الجزائر وتونس، بعد عِلْمِهِ بهذه الاستعدادات عن طريق حكام إيالتي الجزائر وطرابلس الغرب، وحثّه لحكام أوجاقات الغرب على الانتباه واعلامه بكل جديد في المنطقة[2]، إلاّ أنّ هذا التنبيه جاء متأخراً، فقد أبحر "الدون خوان دوتريش ( Don Juan d'Autriche)"[3] ملك النّمسا على رأس أسطول ضخم في أكتوبر 1573م قاصداً سواحل تونس[4].

**ب- الإسبان يعاودون احتلال تونس 1573م:**

يبدو أنَّ الإسبان لم يتقبلوا استعادة العثمانيين تونس سنة 1569م، فراحوا يعدون العدة من أجل احتلالها مرة أخرى، واغتنم الدون خوان دوتريش فرصة تأثر العثمانيين بخسارتهم في معركة ليبانت وقرّر أنْ تكون تونس هدفه الأوّل، فقد توجه نحوها من جزيرة صقلية بحملة بحرية مُؤلَّفة من 138 سفينة تحمل بين خمسة وعشرين (25) ألف وسبعة وعشرين

---

1- من أهم المعارك البحرية التي شهدها البحر الأبيض المتوسط، خلال القرم السّادس عشر (16) ميلادي وقد جرت وقائعها يوم 07 أكتوبر 1571م في خليج ليبانت، الذي يقع في الحوض الشّرقي للبحر المتوسط، بين الأسطول العثماني وأسطول التّحالف المسيحي الذي أشرف على تشكيله البابا بيوس الخامس، وانتهت المعركة بهزيمة الأسطول العثماني، وقد شارك في أحداثها الأسطول الجزائري بقيادة العلج علي، واستطاع الأخير بفضل خبرته وشجاعته انقاذ الأسطول الجزائري وجزء من الأسطول العثماني من ضربات الأعداء، مما جعل السّلطان العثماني يُعيِّنُه قائداً للأسطول العثماني في السّنة الموالية، **يُنظر:** عبد القادر فكاير، "**دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571**"، مجلة المواقف للبحوث والدّراسات في المجتمع والتّاريخ، ع 09، ديسمبر 2014م، جامعة معسكر، ص 415؛ طاهر تومي، **العلاقات الجزائرية الإسبانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، 2015/2014م، ص 123؛ Souhila Markria, **Lepanto; un encuentro de maxima rivalidad entre Felipe II y el mundo osmanli**, OUSSOUR Al jadida, Vol 07, N° 27, Octobre 2017, pp 300-312.

2- أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 10، حكم رقم 6، بتاريخ: الثّاني (02) محرم 979هـ.

3- وُلد في 24 فيفري 1545م، وهو كذلك أخ غير شرعي لِفليب الثّاني ملك إسبانيا، أرسله أخوه للقضاء على ثورة المورسكيين سنة 1568م في غرناطة، كما عُين قائداً عاماً للقوات التي واجهت العثمانيين في ليبانتو، توفي سنة 1578م، رحيمة بيشي وإبراهيم سعيود، "**العمليات الجهادية لأسطول الجزائر العثمانية خلال القرن (10هـ/16م) من خلال وثائق مهمة دفتري؛ دراسة نماذج**"، مجلة دراسات تاريخية، مج 09، ع 01، صفر 1443هـ/ سبتمبر 2021م، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلمية، ص 87.

4- رحيمة بيشي وإبراهيم سعيود، المرجع السّابق، ص 81؛ محمّد عطية، المرجع السّابق، ص 48.

(27) ألف من المقاتلين من جنسيات أوربيّة مختلفة (ايطالية، اسبانية، ألمانية وغيرها)[1]، ودخلها في شهر أكتوبر 1573م دون مقاومة تذكر، وعاث جنوده فيها فساداً بعد أنْ غادرها القائد رمضان باشا وحاميته نحو القيروان، ولاذ سكانها بالبوادي خوفاً من بطش الإسبان[2].

لم تكن نيّة الإسبان إعادة السّلطة في تونس للسّلطان أحمد الحفصي، بل كانوا عازمين على الاستقرار في تونس وابعاد العثمانيين عنها نهائياً، لذلك طلب الدون خوان من السّلطان أحمد الحفصي قبول ممثل للإمبراطور يشاركه حكم تونس، وعندما رفض الأخير العرض، اضطر إلى التّنازل عن العرش لأخيه محمّد الذي قبل بالشّروط الاسبانية[3]. لقد كان احتلال إسبانيا لتونس سنة 1573م ضربة موجعة أخرى للدّولة العثمانيّة، أكّدت للسّلطان سليم الثّاني مدى صحة رأي العلج علي بضرورة اقتلاع جذور الإسبان من حلق الوادي[4]، فراحت تعد العدة لاستعادتها وطرد الإسبان منها ومن حلق الوادي نهائياً.

### ج- تونس إيّالة عثمانية 1574م:

#### 1- الحملة العثمانية لتحرير تونس من الاحتلال الإسباني 1574م:

لعل من الأسباب التي عجّلت بعودة العثمانيين لتحرير تونس نهائياً من قبضة النّصارى الإسبان هو ما نقلته لنا المصادر التّاريخية المختلفة حول ما فعله جنود النّصارى في تونس، حيث استباح هؤلاء جامع الزّيتونة، ونهبوا خزائن الكتب به، ورموا بها في الطّرقات تدوسها العساكر بخيولها[5]، ولهذا أرسل السّلطان سليم الثّاني أمراً إلى والي الجزائر أحمد عرب باشا يُخبره بعزمه على إرسال الأسطول العثماني إلى حلق الوادي وتكليف القابودان العلج علي بهذه المهمة، وطلب منه أنْ يكون على أتم الاستعداد لإعانة الأسطول

1- كان الباب العالي على علم بهذه الاستعدادات، فقد كان على اتصال دائم بحكام أوجاقات الغرب الذين كانوا يطلعونه بكل جديد في المنطقة، وجاء في أحد الفرمانات تفاصيل بخصوص عدد وحدات اسطول الأعداء الذي ينوي احتلال تونس، وهي كالتالي: 230 قادرغة و70 فرقية و 28 بارجية تحت إمرة شقيق ملك اسبانيا المدعو دون خوان دوتريش، **يُنظر**: أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 16، حكم رقم 40، بتاريخ: عشرين (20) جمادى الأولى 979هـ.

2- أحمد توفيق المدني، **حرب** ....، المرجع السَّابق، ص-ص 399-400؛ صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 95.

3- ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص 196.

4- صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 95.

5- ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص 197.

العثماني عند وصوله إلى هناك[1]، وبعد أقل من شهر جدد السّلطان أمره إلى حاكم الجزائر وأرسل فرماناً آخر بشأن الوضع في تونس الذي يقتضي إرسال الجند، حيث جاء في الفرمان الأخير: «لذا آمرك بعدم التواني عن ذلك وإرسال القدر الكافي من العساكر إما بصحبتك شخصيا، أو تحت إمرة قائد كفؤ (كذا) فعليك بالقيام بهذه المهمة بأي وجه كان»[2].

ومع اقتراب موعد الحملة عاود الباب العالي مراسلة حاكم الجزائر منوهاً لضرورة تواجد عساكر الجزائر في هذه المهمة أمره بتجهيزهم وأنْ يجند الفرسان من جميع نواحي إيالة الجزائر إضافة إلى ألف انكشاري أكفاء ومسلحين، وفاق مجموع ما أمر السّلطان بتجهيزه من عساكر الجزائر الألفين بين انكشارية وفرسان العرب، وذكرت الوثيقة الأماكن التي على بايلرباي الجزائر جلب الفرسان منها مثل قسنطينة، بسكرة، بني عباس، المدية، وتنس، إضافة إلى عدد من المدن بأسماء غير مفهومة[3]، وأخبره في فرمان آخر بضرورة الاسراع لملاقاة الوزير "سنان باشا"[4] قائد الحملة، وأنّه أرسل لهم مائة خيمة مع قائد الحملة المذكور يستلمها منه عند وصوله ويوزعها على عساكر الجزائر المرابطين في حلق الوادي[5].

وكذلك فعل مع حيدر باشا أمير القيروان، ولم تخص أوامر السّلطان العثماني حكام الولايات وكبار قادة الأساطيل العثمانيّة، بل شملت كل مَنْ في استطاعته المساعدة، كأمير كوكو[6] الذي أمره بمساعدة حاكم الجزائر في ما تمّ تكليفه به، وتأمين ما يمكن من الذّخيرة والعساكر، والالتحاق بالأسطول الهمايوني في سواحل تونس[7].

---

1- أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 21، حكم رقم 637، بتاريخ: السّادس عشر (16) ذي الحجة 980هـ.

2- أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 21، حكم رقم 779، بتاريخ: الحادي عشر (11) محرم 981هـ.

3- أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 24، حكم رقم 216، بتاريخ: الرّابع عشر (14) ذي الحجة 981هـ، لتفاصيل أكثر حول محتوى هذا الفرمان، **يُنظر:** الملحق رقم 02، ص 322.

4- وزير عثماني أصله من أُسرة "فيسكونتي Visconti" الميلانية، ذو دين وشجاعة ورأي، وأوّل وزير عثماني يغزو شرقاً وغرباً، حيث استطاع اخضاع اليمن لطاعة السّلطان العثماني سنة 1573م، وترأس الحملة التي تمكنت من ادخال تونس تحت الحكم العثماني سنة 1574م مع قائد الأسطول العثماني العلج علي، وهو من نظم شؤون تونس بعد اخضاعها. بقي هذا الوزير يمارس وظيفته في الدّولة حتّى يوم 05 ديسمبر 1582م عندما أقاله السّلطان العثماني بسبب رفضه المساهمة في الحرب ضدّ الفُرس. محمَّد بيرم الخامس، **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**، مج 02، تح: علي بن الطاهر الشنوفي ورياض المرزوقي وعبد الحفيظ منصور، بيت الحكمة، تونس، 1999م، ط 02، ص 413.

5- أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 24، حكم رقم 293، بتاريخ: عشرون (20) ذي الحجة 981هـ.

6- **يُنظر:** أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 23، حكم رقم 783، بتاريخ: الثّامن عشر (18) ذي الحجة 981هـ.

7- زهيرة سحابات، المرجع السّابق، ص-ص 27-28.

تمّ تجهيز حملة ضخمة، وكان الأسطول العثماني تحت قيادة العلج علي، في حين أُسْنِدَتْ قيادة الحملة لِسنان باشا، وقد أرسى هذا الأسطول، الذي يتكوّن مِنْ280 قطعة بحرية[1]، قبالة حلق الوادي يوم 13 جويلية، وانضم إليه حاكم الجزائر عرب أحمد باشا على رأس سبعة قطع بحرية، ووجدوا في انتظارهم قوات قادمة من جربة والقيروان قُدرت بحوالي ستة آلاف (6.000) فارس برئاسة حيدر باشا، ومن طرابلس الغرب حوالي أربعة آلاف (4.000) رجل تحت إمرة مصطفى باشا، بالإضافة إلى أعداد غفيرة من الأهالي من تونس والقيروان وطرابلس وقسنطينة وعنابة وحتّى مِنْ تلمسان وغيرها، وبعد أنْ دعم قائد الأسطول هذه القوات بأربعة آلاف تركي من جنود الأسطول، وبثمانية مدافع من أحجام مختلفة، أمرهم بضرب حصار على تونس[2].

وفي 17 جويلية شرع في قصف حصن حلق الوادي، وصل بعدها رمضان باشا إلى تونس مع خمسة آلاف تركي من الجزائر وعدد كبير من الأهالي؛ يوم 10 أوت، وفي 23 أوت قاموا بهجوم عنيف مكّنهم من الاستيلاء على حصن حلق الوادي، وفي 13 سبتمبر اقتحمت القوات العثمانيّة مدينة تونس[3]، ورجعت بذلك إلى الخلافة العثمانية بشكل نهائي.

لقد كانت جهود الجزائر وحكامها كبيرة في انتقال تونس من حكم الحفصيين إلى التّبعية للدّولة العثمانيّة، ويمكننا القول بأنَّ انضواء تونس تحت الحكم العثماني كان بفضل جهود بايلربايات الجزائر، التي تجسّدت في محاولاتهم المتكرّرة من أجل تحقيق هذا الهدف طوال أربعين سنة، من خير الدّين بربروس إلى العلج علي (ما بين 1534 و1574م)[4].

---

1- أشار "أوزتونا" إلى أنّها 298 سفينة تحمل أربعين ألف (40.000) جندي، بينما ذكر "دان" أنها مائة وستون (160) قادس ومجموعة من السفن، **يُنظر:** يلماز أوزتونا، المرجع السّابق، ص 380؛ Pierre Dan, Op.Cit, p 144.

2- صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 96.

3- المرجع نفسه، والصّفحة.

4- Asma Moalla,Op.Cit, p 04؛ عمار بن خروف، "**نظرة عن العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 01، ع 01، جوان 2001، جامعة الجزائر 02، ص 87.

**2- الاستقرار العثماني في تونس:**

استفاد العثمانيون عند استقرارهم في تونس من الإرث التّاريخي الحفصي، وتمثّل ذلك في المجال الجغرافي الذي كان يتمدد خلال فترات قوّة الدّولة الحفصية إلى قسنطينة وبجاية، بينما ينحصر أثناء فترات الضّعف في الشّمال الخصب والشّريط السّاحلي، ونظراً لهذا الوضع فقد استقر العثمانيون مع نهاية الدّولة الحفصية في الجنوب التّونسي وبعض المدن السّاحلية مثل قابس وصفاقس والمهدية وسوسة، في حين سيطرت الشّابية على وسط البلاد وشمالها الغربي، واستقر الإسبان في سواحل حلق الوادي وبنزرت وطبرقة[1].

وبعد أنْ استطاعت القوات العثمانية هزيمة الإسبان وطردهم من تونس، قام حيدر باشا بنقل مركز الإيّالة من القيروان إلى مدينة تونس، وترك بها العلج علي أربعة آلاف (4.000) جندي اضافي تحت تصرف حيدر باشا، كما أسّس حامية انكشارية من المتطوعين القادمين من الأناضول على شاكلة ما كانت عليه الحاميات الانكشارية في إيّالة الجزائر[2]، وعمل سنان باشا، قبل مغادرته، على إرساء مجموعة من المؤسّسات والرّموز السّياسيّة والإيديولوجية التي تؤكّد تبعيتها للباب العالي، كالدّعاء للسّلطان العثماني على المنابر، وسك العملة في الإيّالة باسمه، ورفع الرّايات العثمانيّة بها[3].

تجدر الإشارة إلى أنّ هناك محاولات حفصية حاول أصحابها استعادة السّلطة في تونس من العثمانيين[4]، فقد ورد في أحد الفرمانات الموجهة إلى حاكم طرابلس الغرب يطلعه فيه على أنّ أحد أولاد حاكم تونس السّابق متواجد في ميناء مدينة تونس وأنّه يحاول إثارة الفتن والقلاقل في الولاية عن طريق مكاتبة اللّصوص والأشقياء وقد لقي التأييد منهم وهدفه من ذلك الاستيلا على إيّالة تونس، ويطلب منه عند وصول الفرمان أنْ يقوم بمساعدة حاكم تونس على استئصال هذه الشرذمة (الأمير الحفصي وأتباعه)، وإرسال عدد من الجنود

---

1- المنصف التايب، "**المجال والسّلطة في البلاد التونسية خلال العهد العثماني**"، مجلة روافد، ع 04، 1998م، المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، تونس، ص ص 11، 23.

2- الصغير بن يوسف، **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي**، مج 01، (تق) و(تح): أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، 1998م، ط01، ص 16؛ يلماز أوزتونا، المرجع السّابق، ص 381.

3- عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 98؛ ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 105.

4- حول هذا الموضوع، **يُنظر:** شارل مونشيكور، المرجع السّابق، ص-ص 229-256.

للمساعدة في القضاء على الفئة المذكورة، كما أخبره أنّ القابودان العلج علي علم بالأمر وهو الآن متواجد بتلك النواحي وسوف يكون عوناً لكم[1].

**ثانياً- حقيقة اسناد حكم إيّالة تونس لبايلربايات الجزائر 1569-1587م:**

في الحقيقة أسالت هذه النّقطة الكثير من الحبر، بسبب انقسام آراء الباحثين والمؤرخين بين مؤيد لفكرة تبعية تونس لإيّالة الجزائر منذ انضوائها تحت الحكم العثماني سنة 1569م وإلى غاية 1587م، وبين معارض لها، وقد استطاع الأستاذ "محمّد عطيّة" والأستاذة "زهيرة سحابات" جمع آراء الباحثين المختلفة حول هذه القضية في دراستيهما[2]، وما حتّم علينا إعادة طرحها هنا هو ارتباطها الوثيق بموضوع الدّراسة.

والمتفق عليه بين الباحثين هو تبعية تونس إلى إيّالة الجزائر خلال الفترة ما بين 1569م؛ الذي يُمثّل التّحرير الثّاني لها من الإسبان، و1572م؛ وهو تاريخ إعادة احتلالها من طرفهم مرة أخرى، والمراسلات التي تمت بين الباب العالي وأعيان وحكام أوجاقات الغرب تحوي الكثير من الإشارات الدّالة على ذلك.

وسنحاول إدراج بعض الأمثلة التي تُثبت ذلك، ففي فرمان سلطاني موجه إلى والي طرابلس الغرب جعفر باشا يحمل تاريخ 979هـ (1572م)، بخصوص المناطق المتنازع عليها بين ولايتي طرابلس الغرب وتونس[3]، إشارة واضحة لتبعية تونس للجزائر حيث ورد

---

1- أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 42، حكم رقم 85، بتاريخ: 925هـ. يجب التنويه إلى أنّ هناك خطأً في تاريخ الفرمان، وذلك لأنّه تمّ ذكر القابودان العلج علي في هذا الفرمان، والعلج علي تقلد منصب القابودان سنة 979هـ، كما أنّ طرابلس الغرب وتونس لم تكونا سنة 925هـ /1519م إيّالتين تابعتين للدّولة العثمانية بعد.

2- **يُنظر كلاً من:** محمّد عطية، المرجع السّابق، ص-ص 52-56؛ وزهيرة سحابات، المرجع السّابق، ص-ص29-31.

3- هذه المناطق هي سوسة، المنستير، القيروان، قفصة، توزر، نفطة وأيضاً قابس وصفاقس، وبقيت مدّة من الزّمن محل نزاع بين حكام الولايتين، يحاول كل وال اثبات أحقيته التّاريخية في هذه المناطق وتبعيتها لولايته، حول هذا الموضوع، **يُنظر:** أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 14، حكم رقم 62، بتاريخ: 979هـ؛ أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 14، حكم رقم 1597، بتاريخ: الثّامن عشر (18) محرم 979هـ؛ أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 16، حكم رقم 637، بتاريخ: الثّاني والعشرين (22) جمادى الأولى 979هـ؛ أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 36، حكم رقم 621، بتاريخ: السّادس (06) ربيع الأوّل 987هـ؛ أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 46، حكم رقم 178، بتاريخ: 989هـ؛ فاضل بيات، المصدر السّابق، ص-ص 105-124. والملاحظ من التّواريخ الواردة في المصادر المذكورة أنّ هذا النّزاع تواصل لأكثر من عشرين سنة (979-1002هـ/1572-1588م).

فيه ما نصه: «أرسلت خطابا تعرب فيه عن أنّ ضم اثنتين أو ثلاثة نواح من أعمال طرابلس إلى ولاية تونس التابعة للجزائر قد تسبب باحداث اضطراب بين الفقراء وأضر أيضا بواردات طرابلس وقد أرسل علماء وأعيان تونس وطرابلس بمحضر إلى سدة سعادتنا، أعربوا فيه عن عدم رضا أهالي تلك النواحي بضمهم إلى طرابلس، وأنهم يفضلون الانتماء إلى الجزائر وبالإضافة إلى ذلك فانهم يشكون من ظلم وتعدي رجالك على الفقراء ولهذا السبب، أمرنا بالابقاء على تلك النواحي تابعة لقلم (كذا) الجزائر»[1]، وفي فرمان آخر صادر إلى القائد رمضان وكيل بايلرباي الجزائر العلج علي، حيث جاء الأمر بضبط مناطق سوسة والقيروان والمنستير وبلاد الجريد وبنزرت باسم المشار إليه، ويقصد الفرمان العلج علي[2].

أمّا بخصوص آراء المؤرخين، فقد أشار الأستاذ بن خروف إلى أنَّ تونس، خلال فترة ولاية العلج علي على الجزائر (1568–1572م)، أصبحت مقاطعة تابعة للجزائر، باستثناء بعض الجهات الجنوبية التّابعة لطرابلس الغرب، وحلق الوادي الواقعة تحت نفوذ الإسبان[3]، ووافقته الرّأي الأستاذة بن سليمان في أكثر من موضع في دراستها التي أشرنا إليها سابقاً[4]، وكذلك الحال بالنّسبة للأستاذ هلايلي والأستاذ عبّاد[5]، ومعظم المصادر التي بين أيدينا تؤكّد هذا الرّأي.

أمّا الاختلاف، فنجده حول الفترة ما بين 1574م؛ ويدل على تاريخ انضواء تونس بصفة نهائية تحت الحكم العثماني، و1587م؛ وهو تاريخ تغيير نظام الحكم في الإيالات المغربية إلى نظام الباشاوات، فقد اعتبرت الفئة الأولى هذه الفترة امتداداً للفترة السّابقة في تبعية تونس إلى إيّالة الجزائر، وأشاروا إلى أنّ الباب العالي جعلها تحت تصرف بايلربايات الجزائر، خاصة وأنّ العلج علي احتفظ بمنصب بايلرباي الجزائر، بعد تعيينه قائداً عاماً

---

1- أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 14، حكم رقم 1597، بتاريخ: الثّامن عشر (18) محرم 979هـ؛ فاضل بيات، المصدر السّابق، ص–ص 106–107.

2- فاضل بيات، المصدر السّابق، ص–ص 95–97.

3- عمار بن خروف، "**نظرة عن العلاقات...**"، المرجع السّابق، ص 85.

4- فاطمة بن سليمان، **الأرض والهوية (نشوء الدولة الترابية في تونس 1574–1881)**، منشورات Edisciences، تونس، 2009م، د.ط، ص ص 51، 53، 54، 63، 64.

5- حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى، الجزائر، 1429هـ/2008م، ط 01، ص 44؛ صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 94.

للأسطول العثماني سنة 979هـ/1572م وإلى غاية وفاته سنة 1587م، وأنّ حكام تونس وطرابلس الغرب ظلوا تحت إمرته إلى غاية تاريخ وفاته الذي أشرنا إليه[1].

أمّا الفئة الثّانيّة فقد رأت بأنّ انتصار سنان باشا على الإسبان في تونس، وقضائه نهائياً على الحكم الحفصي بها، وتعيين حيدر باشا حاكماً عليها برتبة بايلرباي، وكان قبلها حاكماً على مدينة القيروان، حيث أقرّ الباب العالي تبعيتها له بشكل مباشر، وأكسبتها هذه الإجراءات وضعها الجديد ككيانٍ مستقلٍ عن الإيالتين المجاورتين منذ 1574م تاريخ تحريرها النّهائي من الاحتلال الإسباني[2]، بينما ذهبت الأستاذة "بن سليمان" إلى أبعد من ذلك حين أشارت إلى أنّ السّلطان العثماني جعل إيّالة طرابلس الغرب ما بين 1574-1577م تابعة لإيّالة تونس، وتحت حكم حيدر باشا[3]، بينما ذكر "بيات" أنّه تمّ دمج الإيالتين إدارياً بعد وفاة مصطفى باشا والي طرابلس سنة 1574م وبقي الوضع على حاله إلى غاية سنة 1577م حيث أعاد السّلطان العثماني فصلهما، وعيّن حسن باشا والياً على طرابلس الغرب، في حين ترك لحيدر باشا حكم تونس[4].

أمّا إذا تفحصنا الفرمانات المرسلة من الباب العالي إلى شخصيات مختلفة لها دورها في منطقة بلاد المغرب خلال هذه الفترة فنجد شيئاً مختلفاً تماماً، فالمثال الأوّل موجه إلى أحمد باشا، حيث أُبلغ فيه بتفويضه لحكم إيالة الجزائر[5]، وبعد اعلامه بتقليد العلج علي

---

1- حول هذا الموضوع، **يُنظر**: توفيق البشروش، المرجع السّابق، ص-ص 29-30؛Asma Moalla, Op.Cit, p 06؛ محمّد خير فارس، المرجع السّابق، ص 56؛ جون ب.وولف، المرجع السّابق، ص-ص 114-115. بينما ربط بوعزيز ثورة الجند في تونس سنة 1590م بانفصال تونس عن إيّالة الجزائر. يحي بوعزيز، **الموجز**...، المرجع السّابق، ص-ص 50-51.

2- عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص 275؛ حنيفي هلايلي، **أوراق**...، المرجع السّابق، ص 44، 45؛ عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 98؛ فاطمة بن سليمان، المرجع السّابق، ص ص 51، 53-54، 64.

3- فاطمة بن سليمان، المرجع السّابق، ص-ص 54-55؛ غير أنّ الفرمان الصادر بهذا الشّأن لا يشير إلى تبعية طرابلس الغرب إلى ولاية تونس، وجاء الأمر بتوجيه حكم طرابلس الغرب إلى حيدر باشا أمير أمراء تونس، أي أنّ المشار إليه حيدر باشا أصبح حاكماً للولايتين معاً، **يُنظر**: أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 25، حكم رقم 3106، بتاريخ: السّابع والعشرين (27) شعبان 982هـ.

4- فاضل بيات، **الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً (مطلع العهد العثماني- أواسط القرن التاسع عشر)**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007م، ط 01، ص ص 573، 581.

5- صدر فرمان إلى أحمد عرب باشا بالتّوجه إلى إيّالة الجزائر خلفاً للعلج علي الذي أصبح قائداً للأسطول العثماني، **يُنظر**: أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 12، حكم رقم 1004، بتاريخ: الثّالث والعشرين (23) شوال 979هـ.

قيادة الأسطول الهمايوني برتبة قبودان، وإبقاء تونس تحت إمرته، وأنّ الأخير أبقى على القائد رمضان كوكيل له على تونس[1]، مثلما هو الأمر منذ 1569م، بعدها أمر السّلطان "أمير أمراء جزائر الغرب الجديد"[2] بالتوجه إلى الإيّالة المذكورة وبضرورة التّعاون مع القائد رمضان كلما دعت الحاجة إلى ذلك[3]، أمّا الفرمان الثّاني الذي أُرسل إلى انكشارية إيالة جزائر الغرب، وبعد إشادته بهم، أخبرهم فيه بشأن قراره الذي شمل تولية العلج علي والقائد رمضان الذي أشرنا إليه، وأبلغهم بتولية أحمد عرب باشا على ولاية الجزائر، وأشار الفرمان كذلك إلى تسلم العلج ولاية جزائر البحر الأبيض المتوسط برتبة بايلرباي [4].

وما يمكن أنْ نستخلصه من دراسة هذه الفرمانات هو أنّ منذ سنة 979هـ/1572م تقلّد العلج علي قيادة الأسطول العثماني وولاية جزائر البحر المتوسط، بينما أوكلت إيّالة جزائر غرب إلى البيلرباي أحمد عرب باشا، ولم يذكر أي من هذه الفرمانات قضية تولية أحمد عرب باشا ولاية جزائر الغرب كوكيل عن العلج علي مثلما كان أمر القائد رمضان على تونس، إذن فالعلج علي منذ 1572م لم يعد حاكماً على الجزائر كما تصوره بعض الدّراسات، ومن الممكن أنّ الأمر التبس على بعض الباحثين بسبب ربط الفرمانات اسم العلج علي بولاية الجزائر، ولكن الفرمانات تذكر إيّالتين باسم الجزائر (جزائر البحر الأبيض المتوسط أو بحر السفيد وإيّالة جزائر غرب)، والمقصود بإيّالة جزائر البحر الأبيض المتوسط

---

1- كما أبلغ الباب العالي القائد رمضان بتجديد ولايته على تونس كوكيل للقبودان العلج علي في فرمان خاص أُرسل للمعني، وجاء هذا الفرمان بناءً على مراسلة أهالي تونس للسّلطان العثماني أشادوا فيها بالقائد رمضان وبكفاءته في إدارة ولاية تونس والتمسوا الابقاء على المشار إليه في منصبه، **يُنظر**: أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 18، حكم رقم 287، بتاريخ: التّاسع عشر (19) شوال 979هـ.

2- تجدر الإشارة إلى أنّه تمّ تعيين حسن بن خير الدّين باشا حاكما على إيّالة جزائر الغرب خلفاً للعلج علي، إلاّ أنّ حسن باشا توفي قبل مغادرة استانبول بسبب مرض ألمّ به، وأُختير بعده أحمد عرب باشا لإدارة الجزائر، **يُنظر**: فاضل بيات، **البلاد العربية في الوثائق العثمانية: ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/ السّادس عشر الميلادي**، مج 08، (تق): خالد أرن، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، 2019م، د.ط، ص 188.

3- أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 12، حكم رقم 1074، بتاريخ: الرّابع (04) ذي االقعدة 979هـ.

4- أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 12، حكم رقم 1088، بتاريخ: السّابع (07) ذي القعدة 979هـ؛ فاضل بيات، **البلاد العربية**...، المصدر السّابق، مج 08، ص-ص 75-76.

الجزر الواقعة في شرق البحر الأبيض المتوسط[1]، والتي يسيطر عليها العثمانيون وعاصمتها غاليبولي، وأصبحت منذ التّاريخ المذكور تحت إمرة العلج علي، أمّا جزائر الغرب فيقصد بها إيّالة الجزائر التي تنتمي إلى بلاد المغرب.

ومنذ تولي العلج علي قيادة الأسطول الهمايوني أصبحت إدارة إيّالة جزائر غرب مستقلة، وذلك حسب فرمان مُرسل إلى أمراء ولاية جزائر غرب وأعيانها وأغاواتها وقادتها[2]، وقد علّق الأستاذ "بيات" على ذلك، حيث ذكر بأنّ ولاية جزائر غرب كانت تُسند إلى القبودان الذي كان يُعين عليها مندوباً أو وكيلاً عنه لإدارة شؤونها المختلفة، خاصة عندما يكون القبودان في حملة عسكرية أو في مهمة إلى مركز الإيّالة، وكان إجراء دمج القبودانية مع ولاية جزائر غرب مطلوباً في بداية تثبيت دعائم الحكم العثماني في منطقة المغرب، وانتفت الحاجة إلى ذلك بعد ترسيخ هذا الحكم في المنطقة، وبسبب أنّ المنطقة ظلت مستهدفة من طرف الإسبان وقراصنة الدّول الأوروبية فإنّ الدولة العثمانية اتخذت قراراً بفك هذا الارتباط وتعيين والٍ مستقل لإدارة شؤون إيّالة جزائر الغرب، لأنّ هذه الولاية بصفتها دار حرب لا يمكن إدارتها عن طريق وكيل يتلقى الأوامر من والٍ لا يمكن الوصول إليه عند الحاجة، واختارت أنْ يكون أمير أمراء جزائر الغرب متفرغاً لإدارتها وبإمكانه التّعامل مع المستجدات والمخاطر التي قد تتعرض لها ولايته[3].

ونستنتج مما أوردناه بأنّه منذ 1572م أصبحت تونس تابعة لبيلرباي جزائر البحر المتوسط، بينما فُصلت إدارة جزائر غرب عن قبودان الأسطول الهمايوني، وبالتّالي فتبعية تونس للجزائر غير ممكنة، والإيّالتان كانتا منفصلتين إدارياً وبقيتا كذلك إلى غاية وفاة العلج علي سنة 1587م، وإصدار السّلطان فرماناً يلغي به نظام البيلربايات وتكوين ثلاث باشويات في منطقة المغرب، إلاّ أنّ ذلك لا ينفي أنّ تونس قبل وفاة العلج علي ظلت تحت هيمنة بايلبرايات الجزائر، خاصة وأنّ هؤلاء كانوا يحكمون أقدم وأقوى إيّالة في المنطقة.

---

1- خليفة حماش، **وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني: مراسلات وكلاء الجزائر بالخارج**، ج 01، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1437هـ/2016م، ط 02 ص 339.

2- فاضل بيات، **البلاد العربية**...، المصدر السّابق، مج 08، ص-ص 36-37.

3- المصدر نفسه، ص-ص 35-36.

**ثالثاً- قراءة في فرمان السُّلطان مراد الثّالث بخصوص تغيير نظام الحكم في بلاد المغرب:**

**أ-أسباب تغيير نظام الحكم في إيالات بلاد المغرب سنة 1587م:**

**1- تراجع حدّة الصّراع العثماني-الإسباني في غرب البحر المتوسط:**

شهدت فترة السّبعينات والثّمانينات من القرن السّادس عشر الميلادي بداية تراجع القوّة البحريّة العثمانيّة خاصة بعد هزيمتها في ليبانت 1571م، وانشغل العثمانيون بحروبهم في الشّرق ضدّ الفرس، كما عرفت إسبانيا، خلال نفس الفترة، ظروفاً مشابهة، فقد كانت هي الأخرى منشغلة في المحيط الأطلسي وغرب أوروبا في صراعها مع هولندا وفرنسا وانجلترا، وبالتالي تراجع تهديدها وخطرها عن شمال افريقيا، وخفت معها حدّة الصراع بينها وبين العثمانيين، ودخل الطّرفان في مفاوضات لوضع حد للصّراع الدائر بينهما في البحر المتوسط[1].

**2- قوّة ونفوذ البايلربايات:**

لقد تمتع بايلربايات الجزائر بسلطة وصلاحيات واسعة تخطت حدود اقليمهم إلى كل من تونس وطرابلس الغرب بتفويض من الباب العالي، إضافة إلى ذلك فإنَّ فترة حكم البايلربايات لم تكن محددة بمدّة معينة، هذه الصّلاحيات أدخلت نوعاً من الخوف على قلب السّلطان وديوانه الهمايوني من انفصال بلاد المغرب عن السّلطة المركزية في إسطنبول[2]، خاصة وأنّ فترة هؤلاء البايلربايات شهدت ازدهار الغزو البحري وتكاثر الغنائم، واستطاعوا بفضل ذلك أنْ يدعموا حكمهم في المنطقة ويتدخلوا في شؤون الأقطار المجاورة، وقد دفع هذا النّفوذ المتزايد لهؤلاء الحكام الباب العالي إلى تعويضهم بالباشوات، لا سيما وأنّ نهاية القرن السّادس عشر للميلاد شهدت تراجع الصّراع العثماني الاسباني في حوض البحر الأبيض المتوسط، أمّا السّعديون في المغرب الأقصى فقد فضّلوا الصّلح والمهادنة مع إيالة الجزائر [3].

---

1- محمّد خير فارس، المرجع السّابق، ص 58.

2- دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السّابق، ص 41؛ محمّد خير فارس، المرجع السّابق، ص 59.

3- ناصر الدّين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، **الجزائر في التاريخ العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، د.ط، ص 15.

وما أجج خوف السّلطان العثماني من انفصال بلاد المغرب مساعي الفرنسيين لدى الباب العالي، حيث نسب هؤلاء إلى العلج علي مشروع تكوين مغرب كبير موحد من المحيط الأطلسي إلى الحدود المصرية، ولأنّ العلج علي كان رئيس الحزب البحري المنبثق من التّجربة المغاربية داخل الحكم العثماني، ولأنّه كذلك بقي مرتبطاً بالإيالات المغربية فإنّ مساعي الفرنسيين وجدت الدّعم من الحزب البري (الانكشارية) في الحكومة العثمانية[1].

وقد لعب الانكشارية دوراً كبيراً في هذا المسعى، حيث أنّهم أوهموا الدّيوان الهمايوني بأنّ بايلربايات الجزائر يخططون للانفصال عن الدولة العثمانية، لأنهم فكروا في إنشاء جيش جديد يكون ولاؤه للبايلربايات وليس للسّلطان العثماني، فقد انتقم الانكشارية بهذا التّصرف من البايلربايات لسعي الفئة الأخيرة في كبح جماحهم حين تدخّلوا في شؤون الإدارة، وكثرت تمرداتهم وشغبهم ومطالبهم الزّائدة [2].

ونستطيع القول بأنّ فئة الانكشارية في الجزائر ضربت عصفورين بحجر واحد، فمن جهة أفشلت خطة البايلربايات في السّيطرة عليهم، واستطاعت من جهة أخرى دفع السّلطان العثماني والدّيوان الهمايوني إلى استصدار فرمان يقضي بفصل باشويات بلاد المغرب إدارياً، ومن الممكن أنّ انتظار السّلطان العثماني وفاة العلج علي سنة 1587م لتغيير نظام الحكم يُعَبِرُ عن مدى النّفوذ الذي يتمتّع به أصحاب المناصب الرّفيعة من أمثال البايلربايات في الدولة العثمانية.

**3- رغبة الباب العالي في إعادة سيطرته المباشرة على بلاد المغرب:**

كان الباب العالي يبحث عن نظام يعيد بواسطته نفوذه على إيالات بلاد المغرب، وتقليص نفوذ البايلربايات، ووجد ذلك في ضبط مدة حكم هؤلاء بثلاث (03) سنوات، وأُطلق عليه نظام الباشوات، وذلك حتّى لا يكتسبوا نفوذاً أو امتيازات يستطيعون بواسطتها الانفصال عن الدولة العثمانية، خاصة مع بُعد هذه النيابات عن القسطنطينية [3]، كما أنّ الصّدر الأعظم كان يرى بأنّ جمع إدارة أوجاقات الغرب الثلاث (الجزائر-تونس- طرابلس الغرب)

---

1- المنور مروش، المرجع السّابق، ص 257.

2- فاضل بيات، **الدولة العثمانية**...، المرجع السّابق، ص 548.

3- يحي بوعزيز، **الموجز**...، المرجع السّابق، ص 34، 35؛ عمار بن خروف، **العلاقات**...، المرجع السّابق، ص 56.

بإيّالة واحدة، هي الجزائر يمثل خطراً على وحدة الإدارة العثمانية، ومن هذا المنطلق تمّ اتخاذ قرار فصلها[1].

**ب- محتوى الفرمان:**

أصدر السّلطان مراد الثّالث فرماناً يقضي بفصل الولايات الثّلاث (الجزائر، تونس وطرابلس الغرب) عن بعضها البعض، وأكّد الفرمان على استقلالية كل واحدة عن الأخرى، ووضع هذا الفرمان أمير كل ولاية من هذه الولايات الثّلاثة في مسؤولية مباشرة أمام الدّيوان الهمايوني، وبهذا الإجراء تكون الدولة العثمانية قد فكرت في تأمين وحدة الإمبراطورية، حيث منعت بقاء إدارة بلاد المغرب كلها بيد شخص واحد ولمدة طويلة، وغدت هذه الإيّالات مثل بقية الولايات العثمانية الأخرى، وطُبقت عليها النّظم العثمانيّة القاضية بتبديل باشواتها خلال فترة زمنية معينة[2].

ولقد جاءت نتيجة هذا التّعديل عكسية، فقد ضعف نفوذ السّلاطين العثمانيين في إيالات بلاد المغرب، ومع مرور الوقت ظهرت ميول استقلاليّة لهذه الإيالات عن الباب العالي تدريجياً، لأنَّ الباشوات لم يكونوا كالبايلربايات من أصحاب الشّخصيات القويّة ومن ذوي الكفاءة، إلاّ نادراً، فقد كان هَمُ معظم الباشوات جمع الثّروات والعودة إلى إسطنبول[3]، لأنّ المنصب الجديد خضع إلى منطق البيع دون مراعاة للصّفات الواجب توفرها فيمن يُختار لتولي هذا المنصب، وقد عرَّض هذا الإجراء إيالات بلاد المغرب إلى الخطر، وساهم مع مرور الزّمن في ظهور حكومات تصارعت فيما بينها، في ظِل ضُعف الرّوابط بينها وبين الدولة العثمانية[4].

---

1- فاضل بيات، **الدولة العثمانية ...**، المرجع السّابق، ص 549.

2- عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص 276؛ آرجمنت كوران، **السّياسة العثمانيّة تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، (تر): عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970م، د.ط، ص 25.

3- آرجمنت كوران، المرجع السّابق، ص 25.

4- عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص 276.

## خلاصة الفصل:

ظهر العثمانيون على مسرح الأحداث في حوض المتوسط الغربي، مع بداية القرن العاشر هجري/السّادس عشر ميلادي، وهي فترة استثنائية كانت فيها بلاد المغرب تعاني من ضعف عام، وتكالب أيبيري انتهى باحتلاله معظم سواحلها. ولكن تظافر جهود العثمانيين مع العنصر المحلي حرّر المنطقة وأدخلها تحت النّفوذ العثماني، الذي حماها من التّوسع الاستعماري بعد سقوط غرناطة، وكانت الجزائر أولى الإيّالات العثمانية في بلاد المغرب، وصاحبة الفضل في تبعية تونس وطرابلس الغرب للباب العالي، ما جعل نفوذ حكامها يمتد إلى الإيالتين المجاورتين إلى غاية 1587م عندما قرّر السّلطان العثماني تغيير نظام الحكم في المنطقة، وجعلها باشويات منفصلة تتبع كل منها الباب العالي مباشرة.

فهل جلب النّظام الجديد الاستقرار والازدهار لإيّالة تونس خاصة وأنّها مثّلت الحلقة الأضعف بين الإيالات المغربية الثلاثة وقتئذ؟ أم أنّه أدخلها في دوامة من الصّراعات والأزمات السّياسية؟

# الفصل الثّاني:

# أزمات إيّالة تونس السّياسيّة 1587-1830م

**المبحث الأوّل:**

**الأزمات السّياسيّة في تونس خلال عهد الدّايات**

**1591- 1631م**

**المبحث الثّاني:**

**أزمات تونس السّياسيّة خلال العهد المرادي 1631-1702م**

**المبحث الثّالث:**

**أزمات تونس السّياسيّة من قيام الأسرة الحسينية 1705م**

**إلى 1830م**

إنّ إيّالة تونس بعد انضوائها تحت الحكم العثماني، أرسى بها هذا الحكم مجموعة من المؤسّسات تسهر على إدارة شؤونها، لكن ومع نهاية القرن السّادس عشر ميلادي، وبسبب ضعف الباشاوات، ممثلي السّلطان العثماني في الإيّالة، دخلت هذه المؤسّسات في سباق محموم من أجل الاستئثار بالسّلطة والنّفوذ داخل الإيّالة، حيث سيطرت الطّائفة العسكرية، على السّلطة منذ 1591م، وأصبح الدّاي الحاكم الفعلي للإيّالة، لكن البايات استغلوا نفوذهم الواسع على دواخل البلاد، بحكم وظيفتهم، وسيطروا على مقاليد الحكم وأقاموا أُسراً توارثت السّلطة بداية من سنة 1631م عندما ظهرت الأسرة المرادية على يد مراد الأوّل، ثمّ الأسرة الحسينية على يد مؤسِّسها حسين بن علي التّركي مع بداية القرن الثّامن عشر (18م).

وبإرساء الحكم الوراثي في إيّالة تونس، والذي كان الأمل في استقرار الأوضاع بالإيّالة، إلاّ أنّ هذا الاستقرار كان ظرفياً وارتبط عادة في تونس بفترة حكم مؤسّس الأسرة وخليفته على أكثر تقدير، ليبدأ بعدها التّنافس على السّلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة، ودخلت البلاد بسببها في أزمات سياسية اختلفت فيما بينها من حيث طول عمر الأزمة وأثرها على الأوضاع في الإيّالة، فقد ناهز عُمر بعض هذه الأزمات ربع قرن من الزّمن، لم تعرف فيه تونس الاستقرار، إضافة عن نتائجها الكارثية على البلاد والعباد، ودارت بين أطراف الصّراع حروب دامية ساهمت في إضعاف الإيّالة بشكل كبير، وأدت كثرة هذه الأزمات وتتابعها إلى القضاء على الأسرة نفسها وزوالها وقيام أسرة حاكمة جديدة على غرار الأسرة الحسينية التي خلفت الأسرة المرادية التي مزقتها الصّراعات على السّلطة بين أبنائها.

إلاّ أنّ الأسرة المرادية لم تكن استثناءً في تاريخ تونس الحديث، فالأسرة الحسينية كذلك شهدت الصّراعات على السّلطة بين أفرادها، بعد فترة استقرار دامت حوالي عقدين من الزّمن، لتنطلق الحروب بين العم وابن أخيه بداية من سنة 1728م، ولم تعرف الإيّالة نوعاً من الاستقرار إلّا مع الثّلث الأخير من القرن الثّامن عشر (18) ميلادي.

وبسبب الحروب الدّامية التي دارت بين أطراف الصّراع خلال القرنين السّابع عشر (17) والثّامن عشر (18) استنجد على إثرها كل طرف بجيرانهم في الجزائر سواء السّلطة العثمانية الحاكمة أو القبائل الجزائرية المتمركزة على الحدود بين الإيالتين من أجل كسب الدّعم وحسم الصّراع لصالحه، في حين تدخّلت الأطراف الجزائرية من حين لآخر مع من يحقق مصالحها ورغباتها.

## المبحث الأوّل: الأزمات السّياسيّة في تونس خلال عهد الدّايات 1591-1631

### أولاً- "أزمة"[1] السّلطة وقيام حكم الدّايات سنة 1591م في تونس:

### أ- جذور الأزمة:

تُشير المصادر إلى عدم استقرار سياسي في تونس صَاحَبَ محاولة السّلطان مراد الثّالث تغيير نظام الحكم في بلاد المغرب سنة 1587م، بإصداره فرماناً يقضي بإنشاء ثلاثة ولايات مستقلة عن بعضها، وعلى رأس كل واحدة منها حاكم برتبة باشا؛ لا تتجاوز مدة حُكمه ثلاث (03) سنوات، ويتبع مباشرة الباب العالي، ولا أدّل على ذلك من انقلاب أكتوبر سنة 1591م في تونس؛ والذي حصل بعد حوالي أربع (04) سنوات من صدور هذا القرار.

في الحقيقة، يُعتبر هذا "الانقلاب"[2] مرحلة متقدّمة من مراحل "الصّراع"[3] على النّفوذ والسّلطة بين المؤسّسات السّياسيّة في إيّالة تونس، منذ إلحاقها بالإمبراطوريّة العثمانيّة سنة 1574م، وقد رَتَّب "الأستاذ هنيّة" هذه المؤسّسات فجعل على رأسها "الباشا"[4]، ثمّ يأتي

---

1- ليس هناك تعريف شامل ودقيق للأزمة، وتختلف تعريفاتها حسب نوع الأزمة ومسبباتها، كما يعد مفهوم الأزمة من بين المفاهيم المتقلبة والتي جرى الخلط بينها وبين مفاهيم أخرى كثيرة، إلا أنّ هذا المصطلح أصبح الأكثر شيوعاً وملائمة لكل ما هو صعب على جميع المستويات، وما يهمنا هنا هو الأزمة السّياسية والتي تعددت تعريفاتها كذلك، ومن بين هذه التّعريفات أنّها الحدث أو الموقف الذي يشكل تهديدا للدّولة سواءً على أراضيها، أو على مواطنيها، كما يمكن أن يتطور الحدث بسرعة وينجم عنه ظروف ديبلوماسية واقتصادية وسياسية وعسكرية، **يُنظر:** محمَّد عبد الله المرعول، **الأزمات مفهومها أسبابها وآثارها ودورها في تعميق الوحدة الوطنية**، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض، 1435هـ/2014م، ط 01، ص ص 20، 29-30.

2- هو عمل مفاجئ وعنيف تقوم به فئة أو مجموعة من الفئات من داخل الدّولة، ضدّ السّلطة الشرعية بهدف الاستيلاء على السّلطة، وتكون هذه الفئة أو المجموعة في معظم الأحيان من الجيش، للمزيد من التّفاصيل، **يُنظر:** عبد الوهاب الكيالي وآخرون، **موسوعة السياسة**، ج 01، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985م، د.ط، ص 372.

3- وهو تنافس أو صدام بين قوتين اثنتين أو أكثر سواء كانت هذه القوى أشخاص طبيعيين أو معنويين كالشّركات والمؤسسات والدّول، يحاول فيه كل طرف تحقيق أهدافه ومصالحه عبى حساب الطّرف الأخر بشتى الطّرق والوسائل، والصّراع ظاهرة طبيعية في الحياة والمجتمعات وفي كل الميادين قد يكون مباشراً أو غير مباشر سلمياً أو مسلحاً، ظاهراً أو كامناً، **يُنظر:** عبد الوهاب الكيالي وآخرون، **موسوعة السياسة**، ج 03، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985م، د.ط، ص 632.

4- يعين من طرف الباب العالي وهو نائب السّلطان في الإيّالة، ويكون من أصل تركي، تراجعت مكانة الباشا في تونس شيئاً فشيئاً، وأصبح الشّخصية الثّالثة في البلاد بعد الباي والدّاي، ولم يبق له من السّلطة والنّفوذ سوى الاسم وبعض التّشريفات. جون إندريه بيسونال، **الرحلة إلى تونس (1724)**، (تر) و(تح): محمد العربي السنوسي، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003م، د.ط، ص 51. وتجدر الاشارة إلى أنّ هذا المنصب لم يبق حكراً على الأتراك، فقد تولاه بعد ذلك الأعلاج والكراغلة، مثل مراد الأول؛ مؤسس الأسرة المرادية وأبناؤه، ثمّ علي باشا ابن أخ مؤسس الأسرة الحسينية.

"الآغا"[1] (رئيس الدّيوان)، وبعدهما مؤسّسة القاضي، في حين أشار إلى أنّ "الدّيوان"[2]؛ باعتباره مؤسّسة سياسيّة وعسكريّة، قد احتلّ مرتبة متأخّرة في سُلَّم مؤسّسات إيّالة تونس، حيث لم يكن لها في البداية مكانة هامة، وكانت مهامها محدودة مقارنة بالمؤسّسات السّياسيّة الأخرى[3]، لكن سرعان ما تغيّر هذا الوضع، حيث تعاظمت سلطة ديوان الجند شيئاً فشيئاً، وأصبح مع مرور الزّمن صاحب السّلطة الحقيقيّة في تونس إلى غاية الثّلث الأوّل من القرن السّابع عشر ميلادي.

ولقد ساعد عامل الاستقرار طائفة الانكشاريّة، التي تمكّن آغواتها من الاستحواذ على مواقع السّلطة والنّفوذ تدريجياً من أيدي الباشوات القادمين من إسطنبول لحكم الإيّالة؛ لمدّة لا

---

1- هو مصطلح من أصل فارسي، ويعني السّيد، وقد استعمله الأتراك لدلالات كثيرة، منها صاحب المنصب الكبير، وكان هذا اللّقب مهما للغاية في عهود القوة والنّفوذ، ويرمز في الأوجاق إلى القائد العام للجيش البري، وهو أقدم جندي في الوجاق، وذكر "دان" بأنّ هذه الرّتبة تعادل رتبة "عقيد (كلونيل)" في الجيوش الأوروبيّة، **يُنظر:** سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التّاريخية**، (مر): عبد الرزاق محمد حسن بركات، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1421هـ/ 2000م، ص-ص 15-16؛ Pierre Dan, Op.Cit, p 109؛ علي خلاّصي، **الجيش الجزائري في العصر الحديث**، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ط 01، ص 132.

2- تأسّس هذا الجهاز، في إيّالة تونس، سنة 1574م وأُلغي في نوفمبر 1856م، وهو هيئة استشارية، يرأسه آغا؛ لمدة لا تتجاوز ستة أشهر، يساعده كاهية، ويتألّف من 12 باشي و24 بلوكباشي و02 خوجة، وترجمان (عربي-تركي) و06 شاوش، ويجتمعون في مكان يسمى دار الدّيوان، وتتمثّل مهامه في النّظر في الشّؤون العسكريّة، كما تقع استشارته في بعض المسائل السّياسيّة، **يُنظر:** Eugène Plantet, **Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France 1579-1833**, T01(1579-1700), Félix Alcan Editeur, Paris, 1889, p 3; توفيق البشروش، المرجع السّابق، ص-ص 57-58؛ عبد الحق الزموري، "**من مليشيات انكشارية إلى طبقة حاكمة: الجند التركي في الأجوبة العضومية (982-1012هـ/ 1574-1604م)**"، مجلة أبحاث اليرموك "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، مج 30، ع 01، 2021م، جامعة اليرموك، الأردن، ص 43، ولتفاصيل أكثر عن الدّيوان في إيالة تونس وتشكيلته ومهامه وتطوره خلال فترة العثمانية، **يُنظر:** محمد العايبي، **تطور الجيش التّونسي خلال الحكم العثماني وتأثيره على الوضع العام للإيالة (1574-1881م)**، أطروحة دكتوراه الطور الثالث (ل-م-د) في التاريخ، تخصص: تاريخ بلاد المغرب الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشّهيد حمّه لخضر، الوادي، 2022/2021م، ص-ص 56-61، وحول الدّيوان في إيّالة الجزائر، **يُنظر:** Pierre Dan, Op.Cit, pp 112-115؛ خليفة حماش، **العلاقات...**، المرجع السّابق، ص-ص 55-57، أمّا عن الدّيوان الهمايوني، **يُنظر:** إسماعيل أحمد ياغي، **الدّولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، مكتبة العبيكان، د.ب.ن، 1995م، د.ط، ص-ص 81-82.

3- عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص-ص 98-99.

تتجاوز ثلاث (03) سنوات، وهو الأمر الذي صنع الفارق بين الطّائفتين[1]، في حين استغل هؤلاء الآغوات سلطتهم هذه في ظُلم الرّعية وتعدّيهم على صغار الجند[2]. ويُضيف الأستاذ "هنية" أنّ قُبيل 1591م: «أصبحت مؤسّسة الدّيوان صاحبة النفوذ الحقيقي في الإيّالة عوضا عن الباشا وبواسطتها كان الضبّاط السامون (أي البولكباشية) يحكمون»، ويستدل على ذلك بعدم استهداف الباشا، عندما تمّ تصفية جميع الآغوات[3] في حادثة "البولكباشية"[4].

وقد تزامنت الظّروف سالفة الذّكر، مع أزمة سياسية ومالية خانقة عانت منها عاصمة الدولة العثمانية، وهو ما شجّع عامة الجند ودفعهم للتّخلص من الآغوات المحتكرين لعضوية الدّيوان[5]، بسبب انشغال الباب العالي بهذه الأزمات، ولأنّهم كانوا متأكدين من عدم قدرته على التّدخل لحل هذه الأزمة.

**ب- مجريات الأزمة:**

عندما قرّر العسكر الفتك بالبولكباشية أثناء اجتماعهم في دار الدّيوان بالقصبة، وكان ذلك يوم الجمعة الموافق لآخر يوم من ذي الحجة سنة 999هـ/ الثّامن عشر (18) أكتوبر سنة 1591م[6]، اتفقوا مع وكيل الخرج (وزير البحرية والمسؤول عن عتاد الجيش) "طبال

---

1- ويضيف الأستاذ "التر" أنّ إهمال الباشوات لمهامهم وسعيهم وراء الثّروة وجمع الأموال التي دفعوها في إسطنبول للحصول على منصب الباشوية، ساهم في استحواذ ديوان الجند على السّلطة في الإيالات المغاربية، بعد سنة 1587م. عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص 277.

2- توفيق البشروش، المرجع السّابق، ص 51. وتذكر الأستاذة "بن سليمان" أنّ إرسال الباشوات إلى إيّالة تونس، كممثلين للسّلطان العثماني، تواصل حتّى عهد حسين بن علي باي (1705-1740)، إلّا أنّهم ومنذ وقت مبكر من العهد العثماني لم يعد لهم أي دور في الإيّالة، **يُنظر:** فاطمة بن سليمان، المرجع السّابق، ص 199.

3- عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 103.

4- البلوك تعني الفوج أو الفرقة باللغة التركية والبلوك باشي يعني قائد الفرقة، وتعادل درجة النقيب في وقتنا الحاضر، وأثناء الحرب يقود عدة فرق أو فيالق غير محددة العدد، **يُنظر:** حسن حلاق، عباس صباغ، **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية**، دار العلم للملايين، بيروت، 1999م، ط 01، ص 43؛ علي خلاّصي، المرجع السّابق، ص 129.

5- علي غنابزية، **تاريخ العلاقات العثمانية المغاربية وأثرها الجيوستراتيجي على ضفتي البحر المتوسط 1492-1911م**، دار رؤى حضارية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط 01، 2018م، ص 151. محمَّد الهادي الشريف، المرجع السّابق، ص 71. فيما أشار مرجع آخر إلى أنّ الأزمة الاقتصادية والمالية مسّت مدينة تونس وأهم المراكز الحضارية وليس القسطنطينية، دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السّابق، ص 57.

6- محمّد بن محمّد الأندلسيّ الوزير السّراج، **الحلل السّندسيّة في الأخبار التّونسيّة**، مج 02، (تق) و(تح): محمّد الحبيب الهيله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ط 01، ص 339. سوف يُشار إليه لاحقاً كالآتي: الوزير السّراج، المصدر السّابق، **ويُنظر أيضاً:** Pierre Grandchamp, **La France en Tunisie à la Fin du XVIe Siècle (1582-1600)**, société anonyme de l’imprimerie rapide, Tunis, 1920, p XV.
وقد أشار "قرانشان Grandchamp" إلى أنّ هذه الحادثة وقعت سنة 1590م.

رجب" الذي وعدهم بأنّه لن يحضر اجتماع الدّيوان في ذلك اليوم، حتّى تكون مخازن السّلاح مغلقة ولا يجد الآغوات ما يدافعون به عن أنفسهم، وعندما حلّ اليوم المنتظر، هجم "المتمردون"[1] على مقر الدّيوان وقتلوا كل من ظفروا به من هؤلاء الأغوات، ولم ينج إلاّ من استطاع الفرار، أو من لم يحضر هذا الاجتماع أصلاً[2]، كما قام المتمردون بنهب منازل الضّحايا، وألقوا بجثثهم في بطحاء القصبة، وكانت حوالي ثمانين جثة، وذلك حتّى يفهم أهل المدينة بأنّ هذا مصير كل منْ تُسوِّل له نفسه اتِّباع مسلك البولكباشية[3].

بعد ذلك قسَّم عسكر التّرك أنفسهم أحزاباً، وجعلوا لكل حزب رئيساً لُقِّب بـ"الدّاي"[4]، ووصل عدد الدّايات حوالي ثلاثمائة، وكان إذا حَلَّ بهم أمر اجتمعوا في القصبة للتّشاور، ولكن الاتفاق على رأي واحد شبه مستحيل نظراً لكثرة عددهم[5]، لذلك عقدوا ديواناً حضره

---

1- التّمرد يعني الرّفض والمقاومة للسّلطة، ويتخذ أشكالاً متعددة، ويستخدم المصطلح في الأدبيات السياسية والتّاريخية بمعنى الثّورة، بهدف قلب النّظام أو الانفلات والانفصال، ومع ذلك يجب التّفريق بين التّمرد والثّورة، فالتّمرد حالة سلبية رفضية بينما الثّورة تحمل نظرة ايجابية وتهدف إلى بناء نظام جديد، **يُنظر:** عبد الوهاب الكيالي وآخرون، المرجع السّابق، ص 785.

2- ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص-ص 224-225. في الحقيقة عرفت الجزائر أواخر القرن السّادس عشر (16) الميلادي أحداثاً مماثلة، كانت أولها فتنة الحمايمي سنة 1586م، وقد ثار المتمردون ضدّ الرّياس ورجال الدّولة سواء كانوا من رجال الدّيوان أو غيرهم، ثمّ 1591م وتمثل حريق مصنع البارود، وأخرى في بسكرة سنة 1595م و آخرها سنة 1597م والتي تعرف بفتنة القلاعجي بالعاصمة، لمزيد من التّفاصيل حول هذه الأحداث، **يُنظر:** ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، جمعها واعتنى بها: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2009م، ط 01، ص-ص 83-84.

3- أحمد بن أبي الضّياف، **اتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، مج 01، ج 02، (تح): لجنة من وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، الدار العربية للكتاب، تونس، 2016م، د.ط، ص 28؛ ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 106؛ Béranger Nicolas, **La Régence de Tunis à la fin du XVII^e siècle,** Introduction et notes de Paul Sebag, L'Harmattan, 1993, p 18.

4- يسمى أيضاً الدّولاتي، وهناك اختلاف حول تاريخ ظهور مؤسسة الدّاي في تونس، فقد أرجعها ابن أبي دينار إلى ثورة الجند سنة 1591م، بينما جعل الوزير السّراج سنان باشا مؤسّس هذه الوظيفة منذ انضواء تونس تحت الحكم العثماني سنة 1574م. والمتفق عليه أنْ يكون الدّاي من أصل تركي، وينتسب إلى طائفة عسكر التّرك في تونس. وقد سيطرت مؤسّسة الدّايات على السّلطة الفعلية في البلاد حوالي نصف قرن ابتداءً من العقد الأخير من القرن السّادس عشر ميلادي، ثمّ أصبح الشّخصية الثّانية في البلاد بعد ما سيطر البايات المراديون ثمّ الحسينيون من بعدهم على مقاليد السّلطة في تونس، **يُنظر:** جون إندريه بيسونال، المصدر السّابق، ص 51؛ Azzedine Guellouz et autres, **Histoire générale de la Tunis (les temps modernes)**, T 03, Sud édition, Tunis, 2010, p 91.

5- ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص 225.

الباشا والباي وأعيان العسكر أجمعوا فيه على تقديم أحد الدّايات؛ وهو "إبراهيم رودسلي"[1]، للنّظر في أحوال العسكر وحفظ أمن الحاضرة[2]، وبعد هذه الحادثة تراجعت مكانة الباشا لصالح الدّاي الذي أصبح الحاكم الفعلي للإيّالة[3]. ومنذ هذا التّاريخ بدأ عهد سياسي جديد في إيّالة تونس، وهو عهد الدّايات.

استهل "إبراهيم رودسلي" عهد الدّايات في تونس كما ذكرنا، لكنّه لم يستطع الانفراد بالسّلطة لكثرة منافسيه، وحكم مدة ثلاث سنوات، واستأذن في الذّهاب لأداء فريضة الحج ولم يرجع بعدها إلى تونس، وخلفه "موسى داي"، وبقي في منصبه حوالي سنة، ثمّ طلب الخروج للحج، ووافق الدّيوان على شرط عدم عودته ثانية، بعدهما تنازع "عثمان داي"[4] و"صفر داي" على السّلطة، وكادت الأمور أنْ تتطوّر إلى ما لا يُحمد عقباه، لولا تغلّب الأوّل على منافسيه سنة 1595م، في حين فضّل الأخير الخروج باتجاه الجزائر، التي ستصبح وجهة المعارضين والنّاقمين على السّلطة في تونس بعد ذلك[5].

**ج- نتائج الأزمة على تونس:**

أسفرت الأزمة على مجموعة من النّتائج أهمها:

- تغيير نظام الحكم في تونس، وظهور فئة الدّايات على مسرح الأحداث في الإيّالة كفئة حاكمة مستأثرة بالسّلطة على حساب الباشوات الذين يُعينهم الباب العالي[6].

---

1- نسبة إلى جزيرة رودس، التي عاد إليها بعد خروجه من تونس، وأتمّ بقية حياته بها، **يُنظر:** محمود مقديش، **نزهة الأنظار في عجائب التّواريخ والأخبار**، مج 02، (تح): علي الزاوي ومحمَّد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص 87.

2- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 28.

3- ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 106.

4- من الجند الذين قدموا مع سنان باشا لفتح تونس سنة 1574م، شغل منصب الدّاي بها من 1594 إلى غاية وفاته سنة 1610م، ذو حزم وعقل ودين، عرفت تونس خلال فترة حكمه الازدهار، وشهدت هجرة الأندلسيين واستقرارهم بالبلاد. حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1953م، ط 03، ص 134.

5- محمّد عطية، المرجع السّابق، ص 61.

6- عمار بن خروف، "**العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس من 1574 إلى 1671**"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 02، ع 01، ديسمبر 2002م، جامعة الجزائر 02، ص 117.

▪ بداية تراجع مكانة مؤسّسة الدّيوان بعد حادثة البولكباشية[1]، حيث أصبح الدّيوان لا يتصرّف في أمر العساكر إلاّ بمشورة الدّاي[2].

▪ القضاء على فئة البولكباشية، وتعويضهم بجماعة الدّايات[3].

## ثانياً- صراع الدّايات في تونس مع الشّابية 1592-1616م:

### أ- جذور الأزمة:

كان الشّيخ عبد الصّمد الشّابي يبغض العثمانيين كثيراً، خاصة وأنّهم من أسقطوا الإمارة الشّابية سنة 1557م، التي اتخذت من القيروان عاصمة لها، وتجرّع مرارة هذه الهزيمة منذ صغره، لأنّه لم يتجاوز السّابعة (07) من عمره عند سقوط هذه الإمارة، وزاد العثمانيون بأنْ لاحقوا الشّابيّة وأنصارهم بعد الهزيمة وقتلوهم وشتتوا شملهم، ورغم ذلك فقد شارك الشّيخ عبد الصّمد سنان باشا سنة 1574م في حربه ضدّ الإسبان في حلق الوادي، ايثاراً منه للمصلحة العامة، حسب تعبير "علي الشّابي"، وهي الحادثة الوحيدة التي حاد فيها الشّيخ عن منهجه في محاربته للعثمانيين، لأنّه عاد وحاربهم بشدة بعد هذه السّنة، خاصة وأنّه لم يستفد من مساندته لهم لا من الغنائم ولا اقتسام البلاد، حيث كان يحلم بإعادة أمجاد الشّابيّة[4].

وقد استقر والد عبد الصّمد الشّابي القائد محمّد بنّور بـ"بايلك"[5] قسنطينة، بعد هجرته رفقة عائلته واستقرارهم بقلعة تيزقرارين وجبل ششار، وكان هؤلاء بسبب حقدهم على الأتراك يحرضون القبائل الجزائرية ضدّ الأتراك، وانتهى الأمر بقتل أتراك الجزائر لمحمّد بنّور سنة

---

1- عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 108.

2- الوزير السّراج، المصدر السّابق، ص 341؛ ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 106.

3- عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 105.

4- علي الشابي، **تاريخ الشابية**...، المرجع السّابق، ص ص 324، 359، 366.

5- ويمثل اسم المنطقة الخاضعة لسلطة الباي، وينقسم إلى جملة من الأوطان التي تضم بدورها عدداً من القبائل، **يُنظر:** محمد الخداري، "**الجزائر في بداية القرن التاسع عشر من خلال وثائق فرنسية**"، أبحاث الندوة الدولية حول المغارب والبحر الأبيض المتوسط الغربي في العصر العثماني، 12-14 نوفمبر 2009م بالرباط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، 2013م، ص 106.

1592م وعلقوا رأسه على أحد أبواب مدينة الجزائر، ويبدو أنّ الشّيخ عبد الصّمد بعد هذه الحادثة قد اتخذ من قلعة أرقو مركزاً حصيناً يشن منها حروبه وغاراته على أعدائه[1].

ومن المؤكّد أنّه كان لكل هذه الأحداث دورها وتأثيرها في قرار عبد الصّمد الشّابي بمواصلة حربه ضدّ العثمانيين في كل من تونس والجزائر إلى غاية وفاته سنة 1616م، معتمداً على القبائل الحليفة للشّابية والتي لم تتأخر عن تموين جيشه ومده بما يلزمه من الفرسان والمحاربين كل ما دعت الضّرورة لذلك.

**ب- مجريات الأزمة:**

لم يكف عبد الصّمد الشّابي عن القتال ضدّ العثمانيين طوال أربع وأربعين سنة (1573-1616م)، حارب فيها الباشوات والدّايات، غير أنّ سنواته الثّلاث الأخيرة كانت حافلة بالصّراعات والحروب ضدّ أعدائه الذين تكاثروا[2]، وكانت المناطق الواقعة غرب إيّالة تونس وشرق إيّالة الجزائر شاهدة على هذه المواجهات التي جمعت الطّرفين، وكان الشّيخ عبد الصّمد قد استقرّ ببايلك الشّرق الجزائري، وخلال هذه الفترة تهيأ له صاحب تونس وتوجه إليه في ألفين (2.000) من الخيل، وعندما وصل باي تونس المكان المقصود وجد صياداً فسأله عن الشّابي وأجاب الصّياد بأنّه على عين شبرو، وأظنه قاصداً وادي الرّمل، وطلب منهم الانتظار حتى يأتيهم بالخبر المؤكّد، وتبين بعد ذلك أنّ الأخير من أتباع الشّابي، ولم تكن تلك إلاّ خدعة استطاع من خلالها أنْ يُخبر سيّده بأنّ صاحب تونس وجنوده يلاحقونه[3].

أسرع الشّابي وجمع أتباعه، وعندما ظهرت أمامه جنود باي تونس اشتبك الطّرفان في معركة استمرت حوالي أربع (04) ساعات، وانتهت بهزيمة عسكر تونس، وأثناء تقهقرهم لاحقهم الشّيخ عبد الصّمد إلى مشارف باجة واستطاع أثناء ذلك أنْ يقتل منهم مائة وخمسين (150) فارساً ويستولي على خيلهم ومتاعهم، وعاد منتصراً إلى معسكره بوادي الرّمل، أمّا

1- علي الشابي، **العلاقات**...، المرجع السّابق، ص ص 70، 72.

2- المرجع نفسه، ص 73.

3- محمّد بن محمّد بن عمر العدواني، **تاريخ العدواني**، (تق) و(تح) و(تعل): أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ط 01، ص 173. يُحال إليه لاحقاً كالآتي: العدواني، المصدر السّابق، رقم الصّفحة أو الصّفحات.

صاحب تونس فقد اغتاض من هزيمة جنده على يد الشّابي، وقد وصف العدواني حاله عندما وصله خبر الهزيمة، حيث قال: «فلما وصلوا إليه قطع ثيابه وأحث التراب على وجهه ورأسه»، وانتقاماً من الشّابي فقد قام أمير تونس بأخذ قافلة للشّابية، قصدت تونس للبيع والشّراء، وكانت حوالي أربعمائة (400) بعير، في حين جمع الشّيخ عبد الصّمد جموعه ودخل تونس، واستولى على ستمائة (600) من إبل باي تونس كانت بنواحي السّلوقية[1].

وتواصلت الحروب بين الطّرفين، فعقب ما حلّ بقوافل باي تونس من طرف الشّابي، قام الأوّل بدعوة المقاتلين من قابس والجريد ونفزاوة وغيرها واجتمعت له أربعة ألاف (4.000) من الفرسان وستة آلاف (6.000) من المشاة وجههم إلى معسكر الشّابي بوادي الرّمل، في حين قام أحد مستشاري حاكم تونس بارسال رسالة تهديد ووعيد إلى الشّيخ عبد الصّمد، غير أنّ هذا المستشار كان أحد جواسيس الشّابي عند حاكم تونس، لذلك فإنّ تلك التّهديدات كانت مبطنة لإفادات عسكرية أَعْلَمَ من خلالها الجاسوس عبد الصّمد بما يخطط له مراد باي تونس ودايها، بينما اختار عبد الصّمد بإيحاء من أحد مستشاريه أنْ تكون المعركة خارج الأرض التي يسيطر عليها، فقصد مشارف الكاف وأقام هناك ثلاثة أيام قبل أنْ يصل جند مراد باي، وبعد معركة خسر فيها باي تونس مائة وخمسين جواداً ومائة وخمسين فارساً، وخسر الشّابي مائة وستين فارساً[2].

واحتدم الصّراع أكثر وجمع داي تونس ومراد باي اتباعهما من سائر أرجاء تونس وقصدوا باجة بتسعة آلاف (9.000) فارس وأربعة آلاف (4.000) راجل[3]، وهاجموا الشّابي على حين غفلة وقتلوا من أنصاره أربعين رجلاً، فتراجع عبد الصّمد بجيشه، لكنّه

---

1- العدواني، المصدر السّابق، ص 173 وما بعدها.

2- علي الشّابي، **العلاقات**...، المرجع السّابق، ص-ص 78-80.

3- جاء عند العدواني أنّ ما اجتمع لصاحب تونس في هذه الواقعة كان تسعة آلاف منهم أربعة آلاف فارس والباقي رجال (مشاة)، لكن المُحقق نوّه في الهامش إلى إنّ أحد نسخ المخطوط التي أطّلع عليها تذكر العدد الذي أوردناه في المتن، **يُنظر**: العدواني، المصدر السّابق، ص 184.

التحم معهم في اليوم الموالي في معركة وألحق بهم هزيمة نكراء جعلت "يوسف داي"[1] ييأس من النّصر، ويختار أسلوب التفاوض مع خصمه، وانتهت المفاوضات بين الطّرفين بتقسيم البلاد بينهما، حيث فرض المنتصر (الشّابي) شروطه واضطر الدّاي يوسف قبولها مرغماً، حيث اقترح الشّيخ عبد الصّمد أنْ يكون له من باجة إلى أرض الزيبان، ولصاحب تونس من جنوب باجة إلى الجريد، إضافة إلى منطقة تونس، ولكّن وفاة الشّيخ عبد الصّمد سنة 1616م أنهت هذا الاتفاق، خاصة وأنّ الأخير أنهكته كثرة الحروب وتخلى عنه بعض أنصاره[2].

**ج- نتائج الأزمة على تونس:**

- أدخلت صراعات الشّابية مع حكام تونس والحروب المتواصلة بين الطّرفين الإيالة التّونسية في دوامة من الفوضى وعدم الاستقرار، انعكست على الوضع العام في الإيالة وعلى المجتمع التّونسي بوجه خاص.
- كانت خسائر الطّرفين من هذه الحروب كبيرة وقد أشرنا إلى بعض منها خلال سردنا لوقائع ومجريات المعارك الطاحنة التي دارت بين الخصمين.
- استطاع الشّيخ عبد الصّمد الانتصار على حكام تونس في الكثير من المعارك نتيجة كثرة أتباعه، واستقراره بعيداً عن متناول أيدي دايات تونس في عمق التّراب الجزائري، حيث زادت هذه الميزات من جرأته في حربه ضدّ العثمانيين في تونس الذين أرهقتهم كثرة الحروب وأرغموا في الأخير على التّفاوض معه والرّضوخ لشروطه.

---

1- وُلد سنة 1560م في طرابلس الغرب، وكان والده جنديا في الجيش العثماني، فاتبع الإبن خطى الوالد، حيث التحق بالحامية العثمانية في تونس، وحظي بمكانة خاصة عند الدّاي عثمان حتى أنّه رشحه لخلافته في هذا المنصب، وحدث ذلك سنة 1610م بعد وفاة سيده، وبقي في هذا المنصب إلى عاية وفاته في 30 نوفمبر 1637م، في أيام يوسف داي استقرت البلاد وازدهرت ، وكثرت غنائم الجهاد البحري، وللدّاي العديد من المآثر كبنائه سوق التّرك بتونس ومسجداً حمل إسمه بنفس السّوق وأضاف له مدرسة وبنى قنطرة وادي مجردة وغيرها، وفي أيامه تمّ ضبط الحدود بين تونس والجزائر بعد خلاف بين الطّرفين سنتي 1614 و1628م، **يُنظر:** محمد العايبي، المرجع السّابق، ص 53؛ ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص-ص 228-232.

2- يوسف بن حيدة، "**عبد الصمد الشابي ونشاطه الثوري بين الإيّالة التونسية وبايلك الشرق خلال القرنين 17 و18م**" مجلة أفاق فكرية، مج 04، ع 08، مارس 2018م، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، ص-ص 200-201.

**ثالثاً– أزمة الحدود بين إيّالتي الجزائر وتونس وابرام معاهدة 1628م:**

**أ–جذور الأزمة:**

مع قيام نظام الدّايات شهدت البلاد التّونسية فترة من الازدهار والاستقرار شملت جميع الميادين، وقد ساهم في ذلك ازدهار الجهاد البحري، فضلاً عن المعاهدات التّجارية التي عقدتها السّلطة في تونس مع العديد من الدّول الأوربية، والهجرة الأندلسية التي عرفتها الإيّالة مع بداية القرن السّابع عشر، والنّشاط المتعدد الأوجه الذي قام به هؤلاء بعد استقرارهم[1]، حيث أثّر كل ذلك إيجاباً على اقتصاد الإيّالة، وكان له أثر طيِّب على الجانب الاجتماعي والثّقافي كذلك[2]. ورغم أنّ هذا الاستقرار ساعد على عدم ظهور وقيام أزمات سياسيّة داخليّة بالإيّالة[3]، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع من حدوث أزمة سياسيّة، من نوع آخر، تمثّلت في أزمة حدود بين الإيالتين، بدأت معالمها تتّضح مع بداية القرن السّابع عشر(17) ميلادي.

فبعد فترة السّلم التي طبعت علاقات الإيالتين نهاية القرن السّادس عشر وبداية السّابع عشر الميلادي، ومع تزايد نفوذ الدّايات وديوان الجند في إيّالة تونس على حساب سلطة الباشوات، وبروز ضرورة تحديد الحيز الجبائي من جهة، وتعاظم نفوذ الدّيوان في إيّالة الجزائر من جهة ثانية، بدأت تلوح في الأفق بوادر أزمة سياسيّة بين البلدين؛ بداية من سنة 1613 و1614م[4]، ولولا وساطة بعض الشّخصيات الدّينية التّونسيّة، التي انتهت بعقد

---

1– حول المهن التي اختص بها الأندلسيون بعد استقرارهم بتونس، **يُنظر**: عبد الحكيم القفصي، "**نظرة حول بعض الحرفيين والمهنيين الأندلسيين والأتراك بالإيّالة التونسية أثناء القرن التاسع عشر من خلال خزينة الوثائق التونسية**"، ضمن كتاب: "**الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني**"، (جم) و(تق): عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1988م، د.ط، ص–ص 599–611.

2– Mohamed Hédi Cherif, **Pouvoir et Société dans la Tunisie de H'usayn Bin 'Ali (1705-1740)**, T 01, C.P.U, Tunis, Deuxième Edition, p 72.

3– تجدر الإشارة هنا إلى أنّ رايس البحر "محمَّد باي بن حسين باشا" خطّط للثّورة ضدّ عثمان داي، لكن الأخير أفشل محاولة الثّائر وقتله سنة 1608م، **يُنظر**: محمَّد صالح بن مصطفى، **العثمانيون في تونس 1505–1957 (التاريخ–الآثار–السكان وسلوكاتهم)**، دار نقوش عربية، تونس، 2021م، ط 02، ص 24.

4– أشارت الأستاذة "بن سليمان" إلى إنَّ هناك مناوشات بين الطّرفين سبقت هذا التّاريخ، وبالتّحديد سنة 1589م تاريخ النّزاع بين عسكر تونس وعساكر قسنطينة وعنابة، بينما أثار الأستاذ "العزيزي" عديد التّساؤلات حول تاريخ أزمة الحدود بين الإيالتين، ولماذا سنة 1614م بالتحديد؟، ولماذا لم تكن سنة 1587م تاريخ انفصال العمالتين؟، وهل انتهاء مشروع رمضان باي (1569–1613م)، إثر وفاته، أنهى الاتفاقيات التي عقدها مع القبائل التّخومية؟ وبالتالي فالحد بين الإيالتين كان يمثله نفوذ المحلة من الجهتين، فيما أرجع سبب الأزمة إلى تراجع السّلطات عما اعترف به رمضان باي لهذه القبائل، وكل هذه الأسئلة تحتاج دراسات أعمق، **يُنظر**: فاطمة بن سليمان، المرجع السّابق، ص ص 89، 106؛ محمد الحبيب العزيزي، **ظاهرة الحكم المتجول في بلاد المغرب العربي الحديث: المحلة التونسية أنموذجا**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006–2007م، ص 181.

اتفاق بين الطّرفين (23 مارس–02 أفريل 1614م) قضى بأن يكون "وادي سراط"[1] حداً فاصلاً بين الإيالتين[2]، لكان من المؤكّد أنْ يتطوّر الوضع إلى حرب تستنزف قوّة العمالتين.

ورغم ذلك لم يضمن الاتفاق السّابق استمرار حالة السِّلم بين الإيالتين، وربما يعود سبب ذلك إلى إخلال أحد الطّرفين أو كلاهما بجوهر هذا الاتفاق. ولئنْ اتفقت المصادر حول تجدّد النّزاع الحدودي بين الإيالتين، إلاّ أنّها اختلفت في السّبب المباشر الذي أدى إلى ذلك، ويذكر الأستاذ "بن خروف" نقلاً عن "دي غرامون (de Grammont)" أنّ اِقْدَام حاكم تونس (يوسف داي) على تشجيع بعض قبائل بايلك قسنطينة ودَفْعِها للتّمرد، أثار نقمة باشا الجزائر (خسرو باشا 1624–1626م)، وجعله يعلن الحرب ضدّ تونس سنة 1625م[3].

ويتحدث مصدر آخر عن استيلاء "مراد كورسو"[4] على موقع عسكري يُسمى "قلعة أرقو" أو "أركو"[5] وهو مركز متقدِّم بالنّسبة للكاف من جهة الغرب، ويقع غرب وادي سراط، ويُفهم من ذلك أنّ هذا الموقع يكون تابعاً لإيّالة الجزائر؛ حسب اتفاق 1614م، وهو ما أثار

---

1– أ.و.ت، دفتر رقم 2847، وث رقم 01، وذكرت مصادر أخرى تفاصيل أكثر حول الحدود بين الإيالتين، وجعلت جبال الحفا وقلوب الثيران والإيحيرش ووادي ملاق ووادي سراط حداً فاصلاً بين العمالتين، عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص–ص 123–124؛ Monchicourt (Ch), "**La Frontière Algéro-Tunisienne dans le telle et dans la steppe**", R.A, Vol 82, N° 374-375, 1er-2eme Trimestres 1938, p 33.

2– عمار بن خروف، "**العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس...**"، المرجع السّابق، ص ص 117، 120؛ توفيق البشروش، المرجع السّابق، ص 32. ويُفيدنا الأستاذ "العزيزي" نقلاً عن "الزركشي"، بأنّ وادي سراط يمثل الحد الأقصى من جهة الغرب للملكة الحفصية، ويعتبر الحد الفاصل بينها وبين المغرب الأوسط منذ القرن الخامس عشر ميلادي، وأنّ بايات تونس اعتمدوا على الإرث الحفصي عند عقد اتفاقية 1628م مع الجزائر. محمد الحبيب العزيزي، المرجع السّابق، ص 9.

3– عمار بن خروف، "**العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس...**"، المرجع السّابق، ص 121.

4– يُعرف أيضاً بـ "مراد الأوّل"، مؤسِّس البيت المرادي، وهو علج من أصل كورسيكي، أُسِر صغيراً وجيء به إلى تونس، وهو مملوك رمضان باي الذي دربه على قيادة المحلة، وتقلد وظيفة الباي (1613–1631م) بعد وفاة سيده، وانشغل بعد واقعة 1628م، ضدّ الجزائر، بإخضاع القبائل العاصيّة، **يُنظر**: محمَّد الهادي الشريف، المرجع السّابق، ص 77.

5– أشارت إليها الوثائق بـ"قلعة أرق". أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 212، ملف رقم 229، وث 24. وتسمى كذلك "قلعة سنان"، "قلعة الأصنام"، و"قلعة صنعان"، إلاّ أنّ التّسمية الأولى أكثر شيوعاً، وقد بُنيت على مرتفع جبلي حاد، وتقع إلى الشّرق من تبسة التي تبعد عنها حوالي 38 كلم، وهي تتبع الدّولة التّونسيّة في وقتنا الحالي، **يُنظر**: جميلة معاشي، المرجع السّابق، ص 45؛ توفيق بن زردة، **الكنفدراليات القبلية الحدودية ودورها في العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني– الحنانشة أنموذجا–**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1434–1435هـ/ 2013–2014م، ص 12. **يُنظر**: موقع هذه القلعة في الملحق رقم 03، ص 324.

ثائرة الجانب الجزائري، الذي طالب بتسليم أرقو ومعاقبة الباي المعتدي[1]، وذكر "السّراج" نفس الرّواية غير أنّه لم يشر فيها اسم مراد باي، حيث أورد ما نصّه: «ثمّ أنّ دشرة أرقُو وفدتْ إليها نَوْبة مِن عسكر تونس وذكر الموثّق أنّها لم تكن مِن قبل، فصار الأمر بيْن المعسكريْن إلى ما صار من أجلها»[2]، أمّا صاحب "المؤنس"، وكذلك صاحب "الاتحاف" فيُرجعان السّبب إلى "قبيلة الشنانفة"[3] وشيخها ثابت بن شنوف الذي استجلب الجزائريين وأطمعهم في البلاد[4]، وربما كان هدف الشّيخ التّخلص من سطوة حكام تونس عليه[5].

وبالعودة إلى هذه الأسباب التي تبدو للوهلة الأولى أنّها مختلفة، إلاّ أنّنا، في الحقيقة، إذا أمعنا النّظر نجدها متكاملة، وذلك لأنّ قبائل التّخوم في الإيالتين كان لها دور كبير في تأجيج الصّراع وإثارة الفتن من أجل إضعاف السّلطة العثمانية في هذه المناطق، وإلى اقدام التّونسيين على احتلال قلعة أرقو قد يكون بهدف إخضاع قبائلها، الأمر الذي زاد الوضع تأزّماً، ودفع الطّرفين إلى صدام مسلَّح سنة 1628م.

**ب- مجريات الأزمة:**

رغم أهميّة الحدث إلاّ أنّنا لا نكاد نعثر في المصادر المحليّة؛ الجزائرية والتّونسية، إلاّ على إشارات مقتضبة لا تتعدى معظمها بضعة أسطر، يدور ملخصها حول انتصار عسكر الجزائر وهزيمة الطّرف التّونسي، وتنتهي بالإشارة إلى وثيقة الصُّلح الذي تمّ في نفس السّنة[6]. ولا نعلم سبب هذا السّكوت!، ولصالح مَنْ؟

---

1- توفيق البشروش، المرجع السّابق، ص 33. بالإضافة إلى قلعة أرقو طالبت حكومة الجزائر بتسليمها منطقة الكاف وبلاد الجريد، **يُنظر:** فاطمة بن سليمان، المرجع السّابق، ص-ص 120-121.

2- محمّد بن محمّد الأندلسي، المرجع السّابق، ص 362.

3- وتُعرف أيضاً بقبيلة أولاد شنوف، من أكبر القبائل العربيّة التي استوطنت جهة الكاف، ونظراً لكونها من القبائل المتمرِّدة على السّلطة العثمانية في تونس، فقد جعلها هذا عرضة لملاحقة البايات الذين انتزعوا منهم أراضيهم وشردوهم بعيداً عن الكاف. محمَّد على الحبّاشي، **عروش تونس**، سوتيميديا للنّشر والتّوزيع، تونس، 2017م، ط 03، ص 16.

4- ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص 231؛ أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 33. بينما ذكر "مرسيي Mercier" غير ذلك، حيث أشار إلى تجاوزات قبيلة بني شنوف على الأراضي الجزائرية، وتعاونها مع السّلطة في تونس. **يُنظر:** Ernest Mercier, Op.cit, p 222.

5- حول المحاولات التّونسية للسّيطرة على المجالات الطّرفية، يُنظر: مصطفى التليلي، "**حضور الدولة وتمثلاتها في المجالات الطرفية: إيالة تونس في الفترة الحديثة**"، مجلة أسطور، ع 12، جويلية 2020م، ص-ص 61-75.

6- حول الإشارات المقتضبة الواردة في المصادر حول نفس الموضوع، **يُنظر** على سبيل المثال كلاً من: ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص-ص 231-232؛ أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 33؛ الباجي المسعودي، **الخلاصة النّقيّة في أمراء إفريقيّة**، (تق) و(تح) و(تعل): محمد زينهم محمد عزب، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2012م، ط 01، ص 211.

ويتحدّث "ولف" عن الحدود بين إيالتي الجزائر وتونس قائلاً: « وكانت الحدود بين السلطتين الجزائرية والتونسية غامضة وكان تعديلها يقع من حين لآخر عن طريق عمل عسكري»[1]، فقد كان خرق الطّرف التّونسي لاتفاق سنة 1614م وراء إعلان ديوان الجزائر الحرب على إيّالة تونس.

فقد اندلعت الحرب بين قوات الطّرفين نهاية شهر ماي 1628م، وقبل ذلك راسل الطّرف التّونسي الجزائريين طلباً للسّلم، وعبَّر عن استعداده للتّفاوض بهدف الوصول إلى اتفاق يُرضي الطّرفين، لكنّ الجانب الجزائري جدّد مطالبه التّرابية بتسليم قلعة أرقو والكاف، والقبائل التّونسيّة المُسبِّبة للفوضى، في حين اختلفت آراء قادة التّونسيين بين مراد كورسو الذي فضّل شراء السِّلم مع الجزائر مقابل المال الذي جلبه معه لهذا الغرض، بينما استقر الرّأي الأخير على موافقة قائد القوات التّونسيّة "أسطا مراد"[2]، الذي رفض طلب الجزائريين وأصرّ على الحرب؛ بهدف تحقيق أطماعه التّوسعية بالسّيطرة على عنابة وقسنطينة[3].

ولقد أشار "البشروش" إلى القوات التّونسيّة بقوله: « وقام سكان العاصمة فجندوا ما لا يقلّ عن الخمسة عشر ألف مقاتل، وانضم إليهم مثلهم من الفرسان علاوة على من التحق بهم من العربان»[4]، وهذا يعني أنّ قوات الجيش التّونسي تجاوزت الثّلاثين ألف مقاتل، بينما أغفل عدد قوات عسكر الجزائر، في حين جاء في تقرير "مارسيل أتاردو"[5] بخصوص قوات الطّرفين، حيث أفادنا بأنّ عسكر الجزائر تكّون من 300 خيمة؛ في كل واحدة ما بين 25 إلى 30 رجلاً، إضافة إلى بعض فصائل الحنانشة، وقسّمت قوات الطّرف الآخر إلى ثلاثة

---

1- جون ب.وولف، المرجع السَّابق، ص 115.

2- أصله من جنوة، اعتنق الإسلام في كهولته، كان من رياس البحر المشهورين في تونس، ثمّ تقلد منصب الدّاي (1637-1640م)، بعد وفاة الدّاي يوسف. محمَّد بن الخوجة، **صفحات من تاريخ تونس**، (تق) و (تح): حمادي الساحلي و الجيلاني بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ط 01، ص 50، 56.

3- Roy (B), "**Deux documents inédits sur l'expédition algérienne de 1628 (1037 Hég) contre les Tunisiens**", R.T, l'Institut de Carthage, Tunis, N°122, Mai 1917, pp 185-187.

4- توفيق البشروش، المرجع السّابق، ص 33.

5- مملوك مراد باي، وهو شاهد عيان على هذه الحرب، أمّا بخصوص التّقرير المشار إليه في المتن، فموجود في المرجع المشار إليه سابقاً وهو Roy (B), "**Deux documents…**".

(03) فيالق، كوّنت في مجموعها 425 خيمة؛ ضمت كلّ واحدة ما بين 16 إلى 18 رجلاً[1]، إضافة إلى "عسكر زواوة"[2] ووحدات من الأندلسيين، وفرسان القبائل المتحالفة مثل "أولاد سعيد"[3] و"أولاد بالليل"[4] و"أولاد بوسالم"[5]، وقبائل الحدود الغربية (الكاف)، وألفين (2.000) تابعة لعلي الشّابي وأخوته، وخمسة آلاف (5.000) وفَّرَها خالد بن نصر الحناشي بعد الصلح الذي عقده مع حكام تونس[6].

عَسْكَرَ الطّرفان في منطقة الحدود بين الإيالتين[7]، في مكان يُسمى السَّطارة، وبه عُرفت المعركة أو الواقعة (واقعة السَّطارة)، وكانت المناوشات الأولى يوم 25 ماي لصالح

1- الفيلق الأوّل بقيادة حسين روسو يتكوّن من 200 خيمة، والفيلق الثّاني بقيادة مراد كورسو مُكَوّن من 125 خيمة، أمّا الأخير فكان تحت قيادة رجب باي (أخ الدّاي رمضان 1594-1610م) وتشكّل من 100 خيمة، للمزيد من التّفاصيل حول قوات الطّرفين المتصارعين، **يُنظر**: Roy (B), Op.Cit, pp 185-186.

2- فرقة عسكرية يتم جلب أفرادها من جبال زواوة الجزائرية، وظهرت هذه الفرقة في تونس منذ العهد الحفصي، واستمرت طوال العهد العثماني، وساعدت هذه الفرقة حكام الإيّالة التّونسية على تدعيم نفوذهم خاصة في المناطق البعيدة عن مركز السّلطة (المناطق التخومية) وكذلك في كسر شوكة القبائل المتمردة، وبمرور الزّمن أصبحت هذه الفرقة موازية لعسكر الترك في إيّالة تونس. وكما حافظت الجزائر على جلب الجنود المتطوعين من أزمير، فإنّ تونس استمرت في جلب الجنود من زواوة، حتّى مثلت زواوة بالنسبة لتونس ما تمثله أزمير بالنسبة للجزائر، ويعود سبب ميل بايات تونس إلى الاعتماد على عناصر فرق زواوة إلى خبرة هذه الفئة في أساليب وخفايا حرب الجبال. ومع انتفاضة القبائل سنة 1864م زادت حاجة البايلك إلى جلب أعداد كبيرة من جند زواوة حتّى أصبحت هذه الفرقة أهم فرقة عسكرية في الإيّالة، **يُنظر**: محمد الحبيب العزيزي، المرجع السّابق، ص-ص 141-142.

3- يُنسبون إلى قبيلة رياح الهلاليّة، وتعتبر منطقة النفيضة مجالهم التّرابي، واشتهرت قبيلة أولاد سعيد بنزعتها التّمردية وكثرة الغارات، وهو ما جعلهم عرضة للملاحقة من قبل الدّايات والبايات، للمزيد من التّفاصيل، **يُنظر**: محمَّد على الحبّاشي، المرجع السّابق، ص 22.

4- سيطرت قبيلة العرب على بلاد باجة، ويعتقد أنّ هذه القبيلة هي قبيلة أولاد باللّيل السّليمية، التي قدمت من نواحي الجريد وقفصة نهاية القرن 14م وسيطرت على المجال التّرابي لضواحي مدينة تونس، **يُنظر**: محمَّد على الحبّاشي، المرجع السّابق، ص 14.

5- يعود أصلهم إلى سالم بن مرزوق من أحفاد أحد أفراد طلائع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، **يُنظر**: المرجع نفسه، ص 14.

6- فاطمة بن سليمان، المرجع السّابق، ص-ص 117-118.

7- ذكر "البشروش" أنّ الجيش التّونسي ما إنْ وصل إلى ميدان العمليات حتّى توغل في التّراب الجزائري مسيرة سبعة أيام من السير على الأقدام، وقد يفهم من ذلك أنّ الجيش التّونسي هو المبادر بالحرب تحقيقاً لأطماع أسطا مراد التّوسعية في قسنطينة وعنابة، وأنّ مواصلة الجيش الجزائري الزّحف نحو تونس قد يكون رداً على توغل الجيش التّونسي في الأراضي الجزائرية عند بداية الأزمة، **يُنظر**: توفيق البشروش، المرجع السّابق، ص 33.

التّونسيين، حتّى أنّ الجزائريين فكروا بالرّحيل إذا ما سُلِّمت لهم قلعة أرقو والمناطق التي طالبوا بها، لكن المعركة الفاصلة بتاريخ 27 ماي قَلَبت الموازين لصالح الجزائريين الذين استدرجوا عسكر تونس بعيداً عن خيامهم، وأوقعوا بهم هزيمة ساحقة اضطرّت قادتهم إلى الفرار باتجاه الكاف ثمّ تونس. وتكبّد التّونسيون خسائر كبيرة وأُسر منهم خلق كثير[1].

وقد تزامن وصول أخبار الهزيمة إلى تونس مع ظهور الأسطول الجزائري المُكَوَّن من 74 سفينة، فجر يوم الخميس الفاتح (01) من شهر جوان 1628م أمام ميناء حلق الوادي، ورغم تدابير منع الإنزال إلاّ أنّه تمكن من إحراق السّفن الرّاسية هناك، باستثناء ثلاث قطع[2]، وقام في طريقه إلى هناك بهدم تحصينات ميناء بنزرت[3].

أما بالنّسبة لأسباب الهزيمة فقد أرجعها صاحب "المؤنس" وصاحب "الحلل" إلى خيانة الأعراب (أولاد سعيد) الذين انضموا إلى معسكر الجزائريين[4]، في حين أرجعها "أتاردو" إلى استبسال الجزائريين في القتال، وفرار قادة الجيش التّونسي من ميدان المعركة، بعدما رجحت كفة قوات الجزائر، تاركين وراءهم عسكر تونس يتخبطون في الفخ الذي أوقعهم به الجزائريون[5]. وانتهى الأمر بعقد صلح بين الطّرفين بتاريخ 06 جويلية 1628م، بعد مفاوضات دامت أكثر من أسبوعين، بحث فيها الطّرفان كل ما من شأنه أنْ يُساهم في عدم تجدّد النِّزاع.

**ج- نتائج الأزمة على تونس:**

- تمّ التّوقيع على اتفاقية الحدود بتاريخ الرّابع (04) من ذي القعدة 1037هـ/ السّادس (06) جويلية 1628م، وساهم في إرساء هذا الاتفاق وجهاء العسكر وعلماء من الطّرفين[6]،

1- عمار بن خروف، "**العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس...**"، المرجع السّابق، ص 122.

2- Roy (B), Op.Cit, pp 188-189.

3- نقلاً عن Eugène Plantet, Op.Cit, p 31.

من رسالة مصطفى رايس إلى سانسون نابولون (Sanson Napollon) حاكم حصن القالة بتاريخ 29 ماي 1628.

4- ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص 232؛ الوزير السّراج، المصدر السّابق، ص 360.

5- Roy (B), Op.Cit, p 187؛ عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 136.

6- عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 135. أمّا "بن سليمان" ذهبت إلى أنّ الوفد الجزائري تكّون بشكل استثنائي من عناصر عسكريّة صرفة، بينما أشارت إلى الوفد التّونسي بأنه أكثر تنوعاً وتوازناً، حيث ضمّ شخصيات سياسيّة وعسكريّة=

وكان الاتفاق على اعتبار قلعة أرقو مكاناً محايداً[1]، ويتم هدم ما فيها من بناء، ولا يتعاطاها جيش تونس ولا عسكر الجزائر بوجه من الوجوه، وتبقى على حال الخراب، ويبقى وادي سراط حداً فاصلاً بين الإيالتين، وأنّ الحد من ناحية القبلة وادي ملاق والإيحيرش وقلوب الثيران إلى جبل الحفا ثمّ إلى البحر[2]، كما أُتُفق على أنّ من دخل من التّونسيين إلى الجزائر يكون خراجه لقسنطينة، ومن دخل من الجزائريين إلى عمالة تونس فخراجه لها، ولا يطالبه الطّرف الآخر بالخراج[3]. وبالتّالي فقد ضبط هذا الاتفاق المجال الجغرافي والبشري للعمالتين.

---

=وأخرى دينية، معبّرة عمّا أسمته بظاهرة الاتفاق الاجتماعي النّاتج عن التّقارب الحاصل بين الفئة الحاكمة وبعض الفئات المحلية في تونس، وهذا خلاف لما كان عليه الوضع في الجزائر، حيث لمّحت إلى استئثار حكام الجزائر بالسّلطة دون الفئات المحليّة حسب وجهة نظرها، لكن كتاب "منشور الهداية" يُفيدنا بأنّ "أبو العباس أحمد بن الحاجة"، وقد تولى نيابة القضاء في ميلة ثمّ قسنطينة، كان ضمن الوفد الجزائري المفاوض، ولم يكن لوحده، وهو خلاف لما أشارت إليه الأستاذة، ربما لعدم اطلاعها على المصدر المذكور، حول هذا الموضوع، **يُنظر** كُلاً من: عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، (تح) و(تق) و(تعل): أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1987م، ط 01، ص ص 214، 217؛ فاطمة بن سليمان، المرجع السّابق، ص-ص121-123.

1- بقيت هذه القلعة مكاناً محايداً بين الإيالتين طيلة الفترة العثمانية، فقد نبه حمودة باشا الحسيني (1782-1814م) قبيلة أولاد بوغانم المقيمة على ضفاف واد سراط عدم تجاوز الحد الفاصل بين العمالتين إلى قلعة سنان، وذلك سنة 1812م، **يُنظر:** أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 212، ملف رقم 229، وث 16.

2- وتضيف الأستاذة "دبش" أنّ الحد يتواصل باتجاه الجنوب ليمر بالوسط حيث منتجعات قبائل الفراشيش، ثمّ يتواصل إلى غاية مناطق قبائل الهمامة، ويشق بعدها الواحات الصّحراوية ليفصل بين واحات الجريد بتونس وواحات سوف بالجزائر، **يُنظر:** نرجس دبش، "**سكان الحدود الغربية التونسية قبيل الاستعمار: من الإغارة إلى التعاون مع المقاومة الجزائرية**"، المجلة التاريخية المغربية، ع 137، فيفري 2010م، مؤسسة التميمي، تونس، ص 28.

3- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 212، ملف رقم 229، وث 24، الوثيقة في الملحق رقم 04، ص 325، ولأكثر تفاصيل حول موضوع الحدود والشّخصيات التي حضرت الاتفاق. **يُنظر:** أ.و.ت، الدفتر رقم 2847، وث 01. وتجدر الإشارة أنّ تخطيط الحدود بين الإيّالتين لم يحد من النّزاعات بسبب عدم اعتراف القبائل الحدودية في كلا البلدين بهذه المعاهدات، وسوف تظهر من جديد هذه المشكلة حتى أثناء الفترة الاستعمارية (نهاية القرن 19م)، حيث عثرنا في الأرشيف الوطني التّونسي على تقارير لضبط الحدود بين الأعراش القاطنة على الحدود الجزائرية التّونسية بنواحي تبسة مثل الفراشيش والهمامة وأولاد بوغانم من ناحية تونس وأولاد سيدي يحي بن طالب وأولاد عبيد والنمامشة من جهة الجزائر، رغم أنّ البلدين وقتئذ كانا تحت الإحتلال الفرنسي، للمزيد حول محتوى هذه التقارير، **يُنظر:** أ.و.ت، السّلسلة A، صندوق رقم 278، ملف رقم 18، تقرير رقم 01، 02، 03، 04، 05، 06. وحول حدود معاهدة 1628م، **يُنظر:** الملحق رقم 05، ص 326.

▪ خسر التّونسيون كل عتاد هذه الحملة تقريباً لصالح الجزائريين، وتمثل في 425 خيمة و500 برميل من البارود و54 مدفعاً، إضافة إلى المؤونة ومجموعة من الأسرى النّصارى[1].

▪ بعد اتفاقية 1628م جنح الطّرفان إلى السِّلم، وتحسّنت العلاقات بين البلدين وحُكّامهما لفترة، وهو ما أكّدته لاحقاً تصرّفات حمودة باشا المرادي (1631-1666م) مع الأسرى الجزائريين الذين افتداهم بنفسه من النّصارى في أكثر من مناسبة، وكان يحسن إليهم قبل إرسالهم إلى الجزائر[2].

▪ بعد هذه الواقعة والهزيمة، ومع توقيع الصّلح بين تونس والجزائر، والذي تمّ بموجبه ضبط حدود العمالتين، فكّرت السّلطة العثمانيّة في تونس بشكل جِديّ في إخضاع القبائل المتمرّدة، خاصة المتمركزة على أطراف الإيّالة، وانطلقت هذه العمليّة مع المراديين؛ مراد كورسو من 1629 إلى 1631م، ثمّ واصل ابنه حمّودة إلى غاية سنوات الأربعين، حيث أخضع قبيلة أولاد شنوف خلال 1636-1637م، وقبيلة أولاد بالليل، التي أصبحت قبيلة صغيرة مسالمة تمتهن زراعة الحبوب، ونفس المصير عرفته عديد القبائل في مختلف أرجاء الإيّالة[3].

## المبحث الثّاني: أزمات تونس السّياسيّة خلال العهد المرادي 1631-1702

### أولاً- حروب حمودة باشا المرادي مع الشّابية 1631-1666م:

#### أ- جذور الأزمة:

ورث كل من البايات المراديين والشّابية الصّراع عن أسلافهما، فقد شهد الرّبع الأوّل من القرن السّابع عشر تحديد المجال الجغرافي بين إيالتي تونس والجزائر بعد معاهدتي الحدود سنتي 1614 و1628م، وقد دفع هذا الوضع المراديين إلى تثبيت دعائم حكمهم بعدما استطاعوا تأسيس أسرة حاكمة، وراح باياتها يضربون بيد من حديد كل من تسول له نفسه زعزعة أركان هذا المُلك، بينما كان الطّرف الآخر (الشّابية) يسعى إلى استعادة أمجاد

---

1- Roy (B), Op.Cit, p 187.

2- عمار بن خروف، "**العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس**..."، المرجع السّابق، ص 125.

3- عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص-ص 134-137؛ Ernest Mercier, Op.Cit, p 223.

دولته التي أسقطها درغوث باشا بداية النّصف الثّاني من القرن السّادس عشر ميلادي، ودفعهم الوضع الجديد إلى الهروب باتجاه بلاد الجريد، لكن العثمانيون لاحقوهم وأجبروهم على الرّحيل من تلك الدّيار والاستقرار بالشّرق الجزائري، منذ نهاية القرن المذكور، ومن بايلك قسنطينة حارب عبد الصّمد الشّابي العثمانيين، كما سبق وأشرنا، إلى غاية وفاته سنة 1616م.

وقد حمل علي الشّابي بن عبد الصّمد، الملقب بأبي زغاية، لواء الحرب ضدّ العثمانيين خلفاً لوالده، وهو الذي قاد جيوش الشّابية منذ صغره، لكن القائد الجديد استغل فترة حكم مراد باي التي استمرت إلى سنة 1631م في كسب ولاء القبائل التّونسية والجزائرية استعداداً للثّورة من جديد على المراديين، ومن الصُدف أنْ أصبح علي بن عبد الصّمد مستعداً للحرب سنة تولي حمودة باشا[1]، وخلال نفس السّنة استؤنفت الحرب بين الغريمين، وتواصلت في عهد خلفاء علي الشّابي كالشّيخ بوزيان وأبنائه.

**ب-مجريات الأزمة:**

لخّص صاحب المؤنس حروب وصراعات حمودة باشا المرادي مع أبناء عبد الصّمد الشّابي في العبارة الآتية: «التفت [حمودة باشا] إلى عظماء مشايخ العربان، مثل علي بن عبد الصّمد وولده من بعده أبي زيان فشاركهم في عربانهم وأجلاهم عن معاقلهم وأوطانهم، وشتتهم في القفار وأخلى منهم الديار، وأضاف دريد إلى رعيته»[2]، وتدل العبارة دلالة واضحة، على الرّغم من الإيجاز، على أنّ حروباً طاحنة اشتعلت بين حمودة باشا المرادي وبين الشّابية بقيادة علي بن عبد الصّمد وخليفته من بعده الذي آلت إليه مشيخة الطّريقة؛ ابنه بوزيان.

فبعدما جمع كلّ طرف حلفاءه انطلقت الحروب من جديد بين الحكومة التّونسية بقيادة حمودة باشا، وبين الإمارة الشّابية بزعامة علي بن عبد الصّمد، والتحم الجيشان في عدّة

---

1- علي الشابي، "**العلاقات ...**"، المرجع السّابق، ص 82.

2- ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص 259.

معارك أياماً متتالية انتهت في الأخير بانتصار حمودة باشا على زعيم الشّابية، قُتل فيها خلق كثير من الطّرفين، وقبل نهاية السّنة اشتبك الطّرفان في حرب ثانية بناحية الشّمال الغربي التّونسي، واستطاع حمودة باشا الإيقاع بعلي الشّابي وطرده من الأراضي التّونسية، كما جرّده من أنصاره قبيلة دريد؛ أخوال والده، وأدخل فئة كبيرة منهم في ديون الجند عُرفوا بالمرازقية[1]، ولم نعثر في المصادر التي استطعنا الاطلاع عليها على تفاصيل أكثر حول حروب علي بن عبد الصّمد ضدّ حمودة باشا، غير أنّ الأوّل لم تَطُل فترة قيادته للطّريقة لأنّه تُوفي سنة 1637م، وخلفه ابنه بوزيان على مشيختها.

وبمجرد استلامه قيادة الطّريقة انشغل الشّيخ بوزيان سنوات في إعادة إخضاع القبائل التي انقلبت عليه وعلى والده من قبل وانضمت إلى خصمه حمودة باشا، ففي سنة 1646م استطاع الشّابي الانتصار على قبيلة دريد، وأرغمها على طاعته وجعلها تنقلب على باي تونس، وكذلك فعل مع طرود، التي انضمت إلى صف باي تونس، حيث هاجمهم بوزيان في عقر دارهم بمنطقة سوف من أجل إعادتهم إلى صفه، وفي حادثة أخرى أرسل الشّيخ بوزيان إلى طرود يطلب منهم العون في الحرب التي كان يخطط لها ضدّ حمودة باشا، وعندما امتنعوا هاجمهم كذلك وقتل منهم عدداً معتبراً وحصل منهم على غنائم كبيرة، وكان ذلك سنة 1664م، لكن الحرب التي خطط لها الشّيخ بوزيان لم تتم بسبب أنّ الأجل عاجله وتوفي الشّيخ وهو في الطّريق، وقام أبناؤه بالأمر من بعده[2].

**ج- نتائج الأزمة على تونس:**

- تقلّص نفوذ وتأثير هذه الطّريقة في كل من تونس والجزائر بعد انضوائهما تحت حكم العثمانيين، الذين نجحوا في افتكاك شرعيّة الجهاد منها[3]، وهو ما جعل القبائل التي ساندتها لسنوات طويلة تتخلى عنها وتنضم إلى خصومها، ومن هذه القبائل الحنانشة وطرود ودريد.

---

1- الباجي المسعودي، المصدر السّابق، ص 212؛ علي الشابي، "**العلاقات** ..."، المرجع السّابق، ص-ص 82-83.

2- علي الشابي، "**العلاقات** ..."، المرجع السّابق، ص-ص 83-84.

3- المنصف التايب، المرجع السّابق، ص 42.

▪ قوة حمودة باشا وشجاعته ألحقت بزعماء الشّابية هزائم كبيرة خاصة في حروبه مع علي بن عبد الصّمد وخليفته بوزيان.

▪ تشتت قوة الشّابية بين محاربة العثمانيين في تونس والجزائر وبين محاولات شيوخها إعلان الحرب ضدّ القبائل التي فارقتها وانضمت إلى أعدائها، وهو ما جعلها تحارب على أكثر من جبهة في نفس الوقت.

**ثانياً–الصّراع بين الدّايات والبايات المراديين 1666–1675م في إيّالة تونس:**

**أ– جذور الأزمة:**

كان أوّل من حمل لقب "الباي"[1] في تونس هو القائد رمضان؛ وهو من جند الجزائر، وأبرز من تفطّن، بفضل ذكائه وقوّة شخصيته، لأهمية هذا المنصب، واستطاع بذلك كسب ثقة كل من عثمان داي ثمّ يوسف داي (ت: 1613م)[2]، ومن مماليكه الذين لقبوا بالباي في حياته؛ مراد الأوّل، وكان لمراد علم بسياسة الرّعية وجباية الأموال، وتفوّق على أقرانه من مماليك سيِّده[3]، وخلف مراد كورسو سيِّده في هذا المنصب، بعد وفاة الأخير، وقد تسلم مراد المنصب في ظروف حرجة، أهمّ ما ميزها حروب الإيالتين حول مشكل الحدود سنة 1614 ثمّ 1628م، ورغم ذلك تمكّن من القيام بأعباء المنصب على أكمل وجه، لا سيما قمع القبائل المتمرّدة. وازداد نفوذه بعد حصوله على فرمان سلطاني خوّل له توّلي منصب الباشا سنة 1631م، مع احتفاظه بمنصبه القديم، وشكّل منذئذ سلطة موازية لسلطة الدّاي، الذي انحصر نفوذه في العاصمة وضواحيها، بينما توّسع نفوذ الباي ليشمل معظم دواخل البلاد[4]، لكن الأجل لم يمهله طويلاً، لأنّه توفي في نفس السّنة التي تحصّل فيها على لقب الباشا.

---

1– ذكر "هنيّة" بأنّ ظهور مؤسسة الباي اقترن بشخص حمودة باشا المرادي في منتصف القرن 17م وبقيادته للمحلّة، ولعله يقصد التّطوّر الذي حصل لهذه الوظيفة من لقب إلى مؤسّسة، لأنّ الباي كلقب موجود قبل حمودة باي كما أشرنا إلى ذلك، وقد تلقب به والده مراد الأوّل وسيّده رمضان باي، **يُنظر:** عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 129.

2– محمَّد صالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص 27؛ Azzedine Guellouz et autres, Op.Cit, p 62.

3– الوزير السّراج، المصدر السّابق، ص 347؛ محمود مقديش، المصدر السّابق، ص 97.

4– دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السّابق، ص 59.

سار "حمودة باي المرادي (1631-1666م)"[1] على نهج والده، حيث خرج سنة 1631م على رأس "المحلة"[2] باتجاه القيروان ودفع عنها أولاد سعيد وشرّدهم باتجاه طرابلس الغرب، وولّى عليها القائد علي الحناشي، والتفت إلى الشنانفة بجهة الكاف وخلّصها منهم، ودانت له بالطّاعة مناطق جبل مطماطة وجبل عمدون وغيرها، كما هزم الشّيخ علي الشّابي بن عبد الصّمد؛ شيخ "قبيلة دريد"[3] وطرده، وتغلّب على شيخ الحنانشة خالد بن نصر الحناشي[4].

كما مكّنته سيطرته الواسعة على دواخل البلاد من مداخيل جبائية دائمة، وضمنت له ولاء النّخب المحليّة؛ الحضريّة والرّيفية، ودعمت نفوذه، من خلال إرساء أركان سلطة جديدة نافست سلطة الدّايات[5]، بل وتفوقت عليهم. ومع أواسط القرن السّابع عشر ميلادي أصبح الباي الحاكم الأوّل للبلاد، وأصبح المجتمع التّونسي يُنظر له نظرة المَلِك، خاصة بعد بنائه

---

1- ابن مراد الأوّل، اسمه محمَّد، وكُنيته أبو عبد الله، أمّا لفظ حمودة فهو تصغير لاسم محمَّد. وتعتبره بعض المصادر المؤسِّس الحقيقي للبيت المرادي، كان حسن الخُلق والخِلقة، وله آثار عديدة كالجامع المجاور لزاوية الشّيخ أحمد بن عروس، ومستشفى العزّافين، ومشيِّد معالم الزّاوية الصّباحية بالقيروان. محمَّد بن الخوجة، المصدر السّابق، ص ص 50، 54.

2- لغةً تعني المحل، أي مكان حلول القوم أو نزولهم، أما اصطلاحاً، فهي مؤسسة سياسية-عسكرية اشتهرت بها بلاد المغرب منذ العهد الموحدي، لكنها شهدت تحولات في المرحلة الحديثة خاصة في كل من تونس والجزائر، وتعتبر من أهم المؤسّسات التي ارتكزت عليها السّلطات المغاربية، وكانت أداة في مواجهة المجموعات القبلية من حيث تأطيرها ومخزنتها، وقد استغل بايات تونس هذه المؤسّسة في تجميع المعلومات، ومراقبة دواخل البلاد وتعميق دراية المخزن بمجاله والرّعية بأميرها، **يُنظر**: دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السّابق، ص 129، 130؛ Jocelyne Dakhlia, **Dans la mouvance du prince: la symbolique du pouvoir itinérant au Maghreb**, A.E. S.C, N° 3, 1988, p 735؛ المنصف التايب، المرجع السّابق، ص 32، وللمزيد حول هذه المؤسسة ووظائفها المختلفة، **يُنظر**: محمد الحبيب العزيزي، المرجع السّابق؛ الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، ص-ص 38-42.

3- من قبائل الزّحفة الهلالية، ويعتبرون أولاد عمومة مع رياح والهمامة، ومن القبائل التي تحالفت مع الحركة الشّابية في حروبها ضدّ العثمانيين في تونس، **يُنظر**: محمّد علي الحبّاشي، المرجع السّابق، ص 16.

4- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص-ص 35-36.

5- خلال فترة حكم حمودة باشا المرادي تداول على منصب الدّاي 06 ضباط، وهم: يوسف داي (1613-1637)، أسطا مراد داي (1637-1640)، الدّاي أحمد خوجة (1640-1647)، الدّاي محمَّد لاز (1647-1653)، الدّاي مصطفى لاز (1653-1665)، الدّاي مصطفى قارة أكوز (1665-1666). **يُنظر**: أسعد أفندي، **خلاصة أحوال تونس غرب (مخ)**، و 8 ظهر و9 وجه وظهر؛ أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص-ص 37-42.

لبلاط باردو، واعتراف الباب العالي له بلقب الباشا سنة 1658م؛ فقد وصفه السّلطان العثماني في إحدى مراسلاته بالباشا بن الباشا، واستطاع بذلك فرض مرشحه لمنصب الدّاي، غير أنّه لم يعمد إلى تفجير الصّراع مع الطّائفة العسكريّة[1]، على عكس ابنه "مراد الثّاني (1666–1675)"[2] الذي خلفه بعد وفاته، حيث بات الصّراع في عهده واضحاً جلياً[3].

**ج- مجريات الأزمة:**

اعتلى مراد الثّاني منصب الباي بعد وفاة والده حمودة باشا سنة 1666م، وكان الأخير قد حصل له على منصب الباشويّة من الباب العالي، الأمر الذي سهل له أعباء المنصب وجعله يقوم به على أحسن ما يكون[4]. ومع أنّه سار على خطى والده في سعيه للسّيطرة على دواخل البلاد، لكنه كان مخالفاً له في تعامله مع الدّايات، فقد ازدادت حدة الصّراع بين مؤسستي الباي والدّاي في هذه الفترة، وحاول مراد باي الثّاني استغلال فرصة إقالة الدّاي محمَّد حاج أغلو (1666–1670م)[5] ليفرض مرشحاً آخر للمنصب، لكن كاتب الدّيوان محمَّد بيشارة تفطّن للأمر، وأوعز لصاحبه، كاتب الدّيوان شعبان خوجة، بانتهاز الفرصة، ثمّ قام وقبَّل يده وبايعه، وقَبِلَ أعيان الدّيوان بيعة الدّاي شعبان خوجة (1670–1672م)[6].

بعد هذه الحادثة احتدّ الصّراع أكثر بين الطّائفتين، حتّى أنّ مراد باي الثّاني تعلّل بعدم قيام الدّاي شعبان له عندما جاء لتهنئته بالمنصب، واعتبرها إهانة في حقه، لذلك قام بإذكاء الخلافات بين أعضاء الدّيوان، وتمكّن من خلعه وتقديم مرشحه محمَّد منتشالي (1672–1673م) لخطة الدّاي، وكان الأخير ضعيف الشّخصية ممّا جعله أداة طيّعة في يد الباي

---

1- يذكر "هنيّة" أنّ الصّراع موجود في صلب الطائفة العسكرية ذاتها، ويضرب مثالا بطريقة وصول الدّاي عثمان إلى السّلطة بعد تخلصه من منافسه صفر داي بالنّفي، والتّنافس بين عجم داي ويوسف داي بعد وفاة الدّاي عثمان، ثم بين اسطا مراد وابن الدّاي السابق، **يُنظر:** عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص-ص 125-126.

2- يعتبر آخر البايات الأقوياء في الأسرة المرادية، سار على خطى والده، وكان ذا سيرة حميدة، من مآثره بناء قنطرة وادي مجردة، ومسجد بباجة والمدرسة المرادية، وغيرها الكثير، **يُنظر:** ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص ص 265، 272.

3- دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السّابق، ص-ص 59-60؛ علي غنابزية، المرجع السّابق، ص 154.

4- زهيرة سحابات، المرجع السّابق، ص 39.

5- كان مراد الثاني هو من عيّنه في منصب الدّاي سنة 1666م، **يُنظر:** دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السّابق، ص 60.

6- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص-ص 43-44.

استعملها لتحقيق رغباته[1]. وقد تداولت أخبار تفيد بوجود نيّة لدى الدّاي شعبان خوجة والدّيوان للإطاحة بالمراديين، وتحقيقاً لذلك اتّفق الدّاي شعبان مع بعض المحسوبين من أتباع الباي وهم في الحقيقة أعداء له؛ كابن أحمد خوجة وأحمد بن القائد جعفر[2]، إضافة إلى أنَّ الدّاي حاول إِحداث فتنة بين الباي مراد الثاني وابنه حتّى يشغلهم، ويستأثر هو بالسّلطة[3]، وقد يكون هذا سبب إقدام الباي على خلعه وتقديم مرشّحه لمنصب الدّاي.

لَمْ تَسِر الأمور كما خطّط لها الباي، ولم يَدُم حكم محمَّد منتشالي في منصب الدّاي سوى سنة واحدة، لأنّ جند التّرك خلعوه وعيَّنوا مكانه الدّاي الحاج علي لاز (مارس–جوان 1673م)[4]، وكان الباي في هذه الفترة بمنطقة الجريد من أجل الجباية، وفور تعيينه قام الدّاي الجديد، بمساعدة عسكر التّرك، وأعلن عن خلع مراد باي الثّاني وتنصيب محمَّد آغا مكانه[5]، ولاحقت العساكر كل موالٍ للمراديين بالعاصمة وصادروا أموالهم، وتحالفوا مع القبائل النّاقمة على السّلطة؛ كالمثاليث وأولاد سعيد[6]. ونستطيع التّأكيد هنا على أنَّ هذه الحوادث كانت القطرة التي أفاضت الكأس، وأشعلت فتيل الحرب بين قطبي السّلطة في تونس.

لقد عرف محمَّد الحفصي ما فعله الدّاي الحاج علي لاز، وكان وقتئذ في الحاضرة، فخرج قاصداً محلة أخيه، وأخبره بما حصل، فلم يبق بيد مراد باي الثّاني إلاّ الحرب، وخرج كل طرف بجيشه، وعسكرا في مكان يُسمى الملاسين؛ وبه عرفت الواقعة، وكانت الدّائرة على جيش محمَّد آغا وحلفائه، وتتبعهم جيش مراد بالقتل والأسر، وكان ذلك في الثّاني (02) جوان 1673م. وبعد هذا الانتصار السّاحق أمر مراد باي الثّاني الدّيوان بخلع الحاج علي لاز ومبايعة الدّاي مامي جمل (1673–1677م)[7]، وبقدر ما كانت هذه الواقعة وبالاً على الطّائفة العسكرية، كانت بالقدر نفسه انتصاراً لمراد باي الثّاني، فقد أصبح الحاكم الأوّل للبلاد؛ حتّى وفاته سنة 1675م.

---

1- Azzedine Guellouz et autres, Op.Cit, p 68.

2- ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص 266.

3- محمَّد صالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص 29.

4- علي غنابزية، المرجع السّابق، ص 154.

5- ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 126.

6- دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السّابق، ص 60.

7- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص–ص 45–46.

وما إنْ استتب الأمر لمراد باي الثّاني بعد فتنة عساكر التّرك، حتّى ثار ضدّه "أبو القاسم الشوك" واعتصم "بجبل وسلات"[1]، فخرج له الباي بمحلتين عظيمتين، وخرج محمَّد الحفصي بمحلة واحدة لإعانة أخيه، وطوقوا الجبل من جميع الجهات، ورغم الفرصة التي أعطاها الباي للشوك حتّى يرجع عما أقدم عليه، إلاّ أنّ محاولات الباي باءت بالفشل، وانتهى العصيان بإقدام الثّائر على قَتْلِ نَفسِهِ بعد قتال كبير، تيقّن خلاله أبو القاسم الشوك أنْ لا نجاة بعده من قبضة الباي[2].

**ج- نتائج الأزمة على تونس:**

- ساهمت هذه الأزمة في بروز مؤسّسة الباي ووصولها إلى هرم السّلطة، متجاوزة بذلك مؤسّستي الدّاي والدّيوان، وممثَّلة في شخص الباي كحاكم أوّل للإيّالة، وبداية أفول نجم الدّايات والطّائفة العسكريّة.
- استطاع مراد الثّاني بعد هذه الأزمة التّخلص من خصومه؛ أمثال الحاج علي لاز الذي نفاه إلى الحمامات، حيث قُتل ودُفن فيها، ومحمَّد آغا ومناصريه فرغم نجاحهم في الفرار من العاصمة إلاّ أنّه تمّ تعقبهم وتصفيتهم جميعاً[3].
- وصلت الأسرة المرادية خلال هذه المرحلة إلى أوج قوتها، وبوفاة مراد باي الثّاني، دخلت مرحلة جديدة من الفوضى والافتتان على السّلطة بين ورثة عرشها.

---

1- يقع غرب مدينة القيروان، ويبعد عنها حوالي 35 كلم نحو الشّمال، يبلغ ارتفاعه حوالي 850 متر، وقد اقترن اسم هذا الجبل بالعديد من الأزمات السّياسية والثّورات ضدّ الحكم في تونس، حتّى وصفه المؤرّخ "حمّودة بن عبد العزيز" بقوله: «وقد كان جبلهم [جبل وسلات] شَجى في صدر مُلْك افريقية لا يُنْتَزَع، وغُصَّة في قلبه لا تَرْتَفع، طالما أقاموا سُوق الفِتْنة على ساقها، وسَعَوْا في قَلْب الدُّوَل وفسادها»، **يُنظر**: حمّودة بن محمّد بن عبد العزيز، المصدر السّابق، ص 47؛ عبد الواحد المكني، **شتات أهل وسلات بالبلاد التونسية-مقاربة في الأنثروبولوجيا التاريخية**، دار سحر للنشر، تونس، 2020م، ص-ص 26-27.

2- ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص 271؛ محمود مقديش، المصدر السّابق، ص 106.

3- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 46.

**ثالثاً- الصّراع بين ورثة العرش المرادي 1675-1686م وفتنة الدّاي أحمد شلبي:**

**أ- جذور الأزمة:**

بدأت الأزمة سنة 1673م، عندما حاولت الطّائفة العسكرية بقيادة الدّاي الحاج علي لاز إلغاء الحكم العائلي المرادي، واستعادة ما فقدته مؤسّسة الدّاي من سلطة ونفوذ، لكن مراد باي الثّاني أفشل هذه المحاولة، واستطاع أنْ ينتقم بشدة من هاته الطّائفة، وتوسّعت الأزمة بعد وفاة هذا الباي سنة 1675م وتنافس ابنيه محمَّد وعلي وعمهما محمَّد الحفصي على السّلطة، لأنّه لم يكن هناك نظام خلافي واضح حول من يخلف الباي في هذا المنصب بعد وفاته، هل الأكبر سناً من أبناء الباي الرّاحل؛ وهو في هذه الحالة محمَّد باي، أو الأكبر سناً في العائلة المرادية، وهو محمَّد الحفصي ابن حمودة باي، وحفيد مراد الأوّل مؤسِّس الأسرة[1].

فبعد وفاة مراد باي الثّاني تمّ الاتفاق على تقديم محمَّد لخلافة والده في حكم تونس[2]، وكانت هذه الحادثة من بين أهم الأسباب التي عمّقت الخلاف بين أفراد العائلة المرادية، وأدّت إلى تغذية الصّراعات بينهم بسبب التّحاسد، فقد كان العمُ محمَّد الحفصي يسعى إلى زرع بذور الفتنة بين ابني مراد الثّاني؛ محمَّد وعلي، بسبب أطماعه في الجلوس على عرش تونس، واستطاع اقناع الأخ الأصغر علي؛ وكان متبنيا له، بأنْ يطلب مشاركة أخيه قيادة المحلة وجمع المجبى[3]، وسار الدّاي مامي جمل على خُطى محمَّد الحفصي في تحريضه لعلي ضدّ أخيه محمَّد[4]، ومن الممكن أنّه أراد من وراء ذلك استعادة نفوذ الدّايات من جديد، وإضعاف نفوذ البايات والتّخطيط للقضاء عليهم في مرحلة لاحقة.

---

1- عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 147.

2- جاء في المؤنس بأنّ الولاية كانت للأخوين معاً، وكان محمَّد خارج الحاضرة على رأس المحلة، حيث قال: « فسيروا له صحبة أخيه جماعة من أغوات العسكر، وصحبتهم خلع سلطانية وأوامر شريفية بولايتهما جميعاً، وقرئت بالمحلة ولبسا التشاريف وضربت الطبول ونشرت على رؤوسهما الأعلام الملوكية وتباشرت الناس بهذه الولاية المتجددة»، **يُنظر**: ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص 273.

3- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 47؛ محمّد عطية، المرجع السّابق، ص 68.

4- محمَّد صالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص 29.

ويضيف الأستاذ "هنيّة" عاملاً اقتصادياً له علاقة بوهن النّظام المرادي خلال الرُّبع الأخير من القرن السّابع عشر (17) الميلادي، فقد نقصت موارد الفئة الحاكمة جراء تعطل التّجارة نتيجة الرّكود الاقتصادي والأزمة الاقتصادية التي عرفتها أوروبا خلال نفس الفترة ممّا أثّر سلباً على اقتصاد إيّالة تونس، كما ساهم انتشار الأوبئة والمجاعات خاصة سنوات 1676م و1689م و1690م في وهن النّظام المرادي بشكل كبير[1].

**ب- مجريات الأزمة:**

تعتبر هذه الأزمة من الأزمات طويلة الأمد، حيث دامت حوالي عشر (10) سنوات، ودخلت البلاد على إثرها في حرب أهلية بين ورثة العرش المرادي، في حين استغل الدّايات فرصة انشغال المراديين بالحرب وحاولوا استعادة نفوذهم.

وكانت البداية بين محمَّد بن مراد الثّاني وعمّه محمَّد الحفصي الذي انحاز له الطّرف الثّالث في الصّراع؛ وهو علي بن مراد الثّاني، فما كان على الجميع إلاّ الاحتكام أمام الدّيوان، وجاء الحكم لصالح محمَّد الحفصي، ممّا جعل محمَّد بن مراد الثّاني يستعد للحرب[2]، فسار باتجاه الكاف وجمع أنصاره، ولمّا وصلت استعدادات محمَّد إلى مسامع عمه خاف أن يتفاقم الأمر، فتنازل له عن عرش تونس، وغادر البلاد نحو إسطنبول، وكان ذلك في شهر ديسمبر 1675م[3]، أمّا علي فقد فرّ إلى قسنطينة واستجار بشيخ قبيلة الحنانشة سلطان بن نصر، وعاد في السّنة الموالية بقوة هامة تمكّن بواسطتها من الانتصار على أخيه قُرب جبل وسلات؛ في فيفري سنة 1677م، وأجبره على الفرار باتجاه الكاف. وبمجرد تسلمه السّلطة، قام علي باي، بخلع الدّاي مامي جمل، وتعيين محمَّد بيشارة مكانه[4]. وأصبح بذلك صاحب السّلطة الفعليّة في تونس.

---

1- عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 149.

2- المرجع نفسه، ص 147.

3- ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص 275.

4- محمَّد صالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص 30.

ولمدّة فاقت السّنة تبادل الأخوان الانتصار والهزيمة، وكان المنتصر منهما يزحف على العاصمة ويخلع الدّاي الموالي للطّرف الآخر، ويعين داياً يكون تحت تَصَرُّفِهِ[1]، إلى غاية عودة عمهما محمّد الحفصي من الاستانة حاملاً معه لقب الباشا من الباب العالي، في مارس 1678م، وكان أوّل أمرِهِ حليفاً لعلي باي، ثمّ ما لبث أنْ تخلى عنه وتحالف مع محمَّد باي، إلاّ أنّ توحيد جهودهما ضدّ علي باي لم تمنع الأخير من التّغلب عليهما مجتمعين، وكانت الحرب مستمرة لولا تدخُّل الجزائريين بالصّلح بين الأطراف المتصارعة سنة 1680م[2]، وانتهت بتقسيم البلاد بين الأخوين؛ حيث بقيت الحاضرة تونس تحت حكم علي باي، وكان الأخير قد عيّن محمَّد طاباق داياً سنة 1677م بعد أن عزل مامي جمل من الولاية الثّانية، بينما يكون الأمر في مدينة القيروان بيد محمَّد باي، والتي سوف يتخذها عاصمة له[3].

ورغم ما كان ظاهراً من الصُّلح بين الأخوين، إلاّ أنّ الباطن كان غير ذلك، فقد نجح محمَّد باي في زرع الفتنة بين علي باي والدّاي محمَّد طاباق، لِما رآه من ألفة بينهما، ومن زيادة قوّة أخيه، باعتضاده بهذا الدّاي، يوماً بعد يوم، إلى أنْ زادت الوحشة بين الطّرفين، وانتهت بإقدام علي باي على عزل الدّاي وقتله سنة 1682م، وعين أحمد شلبي بدلاً عنه[4].

لم تكن الأمور على ما يرام بين الدّاي الجديد والباي، ذلك أنّ الأوّل كان خائفاً من أنْ يتعرض لنفس مصير سلفه، وما زاد التّباعد بين الطّرفين قتل الدّاي لرجل وابنه من قبيلة ورشفانة، بسبب إقدام الابن على هتك عرض فتاة، أثناء غياب الباي عن العاصمة، وعند علمه بالأمر جهّز جيشه وزحف به على مدينة تونس وعسكر في مكان يُسمى الحريرية، وحاصر تونس مدّة تسعة أيام، في هذه الأثناء بعث الدّاي أحمد شلبي إلى محمَّد باي يطلب النّجدة مقابل تمكينه من حكم البلاد، فأبدى موافقته وأرسل للدّاي نجدة قوّت جانبه، ووقعت

1- ابتداءً من الرُّبع الأخير من القرن 17م ضعف نفوذ الدّايات وأصبحوا تحت تصّرف البايات المراديين، رغم محاولات بعض الدّايات استعادة نفوذهم، مثل الدّاي أحمد شلبي، لكن سيطرة البايات وتراجع نفوذ الدّايات سوف يتكرس مع قيام الأسرة الحسينية سنة 1705م على يد الباي حسين بن علي، إلى غاية إلغاء مؤسّسة الدّاي نهائياً سنة 1860م. توفيق البشروش، المرجع السّابق، ص-ص 63-64.

2- للمزيد حول هذه النّقطة يُنظر المبحث الأوّل من الفصل الثّالث من هذه الأطروحة.

3- ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص-ص 131-132.

4- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 56.

معركة بين الجانبين عُرِفَت بواقعة الخضرة؛ أحد أبواب مدينة تونس، هُزم فيها الدّاي، لكن علي باي لم يتمكّن من دخول المدينة[1]. وعند انتهاء المعركة زحف محمَّد باي على مدينة تونس التي دخلها دون مقاومة، وعقد له الدّاي ديواناً وبايعوه على أنْ يباشر حرب أخيه، فبعث علي باي إليه ينذره بإخلائها، فلم يستجب، وردّ علي باي بقتل بن أخيه، الذي لم يكن له ذنب في هذا الصّراع، وكان رهينة عند عمه، منذ صلح 1680م[2].

وفي سنة 1684م انهزم علي باي بجهة الكاف، التي اتخذها مستقراً له منذ استيلاء أخيه على زمام السّلطة في تونس، وذلك أمام محلة تونس ومحلة الجزائر التي استجلبها الدّاي أحمد شلبي، وتمكّن محمَّد باي من أخذ قلعة الكاف، في حين فرّ علي باي إلى سوسة. بعد هذا الانتصار سرعان ما تسلّلت العداوة إلى حلف محمَّد باي والدّاي أحمد شلبي، فقد تيقن الباي بأنّ حليفه أصبح يتطلّع إلى الاستبداد بالسّلطة، وإعادة مجد مؤسّسة الدّايات والطّائفة العسكريّة إلى سابق عهدها؛ أيام عثمان داي ويوسف داي[3]، عندها قرّر الباي الخروج إلى ناحية مرناق، وأرسل إلى أخيه يدعوه إلى الصّلح على اقتسام البلاد بينهما، وأنْ يكونا يداً واحدة على قتال أحمد شلبي، فكان لهما ذلك على يد الكاتب عبد الرّحمان بن خلف؛ حيث تمّ الاتفاق على أنْ يتولى محمَّد باي على باجة والقيروان والمنستير، ولعلي باي الكاف ووسلات وسوسة وبقية السّاحل[4].

ولما سمع الدّاي أحمد شلبي بالأمر خرج بمحلة لقتال محمَّد باي وتمكّن من هزيمته واستولى الدّاي على محلته وعزله ونصّب أحد مواليه؛ ويُدعى محمَّد منيوط، باياً على تونس، وأصبح الدّاي صاحب السّلطة الفعلية في الإيّالة[5]. وقد استطاع الدّاي بعد ذلك هزيمة الأخوين مجتمعين في معركة قرب القيروان، عندها اضطر الأخوان إلى الاستنجاد بداي

---

1- محمود مقديش، المصدر السّابق، ص-ص 120-121.

2- محمّد عطية، المرجع السّابق، ص 69.

3- ذكر "دونان" أنّ الدّاي أحمد شلبي أمتلك خلال هذه المرحلة نفوذا واسعاً وأنّ السّلطان العثماني أصبح لا يملك إلاّ نفوذاً اسمياً فقط على هذا الدّاي، **يُنظر**: هنري دونان، **الإيالة التونسية سنة 1858**، (تر) و(تع): محمد فريد الشريف، المطبعة العصرية، تونس، 2012م، د.ط، ص 20.

4- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص-ص 58-59.

5- Leila Temimi Blili, **Sous le toit de l'Empire-Deys et Beys de Tunis Du Pouvoir militaire à la Monarchie 1666-1922**,T 02, Editions SCRIPT, Tunis, 2017, p 83.

الجزائر حسين ميزومورتو (1683-1687)، الذي أرسل، سنة 1685م، محلة بقيادة إبراهيم خوجة إلى تونس، وانضمت له في الطّريق محلة باي قسنطينة، وحاصرت هذه القوات، بعد أنْ انضمت إليها قوات الأخوين، العاصمة تونس حوالي تسعة (09) أشهر، اضطر الدّاي أحمد شلبي، على إثرها، إلى الفرار، لكن أعداءه ظفروا به بعد عدة معارك، واقتيد أسيراً؛ مثخناً بجراحه إلى محلة الجزائر في شهر ماي سنة 1686م[1].

بعد التّخلص من الدّاي أحمد شلبي، جُدِّدت البيعة للأخوين على القسمة السّابقة، لكن سرعان ما عاد التّناحر بينهما، واضطر علي باي إلى الفرار، غير أنّ أنصار أخيه استطاعوا اللّحاق به وقتله سنة 1686م[2]، في حين انفرد محمَّد باي بالسّلطة المطلقة في تونس. أمّا عسكر الجزائر فقد عاد من حيث أتى حاملاً غنائمه التي كانت من شروط الاتفاق بين الطّرفين مقابل المساعدة التي قدَّمها لباي تونس[3].

بعد أكثر من عشر سنوات من الحرب على عرش تونس انتهت الفتنة بانفراد محمّد باي بحكم تونس حوالي عشر سنوات (إلى غاية 1696م)، بعد وفاة أخيه علي باي، وقد عرفت خلالها تونس نوعاً من الاستقرار، رغم محاولة محمّد بن شكر الثّورة ضدّ صهره محمَّد باي.

**ج- نتائج الأزمة على تونس:**

- انتهت الأزمة بتسلم محمَّد باي زمام السّلطة في تونس، بعد وفاة أخيه علي باي، واستقرار محمَّد الحفصي في الاستانة.
- رغم محاولة الدّاي أحمد شلبي إعادة السّلطة والنّفوذ للدّايات والمؤسّسة العسكرية إلاّ أنّ الأمور لمْ تسر كما خطط لها، وأصبح الدّايات ابتداءً من هذا التّاريخ تحت سطوة وتصرّف البايات المراديين إلى غاية زوال دولتهم، ثمّ الحسينيين منذ مطلع القرن الثّامن عشر (18) ميلادي.

---

1- محمَّد صالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص-ص 31-32.

2- أورد "بلانتي" رسالة من الدّاي الحاج شعبان إلى ملك فرنسا لويس الرابع عشر بتاريخ الفاتح سبتمبر 1694م، بأنّ قتل علي باي وداي تونس جاء بأمر من الباب العالي، والأمر شمل كذلك محمّد باي ولكن نجحت وساطة داي الجزائر وديوانها لدى السّلطان العثماني في منح محمّد باي العفو، **يُنظر**: Eugène Plantet, Op.Cit, p-p 415-416.

3- زهيرة سحابات، المرجع السّابق، ص-ص 47-48.

▪ عانت إيّالة تونس خلال هذه الحرب الأهلية، التي فاقت مدتها العشرين (20) سنة، وتجرّع على إثرها سكان الإيّالة كافة أنواع الويلات والمصائب؛ من قتل للأنفس، وتخريب للممتلكات وغيرها الكثير، ولم تستثن هذه الكارثة أي فئة من الفئات المكونة للمجتمع التّونسي، حيث راح ضحيتها أفراد من البايات وأبنائهم ومن الجنود وأبناء القبائل من مختلف جهات الإيّالة[1].

**رابعاً- ثورة محمَّد بن شكر ضدّ الباي محمَّد المرادي 1694-1695م:**

**أ- جذور الأزمة:**

كان "محمَّد بن شكر"[2] من كبار شخصيات بلاط باردو، فهو كاهية (نائب) محمَّد باي، وصهره؛ أي زوج أخته، وكان في بدايته مخلصاً لسيِّده، ولكن ممارسته للحكم من خلال تواجده الدّائم مع الباي، والسّماح له بالبَت في بعض القضايا بنفسه ولَّدت لديه الرّغبة في اعتلاء عرش البايات، رغم أنّه لا يَمُت للأسرة المرادية بأيّة صلة، غير المصاهرة[3].

فقد كانت ممارسة بن شكر للسّلطة بنفسه قد ولّدت بداخله طمعاً في الاستئثار بمنصب الباي على حساب أصهاره المراديين، حيث طغى طموح سياسي كبير على شخصيته جعله يُفكر في طرد المراديين من السّلطة وإعادة تنظيم البلاد على شاكلة أوجاق الجزائر وطرابلس الغرب[4]، وإنْ لم يكن هذا هو السّبب الوحيد لثورة ابن شكر على محمَّد المرادي فإنّه بالتّأكيد يمثل واحداً من أهم الدّوافع التي شجعته على هذه الثّورة، ومع ذلك فلم نعثر في المصادر التي عُدنا إليها بخصوص هذه الثّورة إلاّ على إشارات فقط، دون أنْ تتعرض هذه المصادر أو تخوض في أسباب ودوافع الثّورة.

---

1- محمد صالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص-ص 31-32.

2- ورد ذكره في بعض المصادر بأسماء مختلفة، مثل: أحمد بن الشقير، ومحمَّد شقير، وأحمد بن شوق، **يُنظر:** محمّد بن ميمُون الجزائري، **التحفة المرضيّة في الدَّولةِ البَكداشيّة في بِلادِ الجَزَائِرِ المَحْمِيَّة**، (تق) و(تح): محمّد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ط 02، ص 25؛ هنري دونان، المصدر السّابق، ص 20؛ عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص 449.

3- عبد القادر صحراوي ومحمّد عطية، "**مشروع توحيد الإيّالات المغاربية في عهد الداي شعبان 1688-1695م**"، مجلة الحوار المتوسطي، مج 08، ع 01، مارس 2017م، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، ص 552.

4- Azzedine Guellouz et autres, Op.Cit, p 76.

وجدير بالإشارة أنّ بن شكر وجد الدّعم أوّل الأمر من باشا الجزائر حسين ميزومورتو[1]، غير أنّ موقف الباشا سبّب أزمة في الجزائر[2]، وبسببها تمّ تغيير الباشا والدّاي في الجزائر، وتقلّد "الحاج شعبان (1688-1695م)" منصب داي الجزائر[3]، وقد أخرّت هذه الظّروف مشروع بن شكر وجعلته ينتظر ست (06) سنوات أخرى ليحصل على الدّعم من الجزائر، بعد أنْ ساءت العلاقات بين الإيالتين.

**ج- مجريات الأزمة:**

بعد أنْ تمّ القضاء على الدّاي أحمد شلبي بمساعدة عسكر الجزائر سنة 1686م، استقر محمَّد باي على عرش تونس من جديد، وأعاد الاستقرار إلى البلاد، لكن سرعان ما تعكرت العلاقة بين الباي وصهره، بن شكر، وأفضت إلى قطيعة بين الطّرفين سنة 1688م، عندها طلب بن شكر من الباي رخصة لأداء فريضة الحج، فأذن له[4]، حيث غادر تونس مُبْحِراً باتجاه مكة المكرمة، غير أنّ سفينة فرنسية اعترضت طريقه ونهبت مركبه، مما اضطره إلى تغيير وجهته نحو مدينة الجزائر، ويبدو أنّ هذه الحادثة كانت مناسبة لطموحات بن شكر، فقد استطاع بفضل دسائسه وتوسلاته ووعوده إقناع الباشا حسين ميزومورتو، إعلان الحرب ضدّ باي تونس[5]، لكن موقف الدّاي هذا كلَّفَهُ منصبه، حيث لجأ مضطراً إلى عاصمة الدولة العثمانية، بعدما ثارت ضدّه الانكشارية[6].

1- أشار "بن المفتي" أنّ ميزومورتو جمع المنصبين (الدّاي والباشا) سنة 1684م، بينما ذكر "دي غرامون" أنّ حسين ميزومورتو تسلم سنة 1686م قفطان التولية لمنصب باشا الجزائر من الباب العالي، وعُين إبراهيم خوجة قائد محلة الجزائر التي وضعت محمَّد باي على عرش تونس سنة 1686م في منصب الدّاي، في حين قال الأستاذ "قنان" أنّ هذا التغيير في المناصب حصل سنة 1687م، حول هذه النّقطة، **يُنظر**: ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، المصدر السّابق، ص 56؛ جمال قنان، المرجع السّابق، ص 120؛ H.-D. de Grammont, Op.Cit, p 254.

2- حول هذه الأزمة، **يُنظر**: المبحث الأوّل من الفصل الثّالث من هذه الأطروحة.

3- هو رابع الدّايات الذين تولوا حكم إيّالة الجزائر بعد الإطاحة بنظام الأغوات، ويعتبر من بين أشهر رياس البحر في تاريخ الجزائر العثمانية، قضى فترة حكمه في ضرب التّحالفات التي استهدفت إيّالة الجزائر، كالتّحالف التونسي-المغربي-الفرنسي، **يُنظر**: عبد القادر صحراوي ومحمّد عطية، المرجع السّابق، ص-ص 549-550.

4- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص-ص 60-63.

5- ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 140.

6- E.cat, **Petite Histoire de l'Algérie Tunisie et Maroc**, T 01, Adolphe Jourdin Imprimeur-Libraire- Editeur, Alger, 1889,p 309.

فَقَدْ استلم الدّاي شعبان مقاليد السّلطة في الجزائر، إثر إقالة الدّاي السّابق إبراهيم خوجة والباشا حسين ميزومورتو، وتزامن هذا الحدث مع تغير الظّروف في المنطقة، حيث تحالف باي تونس مع سلطان المغرب مولاي إسماعيل(1)، كما زعم بن شكر بأنّ لباي تونس أطماعاً توسعية في قسنطينة وطرابلس الغرب، إضافة إلى أنّ هذه الفترة عرفت كذلك بداية ضعف الأسطول الجزائري وبالتالي تراجعت عائدات النّشاط البحري(2)، ما جعل الدّاي شعبان يغير رأيه بشأن موضوع التّدخل في شؤون تونس، ويستدعي الدّيوان للاجتماع.

وإثر اجتماع الدّيوان قرّر الدّاي الحاج شعبان إرسال حملة عسكرية ضدّ باي تونس هدفها الإطاحة بالأخير وتعيين حليفهم بن شكر مكانه(3)، واستطاعت هذه الحملة التي تحركت في صيف 1694م من عنابة باتجاه تونس(4)، مدعومة بالقوات الطرابلسية التي وصلت ميناء عنابة، الانتصار على قوات باي تونس في مدينة الكاف، ثمّ بعد ذلك في العاصمة تونس، في نوفمبر 1694م، واضطر الباي إلى الهرب بتجاه القيروان ثم بعدها إلى الصّحراء، في حين عيّن الدّاي شعبان بن شكر باياً على تونس، ومحمود خوجة في منصب الدّاي(5).

---

1- جون ب.وولف، المرجع السَّابق، ص 363.

2- عبد القادر صحراوي ومحمّد عطية، المرجع السّابق، ص 551، وحسب الأستاذ "بالحميسي" فإنّ البحرية الجزائرية بلغت أوّج نشاطها في عهد الدّاي شعبان، حيث وصلت الذّروة في الهجوم وكسب الغنائم ومراقبة الملاحة في البحر الأبيض المتوسط، وأنّ الدّول الأوروبية وقعت في تناقض بسبب مواقفها من نشاط البحرية الجزائرية خلال فترة حكم هذا الدّاي، فهي من جهة تشتكي وتندد، ومن جهة ثانية ترغب في أنْ يتواصل هذا النّشاط ويمتد خارج حدود هذا البحر، **يُنظر:** مولاي بالحميسي، "**إرشاد الحيران في أمر الدّاي شعبان**"، مجلة الدراسات التاريخية، مج 01، ع 02، جوان 1986م، جامعة الجزائر 02، ص 40.

3- Léon Galibert, **Histoire de l'Algérie Ancienne et Moderne**, Furne et Cie Libraires-Editeurs, Paris, 1843, p 234.

جدير بالإشارة أنّ السّلطان العثماني حاول رأب الصّدع بين الإيالتين، حيث أرسل العديد من الفرمانات لحكام البلدين يحثهم على التفاهم ونبذ الخلاف، للمزيد من التّفاصيل **يُنظر:** عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص-ص 433-436.

4- تفاصيل الحملة في المبحث الأوّل من الفصل الثّالث من هذه الأطروحة.

5- Laugier de Tassy, **Histoire du Royaume d'Alger: Avec l'Etat présent de son gouvernement, de ses Forces de Terre et de Mer, de ses Revenus, Police, Justice, Politique et Commerce**, Amsterdam, 1725, pp 302-304; Leila Temimi Blili, Op.Cit, p 90.

ومباشرة بعد تنصيبه على عرش تونس أمر بن شكر بمصادرة الأموال من الأهالي، وفرض ضرائب استثنائية على أصحاب مختلف الحرف، وذلك من أجل الوفاء بالتزاماته لداي الجزائر[1] وعساكرها نظير مساعدتهم له[2]، بعدها غادرت عساكر الجزائر وطرابلس الغرب براً وبحراً، ورافق بن شكر محلة الجزائر إلى غاية الكاف، وعند عودته قصد ناحية القيروان، وتمادي في ظلم أهلها وحَمَّلَهم ما لا طاقة لهم به، وأرسل أحد قادته إلى سوسة وكان الأخير على شاكلة سيده، فعامل أهلها أسوء معاملة[3]. لذلك لم يدم حكم الباي بن شكر والدّاي طاطار، الذي خلف محمود خوجة، سوى ستة (06) أشهر، ميزها الظّلم والتّعسف الذي سار به كلاهما مع الرّعية، وكانت من الأسباب التي عجّلت بإنهاء حكمهما، فقد علّق "بن أبي الضّياف" على هذا الوضع بقوله: « وأما محمد بن شكر فقد صدر عنه من سوء السيرة وقبح المعاملة والتفنن في الجور، ما آذن بقصر مدته وطول محنته»[4].

عانى سكان تونس الويلات من كثرة الحروب وحالة عدم الاستقرار التي ميزت أوضاع الإيّالة، وما زاد الطّين بلة ظلم الحكام وجورهم، وعدم اهتمامهم بأمر الرّعية، ما شجع هؤلاء على الثّورة والخروج عن طاعة سيدهم، فقد قام أهل القيروان على بن شكر، وغلقوا أبواب مدينتهم في وجهه ووجه عساكره، فحاصرها، وأرسل أهلها إلى الباي محمَّد المرادي يستقدمونه، فوافق، والتقى الجمعان بمرق الليل (قُرب وسلات) في 16 أفريل 1695م، وكانت الدّائرة على بن شكر، حيث فرّ هارباً إلى أنْ وصل فاس، وبقي بها إلى غاية وفاته، في حين استولى محمَّد باي على جميع ما خلفه المنهزم وراءه، ثمّ تقدّم إلى القيروان، وأرسل خازنداره إلى تونس، حيث استبشر أهلها وأعلنوا الطّاعة للباي محمَّد[5].

1- مقابل دعمها له ألزمت الحكومة الجزائرية محمَّد بن شكر بدفع خمسمئة ألف (500.000) قرش، منها مئة ألف (100.000) قرش لداي الجزائر الحاج شعبان والباقي لخزينة الإيّالة، **يُنظر**: ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 143.

2- محمّد عطية، المرجع السّابق، ص 79. ويبدو أنّ خزينة تونس كانت فارغة أو لم يكن فيها ما يكفي لسد التزامات الباي الجديد لحكومة الجزائر، بسبب حالة عدم الاستقرار التي عرفتها تونس خلال هذه الفترة.

3- محمود مقديش، المصدر السّابق، ص 137.

4- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 65.

5- محمود مقديش، المصدر السّابق، ص-ص 137-138.

وبعد القيروان جاء محمَّد باي إلى العاصمة فدخلها بداية شهر ماي، وحاصر قصبتها، وكان الدّاي طاطار وجنوده محتمين بها، ولما اشتد عليهم الحصار فرّ مستجيراً بمقام الولي سيدي أحمد بن عروس، لكن عسكر محمّد باي أخرجوه وقطعوا رأسه، وحدث ذلك في شهر جويلية سنة 1695م، وبعد هذه الاحداث استقام الأمر لمحمَّد باي، فعيّن الدّاي يعقوب مكان طاطار، وبسبب كبر سنه وعجزه عن القيام بوظيفته أعفاه واختار محمَّد خوجة لمنصب داي تونس في أكتوبر من نفس السّنة. والجدير بالذِّكر أنّ جبال عمدون وخمير، وبعدهم مطماطة حاولت الخروج عن طاعة محمَّد باي لكنه استطاع ردعهم ودانوا له بالولاء إلى غاية وفاته في 14 أكتوبر 1696م، وتمّت البيعة لرمضان باي في اليوم الموالي لوفاة أخيه[1].

**ج- نتائج الأزمة على تونس:**

- رغم حالة عدم الاستقرار التي تنجم عادة عن الأزمات، إلاّ أنّ هذه الأوضاع لم تثن الشّعب التّونسي عن الثّورة ضدّ الظلم والتّعسف الذي قابلهم به بن شكر والدّاي طاطار، ومساندتهم لكل من يتوسمون فيه الخلاص من أوضاعهم المزرية، وهو في هذه الحالة محمَّد باي المرادي.
- بعد انتهاء الأزمة، بعث محمَّد باي وفداً إلى الجزائر طلباً للصّلح[2]، غير أنّ الدّاي شعبان رفض العرض، وطرد الوفد الذي همَّ بالمغادرة، ومن حسن حظ الوفد أنّ ثورة الجند قلبت الأوضاع، فقد أقالت الانكشارية الدّاي شعبان واختارت أحمد باشا (1695-1698م) مكانه، وكان الأخير ميالاً للسّلم، وتمّ الصّلح بين الإيالتين[3].
- وقعت جرّاء حصار أسطول الجزائر وطرابلس الغرب لمدينة تونس خسائر كبيرة في الأرواح والأرزاق بسبب القصف المدفعي، ولم يستثن هذا القصف، حسب مصادر معاصرة، حتّى الجوامع والمدارس[4].

---

1- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص-ص 66-68؛ Leila Temimi Blili, Op.Cit, pp 91-93.

2- ضمّ الوفد مجموعة من علماء تونس، وهم الشيخ أبي الغيث البكري إمام جامع الزيتونة، والشيخ أبي الحسن سيدي علي بن عزوز، والشيخ المفتي محمَّد فتاتة، إضافة إلى كاتب الدّيوان محمَّد خوجة، والذي أصبح داياً على تونس بعد هذه المهمة، **يُنظر:** محمَّد صالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص 33.

3- زهيرة سحابات، المرجع السّابق، ص 100.

4- عزيز سامح التر، المرجع السَّابق، ص 434.

بعد هذه الأزمة لم تستقر الأوضاع في تونس، فسرعان ما توفي محمَّد باي في أكتوبر 1696م، وخلفه أخوه رمضان باي، ودخلت الإيّالة في دوامة جديدة من العنف، فما أسباب هذه الأزمة؟ وما هي مجرياتها؟ وكيف كانت نتائجها على إيّالة تونس؟

**خامساً- ثورة آخر البايات المراديين "بوبالة" ضدّ عمّه رمضان باي ونهاية الأسرة المرادية:**

**أ- جذور الأزمة:**

استلم رمضان باي عرش تونس بعد وفاة أخيه، فأقرّ الدّاي محمَّد خوجة على ولايته، كما أبقى أصحاب أخيه وعماله على حالهم، وسار أوّل أمره سيرة حسنة، وكان له مغن اسمه "مزهود" بلغ عنده من الرُّتَبِ ما لَمْ يبلغه غيره، لكن رمضان باي أخلد للبطالة بعد ذلك وفوّض أمر المملكة لمغنيه الذي عاث فيها فساداً، ومن أخبار هذا المغني أنّه قام بالتّخلص من مقربي الباي كالخزندار رجب والشّيخ حمودة فتاتة، بعد أنْ أبعده ومنعه من الدّخول إلى باردو، وجعل الباي يتنكّر له، وكان الشّيخ قبل ذلك مُقرباً للباي رمضان ملازماً له في أسفاره[1].

وكان "مراد باي بن علي باي"[2] قد أصبح تحت وصاية عمه؛ رمضان باي، بعد وفاة أبيه ثمّ عمّه محمَّد، لكن مزهوداً سعى في الفتنة بين العم وابن أخيه، ثمّ أشار على الباي بالاحتراس من مراد، ووسوس له باعتقاله ففعل، ثمّ أشاروا على الباي، أواخر سنة 1697م، بِسَمْلِ عيني مراد حتّى لا ينقطع نسله ولا يطمع في الملك، غير أنّ الطبيب النّصراني الذي كُلف بالمهمة رأف بحال مراد، وأشار عليه بأنْ يتظاهر بالعمى، وعمل مراد برأي الطبيب إلى أنْ وجد الفرصة المناسبة، حيث فرّ باتجاه جبل وسلات سنة 1698م، أين وجد المعاضده من أهل هذا الجبل بسبب إهمال عمه أمر المملكة[3].

---

1- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص-ص 68-70.

2- يُعرف كذلك بـ"مراد الثالث"، و"مراد بوبالة" وهو بن علي بن مراد الثاني بن حمودة باشا المرادي بن مراد الأوّل مؤسس الأسرة المرادية، وكان علي قد التجأ عند الحنانشة أثناء صراعه مع أخيه محمَّد وصاهر شيخها سلطان بن منصر وأثمرت هذه الزيجة عن مراد الثالث؛ آخر بايات الأسرة المرادية، وأما كُنية "بوبالة" فَعُرِف بها نتيجة امتلاكه سيفاً يُدعى البالة، والبالة لفظ تركي يعني السّيف الحاد ذو الشفرتين، وعُرف هذا الأخير بسيرته القبيحة، حيث كان جائراً ظلوماً منتهكاً لكل أنواع المحرمات، **يُنظر**: أسعد أفندي، المصدر السّابق، و 13 وجه؛ حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السّابق، ص 145.

3- محمود مقديش، المصدر السّابق، ص-ص 141-142؛ جون إندريه بيسونال، المصدر السّابق، ص 80؛ Ernest Mercier, Op.cit, p 239.

فقد كان الفساد والظُّلم من أهم أسباب الثّورة على الحكام، لذلك ثار مراد بوبالة ضدّ عمه خلال شهري فيفري ومارس 1699م[1]، بعد أن ترك الأخير إدارة المملكة بيد مزهود، وركن هو لشهواته وملذاته، في حين استبد الأوّل بالأمر. ونفس الشّيء فعله "إبراهيم الشّريف"[2] ضدّ مراد بوبالة في شهر جوان من سنة 1702م، عندما بالغ الأخير في جوره وظلمه، حيث أذاق الرّعية جميع صنوف العذاب والهوان، حتّى وصفته المصادر بأنّه أظلم من جلس على عرش تونس من الملوك والأمراء على الإطلاق[3].

ومن المّرجح أنّ الحقد الذي بقي ينمو ويكبر داخل قلب مراد باي الثّالث لسنوات، بسبب مقتل والده؛ علي بن مراد الثّاني، دفعه للانتقام بجلوسه على عرش تونس، خاصة وأنّ علاقته مع عمه قد ساءت بسبب ما فعله الأخير به، وقد أشرنا إلى ذلك، وكان أحد أهم الأسباب التي دفعت مراد بوبالة إلى الثّورة ضدّ عمه رمضان باي.

**ب- مجريات الأزمة:**

بدأت هذه الأزمة سنة 1699م وانتهت سنة 1705م؛ وكانت مدتها حوالي ست (06) سنوات. كان أوّل الأزمة ثورة ضدّ رمضان باي وانتهت بقتله، ووسط الأزمة ثورة ضدّ الباي مراد الثّالث وانتهت بقتله من طرف أحد مساعديه، وهو إبراهيم الشّريف، وأخر الأزمة صراع بين ابراهيم الشريف وحكام إيالتي طرابلس الغرب والجزائر، وانتهت بسقوط حاكم تونس أسيراً لدى قوات الجزائر في معركة قرب مدينة الكاف في جويلية من سنة 1705م[4].

وكان عمر مراد الثّالث حوالي ثمانية عشر سنة عندما دخل منتصراً إلى مدينة تونس في 14 مارس 1699م، وحصل على لقب الباي، غير أنّ مدة حكمه رغم قصرها طغى

---

1- محمَّد الهادي الشريف، المرجع السّابق، ص 80.

2- جاء إلى تونس مع العسكر الذي صاحب محمَّد بن شكر في حملته ضد محمَّد باي، وسُجِّل في ديوان جندها، وبقي في قفصة إلى أنْ ارتقى إلى منصب آغا صبايحية التّرك، وكلفه مراد الثّالث بمهمة من أجل جلب الجنود المتطوعين من الأناضول سنة 1701م، وتقلد حكم تونس في السّنة الموالية، بعد أنْ تخلّص من مراد الثّالث، **يُنظر**: مؤيّد المناري، "**وثائق عثمانية حول حرب الإيالات الثلاث: طرابلس الغرب، الجزائر وتونس نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر**"، السبيل: مجلة التّاريخ والآثار والعمارة المغاربية [نسخة الكترونية]، عدد 11، سنة 2021، ص-ص 6-7.

3- حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السّابق، ص 145.

4- محمَّد صالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص-ص 34-39.

عليها الظّلم والتّعسف وإراقة الدِّماء، ولم تجد إيّالة تونس، مع وصوله للسّلطة، الهدوء الذي كانت تطمح إليه[1]. فبعد أن تمهد له الأمر أرسل إلى سوسة يطلب قتل عمه، وكان الأخير مستجيراً بحرم الولي سيدي أبي راوي، وجيء بعمه إلى القصبة وقطعوا رأسه هناك وذهبوا بها إلى مراد الثّالث، وأتى بخواص عمه وأمرهم بتلقف رأسه تلقف الكُرة، وبلعنه وشتمه بكل قبيح، ثمّ أمرهم أنْ يغنوا لرأسه كما كانوا يغنون له في حياته؛ وهو يُقَطِّعُ لحومهم بيده، ويعذبهم وينكِّل بهم أشد تنكيل، ثمّ قام وسمل أعينهمٌ قبل أنْ يقتلهم ليلة العيد[2].

ومن قبيح صنيعه أنّه ذهب إلى سوسة، وأمر بإحضار الحطب وأوقد ناراً، ثمّ قام بنبش قبر عمه رمضان باي وأخرج جثته وجعلها في النّار، ومن الغد أمر بجمع رماد الجثة وألقاه في البحر حتّى لا يُعرف له قبر[3]. وكانت العلاقات، خلال هذه الفترة، قد ساءت بين مراد باي تونس وداي الجزائر حسن شاوش (1699-1700م)[4]، ووصل التّوتر بين الطّرفين إلى عزم باي تونس على غزو الجزائر، حيث جمع قواته وانطلق نحو قسنطينة سنة 1700م[5]، غير أنّه هُزم أمام قوات الدّاي الجديد الحاج مصطفى (1700-1705م)[6].

ورغم الهزيمة لم يتخل مراد بوبالة عن فكرة الانتقام من الجزائريين، فقد كلّف آغا "الصبايحية"[7] إبراهيم الشّريف بالسّفر على رأس ثلاث سفن إلى إسطنبول قصد جلب جنود

---

1- Azzedine Guellouz et autres, Op.Cit, p 78.

2- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص-ص 72-73.

3- محمود مقديش، المصدر السّابق، ص 144؛ محمَّد بن الخوجة، المصدر السّابق، ص 53.

4- تولى حكم الجزائر ما بين 1698 و1700م، واستقال من منصبه بسبب حملة باي تونس مراد بوبالة على قسنطينة، **يُنظر:** صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 148.

5- تفاصيل أكثر حول هذه الحرب، **يُنظر:** المبحث الأوّل من الفصل الرّابع من هذه الأطروحة.

6- يُعرف كذلك بـ"عشي مصطفى"، وكلمة "عشي" هي تحريف للفظة التّركية "عشجي" بفتح العين وسكون الشِّين، ومعناها الطباخ. محمود مقديش، المصدر السّابق، ص 152. أمّا "ابن المفتي" فقد ذكره في كتابه بلفظ "أهشي مصطفى"، **يُنظر:** ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، المصدر السّابق، ص 58.

7- فرقة عسكرية من الفرسان، وقد شكلت هذه الفرقة معظم الجيوش في المقاطعات العثمانية إلى غاية القرن الثّامن عشر، وصل عددها حوالي أربعين ألف (40.000) رجل خلال القرنين الخامس عشر والسّادس عشر الميلاديين، **يُنظر:** ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، المصدر السّابق، ص 61؛ David Nicolle and Angus McBride, **Armies of the Ottoman Turks 1300-1774**, Men-at-Arms series, Osprey Military, p 10.

أتراك من أجل اعداد جيش يغزو به الجزائر من جديد، وقد تزامن وصول إبراهيم الشّريف إلى الإستانة مع وصول وفد جزائري بهدف الشّكوى للسّلطان العثماني من تصرّفات مراد باي تونس مع إيّالة الجزائر وحتّى مع رعيته، وبعد أن استفسر السّلطان عن أسباب الحرب بين الإيالتين، دعا الوفدين إلى الصّلح ونَبْذِ العنف، وحَمَّلَهما فرمانات إلى حكام إيّالات بلاد المغرب بخصوص نفس الموضوع[1].

لم يلق تشجيع السّلطان وحثّه على إقامة الصّلح بين الإيالتين آذاناً صاغية من باي تونس الذي أصرّ على الانتقام من الجزائريين[2]، فبعد استعادة قوته[3] تحرّك الأخير سنة 1702م عازماً المسير نحو قسنطينة ثانية، لكن إبراهيم الشّريف وضع حداً لهذا المشروع بإنهائه حياة الباي مراد[4] وأربعة من أقاربه، واستلم بنفسه مقاليد السّلطة في إيّالة تونس[5]. وبهذه الحادثة أنهى إبراهيم الشّريف حكم الأسرة المرادية، محاولاً بذلك إعادة السّلطة والنّفوذ للطّائفة العسكرية العثمانيّة التي فقدتها شيئاً فشيئاً لصالح البايات المراديين منذ بداية الثّلث الثّاني من القرن السّابع عشر (17) الميلادي.

فقد تولي إبراهيم الشّريف حكم تونس يوم 09 جوان 1702م[6]، وسار أوّل أمره في النّاس سيرة حسنة، لكن سرعان ما انقلب حاله وحاد عن سياسته الأولى، فبالغ في فرض

---

1- ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 149.

2- محمَّد صالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص 36.

3- حول هذه النّقطة يشير "روسو" إلى أنّ المراكب الثّلاثة التي أرسلها مراد الثّالث إلى الاستانة عادت في شهر جويلية سنة 1701م تحمل ألف (1.000) جندي، ويضيف بأنّه رغم إصابة بعض هؤلاء الجنود بالطاعون إلاّ أنّ ذلك لم يؤد إلى تفشي الوباء في إيّالة تونس، **يُنظر:** ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 150.

4- كانت نهاية مراد باي الثّالث رمياً بالرّصاص على يد آغا الصبايحية "إبراهيم الشّريف" في الثّامن (08) جوان سنة 1702م، عند وادي الزرقاء، ويسمى أيضاً وادي البول، بينما أشارت مراجع أخرى إلى تاريخ وفاة مراد بوبالة وجعلته الثّالث عشر (13) من شهر ماي سنة 1702م، **يُنظر:** محمود مقديش، المصدر السّابق، ص-ص 147-148؛
Henri Garrot, **Histoire général de l'Algérie,** Imprimerie P. Crescenzo, Alger, 1910, p 555.

5- Nicolas Béranger, Op.Cit, p 7 ؛Azzedine Guellouz et autres, Op.Cit, p 79; ؛ جون ب.وولف، المرجع السَّابق، ص 373.

6- وكانت تولية إبراهيم الشّريف بأمر سلطاني أحضره معه عندما كلّفه باي تونس بمهمة لجلب الجنود من استانبول، فقد بلغ مسامع السّلطان العثماني من الوفد الجزائري، الذي التقى به إبراهيم الشّريف في عاصمة الدّولة أثناء مهمته، اسراف مراد باي في القتل والجور، فرأى السّلطان أنّ تغيير المنكر واجب على القادر، وعليه رفع الظلم عن المسلمين، ومن أجل=

المجابي وأسرف في القسوة تجاه القبائل بدعوى تكسير شوكتها، وبالغ جنوده في النّهب والقتل في الحواضر والضواحي، إلى أنْ اضطرت الرّعية إلى مساندة الثائرين ضدّه مثل علي الصوفي –من موالي مراد باي– سنة 1702م، وأحمد بن رجب بن سليمان في أفريل–ماي 1704م، لكنه تمكّن من هزيمتهم، وواصل إبراهيم الشّريف طغيانه بعزله الدّاي قارة مصطفى بعد حوالي ثلاثة أشهر ونصف من تعيينه في هذا المنصب (11 جويلية– 29 أكتوبر 1702م)، وباشر منصب الدّاي بنفسه، وفي السّنة الموالية أتى الأمر السّلطاني بتعيينه باشا على الإيّالة[1]، وأصبح منذئذ يكتب أوامره بـ" الباشا إبراهيم باي داي"[2].

لم تشهد إيّالة تونس الاستقرار، ويبدو أنّ هذا الوضع كان قدر هذا القطر المحتوم، رغم تَغَيُّر الحُكّام والأنظمة السّياسية، فزيادة عن سياسة إبراهيم الشّريف الدّاخلية، التي طغى عليها طابع العنف والاستبداد، فإنّ سياسته الخارجيّة لم تكن بأحسن حال من الأولى، خاصة مع الجارتين الشّرقية والغربية (طرابلس الغرب والجزائر)، فقد ناصب خليل باشا، والي طرابلس الغرب (1702–1709م)، العداء لإبراهيم الشّريف بسبب فتكه بمراد باي الثّالث، لِمَا كانت من صداقة بين الاثنين، وصار خليل باشا يتعلل عليه، ومنها أنّه اغتصب هدية وجهها والي مصر إلى إبراهيم الشّريف من يد حاملها[3]، ثمّ قام بعد ذلك بأخذ ما أراد من

---

=ذلك أمر إبراهيم الشّريف أن يفتك بباي تونس في حال عدم استجابة الأخير لأمر الصّلح، فلما بقي باي تونس على تصميمه في غزو الجزائر، قام إبراهيم الشّريف بقتله تنفيذاً لأمر السّلطان، **يُنظر:** أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص–ص 76–77.

1– أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص–ص 80–81؛ محمود مقديش، المصدر السّابق، ص–ص 148–150؛ الباجي المسعودي، المصدر السّابق، ص 238.

2– أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 01، ملف رقم 02، وث 29. وتفيدنا وثائق أخرى من نفس الملف بالإمضاءات التّالية: "ابراهيم أمير لواء محروسة تونس" و"السيد إبراهيم داي الأمير المكرم" و"إبراهيم بك"، **يُنظر:** أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 01، ملف رقم 02، وث 13، 16، **يُنظر:** الملحق رقم 06، ص 327.

3– جاء عند "بن غلبون" في التّذكار بأنّه أكره حاملها على بيعها له، **يُنظر:** أبي عبد الله محمَّد بن خليل بن غلبون الطرابلسي، **التّذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار**، عني بتصحيحه والتعليق عليه: الطاهر أحمد الزاوي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م، ط 01، ص 235.

سفينة تونسيّة اضطرتها الرِّياح إلى اللّجوء لميناء طرابلس الغرب[1]، وهو ما جعل إبراهيم الشّريف يعلن الحرب على باشا طرابلس، حيث خرج بمحلته في أكتوبر 1704م، والتقى الجمعان في شهر ديسمبر من نفس السّنة، فكان النّصر حليف إبراهيم الشّريف، في حين اضطر المنهزم، خليل باشا، إلى النّجاة بنفسه، ودخل المدينة متنكراً[2].

أمّا بالنسبة للجزائر، فحسب رواية "عبّاد" أنّ داي الجزائر عقد اتفاقية مع إبراهيم الشّريف سنة 1702م، يدفع الأخير بموجبها إتاوة سنوية إلى الجزائر، غير أنّ باي تونس نقض العهد، ممّا أثار حفيظة سلطات الجزائر ضدّه[3]. في حين أورد "وولف" رواية مختلفة، مفادها أنّ الحاج مصطفى داي الجزائر وإبراهيم الشّريف، خلال سنتي 1703 و1704م، كانا حليفين في مشروع هجوم على طرابلس الغرب، لكن قبل القيام بالحملة اكتشف صاحب الجزائر أنّ باي تونس كان يحيك مؤامرة مع والي طرابلس الغرب للفتك بالجنود الجزائريين عند نزولهم بساحل طرابلس الغرب، غير أنّ كشف الجزائريين لخيوط المؤامرة أذهب مخططات المتآمرين أدراج الرّياح[4]، في حين اتفق كل من "النائب الأنصاري" و"روسو" على نفس الرّواية، وتُعتبر تتمة لقضية العداء بين خليل والي طرابلس الغرب وبين إبراهيم الشّريف، وملخصها، أنّ صاحب الجزائر كان يلعب على الحبلين، ويغري كل منهما على الآخر بالحرب ويعده بالنّصر[5].

ورغم ما في هذه الرّوايات من تعارض، إلاّ أنّ جميعها تتّفق على أنّ الظّروف الدّاخليّة والخارجيّة كانت ضدّ إبراهيم الشّريف، وكانت هذه الأسباب كافية بالنّسبة لداي الجزائر حتّى يَسِيرَ باتجاهه ويلحق به هزيمة نكراء بالقرب من الكاف، ويقبض عليه يوم 11 جويلية

---

1- أمّا "روسو" فجعل الطرابلسيون هم سبب لجوء السّفينة التّونسية إلى ميناء طرابلس الغرب، ورغم احتجاج البحارة التّونسيين وتقديمهم لوثائق تثبت هويتهم، إلاّ أن خليل باشا أخذ منها ما أراد، ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 153.

2- أحمد بك النائب الأنصاري، المصدر السّابق، ص-ص 280-281.

3- صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 149.

4- جون ب.وولف، المرجع السَّابق، ص 373.

5- أحمد بك النائب الأنصاري، المصدر السّابق، ص 280؛ ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 153.

1705م[1]، كما استطاع الحاج مصطفى الاستيلاء بعدها على مدينة الكاف رغم التّحصينات والاستعدادات التي قام بها التّونسيون قبل هذه الحملة[2]، وبعد أنْ ترك بها الدّاي حامية، وجه أنظاره نحو مدينة تونس، وكانت وقتئذ في فوضى ومن دون أمير، فتفاوض أهلها واتفقوا على البيعة لـ"حسين بن علي"[3]، الذي نظّم دفاع العاصمة واستطاعت عساكره إلحاق الهزيمة بقوات محلة الجزائر، أُضطر الحاج مصطفى داي الجزائر على إثرها إلى رفع الحصار عن مدينة تونس ومغادرة الإيّالة في 08 سبتمبر سنة 1705م باتجاه الجزائر[4]، وأرجع "فيرو" سبب انسحاب عسكر الجزائر إلى تخلي الحنانشة ودريد وغيرهم من المجموعات القبلية عنهم[5].

1- ذكرت المصادر بأنّ صاحب الجزائر راسل إبراهيم الشّريف من أجل الصّلح، وطلب مقداراً عظيماً من المال وألف بعير، وأنْ يُرسل له أولاده كرهينة، لكن صاحب تونس رفض العرض، **يُنظر:** أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 83.

2- صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 149.

3- ولد حوالي 1676/1675م من أب تركي من كندية بجزيرة كريت التّركية، وأم تونسية من قبيلة شارن بجنوب غربي الكاف، وكان لحسين أخ من أبيه أمه من قبيلة أولاد شنوف، وقد جاء والده إلى تونس في عهد الدّولة المرادية؛ حوالي سنة 1650م، وعمل في الجيش وترقى إلى رتبة آغا الصبايحية بالكاف، وتوفي بالكاف سنة 1691م وتركه ابنه حسين صغيراً، انتقل بعدها حسين إلى العاصمة ودخل في خدمة محمَّد باي بن مراد الثّاني حتّى بلغ رتبة خزنه دار، وبعد وفاة محمَّد باي عينه رمضان باي أغا صبايحية التّرك، وفي عهد مراد الثّالث تقلد ولاية الأعراض ثمّ كاهية بدار الباشا، وعندما تولى إبراهيم الشّريف حكم تونس قلّده منصب آغا صبايحية التّرك إلى غاية 1705م، حيث أسر الجزائريون إبراهيم الشّريف، وأُختير حسين بن علي باياً على تونس في جويلية من نفس السّنة، وكان عمره حوالي ثلاثون سنة، وبه بدأ حكم الأسرة الحسينية، التي استمرت في الحكم إلى غاية 1957م، **يُنظر:** أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص-ص 85-87؛ الهادي بن يونس بن محمّد الانكشاري، **الدولة الحسينية من 1705 إلى 1855**، المطبعة الرسمية، تونس، د.ت، د.ط، ص 16؛ عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 154.

4- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 84، 87-90، واعتبر "بن مصطفى" يوم 07 أكتوبر 1705م كتاريخ لانسحاب داي الجزائر ورفعه الحصار على مدينة تونس، أما " قارو (Garrot)" فجعله 09 أكتوبر 1705م، **يُنظر:** محمَّد صالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص 42؛ Henri Garrot, Op.Cit, p 556.

5- Charles Féraud, Op.Cit, pp 211-212.

**ج- نتائج الأزمة على تونس:**

- استمرت معاناة المجتمع التّونسي بين استبداد وجور الحّكام من جهة، وبين الحروب الأهلية بين هؤلاء الحّكام أو بين ورثة العرش من أبناء الأسرة الواحدة المتناحرين على السّلطة من جهة ثانية.
- الخراب الذي طال المدن التّونسية من جراء هذه الحروب، فعلى سبيل المثال لا الحصر، قام مراد باي الثّالث بالسماح لخليل باي باستباحة مدينة القيروان، ثمّ أمر الباي مراد بهدم المدينة ولم تسلم من هذا الهدم إلاّ المساجد والزّوايا[1].
- نهاية الدّولة المرادية بوفاة مراد الثّالث آخر البايات المراديين، وإنهاء حياة جميع من تبقى من المراديين الذّكور على يد إبراهيم الشّريف حتّى لا يطالب أحد منهم بالعرش بعد ذلك.
- فشل تجرية إبراهيم الشّريف في إعادة السّلطة والنّفوذ للطّائفة العسكريّة في إيّالة تونس، وكانت هذه آخر محاولات هذه الطّائفة من أجل العودة إلى هرم السّلطة في تونس.
- قيام أسرة جديدة مع بداية القرن الثامن عشر (18) الميلادي، عُرفت في التّاريخ التّونسي بالأسرة الحسينيّة، نسبة إلى مُؤسِّسها حسين بن علي تركي، وهو من فئة الكراغلة، وكانت هذه الصفة من أسباب قبول الجميع به من عرب وترك.

فيا تُرى، هل ستعرف تونس الاستقرار والرّخاء الذي كانت الرّعية ترجوه منذ زمن، أم ستستمر معاناة هؤلاء مع حكم الأسرة الجديدة طيلة القرن الثامن عشر (18) وبداية القرن التّاسع عشر (19) ميلادي؟

---

1- محمود مقديش، المصدر السّابق، ص 146.

## المبحث الثَّالث: أزمات تونس السّياسية من قيام الأسرة الحسينية 1705م إلى 1830م

### أولاً- ثورة علي باشا ضدّ عمه حسين بن علي باي 1728-1740م:

#### أ- جذور الأزمة:

وصل حسين بن علي إلى السّلطة في تونس في ظروف أقل ما يقال عنها أنّها صعبة للغاية، فقد شهدت تونس بداية القرن الثامن عشر (18) الميلادي أزمات كثيرة، وعلى جميع الأصعدة؛ أزمات فلاحية وصعوبات نقدية وانتشار الأوبئة، إضافة إلى كل هذا فقد كانت مدينة تونس سنة 1705م تحت تهديد عسكر الجزائر الذي استولى على مدينة الكاف، وأَسَر الباي إبراهيم الشّريف. وفي خضم هذه الأحداث ظهرت شخصية حسين بن علي باي على أنّه المنقذ بعد أن قاد مقاومة ناجحة استطاعت إجبار محلة الجزائر على فك الحصار الذي ضربته على مدينة تونس والعودة من حيث جاءت[1].

وكما نجح الباي الجديد في تنظيم المقاومة ضدّ محلة الجزائر وجَنَّبَ تونس حرباً من المؤكّد أنّه كان في اشتعالها زيادة في تأزم أوضاع الإيّالة أكثر، فإنّه من جانب آخر نجح، بعد أنْ استطاع الانتصار على مناوئيه[2]، في جعل البلاد تشهد رخاءً اقتصادياً واستقراراً

1- عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 154، وقد أثنت الكثير من المصادر التّاريخية على حسين بن علي باي من حيث نزاهته وحسن أخلاقه، من أمثال ابن أبي الضّياف والصغير بن بوسف وغيرهم، وقد أشرنا إلى ذلك في المتن، بينما نجد العكس في مراجع أخرى، فـ"روسو" أكّد بأنّه وصل إلى منصب الباي بفضل أموال أنصاره ودسائس الموالين له، وأورد آخر أنّ تقديمه لمنصب الباي كان بإيعاز منه، وحتّى تردّده في قبول المنصب كان مدروساً، ليبرهن أنّ المناصب لا تهمه. أما "بيقي Biguet" فأشار إلى أنّ سلوكه كان مشبوهاً. وأضاف الأستاذ "سوداني" أنّ الباي حسين بن علي هو من ورّط إبراهيم الشّريف في حرب خاسرة حتّى يستأثر بالحكم، واستدل على صحة كلامه بأنّ الباي الجديد تقلد هذا المنصب والحرب لم تنته بعد. **يُنظر كلاً من:** ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 161؛ محمَّد صالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص 42؛ Faure Biguet, Op.Cit, p 377؛ عبد القادر سوداني، "**الجزائر والأزمات السياسية في تونس خلال القرنين 18 و19**"، مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، العدد 11، أكتوبر 2017م، مركز جيل للبحث العلمي، لبنان، ص 118؛ بن يونس بن محمّد الانكشاري، المرجع السّابق، ص 16.

2- ما بين 1705 و1706م كان الدّاي محمَّد خوجة الأصفر أوّل النّاقمين على الباي حسين بن علي، حيث خشي من أنْ يتبع الباي الجديد سلوك البايات المراديين في الاستبداد بالسّلطة على حساب الدّايات، وكان الدّاي المذكور يطمح إلى إرجاع السّلطة والنّفوذ لفئة الدّايات وللطائفة العسكرية كما كان الحال أيام عثمان داي ويوسف داي بداية القرن السّابع عشر (17) ميلادي، وتعاون مع إبراهيم الشّريف، عندما أطلق داي الجزائر سراحه حتّى يُطالب بعرش تونس، وكانت بين الاثنين مراسلات قبل ذلك، وفي سنة 1713م ظهر عند الحنانشة دَعِيٌ يطالب بعرش أجداده، زَاعِماً أنّه من بني مراد، وخرج بعده محمَّد بن مصطفى المعروف بابن فطيمة، سنة 1717م، ضدّ الباي الجديد، وهو من أكابر الدّولة ومن المقربين من إبراهيم الشّريف قبل ذلك، لكن الباي حسين بن علي تمكّن من القضاء عليهم جميعاً. للمزيد من التفاصيل حول هذه الشّخصيات، **يُنظر:** أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص-ص 91-99.

سياسياً تواصل إلى سنة 1720م[1]، مما جعله يُخفف من الجباية على الأهالي، وهو ما أكّده "بن أبي الضّياف" عند وصفه حال إيّالة تونس بعد اعتلاء حسين بن علي سُدة الحكم، حيث قال: « وسعدت المملكة وأهلها بيُمْنِهِ، وامتلأت أيديهم بالمكاسب، ...، وخفف على الفلاحين من أثقال المغارم، ما قوي به الأمل، وأغرى على العمل»[2]، ولعل أكثر ما كان يُؤَرِّق الباي خلال هذه الفترة هو أنّه لم يُرزق بولد يحمل اسمه[3]، ويكون وريثاً لعرش تونس من بعده[4]، لذلك قام بتربية ابن أخيه؛ علي بن محمَّد، والذي عُرف في المصادر التّاريخية باسم "علي باشا"[5].

وعلى الرّغم من ذلك فإنّ سياسة الباي الاقتصادية لم تخلُ من التّعسف، حيث أُجبر الفلاحون على بيع إنتاجهم للباي قبل استواء المحصول بثمن زهيد تفرضه السّلطة، وفي المقابل يحصل الفلاحون على تسبقة مالية من الدّولة؛ وعُرفت هذه العملية بـ"المُشترى"، لكن

---

1- عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 155. وعلى غرار السّياسة الدّاخلية لحسين بن علي، كانت سياسته الخارجية كذلك، فقد أقام السّلام مع إيّالة طرابلس الغرب، وتوافقت رغبته مع داي الجزائر الجديد حسن خوجة (1705-1707م) والسّلطان العثماني أحمد الثّالث (1703-1730م) في تحسين العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس، وتمّ الاتفاق على ذلك بين الطّرفين بعد البعثة الجزائرية التي حظيت بكل الاحترام في تونس، كما عقد الباي اتفاقيات سلم وتجارة مع معظم الدّول الأوروبيّة، خاصة من كانت لها تجارة مع موانئ البحر المتوسط، مثل فرنسا (1710م) وهولندا (1713م). عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام الجزائر وتونس في القرن 18م/12هـ**، دار الأمل، الجزائر، 2017م، د.ط، ص 68؛ Armand de Flaux, **la régence de Tunis au dix-neuvième siècle**, Challamel Aine libraire-éditeur, Paris, Bastide, libraire, Place de gouvernement, Alger, 1865, p 207.

2- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 95.

3- ذكر "بن مصطفى" أنّ الباي حسين بن علي رُزِق بولده مصطفى من زوجته فاطمة عثمانة، لكنه مات صغيراً، بينما أورد "مزالي" بأنّ حسين بن علي رُزِق بالبنات فقط من زوجته الأولى التي تنتمي إلى قبيلة النّمامشة، **يُنظر:** محمَّد صالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص 40؛ محمَّد صالح مزالي، **الوراثة على العرش الحسيني ومدى احترام نظامها**، الدّار التونسّية للنشر، 1969م، د.ط، ص 24.

4- جعل حسين بن علي، مؤسس الأسرة الحسينية، الحكم وراثياً في عائلته، **يُنظر:** عبد القادر سوداني، المرجع السّابق، ص 114.

5- ولد حوالي 1690م، أولاه الباي حسين بن علي قيادة المحلة حوالي سنة 1707م، وبقي في هذا المنصب إلى غاية 1726م، ثار على عمه سنة 1728م، وأصبح باي تونس ما بين 1735-1756م. الباجي المسعودي، المصدر السّابق، ص-ص 245-246.

هذا الإجراء الذي أقرّه الباي سبّب للفلاحين ضرراً كبيراً. ولم تقتصر عملية المشترى على الانتاج الفلاحي فحسب بل شملت الصّناعات الحرفية، وكل ما يمكن تصديره، لأنّ التِّجارة الخارجية كانت مُحْتَكَرَة من طرف السّلطة في تونس وقتئذ[1].

فبعد الانتعاشة التي عرفتها إيّالة تونس مع وصول حسين بن علي باي إلى سدة الحكم بدأت الإيّالة، منذ سنة 1720م، تشهد سنوات من الجدب أثرت على إنتاجها الفلاحي، وكان لهذا أثر سلبي على صادراتها، من الحبوب والزّيوت، خاصة نحو الدّول الأوروبيّة، وجعلت البايلك يطبق سياسة جبائية أكثر استغلالاً أثقلت كاهل سكان الأرياف[2]. ومن خلال تحليل ما جاء في المصادر التّاريخية من تناقضات حول سياسة الباي الجبائية يتّضح بأنّ الاعفاءات الجبائية التي أقرّتها السّلطة الجديدة في تونس لم تشمل جميع أطياف المجتمع وإنّما استأثرت بها أقليّة محظوظة مقرّبة من هذه السّلطة، قد تكون هذه الأقلية بحد ذاتها أحد الأدوات التي استعملها الباي في تطبيق سياسته الجبائية الجديدة[3]، بينما عانى معظم المجتمع التّونسي من ضغط جبائي متزايد، على الأقل خلال السّنوات الأخيرة التي سبقت سنة 1728م.

ورغم أنّ سياسات الباي لم تكن سبباً مباشراً في قيام على باشا ضدّ عمه، إلاّ أنّها ساهمت بشكل كبير في تأجيج هذه الثّورة، بعد قيامها، بسبب نقمة القبائل على الباي جرّاء سياسته الجبائية التي أحدثت صدعاً في المجتمع التّونسي، حيث انقسم إلى شق مؤيِّد للباي

1- عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص-ص163-164؛ محمَّد صالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص-ص47-48.

2- عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص-ص 172-173؛ دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السّابق، ص 63، وذكر "محمَّد الهادي الشّريف" أن الباي حسين بن علي كان يفرض الغرامات والضّرائب دون حساب على السّكان الخاضعين لسلطته. محمَّد الهادي الشريف، المرجع السّابق، ص 83.

3- من بين الأدوات التي استعملها الباي في انجاح هذه السّياسة هي أداة الإحصاء، حيث قام بعملية إحصاء عام للسّكان شملت جميع القبائل والأعراش في إيّالة تونس سنوات 1726-1727م، وهي الفترة التي سبقت ثورة على باشا وعرفت فيها الإيّالة تراجع المحاصيل كما أشرنا، ولتفاصيل أكثر حول هذا الإحصاء، **يُنظر**: أ.و.ت، الدفتر الجبائي رقم 620، فعلى سبيل المثال: (الورقة 02 وجه: عرش جلاص؛ أولاد سنداس وأولاد خليفة)، (الورقة 02 ظهر: عرش الهمامة وعرش أولاد عون والحمايدة والعوايد من ورتتان)، (الورقة 03 وجه: أعراش الخمامسة)، (الورقة 07 و08 و09 وجه وظهر والورقة 10 وجه: أولاد شهيب).

وهم المستفيدون من هذه السّياسة، وطرف ناقم عليه وهو الشّق المتضرِّر، وكان ذلك دافعاً للقبائل النّاقمة إلى مساندة علي باشا في ثورته على عمه الباي.

أمّا السّبب المباشر الذي أدى إلى قيام هذه الثّورة فهو ولاية العهد، وقد أشرنا فيما سبق إلى أنّ حسين بن علي باي عندما لم يرزق بولد، قام بتربية ابن أخيه، ولما شبّ كلّفه بقيادة المحلة (قيادة القوات البرية)، وكان عمره سبعة عشر (17) سنة، وفي سنة 1710م رُزِق الباي بولده الأوّل "محمَّد"[1]، من جارية جنوية أَسَرَها رُبَّان سفينة تونسية، قبل ذلك بسنة، في البحر المتوسط وجاء بها إلى الباي. وعندما كبر ولده أراد الباي تسليمه قيادة الأمحال، لكنه تردّد بسبب أنّها لابن أخيه علي وهو صهره (زوج ابنته) وبمثابة ولده أيضاً، لكن أهل المشورة أقنعوا الباي بتقديم محمَّد وتأخير علي، وحتّى يتفادوا غضب الأخير ألحّوا على الباي طلب الباشوية لابن أخيه من الباب العالي، فتمّ له ذلك، ومنذ 1726م أصبح محمَّد قائد المحلة، ووريث عرش الباي، في حين حمل علي لقب الباشا، وأصبح منذ ذلك التّاريخ يُعرف بـ"علي باشا"، ومع ذلك فقد كتم غيضه ولم يُفصح لعمه عمّا أضمره، من نية في الثّورة[2].

وقد نُضيف سبباً آخر له علاقة بالأوّل، فقد أخطأ الباي حسين بن علي عندما ظنّ أنّ علي باشا لا يمكن أن يخرج عن طاعته بحكم ما أحاطه به من رعاية منذ صغره، وكذلك قد يكون خطؤه أكبر عندما تيقّن من أنّ الباشا لن يجد مساندة من رجال الدّولة في تونس أو من القبائل، خاصة التي طالها الضغط الجبائي الذي فرضه الباي قبل سنوات من الثّورة، وهو ما يمكن أنْ نفهمه من جوابه للشّيخ "أبو عبد الله محمَّد زيتونة (ت: 1081هـ/1726م)" عندما استشاره في أمر ولاية العهد وتقديم ابنه محمَّد لقيادة المحال، فنصحه الشّيخ بأنْ يتريث، لأنّه أمر قد يكون سبباً في فتنة بين المسلمين، فما كان من الباي إلاّ أنْ أجابه: «لا

---

1- يُذْكَر في المصادر التّاريخية بالأسماء الآتية: "محمَّد الرّشيد" أو "الرّشيد" وكذلك "رشيد"، ولم يكن محمَّد الابن الوحيد للباي من زوجته الجنوية، فقد ذكر "بن يوسف" أنّهم أربعة ذكور (محمَّد، علي، محمود ومصطفى)، بينما جعلهم "بن أبي الضّياف" و"روسو" خمسة، فذكر الأوّل أنّهم أربعة ذكور وبنتا واحدة، أما الثّاني فقال أنّهم ثلاثة ذكور وبنتين، **يُنظر**:

Azzedine Guellouz et autres, Op.Cit, p 176؛ الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، ص 43؛ أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 98؛ ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 168؛

Charles Féraud, Op.Cit, pp 222-223.

2- الصّغير بن يوسف، المصدر السّابق، ص ص 38، 43، 56؛ محمّد بن محمّد الأندلسي، المصدر السّابق، مج 03، ص-ص 367 وما بعدها.

تخش، فإن إفريقية كسجادة طويتها وجلست عليها»[1]، وحسب جوابه للشّيخ، فقد اعتقد الباي بأنّه استطاع تمهيد البلاد، وبأنّه لم يعد بإيّالة تونس من يستطيع شق عصا الطّاعة.

لكن الطبيب وعالم النبات الألماني "هابنسترايت (J. E. Hebenstreit)" وصف لنا حال الباي حسين بن علي عند لقائه سنة 1732م، حيث قال: «يتجنب الباي الإقامة بمدينة تونس، فهو مستقر بقصره بقلعة باردو الواقعة على بعد "فرسخ"[2] من المدينة، ... ...، وقد يفضل الاقامة في خيمة وسط معسكره- كما وجدناه عندما التقينا به في باجة- على الذهاب إلى مدينة تونس خشية أن يتعرض للقتل وهو المصير الذي يتربص بالبايات من طرف منافسيهم وأعدائهم»[3]، ويبدو أنّ لثّورة علي باشا دخلاً في التّغير الذي طرأ على تصرّف الباي وعدم إحساسه بالأمان داخل العاصمة تونس بعد أنْ كان يظن أنّ جميع البلاد التّونسية أصبحت تحت طاعته.

**ب- مجريات الأزمة:**

كانت الشّرارة الأولى لثورة علي باشا على عمّه، بقرار الأخير تولية ابنه محمَّد قيادة الأمحال سنة 1726م، واشتعل فتيلها في رجب 1141هـ/20 فيفري 1728م مساءً عندما التجأ الثّائر علي باشا، في ظلمة اللّيل، رفقة ولده يونس إلى جبل وسلات، في غياب عمه الباي عن العاصمة[4]، وما زاد الطّين بلة هو إفساد ذات البين بين حسين بن علي وابن أخيه، حيث سعت أطراف معينة، يبدو أنّ لها مصلحة في ذلك، وجعلت الجو يُظلم بين الطّرفين، حسب تعبير بن أبي الضّياف، وشجّعت علي باشا على الاعتصام بجبل وسلات،

---

1- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص-ص 104-105.

2- وحدة قياس الأطوال وتساوي ثلاثة (03) أميال، أي حوالي أربعة كيلومترات ونصف(4.5 كم)، **يُنظر**: إ.كاريت، **الاستكشاف العلمي للجزائر خلال الأعوام 1840، 1841، 1842 العلوم التاريخية والجغرافية (دراسة الطرق التي يسلكها العرب في الجزء الجنوبي من الجزائر وإيالة تونس)**، (نقله إلى العربية): حمزة الأمين يحياوي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016م، طبعة خاصة، ص 45.

3- ج.أو.هابنسترايت، **رحلة العالم الألماني ج.أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)**، (تر) و(تق) و(تع): ناصر الدّين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.ت، د.ط، ص 115.

4- الصغير بن يوسف، **المشرع الملكي في سلطنة أولاد بن علي تركي (مخ)**، الكتبة الوطنية التونسية، رقم 10868، ورقة 10 ظهر؛ Mohamed Hédi Chérif, **Pouvoir et Société dans la Tunisie de H'usayn Bin 'Ali (1705-1740)**, T 02, C.P.U, Tunis, Deuxième Edition, p 17.

بعد أنْ استشار المقربين منه ومن يثق بهم، ومنهم بن متيشة رئيس عسكر زواوة وأحد المقربين من الباي[1].

فقد وفى بن متيشة بوعده لعلي باشا، حيث ساعده في الوصول للجبل بعد أنْ تظاهر بوقوعه أسيراً في يد الوسلاتيين، إلاّ أنّ الباي أدرك بعد ذلك أنّ قائد جيشه تخلى عنه وأصبح في صف ابن أخيه[2]. ورغم ذلك، أراد الباي أنْ يُجَنِّب تونس الدّخول في حرب أهلية، فبادر بالصّلح أوّل الأمر، لكنه اقتنع، بعد عدّة محاولات فاشلة، أنّه لا مفرّ من استعمال القوّة ضدّ الثّائر، وملاحقته إلى جبل وسلات[3]. لقد تأكّد الباي أنّه أصبح لابن أخيه مناصرين بعد أنْ رأى ذلك بأم عينه عند لجوء الأخير للوسلاتيين، وقبول هؤلاء مساعدته، وتيقن كذلك بأنّ أطرافاً أخرى سوف تنضم للثائر وتؤيده خاصة وأنّه يعلم أنّ الكثير من القبائل ناقمة عليه.

فالصّدع الذي أحدثته سياسة الباي الجبائية في المجتمع التّونسي قبل سنوات، والذي أشرنا إليه من قبل، أصبحت سنة 1728م واقعاً ملموساً استفاد منه علي باشا، ووظفه لصالح ثورته، فقد بقي حوالي سنتين يجهز نفسه عن طريق كسب جميع الأطراف النّاقمة على السّلطة، مثل: سكان جبل وسلات و"ماجر"[4] و"أولاد عيار"[5] وبعض قرى السّاحل، وكذلك قِسْم من الطبقة الحاكمة وأعيان البلاد. بينما بقي في صف الباي حسين بن علي:

---

1- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 106.

2- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، ص-ص 75-77.

3- حمّودة بن محمّد بن عبد العزيز، المصدر السّابق، ص 65. وجاء عند "الصغير بن يوسف" أنّ الباي استفتى أهل العلم في أمر علي باشا وأهل جبل وسلات بعد شق الأخير عصا الطاعة، فأفتوه بجواز محاربتهم وقتلهم، **يُنظر**: الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، ص 83.

4- واقترن تاريخها بقبيلة الفراشيش، حيث استوطنوا منطقة السّباسب العليا (الوسط الغربي لإيّالة تونس)، وتنقسم كل قبيلة إلى ثلاثة فروع رئيسية، فماجر تنقسم إلى: أولاد مهنة (مهني) والشكاتمة والفواد، أمّا فروع الفراشيش فهي أولاد علي وأولاد ناجي وأولاد وزاز، وقد انحازت القبيلتين إلى صف علي باشا في الصراع الباشي الحسيني، **يُنظر**: محمّد على الحبّاشي، المرجع السّابق، ص-ص 20-21.

5- وهم من أصل بربري، كانوا قد استوطنوا قديماً على مقربة من قسنطينة، ثمّ اتخذوا من لعض مرتفعات الشمال الغربي التونسي مستقراً لهم عند الزّحفة الهلالية، **يُنظر**: محمّد على الحبّاشي، المرجع السّابق، ص 17.

المدن والقبائل المخزنية مثل دريد و"جلاص"[1] و"أولاد عون"[2]، وانقسمت البلاد على إثرها إلى شقين؛ الباشية وهم الموالون لعلي باشا، والحسينية وهم أتباع الباي حسين بن علي[3].

وبعد أنْ أتمّ الباي كل التّجهيزات خرج بنفسه على رأس جيش مُكَوَّن من أربعين ألف (40.000) جندي قاصداً جبل وسلات[4]، صحبة ولديه محمَّد وعلي وأخوه محمَّد؛ والد علي باشا. وبعد أنْ فقد الباي الأمل في استجابة ابن أخيه لمطلب الصّلح، اندلعت الحرب بين الطّرفين واستطاع الباي هزيمة الثّائر في معركة أولى، لكنّ الوسلاتيين تداركوا الأمر وتمكّنوا من هزيمة حسين بن علي وعسكره، وقد نجم عن انشغال الباي بثورة علي باشا انتشار الفوضى والتّمردات بعدة مناطق من الإيّالة، خاصة الكاف وما حولها[5]، وقد وصف قنصل فرنسا في تونس "السيد بينيون (Pignon)"[6] الوضع في رسالته إلى الكونت دي موريبا (Cte de Maurepas)، وزير البحرية الفرنسي (1723–1749)[7]، بتاريخ الثّامن (08) سبتمبر 1728م، حيث قال أنّ إيّالة تونس أصبحت تعاني من كثرة الاضطرابات، وأنّ حزب الباشا يزداد يوماً بعد يوم، وأنّ ثورة عامة على وشك أنْ تجتاح الإيّالة[8].

وعلى إثر إعلان الكاف عصيانها وانضمامها لعلي باشا، وبحكم موقعها الاستراتيجي والحدودي مع إيّالة الجزائر، توجه إليها الباي وتمكّن من إعادتها إلى طاعته، لكن الباشا

---

1- استوطنوا منطقة السباسب السفلى الغربية، وتختلف الرّوايات حول أصل هذه القبيلة أهو عربي أو بربري، لكنها تتفق على أنّ الجد الأوّل جلاص أنجب ثلاثة أبناء: إيدير، خليفة وسنداسن الذين أعطوا أسماءهم لفروع القبيلة، **يُنظر:** محمّد على الحبّاشي، المرجع السّابق، ص-ص 21-22.

2- من أصل يمني قدموا إلى تونس مع قبائل الزّحفة الهلالية واستوطنوا المجال التابع لأولاد هذيل بعد ترحيلهم بمساعدة أولاد يحي، **يُنظر:** المرجع نفسه، ص-ص 16-17.

3- دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السّابق، ص 64.

4- يبدو أنّ الباي أصبح لا يثق بأحد بعد تمرد ابن أخيه، علي باشا، عليه، وخيانة قائد عسكر زواوة، بن متيشة، له.

5- محمَّد صالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص-ص 49-50.

6- Piere-Jean Pignon قنصل فرنسا في تونس (22 ديسمبر 1723-07 سبتمبر 1729م)، **يُنظر:**
Eugène Plantet, **Correspondance des Bey de Tunis et des consuls de France avec la Cour 1577-1830**, Félix Alcan Editeur, Paris, 1894, T02 (1700-1770), p XLV.

7- اسمه الكامل Jean Frédéric Phélypeaux comte de Maurepas (1701-1781م).

8- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, T 02, p 232.

لاحق محلة عمّه إلى مُرْماجنة؛ قرب الكاف، ودارت معركة بين الطّرفين انتهت بفرار علي باشا إلى ناحية القيروان، فما كان من عمه إلاّ أن لاحقه وشتت أتباعه إلى قلعة الحامة، واستطاع آغا القلعة، سليمان الصّباغ، قتل أحمد بن متيشة، حيث كانت هذه الحادثة سبباً في انهيار معنويات علي باشا، ودفعته إلى الفرار. لقد استمرت الحرب بين العم وابن أخيه مدة سنة ونصف، انهزم على إثرها علي باشا، وفرّ إلى الصّحراء، والتحق بإيّالة الجزائر عن طريق الزّاب (بسكرة)[1]، وطلب اللّجوء عند الدّاي كور عبدي (1724–1732م)، أملاً في حصوله على الدّعم والعودة إلى تونس للثأر من عمه[2].

لقد هدأت الحرب الأهلية التي استمرت ثمانية عشر (18) شهراً، وأعادت تونس إلى زمن الفتن والثّورات، بعد حوالي ربع قرن من الاستقرار، لكن بال الباي حسين بن علي لم يهدأ بسبب هروب غريمه إلى داي الجزائر كور عبدي، ولأنّ علاقات باي تونس مع داي الجزائر كانت حسنة فقد طلب حسين بن علي سنة 1730م من الدّاي كور عبدي قتل علي باشا فلم يقبل، لكن في المقابل حصل على وعد من الدّاي بإبقائه في السّجن مقابل ضريبة سنوية، قدرها عشرة آلاف (10.000) سكوين، يدفعها باي تونس لحكومة الجزائر[3]، غير أنّه وبحلول سنة 1735م[4] توقف باي تونس عن دفع هذه الضّريبة لحكومة الجزائر، مما دفع بـ"الدّاي إبراهيم باشا (1732–1745م)"[5]، الذي خلف الدّاي كور عبدي، إلى إعلان

---

1- تحاشى علي الباشا المرور بقسنطينة لعلمه بالمودة التي بين باي تونس؛ حسين بن علي، وباي قسنطينة حسين كليان المدعو بوكمية (1713–1736)، حيث خاف من أنْ يمسك به باي قسنطينة ويقتله، وطلب من مضيفه شيخ عرب الزّاب تمكينه من الوصول سالماً إلى الجزائر، فتم له ذلك، وبعد استقراره بالجزائر، التحق به ابنه يونس، الذي كان لاجئاً عند الحنانشة، بأمر من داي الجزائر إلى باي قسنطينة، حيث أرسله الأخير سالماً إلى والده، **يُنظر:** عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص ص 84، 86.

2- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص–ص 108–110؛ محمّد الهادي الشّريف، المرجع السابق، ص 84.

3- صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 158؛ عبد القادر سوداني، المرجع السّابق، 118؛
Faure Biguet, Op.Cit, p 385.

4- جاء في مصادر أخرى أنّ باي تونس توقف عن دفع الضّريبة سنة 1733م، وهو الأرجح، وذلك لأنّ قرار الحملة ضدّ إيّالة تونس اتخذه الدّاي في صائفة سنة 1734م، **يُنظر:** Mohamed Hédi Chérif, Op.Cit, T02, p 145.

5- والد زوجة الدّاي السّابق كور عبدي وخزنداره، اعتلى منصب الدّاي دون أي صعوبات أو مقاومة، بعدها طلب من السّلطان العثماني محمود الأوّل لقب الباشا وأصبح يلقب بـ"إبراهيم باشا". عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص 484.

الحرب، بإيعاز من علي باشا وأنصاره، على باي تونس[1]، الذي لم تلق دعوته للصّلح، مقابل خمسين ألف (50.000) بياستر، آذاناً صاغية من داي الجزائر، ولأنّ هذا العرض جاء متأخراً، فالحملة كانت قد انطلقت فعلاً[2].

بعد فشل محاولات الصّلح مع الجزائريين راسل حسين بن علي السّلطان العثماني محمود الأوّل (1730–1754م)، ورغم تدخل السّلطان ومحاولته إيقاف الحملة الجزائرية[3]، إلاّ أنّ الدّاي إبراهيم باشا لم يمتثل للأوامر[4]، حيث واصلت الحملة، التي انطلقت من الجزائر في شهر ماي 1735م، طريقها نحو تونس، واستطاعت في شهر أوت من نفس السّنة، الانتصار على قوات باي تونس، وتنصيب علي باشا حاكماً عليها، بعد هروب عمِّه باتجاه القيروان رفقة أبنائه محمَّد وعلي[5].

ودخل علي باشا مدينة تونس، بعد انتصاره على عمه، في السّابع (07) من شهر سبتمبر 1735م، وبويع بالقصبة[6]، وأصبحت البلاد، ولمدة خمس سنوات، تحت حكم البايين؛ علي باشا في العاصمة تونس، وحسين بن علي في القيروان، وكان لكل طرف أتباعه، فكما أشرنا سابقاً، أنّ تونس كانت منقسمة إلى شطرين؛ باشية وحسينية[7]. لكن مع مرور الزّمن بدأت قوّة الباشا تزداد، بينما كانت قوّة عمه في تناقص مستمر يوماً بعد يوم[8].

---

1- ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 177؛ Charles Féraud, Op.Cit, p 231. وحول مساعي علي باشا لدى داي الجزائر من أجل مساعدته بحملة عسكرية يرجع بها إلى تونس. **يُنظر:** الصغير بن يوسف، **المشْرع الملكِي في سلطنة أولاد عَلي تركي**، مج 02، (تق) و(تح): أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، 2009م، د.ط، ص–ص 81–86.

2- Ernest Mercier, Op.cit, p 251.

3- للمزيد حول تفاصيل هذه الحملة، **يُنظر:** المبحث الأوّل من الفصل الثّالث من هذه الأطروحة.

4- H.-D. de Grammont, Op.Cit, p 295 ؛ عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص–ص 486–487.

5- Charles Féraud, Op.Cit, p 236.

6- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، المصدر السّابق، ص 73.

7- صورية حصام، **العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012–2013م، ص 62.

8- خلال فترة الخمس سنوات التي قضاها حسين بن علي في القيروان أرسل أولاده محمَّد وعلي إلى الجزائر لطلب الدّعم والمساعدة من أجل القضاء على ابن أخيه علي باشا، كما راسل الأمير محمَّد بن حسين، سنة 1737م، كل من ملك فرنسا لويس الخامس عشر ووزير بحريته لنفس الغرض، لمزيد من التّفاصيل حول هذه الرّسائل، **يُنظر:**
Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…,** T 02, pp 305-308.

وخلال الخمس (05) سنوات حاصر يونس بن علي باشا القيروان ثلاث مرات؛ سنة 1736 و1738 و1739م، وبدأ الحصار الأخير في شهر نوفمبر، ودام حوالي ستة (06) أشهر، إلى أنْ تمكّن من دخولها في ماي 1740م، وقبض على حسين بن علي وقطع رأسه وبعث بها إلى والده[1]. وبمقتل حسين بن علي باي انتهت هذه الأزمة، وانفرد علي باشا بالأمر.

**ج- نتائج الأزمة على تونس:**

- مقتل حسين بن علي باي وفرار أبنائه إلى الجزائر، خوفاً من بطش ابن عمهم، حاكم تونس الجديد.
- عانت مدينة القيروان من جراء الحصار الذي فرضه عليها علي باشا أكثر من مرّة وتجرّع سكانها مرارة الفقر والحرمان والقهر، وقد وصف "ابن المفتي" حالها في قوله: «وحوصرت القيروان وامتارت بالقمح إلى أن وصل ثمن الصاع ستين ريالا، وبلغ بهم الحال أن بيع دم الحيوانات المذبوحة، وأكل النّاس نواة البلح وطحين النخل، وباع المياسير ما يملكونه ومات الفقراء، ولم يكن من النّادر رؤية ناس لم يتذوّقوا الطعام منذ يومين أو ثلاثة»[2]. ولم تكن القيروان وحدها على هذا الحال بل شملت المعاناة جميع أرجاء الإيّالة.
- انقسم المجتمع التّونسي إلى شطرين باشية وهم أتباع علي باشا، وحسينية وهم اتباع حسين بن علي ومن بعده أولاده.
- انتقام علي باشا من أتباع حسين بن علي ومؤيديه من حاشيته والمدن والقبائل التي ساندته في حربه ضدّ علي باشا، حيث جرّد الكثير من الموالين لعمه من أموالهم وثرواتهم، وأصبح يتهم كل من أراد أخذ أمواله بالولاء لعمه[3]، خاصة وأنّ الخزينة التّونسية أصبحت فارغة بسبب وفاء الباشا بالتزاماته لحكومة الجزائر نظير الحملة التي جردها داي الجزائر ضدّ عمه وكانت سبباً في اعتلائه لعرش تونس.
- التزام علي باشا بدفع ضريبة سنوية إلى الجزائر قدرها خمسون ألف (50.000) بياستر أو مائتي ألف (200.000) إيكوس حسب مصادر أخرى، وكمية من القمح[4].

---

1- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص-ص 113-114.

2- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، المصدر السّابق، ص 73. حول عبث يونس بن علي باشا بمدينة القيروان بعد وفاة حسين بن علي، **يُنظر:** الصّغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 02، ص-ص 179-181.

3- محمد صالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص 54.

4- Ernest Mercier, Op.cit, p 252.

**ثانياً– ثورة يونس ضدّ والده علي باشا 1752م**

**أ– جذور الأزمة:**

بعد وفاة عمه، بايع النّاس علي باشا بيعة عامة، والتفت الباشا إلى تمهيد البلاد، بعد أن عمَّت الفوضى تونس خلال سنوات الحرب بينه وبين عمه، واستطاع أنْ يطوع القبائل العاصية، وأنْ يُجبر الدّول الأوروبية على الجنوح للسّلم مع الإيّالة[1]، وكان ابنه يونس ساعِدُه الأيمن في كل هذا، حتّى ذاع صيته وأصبح شديد النّفوذ في المملكة، وله سيطرة واسعة على القوات النظاميّة وحتّى على حاشية القصر، وقد أثار هذا الوضع غِيرَة وحسد الابن الثّاني للباشا؛ الذي يُدعى محمَّداً، وكان الأخير شاباً طموحاً، لكن طموحه هذا كان ممزوجاً بالمَكر[2].

وقد كان أبوهما الباشا يميل إلى مشاركة أبنائه في الحكم، فقد أمر بخروج محلة الصّيف تحت إمرة ابنه محمَّد نحو باجة عندما كان الأخ الأكبر يونس محاصراً للقيروان، فثار أهل عمدون وغيرهم على المحلة، ولولا تدارك يونس الوضع لكانت الفتنة. وعند رجوع المحلتين تكلم يونس مع والده بشأن عدم كفاءة الأمير محمَّد فاقتنع الباشا، لكن هذا التّصرف زاد الفجوة بين الأخوين، وتفاقم الوضع أكثر بعد وفاة والدتهما "كبيرة مامية"، سنة 1747م، لأنها كانت في حياتها مسموعة الكلمة عند الباشا ومهابة الجانب من أولادها. عندها اغتنم الأمير محمَّد الفرصة وأوغر صدر والده على أخيه، حتّى استحكمت الوحشة بينهما، وصار علي باشا يباشر أمور الملك بنفسه، متجاهلاً يونس بعد أنْ كان ساعده الأيمن كما أشرنا[3].

ثمّ إنّ محمَّداً سعى في تدبير مؤامرة ظاهرها قتل الباشا بالسّم عن طريق أحد خدامه، وباطنها التّفرقة بين الباشا وولده يونس، وقد نجح في ذلك، لأنّه بعد هذه الواقعة أمر الباشا أنْ لا يدخل عليه يونس إلاّ بإذن[4]، وبعدها رأى الباشا أن يرسل ابنه يونس إلى المشرق، فبعث له من يخبره: «إني سرحتك للحج في هذا العام وهيأت لك مركبا»، وفهم يونس أنّ

---

1– محمود مقديش، المصدر السّابق، ص–ص 160–161. حول معاهدات السّلم والصّداقة التي عقدها الباشا مع الدّول الأوروبية، بعد حربه مع الفرنسيين حول جزيرة طبرقة، **يُنظر**: ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص–ص 188–200.

2– المرجع نفسه، ص 201.

3– أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص–ص 135–137.

4– الصّغير بن يوسف، **المشْرع الملكِي في سلطنة أولاد عَلي تركي**، مج 03، (تق) و(تح): أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، 2008م، د.ط، ص 141.

المقصود ليس الحج، بل النّفي، ورفض الخروج دون أهله وعياله، لكن الباشا أصّر على رأيه، فخاف سليمان ونصح أخاه يونس أن يخرج وإلاّ اعتقله الباشا، وأردف سليمان لا تدري ما يفعل بك بعد الاعتقال[1]، عندها دخل الخوف قلب يونس، وبمساعدة بعض من يثق بهم من الجنود دخل القصبة وأعلن عصيانه، واشتعلت نار الثّورة بين الوالد وولده[2].

**ب- مجريات الأزمة:**

دخل الثّائر يونس قصبة تونس ظُهْر يوم الاثنين الرّابع والعشرين (24) من شهر أفريل 1752م، واعتصم بها بعد أنْ سجن الأغا المسؤول عنها، وجلس في سقيفتها ومنها أعلن الثّورة ضدّ والده، الذي سرعان ما وصله الخبر، فأمر ابنه محمَّداً أنْ يبادر إلى أبراج الجبل الأخضر أمام الحاضرة، ويجعل على هذه الأبراج من يثقان بهم، وفعل يونس بأبراج القصبة نفس الشّيء، حيث شحنها بالعساكر، وكان بعد تحصنه بالقصبة أنْ أعلن نفسه باياً بموافقة الحامية والدّيوان، كما تلقى التّهاني من أعيان البلاد وجميع أتراك المدينة، والذين يشكلون عدداً كبيرا من القوات[3].

بعد ثلاثة أيام انضمت قلعة حلق الوادي إلى جانب يونس، وقام بكسب العسكر إلى جانبه عن طريق زيادة رواتبهم، أمّا علي باشا فقد جمع العدد القليل من القوات التي كانت معه في قصر باردو (حُرَّاسِه)، ودعمها بحاميات بنزرت وطبرقة وغار الملح وبعض القبائل التي بقيت وفية لقضيته، وشكّل من هذه المجموعات جيشاً حقيقياً وضعه تحت تصرّف ولديه محمَّد وسليمان[4].

وبعد هذه الاستعدادات وقعت معارك بين الطّرفين، تضرّرت منها المدينة كثيراً، وكانت الحرب سجالاً بينهما، وعندما طالت الحرب ولم تسفر عن منتصر، خاف الباشا استفحال الأمور فأرسل وفداً من أعيان البلاد للنّظر في أمر الصّلح مع ابنه يونس، لكن الأخير رفض، وواصل القتال إلى أنْ شعر أنّ هزيمته على يد عسكر والده أصبحت واقعاً محتوماً،

---

1- ذكر "روسو" أنّ النّصيحة كانت من محمَّد وسليمان معاً لأخيهم الأكبر، وكان فحواها، أنْ يبيع يونس ممتلكاته في تونس ويتوجه لآداء فريضة الحج، وإلاّ فإنّ مصيره الموت، **يُنظر:** ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 204.

2- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 137.

3- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, T 02, pp 441-442؛ أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 138.

4- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, Op.Cit, T02, p 442.

بعد أنْ قُطِع عليه المدد القادم من حلق الوادي، ولم يفلح في استمالة قناصل الدّول الأوروبيّة من أجل توفير الذخيرة، فخرج من القصبة في السّابع عشر من شهر جوان سنة 1752م مع قلة من أتباعه، وقصد الجزائر كعادة النّاقمين من أهل تونس، في حين دخلها محمَّد وسليمان مُنتَصِرَين[1].

**ج- نتائج الأزمة على تونس:**

- مثّلت هذه الأزمة بداية النّهاية لحكم علي باشا في تونس، بعدما تخلى عن أحد أهم دعائم حكمه؛ وهو ابنه يونس، الذي وقف معه منذ بداية حربه وثورته ضدّ عمه حسين بن علي منذ حوالي ربع قرن، حيث رافقه إلى جبل وسلات في فيفري 1728م، وحتّى بعد عودته من الجزائر بالحملة التي نصبته على عرش تونس، كان يونس من ساعده على تمهيد البلاد.
- طال الدّمار الحاضرة تونس جراء الحرب بين الباشا وولده، فقد جاء في "الاتحاف" أنّ البلاد كادت أنْ تصير دكاً، لشدة ما لحق بها من أضرار، وأضاف المُؤَلِف في موضع آخر: «ولما دخل عسكر الباشا الحاضرة عاث في دورها وأسواقها بالقتل والنهب»[2]، ووصف علي باشا بنفسه المعارك التي دارت بينه وبين ابنه يونس، في رسالته إلى ملك فرنسا "لويس الرّابع عشر"، طيلة مدة الثّورة، وفي ما يلي ترجمة لجزء من هذه الرّسالة: كانت خمسون يومًا وخمسون ليلة من المعارك الأكثر دموية والأكثر فظاعة، لقد فزت على اِبْنِي البائس، وأجبرته على الخروج بطريقة مخزية[3]، وإذا كانت المعارك بهذا الوصف فإنّ النّتائج سوف تكون بالتّأكيد بنفس الفظاعة.
- تعرضت مدينة تونس إلى أعمال النّهب والسّرقة والقتل التي طالت أهلها ودُورَها وأسواقها، حيث دخلها عسكر الباشا وعاث فيها فساداً[4].
- لجوء يونس بن علي باشا إلى قسنطينة بعد فشل ثورته ضدّ والده[5]، وقد استقر في الجزائر لاجئاً لعله يجد الدّعم الذي يوصله إلى حكم تونس.

---

1- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, Op.Cit, T02, p 442؛ محمد الصالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص 56.

2- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 139، 140.

3- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, Op.Cit, T02, p 448.

4- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 140.

5- حمّودة بن محمَّد بن عبد العزيز، المصدر السّابق، ص 47.

▪ انتقام محمَّد بن علي باشا مِن جميع مَن ساند يونس، عن طريق القتل والسّجن ومصادرة الأموال، ولم يسلم إلاّ من نجا بنفسه والتحق بالجزائر طالباً اللّجوء هناك[1].

▪ ليست هناك احصائيات دقيقة حول عدد القتلى الذي خلفته هذه الثّورة، إلاّ أنّ التّقديرات جعلتها ما بين أربعة آلاف (4.000) وخمسة آلاف (5.000) قتيل، من كلا الجانبين[2].

**ثالثاً- عودة أبناء حسين بن علي إلى حكم تونس والتّخلص من علي باشا سنة 1756م:**

**أ- جذور الأزمة:**

في الحقيقة هذه الأزمة هي امتداد للصراع الباشي الحسيني (1728-1740م)، فقد كان من نتائج هذا الصّراع بعد انتصار علي باشا على عمّه وقتل الأخير سنة 1740م أنْ استقر أبناؤه محمَّد وعلي ومحمود بالجزائر، وطلب الأخوة اللّجوء عند الدّاي إبراهيم باشا، في انتظار الفرصة للحصول على الدّعم من أجل استرجاع عرش أبيهم من علي باشا.

ورغم أنّ الدّاي إبراهيم باشا هو من ساعد علي باشا في الوصول إلى حكم تونس، إلاّ أنّ العلاقات بين الطّرفين سرعان ما ساءت بسبب النّزعة الاستقلالية لباي تونس الجديد، وتصرفاته مع حكومة الجزائر، وقطعه للإتاوة السّنوية سنة 1745م[3]، وقد جعلت هذه التّطورات الدّاي يعتذر من أبناء حسين بن علي ويعدهم بالنُّصرة ضدّ ابن عمهم، حتّى أنّه أوصى خليفته الدّاي إبراهيم الصّغير (1745-1748م) بمساعدتهم علي استرجاع عرش تونس بعد وفاته، وهو ما حصل سنة 1746م[4]، عندما جرّد الدّاي الجديد حملة عسكرية ضدّ علي باشا، بمساعدة باي قسنطينة، زحفت علي تونس لكنها أخفقت أمام أسوار الكاف[5].

---

1- محمد صالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص 56.

2- ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 208.

3- عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 174.

4- قبل الحملة العسكرية التي جردها الدّاي إبراهيم الصغير على علي باشا سنة 1746م، ثار جند الترك في تونس ضدّ علي باشا سنة 1743م، بسبب عدم قدرته على الاستمرار في تقديم التّنازلات لهم بعد مساعدته في الصّراع على السّلطة ضدّ عمّه، فقام بقمع هذه الثّورة في مهدها ونكّل بهم وضيق عليهم، حتّى اضطر عدد كبير من هذه القوات اللّجوء إلى الجزائر. **يُنظر**: Azzedine Guellouz et autres, Op.Cit, p 228.

5- هناك ثورة الكراغلة اندلعت في تلمسان أثناء حصار الكاف أجبرت القوات الجزائرية على رفع الحصار والعودة إلى الجزائر. **يُنظر**: Azzedine Guellouz et autres, Op.Cit, p 228.

وبعد وفاة الدّاي إبراهيم الصّغير تولى الدّاي "محمَّد بن بكير (1748-1754م)"[1]، وكان الأخير ميالاً للسّلم، ويتحرّج من سفك الدّماء، أمّا همه الأكبر كان استرجاع وهران من يد الإسبان[2]، وهو ما يفسر عدم مساعدته لأبناء حسين بن علي وجعلهم ينتظرون عشر (10) سنوات أخرى، حتّى يتمكنوا من الخروج بحملة إلى تونس، وكان ذلك سنة 1756م، عندما تولّى الدّاي "علي بوصبع (1754-1766م)"[3] السّلطة في الجزائر، وقد تزامن توليه منصب الدّاي مع تولي ابن أخته؛ حسن أزرق عينه، منصب باي قسنطينة سنة 1753م.

**ب- مجريات الأزمة:**

كان يونس بن علي باشا لاجئاً في الجزائر منذ 1752م، وكان التّنافس على أشُدّه بينه وبين أبناء حسين بن علي حول كسب ود الدّاي من أجل مساعدتهم على انتزاع حكم تونس من علي باشا، لكن الدّاي مال إلى أولاد حسين بن علي بسبب استيائه من يونس، لأنّ الأخير ازدراه واستخف به عندما كلفه الدّاي السّابق بمهمة لدى علي باشا منذ بضع سنوات، ويبدو أنّ علي بوصبع لم ينس له هذا الموقف[4]، بل أمر باي قسنطينة بسجنه والتّضييق عليه، ثمّ أمر باي قسنطينة ومحمَّد بن حسين باي، في أفريل 1756م، بالخروج مع المحلة باتجاه قسنطينة، حيث كان علي بن حسين باي قد استقر بها منذ خريف 1755م، من أجل استمالة أكبر عدد من القبائل الجزائرية والتّونسية والاستفادة من دعمها في حربهم ضدّ علي باشا، واجتمع الثّلاثة هناك عازمين الرّحيل نحو تونس بثلاث محال[5].

---

1- يُعرف كذلك بـ"بابا امحمد"، **يُنظر:** الصغير بن يوسف، **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي**، مج 04، (تق) و(تح): أحمد الطويلي، المكتبة العصرية، تونس، 2009م، د.ط، ص 5.

2- المصدر نفسه، ص 5؛ Faure Biguet, Op.Cit, p 389.

3- يُشار إليه في بعض المصادر بـ"علي برمق سز" أو "بابا علي"، **يُنظر:** أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 146، 147؛ H.-D. de Grammont, Op.Cit, p 310؛ Ernest Mercier, Op.cit, p 263. وقد جاء فرمان تعيين الدّاي علي بوصبع من السّلطان عثمان الثّالث سنة 1755م، وجُدِّد هذا التّعيين ثلاث مرات في عهد السّلطان مصطفى الثالث سنوات 1758 و1760 و1764م، **يُنظر:** م.و.ج، ر.ع، مجموعة رقم 3190، ملف رقم 01، وث 03، 09، **وأيضاً:** خليفة حماش، **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية**، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 1432هـ/2012م، د.ط، ص-ص 55-56.

4- ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص-ص 210-211.

5- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 04، ص ص 12، 36؛ عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص 164.

وسارت محال الجزائر من قسنطينة نحو الكاف، واستولت عليها بعد معارك يوم الثّاني والعشرين (22) جوان 1756[1]، ثمّ تحركت باتجاه تونس وعسكرت قرب مدينة تونس مدّة شهرين[2]، وحدثت خلال هذه المدّة مناوشات بين الطّرفين، وانتهت بانتصار عسكر الجزائر يوم الثّاني (02) من شهر سبتمبر، حتّى جاءت الأوامر من الدّاي بالتّخلص من علي باشا والعودة إلى الجزائر، وفي الثّاني (02) من أكتوبر تحرّك حسن باي بالمحال نحو الجزائر، حيث نفّذ رغبة الدّاي وسلّم حكم تونس لمحمَّد بن حسين باي[3] بعد أنْ عقد معه معاهدة[4].

**ج- نتائج الأزمة على تونس:**

- استعادة أبناء حسين بن علي حكم تونس من علي باشا، وتنصيب محمَّد بن حسين باياً على تونس، وفي المقابل اعترف الباي وأخوه بسيادة داي الجزائر عليهم[5].
- قتل علي باشا بأمر من الدّاي علي بوصبع، كما قتل ابنه محمَّد على يد أفراد من قبيلة الحنانشة[6].
- قام عسكر ترك الجزائر وتونس والحنانشة، بعد سقوط العاصمة، بنهب المدينة، ودخل حسن باي مع عسكره قصر باردو وأخذوا ما خلّفه الباشا من مال ومصوغ وكل ما له قيمة، وقال صاحب الاتحاف: «ودام النهب في الحاضرة وما والاها، ...، نحو الشهر»[7]. وكان تصرّف عسكر تونس هذا رد فعل على الظُّلم والتَّعسف الذي طالهم قبل ذلك من علي باشا وولده محمَّد سنة 1743م و1752م.

---

1- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 04، ص ص 38، 46. وحسب رسالة قنصل فرنسا في تونس بتاريخ الثّاني (02) جويلية 1756م، والتي أوردها "بلانتي" فإنّ تاريخ وصول الحملة كان العاشر (10) جوان 1756م، **يُنظر**: Eugène Plantet, **Correspondance des Bey...**, Op.Cit, T 02, p 498.

2- جاء في يوميات حصار تونس عند "بلانتي" أنّ محال الجزائر وصلت تونس ليلة الواحد والعشرون (21) إلى الثّاني والعشرون (22) جويلية، **يُنظر**: Eugène Plantet, **Correspondance des Bey...**, Op.Cit, T 02, p 500.

3- تولى الحكم في السّابع (07) ذي الحجة 1169هـ/ سبتمبر 1756م وتوفي في الخامس عشر (15) جمادي الثّانية 1172هـ/ فيفري 1759م، **يُنظر**: أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 01، ملف رقم 11 مكرر 2، و 06.

4- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص-ص 176-183. هذه المعاهدة ضبطت العلاقات بين الإيالتين، وبقي تأثيرها إلى غاية 1807م، كما سنرى ذلك في الفصول اللاّحقة.

5- عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 174.

6- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 04، ص 79، 99.

7- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 152، 153.

▪ قُدِّر عدد الضّحايا في مدينة تونس بين خمسة وآلاف (5.000) وستة آلاف (6.000) قتيل[1]، إضافة إلى خسائر التّونسيين في الكاف التي لا تقل عن خمسمائة (500) بين قتيل وجريح[2].

▪ أبرم حسن باي قسنطينة معاهدة مع باي تونس الجديد؛ محمَّد بن حسين بن علي، أصبحت تونس بموجبها تحت هيمنة داي الجزائر، ونظراً للشّروط التي تضمنتها هذه المعاهدة، والتي أملاها داي الجزائر على الباي الجديد محمّد بن حسين وأخوه الأمير علي، فإنّ صاحب المرآة وصفها بالمُهينة[3].

▪ نهبت العساكر قنصليات الدّول الأوروبية في مدينة تونس، فقد اشتكى سفيري هولندا والسويد في اسطمبول من هذا التّصرف وراسل الباب العالي من أجل ذلك داي الجزائر وأمره برد ما أُخِذ من سفارات هذه الدّول[4].

**رابعاً- ثورة اسماعيل بن يونس ضدّ علي باي بن حسين 1759-1762م:**

**أ- جذور الأزمة:**

كان علي باشا، بعد فشل ثورة ابنه يونس وفراره إلى قسنطينة، قد حجر على أحفاده من ولده يونس وهم؛ إسماعيل وأخويه أحمد ومصطفى، ومنعهم من الخروج مدّة أربع سنوات (1752-1756م)، وانتهى هذا الاعتقال بعد الإطاحة بعلي باشا وقتله مع ولده محمَّد ورجوع الحكم في تونس إلى أولاد حسين بن علي، حيث فرّ إسماعيل واستقر به المقام، بعد رحلة طويلة، بإيّالة طرابلس الغرب، حيث استقبله حاكمها علي باشا بن محمَّد القرمانلي وأكرم وفادته، وبقي هناك إلى غاية وفاة محمَّد باي بن حسين بن علي سنة 1759م[5]، وقد

---

1- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, Op.Cit, T 02, p 504.

2- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام**...، المرجع السّابق، ص 186.

3- حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، (تق) و(تح) و(تعر): محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2006م، د.ط، ص 125. حول شروط هذه المعاهدة، **يُنظر**: المبحث الأوّل من الفصل الرّابع من هذه الأطروحة.

4- م.و.ج، ر.ع، مجموعة رقم 3190، ملف رقم 01، وث 04، 04 مكرر، 05، هذه الوثائق بتاريخ 1170هـ/1757م.

5- حمّودة بن محمَّد بن عبد العزيز، المصدر السّابق، ص-ص 47-49؛ أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 161. دام حكم محمَّد باي بن حسين حوالي سنتين ونصف (سبتمبر 1756-فيفري 1759م)، واستطاع أن يمهد البلاد بمساعدة أخيه علي، وربما لقصر مدة حكمه لم تحدث أزمات سياسية تستحق الذِّكر، وقد بقي محمَّد باي وفياً لالتزاماته مع السّلطة العثمانيّة بالجزائر، خاصة وأنّها هي من ساعدته على استعادة حكم تونس من علي باشا سنة 1756م.

أشار صاحب "المشرع" إلى أنّ إسماعيل لما وصله خبر وفاة محمَّد باي وهو في طرابلس قال: «أنتهز هذه الفرصة وأبلغ هذه اللقمة وأسرع هذه الشربة لأن مملكة تونس ما بقى مالكها إلا واحد [علي بن حسين]، وكثير من الرّعية ليس له مساعد»[1]، حيث اعتبرها فرصة مواتية حتّى يعود إلى تونس ويعلن الثّورة على "علي باي بن حسين"[2]، لأنّ الأخير بوفاة أخيه أصبح وحيداً، وليس له سند يعينه على أعباء الحكم.

وبما أنّ شبكة التّحالفات هي من تصنع قوّة حركات المعارضة، فمن المُؤَّكد أنّ إسماعيل وجد الدّعم من أطراف داخل تونس، يبدو أنّها، ولسبب ما، ناقمة على السّلطة، فقد جاء عند بن أبي الضّياف أنّه قد كاتبه بعض أهل الفساد من عربان تونس[3]، وصادف أنْ ضيّق صاحب طرابلس على إسماعيل بسبب أمر بدر منه، وهو ما دفعه إلى الخروج قاصداً تونس، وطاف ببعض مدنها طالباً العون والمساندة، ولمّا لم يتم له ما أراد انتهى به الأمر إلى قلعة الحامة، حيث أقام بها ثلاثة وثلاثين (33) يوماً، وهناك اجتمع عليه عدد كبير من العرب من قبائل شتى، وورد عليه جماعة من أهل جمّال وطائفة من قبيلة المثاليث، ووعدوه بالقيام معه ونصرته ضدّ علي باي[4].

1- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 04، ص 149. تعرض الباي الجديد في شهر فيفري 1759م، خلال الأيام الأولى التي استلم فيها عرش تونس، إلى محاولة اغتيال من طرف أحد الضباط، للمزيد **يُنظر:**

Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, Op.Cit, p 562.

2- وُلد هذا الأمير سنة 1135هـ/1712م، وشبّ في بلاط باردو وتربى تربية علمية وعسكرية، وكان يتقن اللّغتين العربية والإيطالية، كلّفه والده رغم صغر سِنِه، خاصة أثناء ثورة علي باشا 1728-1729م، بمهمات عسكرية وسياسية حقق فيها نجاحات كبيرة، ولم يتجاوز السّادسة عشر من عمره، تولى الحكم في الخامس عشر (15) جمادي الثّانية 1172هـ/ فيفري 1759م، وعمره سبع وأربعون (47) سنة، وإلى غاية الثّالث عشر (13) جمادي الثّانية 1196هـ/ 1782م، **يُنظر:** أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 01، ملف رقم 11 مكرر 2، و 06؛ Azzedine Guellouz et autres, Op.Cit, p 240؛ الشافعي درويش، "**علي باي الحسيني التونسي 1759-1782 (مواقف من سياسته)**"، مجلة مدرات للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ع 03، جانفي 2021م، المركز الجامعي بغليزان، الجزائر، ص 726.

3- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 162.

4- حمّودة بن محمَّد بن عبد العزيز، المصدر السّابق، ص 50 وما بعدها.

**ب-مجريات الأزمة:**

بعد أنْ حشد إسماعيل الكثير من المناصرين لثورته، في الحامة[1]، توجه إلى جمّال، وسبب قيام أهل جمّال مع الثّائر كان عبء الضّرائب التي فرضها عليهم الباي السّابق[2]، وقد دخل إسماعيل قرية جمّال التي رحّب به أهلها، في العاشر (10) جويلية 1759م، وبما أنّ أخبار الثّائر كانت تصل الباي أولاً بأوّل، فقد أرسل إليه الباي محاله العسكرية، ودارت بين الطّرفين معارك انتصر فيها الباي دون صعوبة، ودخلت محاله قرية جمّال في السّادس والعشرين (26) جويلية 1759م، وقامت بنهب وسلب أهلها وقتّلتهم، بينما فرّ المنهزم قاصداً جبل وسلات[3]، واعتصم به كما فعل جده قبل أكثر من ثلاثين (30) سنة، ولما سمع به الأعراب تسلّل إليه أنصار جَدِّهِ كقبائل ماجر الأربعة وعددهم يزيد عن ثلاثين (30) ألف فارس وأولاد عيار وغيرهم، فخرج بنفسه لحصار الجبل يوم الثامن (08) نوفمبر 1759م، كما ضيق على جبل جلاص وأولاد عون حتّى يمنعهم من نصرة إسماعيل[4].

استمرت ثورة إسماعيل ثلاث سنوات، قضى علي باي أغلبها في حصار جبل وسلات، ومحاله تتعاقب على هذا الجبل[5]، وتكرّرت الحروب بين الطّرفين خلال مدّة الحصار، وخلّفت خسائر مادية وبشرية كبيرة، حسب ما أشارت إليه المصادر[6]، أمّا إسماعيل فلم

1- ذكر قنصل فرنسا في إحدى رسائله بتاريخ التّاسع (09) أفريل 1760م، والموجهة إلى حكومة بلاده أنّ إسماعيل بن يونس اتصل ببعض ضباط قصر باردو وبعض اليهود من أجل التّعاون معه ضدّ علي باي، لكنه يبدو أنّه لم يلق الاستجابة، **يُنظر**: Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, Op.Cit, T 02, p 569.

2- صوربة حصام، "**لجوء بايات إيّالة تونس إلى الجزائر خلال القرن الثامن عشر من خلال وثائق أرشيفية**"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج 11، ع 12، فيفري 2015م، جامعة وهران 1، الجزائر، ص 186؛ محمد حلوان، **العلاقات بين إيالة الجزائر وإيالتي تونس وليبيا 1750-1830**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كاية العلوم الإنسانسة والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2015/2014م، ص 70.

3- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 04، ص-ص 150-155؛ حمّودة بن محمَّد بن عبد العزيز، المصدر السّابق، ص 59؛ Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, Op.Cit, T 02, p 566.

4- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 163.

5- جاء في رسالة من قنصل فرنسا بتونس إلى المكلّف بالشّؤون الخارجية بتاريخ 18 أفريل 1762م وصف لأحد محال الباي التي أرسلها إلى جبل وسلات، حيث قدّر القنصل قوات هذه المحلة بحوالي ثلاثون (30) ألف إلى أربعون (40) ألف رجل مع 18 قطعة مدفع، **يُنظر**: Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, Op.Cit, T 02, p 582.

6- تفاصيل المعارك في جبل وسلات، **يُنظر**: حمّودة بن محمَّد بن عبد العزيز، المصدر السّابق، ص-ص 63-73.

يستطع الصمود أكثر في وجه قوات علي باي، فقرر الفرار باتجاه قسنطينة، حيث يوجد والده يونس[1]. ولم يبق للوسلاتية إلاّ الهروب، فخرجوا من الجبل وتفرقوا في الإيّالة، وكان خروجهم في الثاني والعشرين (22) جويلية 1762م، أي منتصف فصل الصّيف، ومن شدّة الحرّ مات كثير منهم من العطش[2].

**ج- نتائج الأزمة على تونس:**

- خلفت هذه الثّورة بعد ثلاث سنوات من المواجهات الحربية الكثير من الضحايا من الطّرفين، ومات فيها من أعيان البلاد؛ محمَّد مغربلي آغا صبايحية التّرك، ومبروك القفصي كاهية صبايحية الكاف، وحسين التمتام آغا صبايحية التّرك، وأُسر الفقيه الحاج عبد الستار المانسي كاتب الحاج علي بن عبد العزيز، وأُسر القائد منصور السايس ومات في سجنه[3].
- تعرضت القرى التي ساندت إسماعيل بن يونس، خاصة جمّال وجبل وسلات، إلى الدّمار بعد دخول عسكر تونس إليها، ولاقى أهلها من هذا العسكر السّلب والنّهب والقتل[4].
- بعد انتهاء هذه الثّورة رجع الأمن إلى تونس، وانفرد علي باي بن حسين بالحكم ولم يبق له منافس على السّلطة في الإيّالة[5].

---

1- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 164؛ صورية حصام، "**لجوء** ..."، المرجع السّابق، ص 187.

2- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 04، ص 191.

3- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 163.

4- حمّودة بن محمَّد بن عبد العزيز، المصدر السّابق، ص 59، 88-89. أورد "بلانتي" في رسالة موجهة من قنصل فرنسا بتونس إلى المكّلف بالشؤون الخارجيّة، مؤرّخة في الأوّل من ماي 1762م، بأنّ محال الباي تغلّبت على المتمردين في جبل وسلات وأتلفت جميع محاصيلهم، واستطاعت تدمير ثمانية عشر (18) قرية من قرى الجبل المذكور، **يُنظر:**
Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, Op.Cit, T 02, p 582.
ورغم ذلك فإنّ الدّفاتر الجبائية المحفوظة بالأرشيف الوطني التّونسي تكشف لنا أنّ أهل هذا الجبل كانوا ممن شملهم احسانات بايات تونس حتّى أثناء ثورة أسماعيل بن يونس على علي باي بن حسين 1759-1762م، **يُنظر:** أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 2144، ص-ص 14-19.

5- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 04، ص 192. تجدر الإشارة إلى أنّ علي باي تعرض سنة 1769م لمحاولة للإطاحة به من شخص يدعى عثمان الحداد الذي ادعى أنّه ابن يونس بن علي باشا، وسمى نفسه أحمد باي، وناصره قوم من جبال خمير، غير أنّ أعوان الباي استطاعوا بكل سهولة القضاء على الثّائر والثّورة، **يُنظر:** محمد الصالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص 61.

- وكان من نتائج هذه الثّورة أنْ أمر علي باي بن حسين بإخلاء جبل وسلات[1]، وأنْ يتفرّق أهله في أرجاء الإيّالة، ومنع عليهم العودة لسكنى الجبل بعد ذلك[2].

**خامساً– ثورة أولاد مساهل ضدّ حمودة باشا الحسيني 1795م:**

**أ– جذور الأزمة:**

وضع "حمودة باشا (1782–1814م)"[3] منذ وصوله للسّلطة، ضمن مخططاته سياسة اصلاح شاملة هدفها تحصين البلاد ضدّ تعديات الدّول الأوروبيّة. وتدخلات أتراك الجزائر، خاصة في ظلّ الوضع السّياسي الدّاخلي، الذي اِتّسم بالاستقرار[4]، ولتحقيق هذه السّياسة قام البايلك بتكثيف استغلال دواخل البلاد باستعمال الطّرق المألوفة وباستنباط أخرى جديدة، حيث لجأت السّلطة في تونس إلى أساليب غير مباشرة حتّى تتجنّب التّوترات والاضطرابات الاجتماعية، ومن هذه الأساليب اعتمادها ضرائب غير مباشرة كـ"الدِّية"[5]

1– هذه السّياسة ليست جديدة على الحكام مع كل من يعارض سلطتهم، فقد قام مراد باي الأوّل، مؤسِّس الأسرة المرادية، بحملات ضدّ القبائل الممانعة والعاصية ومنها أولاد سعيد الذي أجلاهم عن البلاد وسكنوا طرابلس الغرب، **يُنظر**: الوزير السّراج، المصدر السّابق، ص 365.

2– حمّودة بن محمَّد بن عبد العزيز، المصدر السّابق، ص 90.

3– وُلد ليلة السّبت الثّامن عشر (18) ربيع الثّاني 1173هـ الموافق لـ الثّامن (08) ديسمبر 1759م، وقد اهتم والده بتربيته وتعليمه، ومن أساتذته الإمام الفقيه أبا محمّد حمّودة باكير والمؤرّخ حمّودة بن عبد العزيز، بُويع في حياة والده سنة 1777م، وتولى الحكم فعلياً بعد وفاة والده سنة 1782م، **يُنظر**: أحمد بن أبي الضّياف، **اتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، مج 02، ج 03، (تح): لجنة من وزارة الشؤون الثّقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999م، دط، ص 11.

4– رغم ذلك تعرض حمودة باشا إلى محاولة اغتيال فاشلة، ليلة التّاسع من فيفري سنة 1792م، من طرف ثلاثة من مماليكه بسبب معاملته القاسية لهم، حول تفاصيل هذه الحادثة، **يُنظر**: أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 02، ج 03، ص–ص 20–21؛ ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص–ص 263–264.

5– هي تعويض مالي يدفعه القاتل لأهل المقتول، لكن البايلك ومن أجل الرّدع فرض دية لصالحه على كل جريمة قتل، **يُنظر**: عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 188، حول موضوع الدّوايا؛ جمع دية، **يُنظر**: أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 142، عنوانه "دفتر يشمل على بيان بمقبوض الدولة من الدوايا والخطايا واللزم وغير ذلك من أنواع المداخيل تاريخه من عام 1180 إلى عام 1185هـ" (1769–1774م)؛ أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 206، عنوانه "دفتر يشمل على بيان مداخيل الدولة من الدوايا والخطايا واللزم والأعشار تاريخه من عام 1191 إلى عام 1194هـ" (1780–1783م).

و"الخَطِيّة"[1]، وقد كثرت هذه الخطايا في عهد حمودة باشا، بشكل غير مسبوق. فهل كان هدفها الرّدع أمْ إثراء خزائن البايلك؟[2]

ونظراً لاستقرار قبيلة الهمامة وقبائل ماجر والفراشيش في الأطراف الغربية لإيّالة تونس وبعدها عن مركز السّلطة فإنّ طابع التّوتر كان هو الغالب على علاقة هذه القبائل ببعضها البعض، ويرجع هذا العداء كذلك إلى المجاورة في المجال الجغرافي والصّراع على المراعي، من جهة، وإلى الولاءات المختلفة لهذه القبائل من جهة أخرى، فقد أيّدت الهمامة الباي حسين بن علي، في حين ناصرت ماجر والفراشيش علي باشا أثناء الحرب الباشية الحسينية، وكانت الصّراعات في معظمها تنتهي بحروب واغارات بين الطّرفين تفاوتت فيما بينها من حيث النّتائج[3].

فقد أغار أولاد مساهل، بقيادة عامر بن شريفة الفرجاني وحامد بن شريفة الفرجاني، على قبيلة الهمامة خلال 1791-1792م في أكثر من واقعة؛ الهيشرية، الحنية، وعين رباو، نتج عنها خمسة عشر(15) قتيلاً في صفوف الهمامة وحدها[4]، ولم تنته هذه المواجهات إلاّ بتدخل محال الباي العسكرية، وتسليط حمودة باشا الخطية على أطراف الصّراع، فكان نصيب ماجر والفراشيش من هذه الخطية مائة وسبعة وعشرون ألف (127.000) ريال و326 رأس من الخيل والإبل، وهي مبالغ كبيرة جداً مقارنة بقدرات القبائل وقتئذ. كما أنّ السّلطة اعتمدت سياسة فرّق تسد بين الأعراش في فرض الخطايا، سواء أعراش القبائل المختلفة، أو حتّى أعراش القبيلة الواحدة[5]. وما يمكن أنْ نستنتجه من هذه السّياسة أنّ السّلطة أرادت إضعاف قدرة القبائل وإخضاعها، وإثراء خزائنها في نفس الوقت،

---

1- نوع من الغرامات فرضتها السّلطة على القبائل بسبب تمردها أو بسبب صراعات القبائل فيما بينها، **يُنظر:** عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 188، حول موضوع الخطايا؛ جمع خطية، **يُنظر:** أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 142؛ أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 206.

2- عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص-ص 187-188.

3- محمّد علي الحباشي، المرجع السّابق، ص 46.

4- وصف للمعارك بين أولاد مساهل والهمامة، **يُنظر:** Monchicourt (Ch), **la région du haut tell en Tunisie (Le Kef, Téboursouk, Mactar, Thala)**, librairie Armand Colin, Paris, 1918, p 312.

5- خديجة يعقوب، "**حامد بن شريفة شيخ أولاد مساهل وثورته على السلطة بتونس سنة 1795م**"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 02، الجزائر، مج 04، ع 02، ديسمبر 2018م، ص 35، 37.

أي أنّها ضربت عصفورين بحجر واحد، وقد تكون المبالغة في الخطايا بدافع الانتقام خاصة وأنّ قبائل ماجر والفراشيش كانت في صف على باشا أثناء الحرب الباشية الحسينية.

وما زاد الطّين بلة هو أنّ هذه القبائل أرهقتها توالي سنوات المجاعة والأوبئة على البلاد، منذ أكثر من خمسة عشر سنة؛ مجاعة 1777 و1778م، ووباء 1784–1785م، ثمّ وباء 1794م[1]، وبالتالي فإنّ أوضاعها لم تكن على أحسن ما يُرام، وقد تكون هذه الظّروف من الأسباب التي دفعتها إلى الصّراعات والإغارة، كما اِعْتَبَرَت هذه الخطايا زيادة في تضييق السّلطة التّونسية عليها، وكان حافزاً لشيخ أولاد مساهل، حامد بن شريفة، إعلان عصيانه، والثّورة ضدّ سلطة البايلك.

**ب–مجريات الأزمة:**

بسبب الخطايا التي أرهق بها البايلك كاهل أولاد مساهل قام هذا العرش، بقيادة شيخه وقائده حامد بن شريفة، بإعلان العصيان والثّورة ضدّ السّلطة في تونس[2]، وقد انضم إليه كلّ من أثقلتهم المغارم وزادت من شقائهم الضّرائب، وقد علّق ابن أبي الضّياف على ثورة أولاد مساهل قائلاً: «... وأفسد الزرع، وأخذ الماشية، وعطل الطرق، وعاذ به كل من فيه إباءة من ضيم الجباية...»[3].

حاول حمودة باشا محاصرة الانتفاضة في مهدها، وقام بتشديد الرّقابة على الحدود الجزائرية، لأنّ إيّالة الجزائر تعتبر الوجهة الأكثر تفضيلاً للثّائرين على السّلطة في تونس عند فشل ثورتهم، لذلك اعتمد الباي الحيلة في القبض على الثّائر دون اللّجوء إلى الحرب، وقد وقع الاختيار على هذه الطريقة حتّى يتفادى الخسائر، ويتجنّب فرار بن شريفة نحو الجزائر، ويبدو أنّ هذه الطّريقة أتت أُكلها، عندما قبض كاهية الكاف؛ رجب بونمرة، على الشّيخ حامد، وأمر الباي بسجنه بعد توسّط أحد الشّيوخ في قرار إعدامه بسبب نسبه الشّريف[4].

1– عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 186.

2– خديجة يعقوب، المرجع السّابق، ص 36؛ Mohamed Hédi Chérif, Op.Cit, T02, p 186.

3– أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 02، ج 03، ص 31.

4– خديجة يعقوب، المرجع السّابق، ص–ص 37–38.

وبعد أنْ تخلّص الباي من الشّيخ حامد، جاء الدَّور على عرش أولاد مساهل، حيث سيّر لهم الباي حملة من خمسمائة (500) فارس، خرج بها آغة باجة؛ سليمان كاهية، وصلت ديار أولاد مساهل صباحاً، عندما كان القوم في مضاجعهم، وقتلت منهم خلقاً كثيراً، وفرّ منهم من استطاع، وساقت الحملة أغنامهم، وذهبت بأعيانهم إلى الباي الذي أمر بسجنهم مع قائدهم. ومجمل القول أنّ الباي حمودة مهّد بسياسته المنطقة وأخضع القبائل العاصية وكسر شوكة المتمرّدين على سلطته[1]، كما أنّ سكوت القبائل الأخرى وعدم اتخاذهم أي موقف مساند للثّورة سهل على السّلطات القضاء عليها في وقت قصير[2].

**ج- نتائج الأزمة على تونس:**

- بينت هذه الأزمة مدى قوّة ونفوذ الباي حمودة، وأنّ نفوذ السّلطة المركزية غير محصور في العاصمة وضواحيها، فقد استطاعت هذه السّلطة السّيطرة على المجالات البعيدة جغرافيا، رغم محاولات قبائل وأعراش تلك المناطق الخروج عن سيطرة البايلك بالانتفاض وإعلان العصيان بين الحين والآخر.
- قام الباي بتهجير عرش أولاد مساهل إلى جهات عدة من الإيّالة كالقيروان والكاف، وهي سياسة اتبعها جده حسين بن علي باي ووالده علي باي مع أهل جبل وسلات سنة 1729م وسنة 1762م على الترتيب[3].

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الثّورة لم تحظ باهتمام كبير من الإخباريين الذين عاصروا أحداثها، ونفس الشّيء عرفته الكثير من حركات التّمرد الأخرى في القرن التّاسع عشر ما بين 1812 و1860م[4]، باستثناء ثورة 1864م التي قادها علي بن غداهم من قبيلة ماجر والتي وجدت الاهتمام عند مؤرخي تلك الفترة[5]، ويمكن تفسير عدم الاهتمام هذا بأنّ هذه

---

1- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 02، ج 03، ص-ص 31-32.

2- خديجة يعقوب، المرجع السّابق، ص 38.

3- خديجة يعقوب، المرجع السّابق، ص 38.

4- وعرفت هذه الفترة حوالي 09 ثورات، سنوات 1812، 1817، 1819، 1824-1825، 1840-1841، 1844، 1854-1857، 1860م.

5- Chérif M.-H, **Les mouvements paysans dans la Tunisie du XIXe siècle**, R.O.M.M, N°30, 1980, p 31.

للمزيد حول حركات التّمرد في تونس خلال القرن التّاسع عشر ميلادي، **يُنظر:** Ibid, pp 21-55 .

التّمردات لم تصل إلى تهديد فعلي لسلطة البايات في تونس، كما أنّها لم تكن حاملة لمشاريع بديلة[1].

وعرفت تونس كذلك سنة 1811م ثورة جند التّرك على الباي حمودة، بسبب إشراك الأخير الكولوغلية وأبناء البلاد معهم في الجندية، فقد أجمع الانكشارية أمرهم على قتله إذا أتى تونس، غير أنّ أمرهم وصل الباي قبل الموعد المتفق عليه، فاستطاع القضاء على ثورتهم وتتبع رؤساءهم بالقتل بعد أن تحصنوا بقصبة تونس واضطرهم الجوع ونفاذ ذخيرتهم إلى مغادرتها، وانتهت ثورتهم، ولم يكن لها كبير أثر على سلطة الباي بسبب قدرته على إخمادها في مهدها قبل أن يستفحل أمرها[2]، كما علافت تونس ثورة أخرى لجند التّرك سنة 1816م في عهد محمود باي عرفت نفس المصير[3].

**خلاصة الفصل:**

وما يمكن أن نخلص إليه في ختام هذا الفصل هو أنّ تاريخ تونس الحديث مليء بالأزمات السّياسية، خاصة ما تعلّق منها بالصّراع على الحكم، بين مؤسسات الدّولة؛ كمؤسسة الدّاي والباي، أو بين أفراد الأسرة الواحدة حول الاستئثار بالسّلطة والنّفوذ داخل الإيّالة. وإن كانت بعض الأزمات ساهمت في تردي أوضاع الإيّالة، فإنّ تأثير البعض الآخر وصل إلى حدّ تغيير نظام الحكم في الإيّالة وكانت نتائجها كارثية على السّلطة والمجتمع على حد سواء، واضطرت الأطراف المتصارعة الاستنجاد بالجزائريين من أجل الانتصار على الخصم.

فكيف كان موقف الجزائريين من أزمات تونس السّياسية، وما هي أسباب ودوافع تدخلهم في شؤون إيّالة تونس؟ وهو ما سنحاول الإجابة عليه في الفصل الموالي.

---

1- خديجة يعقوب، المرجع السّابق، ص 37.

2- حول هذه الثّورة، **يُنظر:** أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 02، ج 03، ص-ص 53-56.

3- لطفي بوعلي، **التحديث العسكري: قراءة ميكرو- تاريخية في التجربة التونسية (1830-1881)**، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2019م، ط 01، ص 39.

# الفصل الثّالث:

# مواقف الجزائريين من الأزمات السّياسيّة بإيّالة تونس

**المبحث الأوّل:**

**موقف السّلطات الجزائرية من أزمات إيّالة تونس السّياسيّة**

**المبحث الثّاني:**

**علاقة قبائل بايلك الشّرق الجزائري بالأزمات السّياسيّة في إيّالة تونس**

**المبحث الثّالث:**

**قراءة نقدية تحليلية للمواقف الجزائرية من أزمات تونس السّياسيّة**

كان الفصل الثّاني قد عالج في ثنايا صفحاته قضية الأزمات السّياسية في تونس خلال الفترة الحديثة، وقد اتضح أنّ هذه الأزمات كانت في معظمها صراعات على السّلطة والنّفوذ داخل الإيالة التّونسية، بين المؤسسات السّياسية، كمؤسسة الدّايات والبايات، أو بعد ذلك عندما تفوقت مؤسسة الباي واستحوذت على السّلطة في تونس، منذ منتصف القرن السّابع عشر ميلادي وظهرت الأسر الحاكمة (المرادية ثمّ الحسينية) وتطاحن أفراد هذه العائلات على الحكم، وأنّ أجنحة الصّراع في هذه الإيالة كانت على الدّوام تستنجد بأطراف جزائرية من أجل حسم هذا الصّراع لصالحها، فأقحمت بذلك السّلطة العثمانية في الجزائر وكذلك قبائل بايلك الشّرق الجزائري في أحداث ومجريات الأزمات السّياسية داخل تونس.

ومن أجل ذلك كان علينا تخصيص فصل آخر نوضح من خلاله طبيعة مشاركة الأطراف الجزائرية في هذه الأزمات ومواقفها المختلفة، فجاء الفصل الثّالث الذي حمل عنوان: مواقف الجزائريين من الأزمات السّياسية بإيالة تونس، ومن العنوان يتضّح محتوى هذا الفصل والذي من خلاله حاولت إبراز مختلف مواقف الجزائريين، حكومة وقبائل، من أزمات تونس السّياسيّة، خاصة وأنّ أطراف الصّراع في تونس كانت كما أشرنا دائمة الاستنجاد بالجزائريين لحسم الصّراع، وبالتالي ومن أجل تتبع المواقف الجزائرية من أزمات تونس السّياسية والصّراعات على السّلطة فيها، كان لزاماً علينا البحث في دوافع الجزائريين التي جعلت السّلطة الجزائرية وقبائل بايلك الشرق الجزائري يتدخلون في أزمات تونس السّياسية من حين للآخر، كما درسنا كذلك طبيعة هذه التّدخلات في حد ذاتها، من حيث تنوعها أو تشابهها، والمقارنة بين تدخلات السّلطة الجزائرية والقبائل الحدودية في الجزائر من حيث توافق واختلاف نوعية التّدخلات بين الطّرفين، في الأخير حاولنا تفسير هذه التّدخلات والظروف التي أدت بالجزائريين لاتخاذ هذه المواقف من أزمات تونس السّياسية.

## المبحث الأوّل: موقف السّلطات الجزائريّة من أزمات إيّالة تونس السّياسيّة

لم يكن للسّلطة العثمانية في الجزائر موقف ثابت تجاه الأزمات السّياسية في تونس، بل تنوّعت مواقفها بين الحياد والتّدخلات العسكريّة أو التّدخل بالصّلح بين أطراف الصّراع في تونس، وسوف نتطرّق لهذه المواقف، بشيء من التّفصيل، في ثنايا صفحات هذا المبحث.

**أولاً- الحياد وعدم التّدخل في شؤون إيّالة تونس:**

**أ- موقف السّلطات الجزائرية من حادثة البلوكباشية في تونس 1591م:**

كانت هذه الحادثة، رغم قِصَر عمرها ونتائجها الكبيرة على إيّالة تونس، أزمة سياسيّة داخليّة، وهي ردّ فعل لصغار الجند ضدّ تعسّف وجور الآغوات[1]، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل، كما لم تُشِر المصادر التي استطعت الاطلاع عليها إلى علاقة أطراف خارجية، كالجزائر مثلاً، بهذه الأزمة، ورغم أنّ الفارق الزّمني بين صدور فرمان السّلطاني سنة 1587م، والذي قضى بفصل إيالات بلاد المغرب، وبين اندلاع هذه الأزمة قصير، حيث لم يتجاوز الأربع سنوات، إلاّ أنّ السّلطة العثمانية في الجزائر لم تستغّل هذا الظّرف للتّدخل في شؤون تونس، ولم يكن لها يد في اندلاع هذه الأزمة، ولا ساهمت من قريب أو بعيد في حدوثها، كما لم تتدّخل أثناء الأزمة لفرض هيمنتها أو توسيع نفوذها خارج حدودها، وظلّت مُلتزمة بتعليمات السّلطان العثماني الواردة في الفرمان سالف الذِّكر.

وجدير بالإشارة أنّ هذا الموقف سوف يُصبح شعار السّلطة العثمانية في الجزائر على الأقل إلى غاية أواخر القرن السّابع عشر (17) ميلادي، وهو الأمر الذي سوف نُبَيِّنُهُ في الصّفحات الآتية.

**ب- موقف السّلطة الجزائرية من صراع الدّايات والبايات المراديين 1631-1675م:**

نفس الموقف اتخذته السّلطة العثمانية في الجزائر من صراع الدّايات في تونس مع البايات المراديين خلال فترة حكم الباي حمودة باشا المرادي وابنه مراد الثّاني رغم أنّ فترة حكم البايين المذكورين دامت حوالي خمس وأربعين (45) سنة، وفضّلت هذه السّلطة الحياد، خاصة وأنّه لم يطلب منها أي من أطراف الصّراع التّدخل لصالحه. بينما أشار "البشروش" إلى أنّ باي قسنطينة تورّط في أوّل محاولة لإزاحة المراديين من الحكم في صراعهم مع

1- حول تفاصيل هذه الحادثة، **يُنظر** المبحث الأوّل من الفصل الثّاني من هذه الأطروحة.

الدّايات[1]، وهي محاولة الدّاي شعبان خوجة في تونس الإطاحة بمراد باي الثّاني، ولم يُشِر المُؤَلِّف إلى المصدر الذي استقى منه هذه المعلومات، في حين ذكر "بن أبي الضّياف" بخصوص نفس الحادثة أنّ الدّاي شعبان كاتب صاحب قسنطينة، رجب باي، يعرض عليه القدوم إلى تونس لمساعدته على كرسي الحكم بها، ولم يُشر إلى استجابة باي قسنطينة أو عدم استجابته للطّلب[2].

**ج- موقف ديوان الجزائر من قرار مساعدة الباشا لابن شكر ضدّ محمَّد باي 1688م:**

جاء موقف الدّيوان في الجزائر، حول مساعدة بن شكر للعودة إلى تونس وانتزاع السّلطة من يد محمَّد باي بن مراد الثّاني، مخالفاً لقرار الباشا حسين ميزومورتو، الذي وافق بن شكر ووعده بالنُّصرة والمساعدة، ولم يكتف الدّيوان بذلك بل قام بعزل الباشا والدّاي إبراهيم خوجة وأسند تسيير شؤون الإيّالة إلى الحاج شعبان[3] كما سبقت الإشارة، وهو ما أكدّه "مقديش" عندما قال: « ثم أنّ أهل الفضل منهم لم يرضوا ذلك ورأوا فيه سفك دماء المسلمين بغير موجب فرجعوا على الدّولاتي وعزلوه»[4]، لقد كان قرار حسين ميزومورتو مساعدة بن شكر ضدّ الباي محمَّد المرادي القطرة التي أفاضت الكأس وجعلت الدّيوان يتفق مع الانكشارية على عزل الباشا والدّاي، حيث اضطّرا بعد قرار الدّيوان إلى الفرار باتجاه عاصمة الدّولة العثمانية.

وتجدر الإشارة إلى أنّ أحد أنصار ابن شكر ثار ضدّ محمّد باي المرادي وكاتب داي الجزائر من أجل مساعدته، حيث أنّ سوء العلاقات بين الإيالتين جعلت الدّاي الحاج شعبان سنة 1694م يتخذ قرار شن حملة عسكرية ضد تونس وينصّب حليفه بن شكر على رأس

1- توفيق البشروش، المرجع السّابق، ص 67.

2- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 44.

3- أشار الأستاذ "قنان" إلى أنّ ديوان الجزائر كان ناقماً على ميزومورتو بسبب المفاوضات حول معاهدة صلح بين الجزائر وفرنسا بعد الأزمة التي اندلعت بين البلدين خلال صائفة 1687م، حيث عمد حسين باشا إلى اخفاء هذه المعاهدة واستقبل المبعوث الفرنسي وتفاوض معه على انفراد دون مشاركة أعضاء الدّيوان، كما جرت العادة، وفي غياب الدّاي ابراهيم خوجة الذي كان خارج مدينة الجزائر في مهمة حصار وهران، ومع ذلك اعتُبر الدّاي شريكاً لميزومورتو في سياسته. **يُنظر:** جمال قنان، المرجع السّابق، ص-ص 119-120.

4- محمود مقديش، المصدر السّابق، ص-ص 134-135.

الإيّالة، ولكن ذلك تسبب في عزله وقتله، أمّا خليفته الدّاي الحاج أحمد (1695-1698م) فلم يستمع لطلبات وتوسلات الثّائر [1].

**د- حياد السّلطة في الجزائر تجاه الطّور الأوّل (1728-1729) للصّراع الباشي الحسيني:**

التزم داي الجزائر كور عبدي الحياد من جميع أطراف الصّراع في تونس خلال الطّور الأوّل من "الأزمة الباشية الحسينية"[2]، فقد وجه الدّاي اهتمامه إلى إعادة الاستقرار للجزائر من خلال العمل على تحسين الوضع الاقتصادي المتردي، ومواجهة محاولات غزو الإسبان لوهران والمرسى الكبير من جديد، ولم يسع إلى استغلال الظّرف الصّعب الذي مرّت به تونس خلال الأزمة من أجل تحقيق مكاسب سياسيّة أو مادية أو ترابية، ونفس الموقف نجده كذلك لدى باي قسنطينة؛ حسين بوحنك، فلم يتدخّل كذلك لصالح أي طرف من أطراف الصّراع[3].

ولم يقف موقف سلطات الجزائر عند الحياد بل تجاوزه إلى التّسامح والتّساهل مع باي تونس، حيث غضّت الطّرف عن تجاوزات الباي حسين بن علي في ملاحقة قبائل الحدود الجزائرية داخل أراضي إيّالة الجزائر بسبب مناصرتهم لعلي باشا، وهو موقف ودي تجاه حسين بن علي خاصة وأنّ الأخير كانت تربطه علاقة جيدة مع باي قسنطينة، وكانت بين الطّرفين مراسلات انتهت بالاتفاق على عقد اجتماع، حيث تمّ ذلك في ربيع 1728م، ومن المحتمل أنْ يكون باي تونس قد استغل اللّقاء من أجل معرفة موقف سلطات الجزائر من هذه الأزمة ومدى استعداد الجزائر لمساعدته في حربه ضدّ ابن أخيه[4]، كما وافق الدّاي على عرض باي تونس بسجن علي باشا في الجزائر سنة 1729م، عندما طلب الأخير اللّجوء، واستقرّ بها إلى غاية 1735م.

وخلاصة القول في هذا الموضوع أنّ حياد السّلطات الجزائرية خلال الدّور الأوّل للأزمة الباشية الحسينية كان لصالح حسين بن علي باي، كما ساعده السّجن والتّضييق الذي

---

1- صورية حصام، **العلاقات...**، المرجع السّابق، ص 26.

2- للمزيد حول هذه الأزمة ومواقف الجزائريين منها، **يُنظر:** أحمد مجوري، معاد عمراني، "**دور الجزائر في الازمة الباشية الحسنية 1728-1756م بتونس العثمانيّة**"، مجلة الإحياء، مج 20، ع 26، سبتمبر 2020م، جامعة باتنة 01، ص-ص 775-794.

3- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص 85.

4- المرجع نفسه، ص-ص 85-86.

لقيه علي باشا عند لجوئه إلى الجزائر في الاطمئنان والعمل على إعادة الاستقرار لإيّالة تونس.

**هـ- رفض السّلطة الجزائرية تقديم المساعدة ليونس في ثورته ضدّ والده علي باشا:**

ثار يونس على والده سنة 1752م، وانتهت هذه الثّورة بفرار يونس إلى الجزائر حيث طلب اللّجوء السّياسي هناك، واستقر بها مدّة من الزّمن يطلب المساعدة للعودة إلى تونس وأخذ عرشها من والده[1]، لكن الدّاي محمَّد بن بكير (1748-1754م) أصرّ على موقف الحياد من هذه الأزمة برفضه طلب يونس بن علي باشا، رغم أنّ بعض الدّراسات أشارت إلى أنّ علي باشا كان قد أرسل مبعوثاً إلى الدّاي محملاً بهدايا كثيرة بُغية إقناعه بعدم مساعدة يونس، حيث نجح هذا المبعوث في مهمته، وقد فُسِّرت سرعة عودته إلى تونس على أنّها أحد مؤشرات نجاحه في هذه المهمة[2]. ولكن الهدايا لم تكن لتُثني الدّاي عن مساعدة الثّائر والتّدخل في شؤون تونس لو كان هناك ما يستدعي ذلك، لكنه فضّل الحياد كما أشرنا.

وتجدر الإشارة أنّ يونس بن علي باشا استقر لاجئاً بالجزائر مدّة طويلة، فاقت الخمسة عشر (15) سنة دون أنّ يتلقى الدّعم من سلطات الجزائر، بل تمّت الاستجابة لرغبة بايات تونس بالتّضييق عليه طوال فترة إقامته بالجزائر، والسّؤال الذي يمكن طرحه في هذا المقام هو: هل أنّه طوال مدّة اقامة يونس بالجزائر لم تتوفر الظّروف والرّغبة لدى دايات الجزائر في استخدام يونس كورقة ضغط ضدّ بايات تونس؟ أم أنّ السّلطات العثمانيّة بإيّالة الجزائر اكتفت بما يقدّمه لها بايات تونس من ضريبة وهدايا مقابل الابقاء على يونس في حالة السّجن والتّضييق؟

ومن التّفسيرات التي يمكن أنْ نعتبرها إجابة على التّساؤلات السّابقة هي أنّه من سوء حظ يونس بن علي باشا أنّ إقامته بالجزائر (1752-1768م) صادفت حكم الدّاي علي بوصبع (1754-1766م)، حيث كان بين الاثنين عداوة بسبب معاملة يونس لبوصبع عندما كان في مهمة بتونس مبعوثاً من طرف الدّاي السّابق، فقد استخف به يونس آنذاك

---

1- حول هذه الثّورة، **يُنظر:** المبحث الثّالث من الفصل الثّاني من هذه الأطروحة.

2- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص 143.

ممّا جعل الدّاي بوصبع يأمر باي قسنطينة بتشديد الخناق عليه بطلب من علي باشا[1]، بينما قدّم الدّاي المساعدة لمنافسيه أبناء حسين بن علي (محمَّد وعلي) ومكّنهم من حملة عسكريّة، سنة 1756م، استطاعت القضاء على علي باشا وتسليم عرش تونس لمحمَّد بن حسين باي.

**و- موقف الدّاي محمَّد بن بكير من اعادة الحرب على تونس:**

سبق وأنْ أشرنا إلى أنّ الدّاي محمَّد بن بكير كان ميالاً إلى السّلم غير محبٍ للحرب، وقد تسلَّم منصب داي الجزائر سنة 1748م، أي بعد سنتين من حملة الدّاي إبراهيم الصّغير على تونس، وكان إذا خاطبه أحد بشأن معاودة الحرب على تونس، خاصة وأنّ أبناء حسين بن علي كانوا مستقرين في الجزائر طالبين المساعدة لاستعادة حكم أبيهم، يُجيب: «هلموا إلى وهران»، وكان الإسبان قد عاودوا احتلالها سنة 1732م، واعتبر الدّاي هذه الحادثة مَعَرَّة، لذلك جعل استعادتها من الإسبان أولى أولوياته، وكان يردّد دائماً: «قبل إزالة معرة وهران لا نلتفت إلى شيء»[2].

فقد جعلت هذه المواقف خصوم علي باشا المستقرين بالجزائر، وهم ابنه يونس وأبناء حسين بن علي (محمَّد وعلي)، ييأسون من الحصول على المساعدة التي توصلهم إلى حكم تونس[3]، خاصة وأنّ السّباق كان على أشدّه بين هؤلاء من أجل الحصول على هذا الدّعم، حيث كان عليهم تأجيل أحلامهم طوال فترة حكم الدّاي محمَّد بن بكير، والانتظار إلى غاية مجيء داي جديد يحقق لهم آمالهم.

---

1- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 147. جاء عند "بلانتي" في رسالة بتاريخ السّادس (06) من أفريل سنة 1759م أنّ داي الجزائر علي بوصبع جدد طلبه إلى علي باي بعد اعتلائه عرش تونس تسديد نفقات حملة 1756م والمقدّرة بمائة وخمسين (150) ألف سكوين، وجاء في رسالة أخرى بتاريخ الثّامن العشرين (28) جوان من نفس السّنة أنّ باي تونس التزم لداي الجزائر وديوانها تسديد ثمانون (80) ألف سكوين من نفقات حملة 1756م والتي طالب بها الدّاي مقابل الإبقاء على يونس في سجنه بقسنطينة، وذلك بعد اعلان ابنه إسماعيل الثورة ضدّ علي باي، **يُنظر:** Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, Op.Cit, T 02, pp 564, 566.

2- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 146.

3- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام…**، المرجع السّابق، ص 149.

**ز- رفض السّلطة في الجزائر مساعدة اسماعيل بن يونس ضدّ علي باي الحسيني:**

عاد أولاد حسين بن علي إلى السّلطة في تونس سنة 1756م عن طريق حملة عسكرية جزائريّة، أوصلت محمَّد بن حسين بن علي إلى منصب الباي في تونس، لكن هذا الباي توفي سنة 1759م، وتولى أخوه علي باي مكانه، وفي نفس السّنة ثار اسماعيل بن يونس ضدّ الباي الجديد[1]، وبعد فشل ثورته سنة 1762م فرّ إلى الجزائر طالباً اللّجوء كما فعل والده قبل عشر (10) سنوات، واستقر كلاهما بالجزائر لأنهما يعلمان أنّ الجزائريين لا يُسلِّمون من استجار بهم إلى عدُوِّه[2]، ورغم أنّه بقي في الجزائر مدّة طويلة فاقت العشرين (20) سنة، إلاّ أنّه لم يجد الدّعم من السّلطة الجزائرية إلى غاية مغادرته باتجاه تونس وذلك في عهد حمودة باي الحسيني[3]، وبذلك يكون بقاؤه في الجزائر إلى ما بعد سنة 1782م وهو تاريخ اعتلاء حمودة باي عرش تونس.

وحتّى تكتمل صورة الموقف الجزائري تجدر بنا الإشارة إلى أنّ باي قسنطينة أحمد باي أرسل مبعوثه لتهنئة علي باي تونس بانتهاء ثورة اسماعيل بن يونس وبهروب خصمه، كما بحث المبعوث مع الباي علي المقابل الذي يمكن أنْ يقدمه مقابل الإبقاء على اسماعيل بن يونس سجيناً في الجزائر، حيث اقترحت السّلطة العثمانية بالجزائر من الجانب التّونسي مبلغ مائة ألف (100.000) بياستر مقابل هذه الخدمة[4].

**ثانياً- محاولات الصّلح بين أطراف الصّراع في تونس وتقديم الدّعم لباياتها خلال الأزمات:**

يقول المولى عزّ وجلّ في محكم تنزيله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[5]، ومن هذا المنطلق تصرّف بعض دايات الجزائر مع أطراف الصّراع في تونس، خلال بعض الأزمات، ولئن لم يكن هذا دأب حكام الجزائر دائماً في موقفهم من أزمات إيّالة تونس السّياسية، إلاّ أنّ هذا التّصرف يثبت تنوع مواقف دايات الجزائر من هذه الأزمات ومن أطراف الصّراع فيها، فبالإضافة إلى مواقف الصّلح نجد أنّ دايات الجزائر

---

1- تفاصيل هذه الأحداث، **يُنظر:** المبحث الثّالث من الفصل الثّاني في ثورة إسماعيل بن يونس ضدّ علي بن حسين باي.

2- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص 224.

3- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 142.

4- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص 225.

5- سورة الحجرات، الآية: 10.

قاموا بمساعدة السّلطات التّونسية في بعض أزماتها كذلك، وهو ما سنثبته من خلال سردنا لهذه المواقف في الصّفحات التّالية.

**أ-مساعدة السّلطة الجزائرية لدايات تونس في صراعهم مع الشّابية:**

كان نشاط الشّابية العسكري ضدّ السّلطة في تونس يتوزع بين إيالتي تونس والجزائر، وكانت أراضي بايلك الشرق الجزائري مسرحاً للعديد من الصّراعات بين دايات تونس وعبد الصّمد الشّابي كما أشرنا إلى ذلك عند تعرضنا للأزمات السّياسية؛ في ثنايا الفصل الثّاني، ويبدو أنّ هذا النّشاط العسكري للشّابية لم يعجب السّلطات الجزائرية ودخلت في حرب ضدّ عبد الصّمد حيث هاجمته فرقة عسكرية تركية خرجت من قسنطينة سنة 1592م، ودخل الطّرفان في معركة ضارية خسر فيها الشّيخ عبد الصّمد عدداً كبيراً من جنوده، واضطرته الخسارة إلى الانسحاب نحو بلاد الجريد التونسية(1). وقبل ذلك بسنة؛ أي حوالي 1591م قتلت السّلطات العثمانية بالجزائر والد عبد الصّمد الشّابي؛ الشيخ محمّد بنور، وكان متحصناً بقلعة تيزقرارين، حيث أثر ذلك في نفسية عبد الصّمد التي امتلأت بالحقد ضدّ العثمانيين الذين ظل يحاربهم إلى غاية وفاته سنة 1616م(2).

ومن المؤكّد أنّ حرب العثمانيين في الجزائر ضدّ الشّيخ عبد الصّمد كانت ردّ فعل على نشاطه العسكري داخل إيّالة الجزائر، خاصة وأنّه جند في صفه العديد من القبائل الجزائرية، لكنّ لم تسعفنا المصادر بمعلومات حول وجود اتفاق بين سلطات البلدين أو أنّ السّلطات التّونسية هي من طلبت المساعدة من نظيرتها الجزائرية في محاولة للتّخلص من الشّابية، بعد أنْ استطاعت إبعادها عن القيروان والجنوب التّونسي، في حين أنّها لم تستطع إبعاد خطرها ونشاطها العسكري عن أراضيها، وبقيت سيادة الحكومة التّونسية على أراضيها مهددة بنشاط الشّابية في كل من تونس والجزائر.

**ب- التّدخل بالصّلح بين محمَّد باي وعلي باي أبناء مراد باي الثّاني سنة 1680م:**

بعد وفاة مراد باي الثّاني سنة 1675م، تطاحن ابناه محمَّد وعلي وأخوه محمَّد الحفصي على السّلطة في تونس، ووقعت حروب طاحنة بين المتنافسين على العرش

1- علي الشابي، **العلاقات** ...، المرجع السّابق، ص-ص 71-72.

2- علي الشابي، **عرفة الشابي**...، المرجع السّابق، ص 105؛ علي الشابي، **العلاقات** ...، المرجع السّابق، ص 76.

المرادي دامت سنوات طويلة[1]، وفي خضم هذه الأحداث استنجد محمَّد باي بن مراد باي بداي الجزائر، بابا حسن، الذي استجاب لطلب محمَّد باي ودخلها بمحلة سنة 1680م، لكن كانت نيته التّوفيق والصّلح[2] بين الأخوين، وقد نجح في ذلك، وتلقى الدّاي بالمناسبة الكثير من الهدايا من باي تونس نظير ما بذله من جهد في سبيل إتمام عملية الصّلح بين الأخوين[3].

وقد بقيت نيّة الصّلح حاضرة في مساعي السّلطة العثمانيّة بالجزائر، وظهر ذلك بعد حوالي ست (06) سنوات من محاولة الصّلح الأولى، حيث أورد ذلك مُؤلِّف "نزهة الأنظار" في كتابه: « ففي ربيع الثاني[4] وردت مكاتيب من أكابر الجزائر يخاطبون أحمد شلبي بالصُّلح مع الأخوين فخرقهما وعزم على إخراج النَّاس للقتال فتقاتلوا، فكان عِدَّة ما رمى به أهل تونس من المدافع سبعمائة»[5]، والذي يُفهم من هذه الحادثة هو محاولة فئة الدّايات استعادة نفوذهم في تونس بعد إزاحة البايات المراديين عن السّلطة والانفراد بها، وهو ما جعل أحمد شلبي يرفض عرض الصّلح ويواصل الحرب.

لقد فنّدت مبادرة داي الجزائر؛ بابا حسن، المزاعم التي يسعى أصحابها دوماً إلى ربط التّدخلات الجزائريّة في إيّالة تونس بأطماع السّلطات الجزائريّة؛ المادية والسّياسية والجغرافية، في الجارة الشّرقية[6]، وقد أشار "روسو" إلى أنّ تدخل الجزائريين كان هدفه الصّلح وإعادة

---

1- حول هذه الأزمة، **يُنظر**: المبحث الثّاني من الفصل الثّاني من هذه الأطروحة.

2- ذكر الأستاذ "العربي الحناشي" بأنّ هناك محاولات صلح أخرى من ديوان تونس ومن داي طرابلس كان هدفها التّوفيق بين الأخوين، لكنه أردف بأنّها باءت بالفشل، **يُنظر**: العربي الحناشي، **الحنانشة وعلاقتهم بالسلطة في تونس من 1640-1740**، شهادة الكفاءة في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، تونس، 1987-1988م، ص 40.

3- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، المصدر السّابق، ص-ص 70-71؛ أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص-ص 54-55. وقد أشار ابن المفتي إلى أنّ الوفاق الذي سعى إليه الدّاي بابا حسن كان بين محمَّد باي ورمضان باي، لكن الصراع على العرش في الأصل كان بين محمَّد وعلي، كما أشارت إلى ذلك معظم الكتابات التّاريخية التي تناولت هذا الصّراع.

4- 22 ربيع الثّاني 1097هـ الموافق لِـ 18 مارس 1686م.

5- محمود مقديش، المصدر السّابق، ص-ص 130-131.

6- علّق الأستاذ "بن مصطفى" على هذا التّدخل، وأشار إلى فكرة أنّ جند التّرك الجزائريين وجد الفرصة سانحة للتّدخل في شؤون تونس وهدفه من ذلك الغنائم وجعل بايات تونس تحت امرتهم، وأضاف أنّ هذا الأمر سيتكرّر، وهذه الفكرة تكررت كثيراً في صفحات هذا الكتاب، **يُنظر**: محمد الصالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص 31.

المياه إلى مجاريها بين الأخوين المتقاتلين على السّلطة[1]، فمن غير المعقول أنْ يكون جميع الدّايات والبايات أو حتّى الجنود سيئين وعلى نفس الشّاكلة، يبحثون عن الثّراء، وقد كتب الأستاذ "هلايلي" حول الدّايات في الجزائر، وكان في وصفه لهم نوع من الاعتدال، وأشار بأنّ عدداً منهم كانوا حُكّاماً كرماء ومتفهمين، بينما كان البعض الآخر طغاة متشككين لا يثقون في أحد، وأضاف أنّ لكل واحد تجاربه الخاصة، وتُميِّزه مجموعة من القدرات والخصائص الذّاتية[2].

**ج- مساعدة الأخوين محمَّد وعلي ضدّ الدّاي أحمد شلبي 1685م:**

استجابت السّلطة العثمانية في الجزائر لطلب الأخوين محمَّد وعلي لمساعدتهم ضدّ غريمهم الدّاي أحمد شلبي، وكان الأخير صديقاً لمحمَّد باي رغم أنّ من أوصله إلى منصب الدّاي سنة 1682م هو علي باي، لكن طموح الدّاي أدخل المخاوف على قلب محمَّد باي، وعجّل بالصلّح بين الأخوين، وقد دارت بين أحمد شلبي والأخوين معارك انتصر فيها الدّاي، حتّى أنّه عزل محمَّد باي وعين أحد مماليكه؛ ويُدعى "محمَّد منيوط"، باياً علي تونس[3].

بعدها، راسل الأخوان داي الجزائر إبراهيم خوجة لإعانتهم ضدّ أحمد شلبي، فخرج على رأس محلة وخرج باي قسنطينة بمحلة ثانية والتقت محال الجزائر بمحال الأخوين محمَّد وعلي وعسكرت بالحريرية في 1685م[4]، ورغم أنّ الأوامر السّلطانية جاءت لصالح أحمد شلبي، حيث أقرّه الباب العالي حاكماً على تونس، إلاّ أنّ صاحب الجزائر إبراهيم خوجة بقي يعمل لصالح الأخوين وضدّ الدّاي أحمد شلبي إلى غاية الإطاحة به ورجوع حكم تونس إلى ورثة العرش المرادي؛ الأخوين محمّد وعلي أبناء مراد الثّاني[5]، وقد ذهب "البشروش" إلى حدّ القول بأنّ المراديين كادوا أنْ ينقرضوا لو لم تأتهم المساعدة العسكرية من الجزائر، وذلك أثناء صراعهم مع الدّاي أحمد شلبي[6].

---

1- ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 132.

2- حنيفي هلايلي، "**التطور السياسي والعسكري للجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية**"، مجلة الحوار المتوسطي، مج 09، ع 01، مارس 2018م، جامعة الجيلالي اليابس، الجزائر، ص 15.

3- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 142.

4- الباجي المسعودي، المصدر السّابق، ص 232؛ حسين خوجة، **ذيل كتاب بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان**، مكتبة الثّقافة الدينية، د.ب.ن، د.ت، د.ط، ص 12.

5- محمود مقديش، المصدر السّابق ص 131.

6- توفيق البشروش، المرجع السّابق، ص 69.

لقد جاء موقف سلطات الجزائر مؤيداً للشّرعية، بحكم أنّ الأخوين، محمَّد وعلي أبناء مراد الثّاني، هما أصحاب الحق في وراثة عرش أبيهم بعد وفاته، ورغم ما يمكن أنْ يُسبِّبه هذا الموقف من متاعب لإيّالة الجزائر، بسبب مخالفته لأوامر السّلطان العثماني إلاّ أنّ الدّاي إبراهيم خوجة بقي مُصِّراً على موقفه وواصل دعمه للأخوين إلى أنْ استعادا الحكم بجلوس محمَّد باي على كرسي تونس سنة 1686م. ولا ندري هل كان هذا الموقف شجاعة وجرأة من داي الجزائر؟ أم أنّ هناك مصلحة دفعته إلى التّدخل لصالح محمَّد باي وعلي باي وعصيان أوامر الباب العالي؟

**د – مساعي السّلطات الجزائرية والباب العالي من أجل التخلّص من مراد الثّالث:**

عُرِف مراد الثّالث (بوبالة) بالظّلم والجور وكثرة سفك دماء الأبرياء لمجرد الشّك، كما استباح هذا الحاكم كل المحرمات، وأشرنا قبل ذلك إلى أنّ هذا الظّالم استباح مدينة القيروان لحليفه خليل باشا والي طرابلس الغرب بعد هزيمتهما أمام الجزائريين في محاولة الهجوم على قسنطينة سنة 1700م، وكان قتله على يد آغا الصبايحية إبراهيم الشّريف سنة 1702م بالاتفاق مع أكابر الجند التّونسي، وبإيعاز من الباب العالي[1].

وبعد هزيمته سنة 1700م أمام قوات الدّاي مصطفى بعث مراد باي تونس آغا الصبايحية إبراهيم الشّريف بثلاثة مراكب إلى إسطنبول من أجل جلب الجنود تحضيراً لإعادة الكَرّة على الجزائر، لأن أكثر جنوده قُتلوا في الحرب، وهناك التقى مبعوث الباي بوفد جزائري يشتكي للسّلطان مصطفى خان إسراف باي تونس في القتل والجور وتعديه بالحرب على إيّالة الجزائر، ولما استبعد السّلطان أنْ يصدر ذلك من إنسان، أشار عليه أعضاء الوفد الجزائري بسؤال إبراهيم الشّريف، خاصة وأنّهم يعرفونه، فقد كان من جند التّرك بإيالة الجزائر، وبعد أنْ ظهر للسّلطان صدق هذه الأخبار، أصدر حكماً بالصّلح بين العمالتين، وأمر إبراهيم الشّريف بالفتك بمراد باي في حال عدم امتثاله لأوامر السّلطان، وكتب له عهداً بالولاية على تونس في هذه الحالة[2]. ومن غير المستبعد أنْ يكون للوفد الجزائري تأثير على قرار السّلطان العثماني بشأن مراد باي تونس

---

1- حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السّابق، ص-ص 145-146.

2- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص-ص 76-77.

**هـ- استجابة سلطات الجزائر لرغبات وطلبات بايات تونس:**

قبل الخوض في تفاصيل هذه النّقطة يجدر بنا التّنويه إلى أنّ رغبات بايات تونس لم تكن دائماً محل استجابة من دايات الجزائر، بل كان الأمر يتم حسب ما تقتضيه الظّروف آنذاك، حيث يجب أنْ يتوفر في مطلب باي تونس مقابل أو فائدة؛ أياً كان نوعها، تعود بالمصلحة على إيّالة الجزائر، أو على الطّرفين معاً (الجزائري والتّونسي) حتّى يتم الاستجابة له.

ومن الأمثلة الدّالة على ذلك؛ استجاب داي الجزائر لرغبة الباي حسين بن علي حيث قام الدّاي عبدي باشا بسجن علي باشا والتّضييق عليه عندما لجأ إلى الجزائر بعد فشل ثورته ضدّ عمه سنة 1729م، مقابل مبلغ عشرة آلاف (10.000) ريال بندقي يدفعها باي تونس لصاحب الجزائر[1]، كما استجاب الدّاي محمّد بن بكير لرغبة علي باشا في الابقاء على ابنه يونس تحت الاقامة الجبرية عندما لجأ إلى الجزائر بعد فشل ثورته على والده سنة 1752م، أمّا الدّاي علي بوصبع فبمجرد وصوله إلى الحكم سنة 1754م أمر باي قسنطينة أزرق عينه بالتّضييق على يونس، ثمّ أنّ هذا الدّاي استجاب سنة 1759م لرغبة باي تونس، علي بن حسين، وكان الأخير يواجه ثورة اسماعيل بن يونس، حيث طلب من السّلطات الجزائرية الابقاء على والد الثّائر؛ يونس بن علي باشا في سجنه بقسنطينة، وتوعد مقابل ذلك دفع ثمانين ألف (80.000) سكوين من أصل مائة وخمسين ألف (150.000) سكوين مصاريف حملة 1756م راسل داي الجزائر في شأنها علي بن حسين باي وطالبه بأدائها للسّلطة الجزائرية سنة 1758م[2].

**ثالثاً- التّدخلات العسكرية الجزائرية ضدّ إيّالة تونس:**

اختلفت المصادر حول عدد الحملات العسكرية التي شنها الجزائريون على إيّالة تونس حيث ذكر "حمدان خوجة" بأنّها إحدى عشرة (11) حملة ولم يتعرض إلى سنوات هذه الحملات أو تفاصيلها[3]، بينما ذهب "ابن المفتي" إلى أنّها ثمانية (08)، وجعل أولها حملة

---

1- زهيرة سحابات، المرجع السّابق، ص 54.

2- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**,T 02, Op.Cit, p 565. ربطت داي الجزائر والباي حسين بن علي علاقات صداقة، لذلك بمجرد وصول علي باشا فاراً بعد فشل ثورته، راسل داي الجزائر حسين بن علي باي في شأنه، وجرت بعد ذلك مفاوضات بين الطّرفين حول سجن علي باشا في الجزائر مقابل ضريبة سنوية، **يُنظر:** Charles Féraud, Op.Cit, p 229.

3- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السّابق، ص 75.

العلج علي على تونس 1569م[1]، أمّا المؤرخ التّونسي "الصّغير بن يوسف" فجعلها أربع (04) حملات، كانت أولها حرب الحدود بين الإيالتين سنة 1628م، ثم حملة 1735م التي أطاحت بالباي حسين بن علي، والثّالثة حملة 1746م ضدّ علي باشا، وحملة 1756م والتّي أعادت أبناء حسين بن علي إلى حكم تونس، بينما لم يذكر المؤلّف حملة 1694م التي أوصلت بن شكر إلى حكم تونس، ولم نعرف سبب ذلك[2].

أمّا بالنّسبة للتّدخلات العسكرية الجزائرية وعلاقتها بالأزمات السّياسية في تونس، فإنّنا وجدنا أربع (04) حملات سنوات 1694، 1735، 1746 و1756م، واستثنينا حملة 1628م بحكم أنّها تدخل في اطار الصّراع على الحدود بين الإيالتين وليس لها علاقة بأزمة سياسية خاصة بإيّالة تونس، وكانت جميع الحملات العسكرية الجزائرية ضدّ تونس تسلك نفس الطّريق دائماً، من العاصمة باتجاه قسنطينة ثمّ مدينة الكاف التّونسية ومنها إلى العاصمة تونس، وكذلك الحملات التّونسية على مدينة قسنطينة كانت تسلك نفس هذا الطّريق[3].

**أ- حملة 1694م ضدّ محمَّد باي المرادي:**

وصل الدّاي شعبان إلى حكم الجزائر سنة 1688م بعد ثورة الجند ضدّ الباشا حسين ميزومورتو، كما أشرنا إلى ذلك من قبل. وكان ابن شكر لاجئاً في الجزائر منذ مدّة، يتطارح على أبواب سلطاتها من أجل مساعدته على حكم تونس، وقد توافقت طموحات ابن شكر مع نوايا الدّاي شعبان في الهجوم على تونس بسبب توتر العلاقات بين البلدين، بعد عودة محمَّد المرادي لحكم تونس بمساعدة حملة جزائرية سنة 1686م، نتج عنها اتفاقية بين الطّرفين يدفع بموجبها باي تونس ضريبة سنوية لحكومة الجزائر[4].

وحول أسباب توتر العلاقات فهناك إشارات إلى توقف باي تونس عن دفع الضّريبة السّنوية التي تعهّد بدفعها إلى داي الجزائر منذ 1686م[5]، ويذكر "ابن ميمون" أنّ الفتن

1- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، المصدر السّابق، ص 27.

2- الصّغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 01، ص-ص 131-132.

3- تفاصيل هذه الطّريق وأهم المدن الجزائرية والتّونسية التي يمر بها، **يُنظر:** الملحق رقم 07، ص 329 من هذه الأطروحة.

4- صورية حصام، **العلاقات**...، المرجع السّابق، ص-ص 23-24.

5- المرجع نفسه، ص 25.

والقلاقل التي شهدتها الجزائر خلال هذه الفترة كان لباي تونس دخل فيها[1]، وفي رأي مشابه يؤكِّد "سعيدوني" بأن محمَّد باي تونس حرّض قبائل الشّرق الجزائري المتاخمة للحدود التّونسيّة على رفض دفع الضّرائب المتوجبة عليها للسّلطات الجزائرية[2]، ويضيف "دي غرامون" بأنّ عسكر الجزائر بعد عودته من الحملة التي أرسلها الدّاي شعبان ضدّ زيدان بن مولاي إسماعيل العلوي، وجد العاصمة في تمرّد، وأرجع السّبب إلى إيعاز باي تونس للقبائل الذين تحالفوا مع البلدية من أجل اشعال فتيل الثّورة ضدّ الدّاي شعبان وعساكر جند التّرك في العاصمة[3].

وكان باي تونس محمَّد المرادي قد تحالف مع السّلطان اسماعيل العلوي (1672-1727م) الذي كانت له أطماع توسعية في الأراضي الجزائرية، حيث أرسل الأخير حملة سنة 1691م بقيادة ابنه زيدان لردع قبائل بني عامر، بسبب تغيير ولائها بين العثمانيين في الجزائر تارة، والمخزن المغربي تارة أخرى[4]، لكن الحملة الجزائرية التي أرسلها الدّاي الحاج شعبان تمكنت من هزيمة زيدان وكبّدت الجيش المغربي خسائر كبيرة[5]، وحسب "قنان" فقد جاء هذا التّحالف في إطار محاولات هدفت إلى زعزعة الاستقرار داخل إيّالة الجزائر، واشتركت فيه أطراف أجنبية كفرنسا وتونس والمغرب الأقصى، وسعى حكام تونس والمغرب الأقصى من خلالها إلى مهاجمة الجزائر من الشّرق والغرب في وقت واحد قصد الإطاحة بالنّظام السّياسي القائم بها[6]، لذلك ردّ داي الجزائر على التّحالف التّونسي المغربي بتحالف مضاد جمعه مع والي طرابلس الغرب؛ محمَّد باشا.

وبسبب اِحْجَام المصادر عن ذكر تفاصيل تحالف باي تونس محمَّد المرادي مع مولاي إسماعيل سلطان المغرب؛ لأسباب غير معروفة، فإنّه لمْ تتّضح الأسباب التي أدّت إلى هذا التّحالف، فهل مثّل هذا ردّ فعل على استقبال سلطات الجزائر للثّائر محمَّد بن شكر، الذي

---

1- محمّد بن ميمُون الجزائري، المصدر السّابق، ص-ص 20-21.

2- ناصر الذين سعيدوني، **تاريخ الجزائر...**، المرجع السَّابق، ص 316.

3- H.-D. de Grammont, Op.Cit, p 262.

4- ذكر "التر" بأنّ مولاي اسماعيل ادعى أنّ قبيلة بني عامر تعدت على حدود فاس، وهو ما دعاه إلى مهاجمة الجزائر، وأضاف في موضع آخر بأنّ مولاي اسماعيل لم يحقق أي نصر على الجزائريين رغم امتداد فترة حكمه التي دامت حوالي 57 سنة، **يُنظر**: عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص ص 439، 444.

5- حنيفي هلايلي، **أوراق...**، المرجع السّابق، ص-ص 61-62، جمال قنان، المرجع السّابق، ص 120.

6- جمال قنان، المرجع السّابق، ص 142.

سعى في تحريض داي الجزائر ضدّ باي تونس، أم أنّها محاولة للتخلّص من الهيمنة الجزائرية خاصة بعد المساعدة التي قدّموها لباي تونس؛ محمّد المرادي، من أجل الوصول للحكم؟

وفي سنة 1694م (أوائل شهر رجب 1105هـ) اجتمع ديوان الجزائر تحت رئاسة الدّاي الحاج شعبان لإبداء رأيه في تصرفات الباي محمَّد المرادي التي أشرنا إليها، إضافة إلى موضوع الضّرائب التي وعد بها الأخير حكومة الجزائر عند تنصيبه على عرش تونس سنة 1686م بمساعدة جيش الجزائر، ثمّ تراجع ورفض أداءها بعد ذلك، وانتهى الاجتماع بقرار الدّيوان البدء في الاستعدادات لشن حملة عسكرية ضدّ باي تونس(1)، ويبدو أنّ تحريض بن شكر لسلطات الجزائر ضدّ باي تونس وجد آذاناً صاغية خلال هذه الفترة، وفي هذا الشأن ذكر بن أبي الضّياف: « ولم يزل محمد بن شكر مقيما بالجزائر، يتطارح على أبواب أعيانها، ويحرض على تونس، إلى أن أجابه إلى ذلك الداي شعبان خوجة صاحب الجزائر، على ما اشترطه عليه، فجهز محلة خرج فيها بنفسه ومعه ابن شكر»(2)، في حين أنّ الدّيوان والانكشارية في الجزائر رفضا التّدخل قبل ذلك سنة 1688م، وتسبّب رفضهما في عزل داي وباشا الجزائر معاً.

وفي أوّل أيام شهر شعبان 1105هـ (أفريل 1694م)، أي بعد حوالي شهر من الاستعدادات، كانت عشر (10) سفن مستعدة لحمل المدافع والبارود وحوالي مائتي (200) خيمة مخصّصة للجنود، منها مائة (100) خيمة من بايلك الشّرق، وفي اليوم الثّاني عشر (12) من نفس الشّهر وصلت هذه السّفن إلى ميناء عنابة (بونه)(3)، وهي نقطة تقع في منتصف الطّريق بين الجزائر وتونس، جعلها داي الجزائر مقراً لتجميع قوات الحملة، وتواصلت الاستعدادات، حيث أُرسلت دفعة ثانية من المعدات والجنود أوّل أيام شهر رمضان، تمثلت في ثمانين (80) خيمة أتت من بايلك الغرب وستة عشر (16) خيمة من بايلك التيطري مع أربعين (40) خيمة مخصصة للفرسان، وفي ليلة عيد الفطر وصل الدّاي

---

1- Albert de Voulx, **Tachrifat recueil de notes historiques sur L'administration de l'ancienne régence d'Alger**, Imprimerie du gouvernement, Alger, 1852, p 9.

2- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 63.

3- تاريخ الرّابع عشر (14) من شهر أفريل سنة 1694م، حسب قنصل فرنسا في تونس، **يُنظر**:
Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**,T 01, Op.Cit, p 510.

شعبان مع جيشه إلى عنابة براً[1]، والتحقت من طرابلس الغرب أربع (04) سفن، تحمل خمسين (50) خيمة من الجنود، للمشاركة في الحملة، بعد الاتفاق الذي عقده داي الجزائر مع واليها رداً على تحالف باي تونس محمَّد المرادي مع سلطان المغرب[2]، ويبدو من الاستعدادات أنّ التّوتر بين الإيالتين بلغ مداه، وامتدّ إلى البلدان المجاورة؛ طرابلس الغرب والمغرب الأقصى.

أمّا عن الذّخائر الحربية التي حملها الطّرف الجزائري معه في هذه الحملة، فقد أورد تفاصيلها قنصل فرنسا في تونس السّيد "سورهاند" إلى وزير الدّولة للبحرية "الكونت دي بونشارتران (Cte de Pontchartrain)"[3]، بتاريخ 26 أفريل 1694م، حيث ذكر أنّها ستة عشر (16) مدفعاً وأربعة (4) قذائف هاون وأربعة آلاف (4.000) قنبلة وألف (1.000) قنطار من البارود وستة آلاف (6.000) كرة، وأشار في نفس الرّسالة إلى أنّ بن شكر غادر الجزائر العاصمة على رأس ألف وخمسمائة (1.500) صبايحي باتجاه قسنطينة، وأنّ الدّاي سيتبعه بعد ذلك بفترة وجيزة مع بقية الجنود المشاة والفرسان[4].

وفي رسالة سابقة لنفس القنصل إلى وزير الدّولة للبحرية؛ السابق ذكره، بتاريخ 26 مارس 1694م، يخبره بأنّه على اتصال بقنصل فرنسا بالجزائر السّيد "لومير (LEMAIRE)"[5] بشأن العلاقات بين باي تونس والدّاي شعبان، ويفهم من محتوى الرّسالة

---

1- الدّاي شعبان بعد قراره الخروج في حملة ضدّ باي تونس محمَّد المرادي، كلّف الخزناجي بإدارة شؤون الإيّالة، **يُنظر**: H-D de Grammont, **Correspondance des consuls d'Alger (1690-1742)**, Adolphe Jourdan libraire- Editeur, Alger, libraire Ernest Leroux, Paris, 1890, p 35.

2- Albert de Voulx, Op.Cit, p-p 9-10.

3- هو Louis Phélypeaux, comte de Pontchartrain شغل منصب وزير البحرية الفرنسية ما بين 1690-1699م، تنازل بعدها عن منصبه هذا لابنه، Jérôme Phélypeaux، بعد أنْ رُقي إلى رتبة مستشار من طرف لويس الرّابع عشر، **يُنظر**: Eugène Plantet, **Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France 1579-1833**, T02 (1700-1833), Félix Alcan Editeur, Paris, 1889, p 2.

4- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**,T 01, Op.Cit, pp 509-510. وعن أعداد الجيوش المتحاربة فقد جعلها "دي تاسي" ثلاثة آلاف (3.000) جندي وألف خمسمائة (1.500) من الجزائريين هذا عن الجانب الجزائري بالإضافة إلى خمسمائة (500) جندي من القوات الطرابلسية التي انضمت إلى معسكر الجزائريين بعد اتفاق الدّاي الحاج شعبان مع باشا طرابلس الغرب، في حين قدّر عدد القوات التّونسية بخمسة وعشرين ألف جندي، يُنظر: Laugier de Tassy, **Histoire du Royaume d'Alger: Avec l'Etat…**, Op.Cit, p 303.

5- اسمه René LEMAIRE شغل منصب قنصل فرنسا بالجزائر 1690-1697، **يُنظر**: Ibid, p 587. أمّا عن بداية التمثيل القنصلي الفرنسي في الجزائر فكان سنة 1577م. **يُنظر**: آرجمنت كوران، المرجع السّابق، ص 30.

أنّه طُلب من قنصل فرنسا في الجزائر السّعي من أجل تغيير رأي داي الجزائر بشأن الحملة على تونس، ويضيف بأنّ باي تونس يعمل ما في وسعه من أجل الاستعداد للحملة، ويبدو أنّ سعي قنصلي فرنسا بكل من تونس والجزائر ليس من أجل السّلام بين الإيالتين، ولا حباً من الفرنسيين للشّعبين الجزائري والتّونسي وحكومتيهما، ولكن خوفاً على مصالحها الخاصة في تونس، من هذه الحملة، ومن ذلك حصاد العام القادم كما ذكر القنصل نفسه في رسالتيه[1].

وبعد انتهاء الاستعدادات خرجت المحلة التّونسية بقيادة الباي محمَّد المرادي وتحت إمرته حوالي أربعة عشر (14) ألف جندي مقسمين على سبعمائة (700) خيمة[2]، في حين كانت المحلة الجزائرية بقيادة الدّاي شعبان ومحمَّد بن شكر ومدعمة بالحملة الطرابلسية، إضافة إلى قوات بعض قبائل الشّرق الجزائري؛ كبني ماسر وعامر سلطان والحنانشة[3]، والتي من الممكن أنّها قد رافقت باي قسنطينة، عندما انضمّ إلى الحملة، حيث سارت المحلتان الجزائرية والتّونسية باتجاه الحد الفاصل بين الإيالتين والتقتا بجهة الكاف.

وفي منتصف شهر جويلية 1694م[4] درات معركة، في مدينة الكاف، بين الفريقين انتصر فيها الطّرف الجزائري على قوات باي تونس[5]، الذي فرّ إلى العاصمة؛ متحصّنا بها، رغم التّفوق العددي للقوات التّونسية[6]، وبعد الانتصار الذي أحرزته قوات الجزائر في مدينة الكاف انطلقت نحو العاصمة تونس، ووصلت منطقة الحريرية، أوائل شهر أوت، وبمجرد وصولهم خرج محمَّد باي لقتالهم، ووقعت بين الطّرفين معركة كبيرة، قُتلت فيها أعداد

---

1- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**,T 01, Op.Cit, pp 507, 511.

2- ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 141. أورد قنصل فرنسا في تونس تفاصيل تعداد الجيش التّونسي في احدى رسائله بتاريخ 26 أفريل 1694م، وذكر بأنّه يتكوّن من: 4.000 رجل تحت قيادة أحد ملازمي الباي، و4.000 انكشاري و2.000 صبايحي تحت قيادة الباي نفسه، وعدد كبير من فرسان العرب، وأشار أنّ هذا الجيش سوف يحتل الحدود قبل وصول الجزائريين، **يُنظر**: Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**,T 01, Op.Cit, p 510.

3- Albert de Voulx, Op.Cit, p 10. اتجهت عساكر الحملة الجزائرية من عنابة براً باتجاه تونس، بينما أبحر أسطول الجزائر وطرابلس الغرب لمحاصرة ميناء حلق الوادي بمدينة تونس، محمود مقديش، المصدر السّابق، ص 136.

4- جعل قنصل فرنسا في تونس هذه المعركة في 26 جوان 1694م، حسب رسالته إلى وزير البحرية الفرنسي المؤرخة في 12 جويلية 1694م، **يُنظر**: Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**,T 01, Op.Cit, p 514.

5- أرجع "مقديش" هزيمة محمَّد باي إلى خيانة الأعراب، **يُنظر**: محمود مقديش، المصدر السّابق، ص 136.

6- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**,T 01, Op.Cit, p 510.

كبيرة من الجانبين، لكن عسكر الجزائر شدّد الحصار على العاصمة، مدّة ثلاثة أشهر، قصف خلالها المدينة بالمدافع[1]، إلى أنْ استسلمت للدّاي شعبان، في نوفمبر 1694م، وتمّ تعيين بن شكر في منصب باي تونس، ومحمود خوجة في منصب الدّاي، وعندما لمْ يَقُمْ الأخير بأعباء المنصب كما ينبغي، عزله بن شكر، يوم 26 نوفمبر، واختار محمَّد طاطار مكانه، أمّا محمَّد باي فخرج باتجاه القيروان، غير أنّ أهلها أوصدوا أبواب مدينتهم في وجهه، فقصد الصّحراء بحثاً عن الأمان[2].

أمّا الدّاي شعبان فبعد أنْ هدأت الأوضاع في إيّالة تونس خرج يوم السّادس عشر (16) فيفري 1695م باتجاه الجزائر محملاً بالغنائم، حيث ذكر "دي غرامون" أنّ داي الجزائر عند عودته من حملة تونس جر وراءه المدافع التي غنمها من التّونسيين و120 بغلاً تحمل الذّهب والفضة وعدداً كبيراً من العبيد[3]، في حين أنّ بن شكر وبعد عودة الدّاي شعبان إلى الجزائر لم يحظ بالقبول من أهل تونس بسبب ظلمه وتعسفه، لذلك لم تدم فترة حكمه أكثر من ستة (06) أشهر، فقد التف أهل تونس حول الباي المخلوع من جديد، ورجع الأخير مدعوماً من القبائل الحليفة، حيث دارت بينهما معركة انتصر فيها محمّد باي، ثمّ زحف بعدها على العاصمة تونس وأخرج منها الدّاي طاطار، وجلس على عرشها من جديد[4]، غير أنّ حكمه هذه المرّة لم يدم أكثر من سنة لأنّه توفي في السّنة الموالية.

**ب- حملة 1735م للإطاحة بالباي حسين بن علي:**

أشرنا فيما سبق إلى أنّ السّلطات الجزائرية التزمت الحياد في الطّور الأوّل من الأزمة الباشية الحسينية (1728-1740م) بين حسين بن علي باي تونس وابن أخيه علي باشا، إضافة إلى المواقف الودية من السّلطة الجزائرية التي وافقت على سجن علي باشا عندما فرّ إليها طالباً اللّجوء[5]، وغضها للطّرف عن تجاوزات باي تونس ضدّ القبائل الجزائرية التي ساندت ابن أخيه خلال الأزمة[6]، لكن هذا الموقف سوف يتغير لأنّ الدّاي فيما بعد وعد

---

1- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص-ص 63-64.

2- Leila Temimi Blili, Op.Cit, p 90.

3- H.-D. de Grammont, **Histoire…**, Op.Cit, p 265.

4- محمود مقديش، المصدر السّابق، ص-ص 137-138.

5- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**,T 02, Op.Cit, p 247.

6- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام…**، المرجع السّابق، ص 85.

علي باشا بالنّصرة ضدّ باي تونس، فقد أورد "بن يوسف" على لسان داي الجزائر ما نَصُه: «إن شاء الله نبلّغك ما تترجّاه وتتمنّاه، ولكن نحن الآن في قتال النّصارى الذي غلبوا وهران وإذا نصرنا الله عليهم وفكينا وهران، ننصرك بالعسكر والقومان، ونرسلك إلى مدينة تونس أنت وولدك يونس»[1]. فيا تُرى، ما هي الأسباب التي جعلت داي الجزائر يُغيِّر رأيه، ويُعلِن الحرب على حسين بن علي باي تونس؟

وتُخبرنا المصادر أنّ الدّاي كور عبدي طلب المساعدة من الباي حسين بن علي في حربه ضد الإسبان الذين كانوا في هذه الآونة يحاولون احتلال وهران من جديد، خاصة وأنّ العلاقات كانت ودية بين داي الجزائر وباي تونس خلال هذه الفترة، فقد وافق الدّاي على طلب الباي سجن علي باشا سنة 1729م، وفي المقابل امتنع الباي حسين بن علي عن تقديم الدّعم للجزائر، خلال محاولة الإسبان إعادة احتلال وهران سنة 1732م، وذهب إلى أكثر من ذلك حين سمح للأعداء بشراء ما يلزمهم من تونس مما ساعدهم على أخذها، كما أنّ الباي توقف عن دفع الضّريبة السّنوية التي وعد بها الدّاي مقابل سجن علي باشا[2]، ويبدو أنّ هذه التّطورات جعلت الباي الجديد إبراهيم باشا يعلن الحرب على باي تونس بإيعاز من علي باشا الذي استطاع إقناع الدّاي بإطلاق سراحه ودعمه في حربه ضدّ عمه.

وفي الحقيقة لم يكن توقف باي تونس عن دفع الضّريبة السّنوية مقابل إبقاء علي باشا في الأسر أو تحريض الأخير لحكومة الجزائر ضدّ حسين بن علي أسباباً كافية لتجريد حملة هدفها تأديب باي تونس، لكن هناك مجموعة من الأسباب اجتمعت لتؤثر في قرار الدّاي، منها؛ عدم تعاون الباي حسين بن علي مع حكومة الجزائر في حربها ضدّ الإسبان سنة 1732م، بل إنّ الدّاي إبراهيم باشا اتهم باي تونس بمساعدة الإسبان بما مدهم به من أقوات، ثمّ إنّ انشغال داي الجزائر بمشكلة احتلال الإسبان وبثورة القبائل شجعت باي تونس على التّوقف عن أداء ما عليه لأنّه لم يعد هناك ما يخشاه من داي الجزائر، بالإضافة إلى أنّ الجزائر خلال هذه الفترة كانت تمر بضائقة مالية بسبب تراجع مداخيل الجهاد البحري النّاتج عن نشاط الأسطول الجزائري[3]، وبسبب المجاعة التي اجتاحت البلاد[1].

---

1- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، ص 243.

2- صورية حصام، **العلاقات**...، المرجع السّابق، ص 56.

3- عالجت الكثير من الدّراسات موضوع البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني، مثل دراسات "سعيدوني" و"مروش" و"بلحميسي" وغيرهم، أمّا بخصوص موضوع تراجع عائدات النّشاط البحري خلال الفترة الدّايات في الجزائر، فهناك دراسة=

وما إنْ خرجت محلة الجزائر باتجاه تونس حتّى شرع باي تونس في محاولاته لإقناع الدّاي إبراهيم باشا بالعدول عن قراره، حيث عرض على الدّاي، بواسطة باي قسنطينة حسين كليان، مبلغ خمسين ألف (50.000) بياستر، كما بعث عمر المورالي، محملاً بالهدايا، على رأس سفارة إلى أوجاق الجزائر لنفس الغرض، وراسل الباب العالي من أجل الوساطة بينه وبين داي الجزائر[2]، إلاّ أنّ جميع هذه المحاولات لم تثن الدّاي إبراهيم باشا، الذي لم يمتثل للأوامر، عن عزمه[3]، وواصلت الحملة، التي انطلقت من الجزائر في شهر ماي 1735م، طريقها نحو تونس.

وكانت المحلة الجزائرية بقيادة إبراهيم الخزناجي، وتحت إمرته ثلاثة آلاف (3.000) محارب، ويصاحبه علي باشا مع ألف (1.000) رجل، ووجه الدّاي أوامره لباي قسنطينة حسين بوكمية لجمع ألف (1.000) مقاتل من قواته النّظامية، ووافق على ذلك مرغماً[4]، وفي الطّريق انضم إلى الحملة الشيخ بوعزيز قائد الحنانشة مع عدد كبير من أتباعه[5]، كما التحق بالحملة أحمد الصّغير وأخوه سلطان، وهم من مشايخ الحنانشة، مع أتباعهم، وضمت الحملة الجزائرية كذلك حشوداً من الأعراب من كل ناحية، وقدّرتها بعض المصادر بحوالي سبعة آلاف (7.000) جندي[6]، وقال "ابن المفتي" أنّها مائة وثمانون (180) خباءً، ولم

---

=أكاديمية نُوقشت مؤخراً في جامعة الشّهيد حمّه لخضر بالوادي، وقد تضمنت هذه الدّراسة الكثير من الاحصائيات التي جمعتها الباحثة من مصادر مختلفة، وركّزت من خلال تناولها للموضوع على أسباب هذا التّراجع ونتائجه على إيالة الجزائر، للمزيد **يُنظر**: هيبة كنيوة، **تراجع مداخيل البحريّة الجزائريّة في عهد الدّايات وإنعكاساتها على المستوى الدّاخليّ والخارجيّ**، أطروحة دكتوراه الطّور الثّالث (LMD) في التّاريخ، قسم التّاريخ، كلّية العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، جامعة الشّهيد حمّه لخضر، الوادي، 1443-1444هـ/ 2022-2023م.

1- **يُنظر**: H.-D. de Grammont, Op.Cit, p 294؛ صورية حصام، **العلاقات**...، المرجع السّابق، ص-ص56-57.

2- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام**...، المرجع السّابق، ص 94؛ ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص-ص 177-178.

3- H.-D. de Grammont, **Histoire…**, Op.Cit, p 295 ؛ عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص-ص 486-487.

4- كانت تربط باي قسنطينة وباي تونس علاقات حسنة، لذلك قَبِل الانضمام إلى هذه الحملة مُرغماً، لأنّه لا يستطيع مخالفة أوامر الدّاي. للمزيد حول علاقة البايين، **يُنظر**: Mohamed Hédi Chérif, Op.Cit, T02, pp 134-135.

5- Charles Féraud, Op.Cit, p 232; Ernest Mercier, Op.Cit, p 251.

6- H.-D. de Grammont, **Histoire…**, Op.Cit, p 295 ; Mohamed Hédi Chérif, Op.Cit, T02, p 146.

يتعرض لعدد الجنود في كل خباء، وقد وصلت هذه القوات إلى الكاف بعد مسيرة اثنان وستين (62) يوماً، وبقيت بها اثنان وعشرين (22) يوماً، ثمّ واصلت المسير باتجاه تونس[1].

وأمّا عن تعداد قوات الطّرف الآخر فذكرت المصادر بأنّه حوالي خمسة وعشرين ألف (25.000) رجل، من فئات مختلفة؛ أتراك وكراغلة، صبايحية، وزواوة، وفرسان قبائل المخزن (دريد، أولاد سعيد، السّواسي وغيرهم)، يَجُرُّون ما بين 12 و14 مدفعاً كبيراً، وقد كان الباي على رأس المحلة الأولى صحبة ابنيه علي ومحمود، أمّا المحلة الثانية فقد ترأسها أبنه الأكبر محمَّد. وبحلول يوم التّاسع عشر (19) من شهر أوت كانت القوتان قد عسكرتا بمنطقة "سمنجة"[2] على ضفة "وادي مجردة"[3] غير بعيد عن العاصمة تونس، وبعد مناوشات خفيفة، دامت أسبوعين جاء يوم الحسم؛ وهو يوم الرّابع (04) من شهر سبتمبر، الذي استطاعت فيه محلة الجزائر أنْ تُلحق الهزيمة بعسكر تونس وتكبده خسائر كبيرة، فرّ بعدها حسين بن علي واحتمى بالقيروان ولحق به ولداه محمَّد وعلي. وقد أرجع بن أبي الضّياف انهزام باي تونس إلى تخلي الأعراب مثل دريد عن الباي، في حين انقلبت أولاد سعيد إلى صف علي باشا، ولم يبق مع حسين بن علي باي إلاّ أولاد قاسم من دريد[4].

وحسب الأستاذ "بن خروف" فإنّ هدف الجزائريين من هذه الحملة لم يكن القضاء النّهائي على حسين بن علي وإنما كان هدفهم تلقينه درساً جرّاء تقاعسه عن دعمهم في حربهم ضدّ الإسبان، وامتناعه عن أداء الضّريبة السّنوية التي وعد بها السّلطات الجزائرية

---

1– ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، المصدر السّابق، ص 72.

2– ويُسمى اليوم الفحص، وهو وطن بعمل زغوان أرضه منبسطة صالحة لزراعة الحبوب، **يُنظر**: حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السّابق، ص 142.

3– ويسمى نهر مجردة وهو نهر كبير جداً، ويُعتبر النّهر الوحيد بإيّالة تونس، منبعه من عمالة قسنطينة بإيّالة الجزائر، تزداد مياهه بما يصب به من جداول، ويتجه من الغرب نحو الشّرق إلى أنْ يصب بالقرب من غار الملح على بعد أربعين ميلاً من تونس، **يُنظر**: الحسن بن محمّد الوزان الفاسي، المصدر السّابق، ص 253؛ محمَّد بيرم الخامس، المرجع السّابق، مج 02، ص 325؛ Marcel Juillet Saint-Lager, **La Régene de Tunis (géographie physique et politique description générale, gouvernement, administration, finances)**, Juillet Saint-Lager Editeur, Alger, 1874, p 08.

4– أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص-ص 111-113؛ Mohamed Hédi Chérif, Op.Cit, T02, pp 149-153.

منذ 1729م[1]، بعد أن التزم لهم بدفع مائتي ألف (200.000) إيكوس سنوياً، وكمية من القمح اللازمة لإطعام الجيش[2]، وما يجعلنا نميل إلى هذا الطّرح هو رجوع الحملة الجزائرية من العاصمة، بعد تنصيب علي باشا في منصب الباي، وعدم مواصلتها الزّحف على مدينة القيروان من أجل التّخلص من الباي حسين بن علي.

**ج- حملة 1746م على مدينة الكاف:**

وصل علي باشا إلى كرسي الحكم في تونس سنة 1735م، بمساعدة جزائرية جعلته يعترف بسيادة داي الجزائر عليه، ويدفع ضريبة سنوية التزم بها لسلطات الجزائر، لكن سرعان ما توتّرت العلاقات بين الإيالتين خاصة بين 1736-1740م، لأنّ الباي الجديد كان حريصاً على استقلالية بلاده من التّبعية إلى الجزائر، حيث دفعت هذه التّطورات داي الجزائر إبراهيم خوجة إلى تجريد حملة ضدّ إيّالة تونس سنة 1746م[3]، وكان الغرض منها مساعدة أبناء حسين بن علي، اللاجئين عند الدّاي في الجزائر، على استعادة ملك أبيهم[4].

وبعد أنْ قرّر الدّاي إبراهيم خوجة تجريد حملة ضدّ علي باشا، كتب إلى حسن باي قسنطينة، الذي كلّفه الدّاي بقيادتها، وإلى علي بن حسين يأمرهما بالاستعداد للحملة، وعند انتهاء الاستعدادات كانت محلة الجزائر قد تكوّنت من حوالي ستة آلاف (6.000) جندي تركي، إضافة إلى قوات القبائل المناصرة لأبناء حسين بن علي، وعدد من جند التّرك التّونسي الذين فرّوا إلى الجزائر بعد فشل ثورتهم سنة 1743م[5]، في حين ذكر"التر" بأنّ المحلة تألفت من أربعة آلاف (4.000) جندي تركي، وعدد كبير من الأهالي[6]، كما انضمت قبيلة الحنانشة بفرعيها إلى قوات الجزائر، وقد دعا حسن عشي؛ باي قسنطينة،

---

1- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام**...، المرجع السّابق، ص 107.

2- H.-D. de Grammont, **Histoire...**, Op.Cit, p 295.

3- بعد توتر العلاقة بين داي الجزائر وعلي باشا، تدخلت أطراف أعادت المياه إلى مجاريها بين الدّاي وحسين بن علي، وتبعاً لذلك وعد داي الجزائر حسين بن علي بإعانته على استعادة عرشه، حيث جرّد حملتين سنتي 1736 و1737م، لكنهما فشلتا كما فشلت حملة 1746م ولم تحقق الأهداف المنشودة، حول هذه الحملات، وأسباب توتر العلاقات بين علي باشا وداي الجزائر، **يُنظر:** عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام**...، المرجع السّابق، ص 113 وما بعدها.

4- عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 174.

5- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص-ص 128-129.

6- عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص 508.

فرعي القبيلة إلى الاتحاد في هذه المهمة وأنْ لا يتفرقوا[1]، وقد انطلقت المحلة من الجزائر في أفريل 1746م، ووصلت إلى مدينة الكاف في 02 جوان 1746م.

أمّا بالنسبة للطّرف التّونسي، فقد كان علي باشا على عِلم بما يُدبر ضدّه في الجزائر بفضل جواسيسه في الجزائر وقسنطينة، فقد شرع مع بداية سنة 1746م بتحصين مدينة الكاف، وشَحَنَهَا بالعُدَّة والأقوات؛ بحكم موقعها الحدودي مع إيّالة الجزائر، وهي كذلك أوّل محطة في طريق الحملة الجزائرية عند دخولها الأراضي التّونسية، كما كوَّن جيشاً بلغ عدده بضعة آلاف من الأتراك والعرب والزواوة، وانضمت إليه عدة قبائل؛ كدريد وأولاد جوين وأولاد عرفة ومجور، ولم تقف استعدادات الباي عند هذا الحد، بل تجاوزته إلى طلب إعانة الدّول الأوروبية التي ارتبط معها بمعاهدات سلم وصداقة، ومنها هولندة التي أمدّته بسفينة محملة بالذّخائر الحربية، إلاّ أنّ وقوعها في قبضة الجزائريين حرم الباي الاستفادة من حمولتها[2].

وفي العاشر من شهر جوان 1746م (10 جمادى الأولى 1159هـ) وصل الجيش الجزائري إلى الكاف وقام بمحاصرة المدينة حوالي أربعين (40) يوماً، تخللتها بعض المناوشات، دون أن يتمكّن من دخولها، ومواصلة الزّحف نحو العاصمة، وبعد استشارة الدّاي، تقرّر عودة المحلة في 31 جويلية سنة 1746م[3]، دون أنْ تحقق هدفها، فقد ذكر "Guellouz" أن ثورة الكراغلة التي قامت في تلمسان كانت السّبب في فك الحصار عن مدينة الكاف وعودة المحلّة إلى الجزائر[4]، أمّا "بن أبي الضّياف" فأرجع السّبب إلى أنّ حسين باي قسنطينة لما رأى ما في الكاف من الرّجال (العسكر) والعُدّة والعتاد راسل داي الجزائر من أجل ارسال المدد، غير أنّ الدّاي تثاقل، وأضاف أنّ علي باشا أغرى باي قسنطينة بالمال فأقلع مبتعداً بمدافعه عن مدينة الكاف باتجاه الجزائر[5].

---

1- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 03، ص 89.

2 - عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص ص 128، 130.

3- أورد "بن أبي الضّياف" أنّه يوم الجمعة الموافق للعاشر (10) من شهر رجب 1159هـ/ 29 جويلية 1746م، **يُنظر:** أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 129.

4- Azzedine Guellouz et autres, Op.Cit, p 228.

5- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 129.

**د- حملة 1756م ضدّ علي باشا:**

اختير علي بوصبع داياً للجزائر، بعد محاولة الاغتيال النّاجحة للدّاي محمَّد بن بكير أواخر سنة 1754م علي يد أحد جنوده؛ ويُدعى أوزون علي[1]، وكان وصول بوصبع لهذا المنصب نقمة على باشا باي تونس وابنه محمَّد كذلك، فقد كان للدّاي الجديد وباي قسنطينة؛ حسن أزرق عينه، الكثير من المآخذ على باي تونس وابنه، من أهمّها:

- نقمة الدّاي على بوصبع على علي باشا بسبب تآمره مع خزناجي الدّاي السّابق؛ محمَّد بن بكير، بهدف قلب نظام الحكم في الجزائر لصالح الخزناجي وجعله وراثياً في عقبه، وكان الأخير عَيْنُ الباشا في بلاط داي الجزائر. ويبدو أنّ العداوة قد استحكمت بين الطّرفين (داي الجزائر وباي تونس)، حيث وصف "مرسيي" علي باشا بالعدّو الشّخصي للدّاي علي بوصبع[2].
- استهانة محمَّد بن علي باشا بالدّاي بوصبع، حيث كان لا يشمله بهداياه التي كان يرسلها إلى رجالات الدّولة في الجزائر كالخزناجي، وباي قسنطينة؛ حسين بوحنك.
- استهانة علي باشا بالباي حسن أزرق عينه، حيث كان يأنف من معالجة القضايا محل الخلاف بين الإيالتين معه، ويعتبره دون مقامه، ومن ذلك أنّه جعل ابنه محمَّد يبحث مواضيع الخلاف مع مبعوثي الباي أزرق عينه، ولم يباشرها بنفسه. وقد استخف به أمام مبعوثيه، بعدما قرأ الرّسالة التي أرسلها له بخصوص إعادة القبيلة الجزائرية التي لجأت إلى إيّالة تونس، حيث قال: «كان لا بد أن أعيش إلى هذا اليوم لأتلقى الأوامر من حاشي»، وكان أزرق عينه يشتغل طباخاً عند خاله علي بوصبع قبل توليه منصب باي قسنطينة[3].

لقد اجتمعت عدّة أسباب ساهمت في قرار الدّاي بوصبع تجهيز حملة عسكرية ضدّ تونس، تحت إمرة باي قسنطينة؛ حسن أزرق عينه، كما أنّ الأعداد الكبيرة التي لجأت إلى إيّالة الجزائر، بعد ثورة يونس على والده، خلقت حالة من العداء ضدّ علي باشا استفاد منها أبناء حسين بن علي[4]، فقد استفاد هؤلاء من القبائل النّاقمة على السّلطة في تونس بسبب

---

1- ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 210؛ Faure Biguet, Op.Cit, p 391.

2- Ernest Mercier, Op.cit, p 263.

3- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص-ص 156-158. للمزيد حول تفاصيل الخلاف بين باي قسنطينة وعلي باشا، **يُنظر**: الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 04، ص-ص 13-15.

4- Azzedine Guellouz et autres, Op.Cit, p 186.

القمع والتّنكيل الذي طالها نتيجة مساندتها لأبناء حسين بن علي في حملة 1746م، وكذلك مساندة يونس في ثورته سنة 1752م[1]، ومن جهته، قام باي قسنطينة في إحدى زياراته للدّاي بالتأثير عليه بخصوص علي باشا وتصرفاته تجاههما، وطلب أنْ يُمكِّنه من حملة يزحف بها على تونس للانتقام من الباشا[2]، ولم يَطُل الأمر حتّى بدأت استعدادات الطّرفين (الجزائري والتّونسي) للحرب، خاصة وأنّ لعلي باشا عيوناً تخبره بما يدور في بلاط داي الجزائر، وما يُدَبَّر ضدّه هناك

بعد الانتهاء من الاستعدادات[3]، أصبح الجيش الجزائري مع بداية شهر جوان 1756م جاهزاً للانطلاق، وقد تألَّف من حوالي خمسة آلاف (5.000) من المشاة، وألف (1.000) من الصبايحية التّرك، وعدد كبير من فرسان العرب ينتمون إلى جهات مختلفة جزائرية وأخرى تونسية؛ انضمت إليها بعد سقوط مدينة الكاف، ومزودين بثمانية مدافع من أحجام مختلفة وثلاث قاذفات هاون، وقد قُسِّم هذا الجيش إلى ثلاثة محال؛ الأولى تحت إمرة باي قسنطينة؛ أزرق عينه، والثّانية سُلِّمت قيادتها إلى الأمير محمَّد بن حسين، والثّالثة لأخيه علي بن حسين بن علي، وكانت كلّها جيدة التّنظيم[4].

وأمّا بخصوص استعدادات باي تونس، فقد أشرنا من قبل إلى أنّه كان له جواسيس تخبره بما يُجهَّز ضدّه في الجزائر، لذلك بدأ الاستعداد والتّحضيرات للحرب مُبكِّراً، واستطاع جمع حوالي أربعة عشر ألف (14.000) مقاتل؛ منهم ثمانية آلاف (8.000) من المشاة، أربعة آلاف (4.000) من الأتراك ومثلهم من العرب، وستة آلاف (6.000) فارس يتألفون من ألف ومائتي (1.200) من الصبايحية العرب، وألفين وثمانمائة (2.800) من حرس الباي وهم من الزنوج والأعلاج والحوانب العرب والأتراك، وألفين (2.000) من العرب من مختلف الجهات التي ظلّت وفيّة لعلي باشا[5].

---

1- حمّودة بن محمَّد بن عبد العزيز، المصدر السّابق، ص 278.

2- محمّد عطية، **الصراع...**، المرجع السّابق، ص 104.

3- حول استعدادات الطّرفين للحرب. **يُنظر**: عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص-ص 159-168.

4- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey...**, T 02, Op.Cit, p 500.

5- Ibid, pp 500-501.

ومن قسنطينة سارت المحال الجزائرية نحو الكاف، حيث وصلتها يوم السّادس (06) من جوان 1756م[1]، واستولوا عليها بعد قتال دام حوالي أسبوعين؛ وذلك يوم الثّاني والعشرين (22) جوان[2]، وبعد أنْ أكمل حسن باي قسنطينة جمع الغنائم، وفرغ عسكره من نهب المدينة، أمر المحال بالتّحرك نحو تونس، وعلى طول الطّريق حدثت مناوشات بين قوات الطّرفين، لكنها لم تسفر عن نتائج ذات بال، وطوال شهري جويلية وأوت بقيت محال الجزائر معسكرة قُرب مدينة تونس[3]، إلى أن جاء يوم الحسم في الثّاني (02) من شهر سبتمبر بانتصار عسكر الجزائر، الذي استغل الفرصة وقضى أياماً في نهب مدينة تونس، حتّى جاءت الأوامر من الدّاي بالتّخلص من علي باشا والعودة إلى الجزائر، وقد تمّ قتل علي باشا يوم الخامس والعشرين (25) سبتمبر، وبعد أسبوع تحرّك حسن باي بالمحال نحو الجزائر؛ وذلك يوم الثّاني (02) من أكتوبر، بعد أنْ سلّم حكم تونس لمحمَّد بن حسين باي[4].

## المبحث الثّاني: علاقة قبائل الشّرق الجزائري بالأزمات السّياسيّة في إيّالة تونس

### أولاً- أهم قبائل بايلك الشّرق الجزائري خلال الفترة الحديثة:

تُعَرَّفُ القبيلة على أنّها وحدة سياسية واجتماعية واقتصادية في آن واحد، وتتكون من مجموعة من الأعراش، لها قائد أو شيخ يختاره أعيانها ويشاركونه القرار في المسائل المصيرية لقبيلتهم، وبالتّالي فهي تُسَيَّرُ تسييراً جماعياً[5]، ولا تتكوّن القبيلة بالضرورة من أفراد ينحدرون من جد واحد، لأنّ المصالح المشتركة حلت محل رابط الدّم، وكانت هذه المصالح في الغالب الدّافع الأوّل لتشكّل التّجمعات القبلية[6].

---

1- وحسب رسالة قنصل فرنسا في تونس بتاريخ الثّاني (02) جويلية 1756م، فإنّ تاريخ وصول الحملة كان العاشر (10) جوان 1756م، **يُنظر**: Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, T 02, Op.Cit, p 498.

2- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 04، ص ص38، 46؛ أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص149.

3- جاء في يوميات حصار تونس عند "بلانتي" أنّ محال الجزائر وصلت تونس ليلة الواحد والعشرون (21) إلى الثّاني والعشرين (22) جويلية، **يُنظر**: Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, Op.Cit, p 500.

4- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام**...، المرجع السّابق، ص-ص176-183.

5- محمَّد العَربي الزبيري، **التجارة الخارجيّة للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ت، د.ط، ص 45.

6- كوثر العايب، **حركة القبائل الجزائريَّة التُّونسية على المناطق الحدوديَّة خلال القرنين الثَّامن عشر والتَّاسع عشر ميلادي**، أطروحة دكتوراه العلوم في التّاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي، 1442-1443هـ/ 2020-2021م، ص 18.

وقد تتحالف مجموعة من القبائل فيما بينها وتشكِّل ما يسمى بالصّف (الكنفدرالية)، وهي قوّة ضاربة في وجه كل من يعتدي على أحد أطراف هذا الحلف[1]، كما قد يحدث العكس في بعض الأحيان، حيث ينشق فرع من القبيلة لِيُشَكِّلَ قبيلة مستقلة تضم فروعاً من قبائل مختلفة تحمل نفس الاسم الذي يدُل عادة عن مكان إقامة هذه القبيلة أو عن فرعها الرئيسي[2].

وعلى هذا الأساس، شكَّلت القبائل معظم سكان بايلك الشّرق الجزائري، حيث وصل عددها خلال الفترة الحديثة، حسب بعض المصادر، إلى حوالي مائتين وخمسين (250) قبيلة، يستوطنون كلهم الجبال والسّهول، ويعتبرون أكثر النّاس ارتباطاً بالأرض والأكثر منعة وقوّة بفعل خبرتهم في الحروب[3]، ويتحدث "بايسونال" عن القبائل الجزائرية وشيوخها، حيث قال أنّ قبائل الجزائر تختلف عن نظيراتها في تونس، ووصف القبائل الجزائرية بكثرة أفرادها، وأنّ شيوخ هذه القبائل يستطيعون جمع تحت إمرتهم ما بين أربعة آلاف وخمسة ألاف فارس[4]، ومن أهم هذه القبائل:

**أ- قبيلة الحنانشة:**

يعود نسب قبيلة الحنانشة إلى بعر بن حناش[5]، وتتكوّن القاعدة الاجتماعية لهذه القبيلة -حسب فيرو- من ثلاثة فروع أساسية انصهرت فيما بينها لتشكل مجتمع هذه القبيلة:

- **الشّاوية:** وهم بربر الأوراس، من هوارة والحراكته وبني بربار والنّمامشة.
- **هوارة وإخوانهم عداسة:** وهم فروع من زناتة البربرية، نزحوا، مع الفاتحين العرب، من طرابلس باتجاه إفريقية واستقروا بالجهة الغربية منها.

---

1- محمَّد العَربي الزبيري، المرجع السّابق، ص 46.

2- جميلة معاشي، المرجع السّابق، ص 16.

3- احميدة عميراوي، **علاقات بايلك الشّرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث، قسنطينة، د.ت، د.ط، ص-ص 21-22.

4- Peyssonnel et Desfontaines, **Voyages dans les régences de Tunis et d'Alger**, T 01, Libraire de Cide, Paris, 1838, p 292.

5- جميلة معاشي، "**أسرة أحرار الحنانشة بين بايات قسنطينة وبايات تونس**"، المجلة التاريخية المغاربية، ع 128، جوان 2007، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ص 147؛ يوسف بن حيدة، "**علاقة القبيلة بالطريقة الصوفية في الجزائر وتونس خلال الفترة الحديثة (الحنانشة والشابية نموذجا)**"، مجلة المعيار، مج 24، ع 50، 2020م، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ص 197.

- **عرب بني هلال وسليم:** وهم الذين جاؤوا إلى بلاد المغرب مع الهجرة الهلالية خلال القرن الحادي عشر الميلادي[1].

أمّا عن أصل أسرة أحرار الحنانشة حكام هذه القبيلة، فقد ذكرت الأستاذة "معاشي" أنّه مختلف فيه، لذلك وضعت لها ثلاثة احتمالات:

- **الاحتمال الأوّل:** أنّهم من برابرة هوارة التي حكمت طرابلس ثم انتقلت مع الفاتحين العرب إلى إفريقية وسكنت بالجهة الغربية من البلاد، واعتبرته "معاشي" الاحتمال الأقوى.
- **الاحتمال الثّاني:** وهو نسبتهم إلى قبائل بني سليم وجعلته الأستاذة الاحتمال الأضعف بسبب تأثير قبائل بني سليم على جميع القبائل البربرية القاطنة ببايلك الشّرق الجزائري ومنها قبيلة هوارة.
- **الاحتمال الثّالث:** وهو نسبتهم إلى ثاني الخلفاء الرّاشدين "عمر بن الخطاب رضي الله عنه" بوضعهم شجرة نسب تعيدهم إلى القائد "حنش بن عبد الله بن عمر بن الخطاب"[2]، وهذه الشّجرة قدّمتها الأسرة للباحث الفرنسي "فيرو" سنة 1874م عندما عزم على تدوين تاريخ الأسرة[3].

ولهذه القبيلة نفوذ (جغرافي–قَبَلِي) واسع يمتد على حدود الإيالتين الجزائرية والتّونسيّة[4]، ويبدو أنّ هذا النّفوذ كان أحد دوافع اتصال بين الحكام العثمانيين، منذ استقرارهم بالجزائر، وبين شيوخ الحنانشة، فقد اتصل خير الدّين بربروس، أثناء حملته على تونس سنة 1534م، بشيخ الحنانشة وطلب مساعدته في القبض على الحسن الحفصي، وكان ردّ الشّيخ على خير الدّين أنّه إذا أراد تثبيت حكمه في تونس عليه إعفاؤهم من الالتزامات المالية التي كان يفرضها عليهم السّلطان الحفصي فوافق[5]، وأضاف "عميراوي" أنّ الحنانشة خلال هذه الفترة أصبحت تحتل المرتبة الثّالثة من حيث القوّة بعد كل من باي

---

1- Charles Féraud, Op.Cit, p 29.

2- **يُنظر:** الملحق رقم: 08، ص 330.

3- للمزيد من التّفاصيل حول نسب قبيلة الحنانشة، **يُنظر:** جميلة معاشي، **الأسر المحلية...**، المرجع السّابق، ص-ص 41-44؛ جميلة معاشي، "**أسرة أحرار...**"، المرجع السّابق، ص-ص 147-148.

4- Peyssonnel et Desfontaines, Op.Cit, p 293، تفاصيل الامتداد الجغرافي لهذه القبيلة، **يُنظر:** العربي الحناشي، المرجع السّابق، ص-ص 11-13.

5- توفيق بن زردة، المرجع السّابق، ص-ص 29-30.

قسنطينة وباي تونس، وبسبب هذه المكانة أضحى شيخها يضاهي من حيث الرّتبة باي قسنطينة، حيث حظي بارتداء قفطان التّولية الذي يرسله الدّاي لباي قسنطينة، واستعمال الختم الذهبي، وجباية الضرائب[1].

**ب- قبيلة الذواودة:**

وهي قبيلة هلالية من فرع رياح سيطرت على شرق المغرب الأوسط قبل مجيء العثمانيين، واستمرت تسيطر على المنطقة الواقعة بين قسنطينة وورقلة حتّى بعد استقرار العثمانيين، حيث سعى هؤلاء إلى كسب ولائها منذ السّنوات الأولى لاستقرارهم، لأنّ أوّل اتصال بين الطّرفين كان خلال عهد خير الدّين بربروس أوّل بايلبرباي على إيّالة الجزائر. وكانت القبيلة ذات طابع بدوي، فتقضي شتاءها على ضفاف وادي جدي وتُمضي الصّيف بالهضاب العليا، وقد تصل حتّى مشارف مدينة قسنطينة، ويبدو أنّ ترحالها هو سبب عدم تكوينها إمارة على غرار بني جلاب بتقرت والمقراني بمجانة، حسب الأستاذة "معاشي". في حين تعود زعامة هذه القبيلة لأسرة بوعكاز، حيث منحها العثمانيون لقب شيخ العرب، وأوّل من حمل هذا اللّقب هو "علي بن السخري" المُلقب بـ"بوعكاز"، ومنه أخذت الأسرة اسمها[2].

**ج- قبيلة النّمامشة:**

من قبيلة هوارة البربرية، وتُعد النّمامشة من القبائل القوية القاطنة ببايلك الشّرق الجزائري على الحدود مع إيّالة تونس[3]، ولجدهم "محمَّد بن عثمان" ثلاثة أبناء، وهم: "رشاش" و"علوان" و"بريش" ومنهم أخذت فروع القبيلة أسماءها "أولاد رشاش" و"العلاونة" و"البرارشة"، ويمتد نفوذ القبيلة على إقليم واسع بين خنشلة وتبسة ويصلون بانتجاعهم حتّى واحات سوف[4].

---

1- احميدة عميراوي، المرجع السّابق، ص 27.

2- جميلة معاشي، **الأسر المحلية**...، المرجع السّابق، ص-ص 31-36.

3- احميدة عميراوي، المرجع السّابق، ص 28.

4- كوثر العايب، المرجع السّابق، ص 21.

**د- قبيلة طرود:**

من القبائل العربية، يقول عنهم "ابن خلدون": «وطرود بطن من فهم بن قيس، إلاّ أنّهم كلهم مندرجون في هلال وفي الأثبج خصوصاً»[1]، أما "العوامر" فذكر بأنّهم من طرود بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[2]، وحول استقرارهم بمنطقة سوف يقول العدواني بأنّها كانت سنة 1397م/800هـ، وقد قَدِمَت من باجة بأرض إفريقية (تونس) حين طلب منهم أميرها الابتعاد عن بلاده، بعد أنْ اشتكى أهل إفريقية من فساد طرود وبغيهم، فخرج أهل طرود من باجة باحثين عن أرض تصلح لرعي إبلهم وأغنامهم، إلى أنْ وصلوا نفطة، واستولوا على قصور عدوان، إلاّ أنّ شيخهم طرد (طرود) توفي بالنّازية (قرب تبسة) بعد أن استقرت بها القبيلة حوالي عشرين (20) سنة، لكنه أوصاهم بالاستقرار بأرض سوف وأضاف بأنّها هي داركم، وإذا صحّ تاريخ انتقالهم فإنّه كان على عهد السّلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز (1393-1434م)[3].

وعن قوّة طرود وشدّة بأسهم قال صاحب كتاب الصّروف: «وكانت لهم سطوة عظيمة وصيت عال وقوة فخيمة»[4]، هذه القوّة سوف تُمكنها من لعب دور أساسي في صراع المراديين مع الشّابية خلال القرن السّابع عشر (17) ميلادي، حيث سعى كل طرف إلى كسب طرود إلى صفه من أجل حسم الصّراع لصالحه.

وقد لعبت القبائل في الجزائر، كما في سائر بلاد المغرب، أدواراً هامة غيرت مجرى الأحداث بالمنطقة، وفي هذا قال المؤرخ "عبد الوهاب بن منصور": «كنت أجدها [القبائل] وراء قيام الدول وسقوطها، ونشوب الحرب وخمودها، وثبوت السلطة وتزعزعها، ... ...، وازدهار الاقتصاد وتدهور الصنائع، واستتباب الأمن وشمول الخوف، وتدخل الأجانب

---

1- عبد الرّحمان بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون المسمّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)**، ج 06، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، (مر): سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ/2000م، د.ط، ص 23.

2- إبراهيم محمّد السّاسي العوامر، المرجع السّابق، ص 331.

3- حول تفاصيل انتقال قبيلة طرود من افريقية إلى أرض سوف، **يُنظر**: العدواني، المصدر السّابق، ص-ص 94-110.

4- إبراهيم محمّد السّاسي العوامر، المرجع السّابق، ص 193.

واحتلال الأرض»[1]، فماذا عن قبائل بايلك الشّرق الجزائري ودورها في الأحداث السّياسيّة في إيّالة تونس وبايلك قسنطينة؟

**ثانياً–موقف قبائل الشّرق الجزائري من صراع دايات تونس مع الشّابية 1592–1616م:**

كانت الحنانشة من أهم القبائل التي اعتمدت عليها الشّابية في حروبها ضدّ الحفصيين ثمّ العثمانيين، إلاّ أنّهم انفضوا من حولها بعد مأساة سقوطها سنة 1557م وانضموا إلى العثمانيين، لأنّ هذه القبائل كانت في العادة ظهيرة لمن يدفع أكثر، وسحقوا جيش عبد الصّمد الشّابي في موقعة رهيبة قبل سنة 1592م[2]، وقد أورد "فيرو" بأنّ الحنانشة انقلبت على عبد الصّمد بسبب قسوته وبسبب الدّور الثّانوي لها في سيرورة الأحداث بمنطقة نفوذها، وأضاف بأنّ أتراك تونس اشتركت مع الحنانشة في هذه الموقعة[3]، وردّ عبد الصّمد سنة 1592م، فانتقم منهم وبدد شملهم وسلب منهم مغانمهم، وإثر ذلك هاجمته فرقة عثمانية خرجت من مدينة قسنطينة مدعمة من بدو الذواودة، ودخل الطّرفان في معركة ضارية فَقَدَ فيها عبد الصّمد عدداً كبيراً من جنوده، واضطر على إثرها اللّجوء إلى جبل ششار، ثمّ فرّ بعدها إلى الجريد بعد أنْ فارقته أغلبية أنصاره، وتهيأت طرود ودريد لمفارقته والثّورة عليه[4].

وكان عبد الصّمد الشّابي بين 1592 و1616م قد اتخذ من "قلعة أرقو"[5] مستقراً له، ومنها يشن غاراته على أعدائه، وقد كان للشّيخ عبد الصّمد خمسمائة عبد يحرسونه في قلعته فضلاً عن العدد الكبير من الأعراب المقيمين حول هذه القلعة على مسافة عشرة (10) كلم، مثل دريد والنّمامشة والهمامة والحراكته، وتتركز مهمتهم في حراسة القلعة من الاعتداءات الخارجية. إلاّ أنّ الأعراب (القبائل التّونسية والجزائرية) كانت كسيوف الرّمال

---

1– عبد الوهاب بن منصور، **قبائل المغرب**، ج 01، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ/1968م، د.ط، ص "ز".

2– علي الشابي، **تاريخ الشابية** ...، المرجع السّابق، ص 244.

3– Charles Féraud, Op.Cit, p 146. وقد أشار المؤلّف في موقع آخر بأنّ قائد الحنانشة، والملقب بـ"بوزغودة"، تربطه علاقة قوية جداً بباي تونس، **يُنظر**: Ibid, p 147.

4– علي الشابي، "**العلاقات**...، المرجع السّابق، ص–ص 71–72.

5– أورد علي الشابي نقلاً عن "بينيون (Jean Pignon)" بأنّ قلعة أرقو المقصودة هنا ليست قلعة سنان وإنما هي قلعة بجبل أرقو بولاية خنشلة حالياً والتي ارتبط بها تاريخ الشّابية العسكري، وليس للشّابية أيّة صلة بأرقو قلعة سنان التي ذكرناها سابقاً وكانت أحد أسباب حرب الحدود بين الإيالتين سنة 1628م، **يُنظر**: على الشابي، **تاريخ الشابية**...، المرجع السّابق، ص 373.

حين تهب عليها الرّياح العاتية، ما تلبث أن تنتقل على وقعها من مكان إلى آخر، وكان هذا شأن هذه القبائل حين تهب عليها رياح الطّمع تنتقل إلى نصرة من يلوح لها بالعطاء وتفارق من قلت موارده، ولا نتفاجأ حين نجد أن قبيلة دريد أو الحنانشة أو طرود تبدأ الحرب مع أحد أطراف النّزاع، ثمّ ما تلبث أنْ تفارقه وتنضم إلى عدوه، ويبدو أنّ هذا سبب مهاجمة الشّيخ عبد الصّمد لقبيلة دريد سنة 1604م عندما فارقته[1]، وكنا قد أشرنا قبل هذا إلى أنّ هذه القبيلة أحد أهمّ الأطراف الموالية له والتي يعتمد عليها الشّيخ حتّى في حراسة قلعته.

أمّا الحنانشة فقد عادت لصف الشّيخ عبد الصّمد[2]، ولم نعرف الطريقة التي استطاع بها الشّيخ إعادة القبيلة إلى طاعته، لكن ما يهمنا هنا أنها شاركت مع بني عبد المؤمن، وقرفة، وبني صالح، وبني عرعار، وبني غواصي، وأهل مجور، وبني سليمان، والسعايدية بألف وخمسمائة (1.500) فارس هجم بها عبد الصّمد على قوافل مراد باي التي التقى بها في السّلوقية، واستولى منها على ستمائة (600) ناقة وفيها بعض الإبل التي أخذها منه مراد باي قبل ذلك، وعاد إلى مقرّه بواد الرمل قُرب قسنطينة، وكانت هذه العملية رداً على اعتداء قام به مراد على قافلة لعبد الصّمد أدركها جنود الباي بعبيدة، واستولوا على أربعمائة (400) بعير[3].

وبما أنّ نفوذ الشّابية الرّوحي ضمّ عدداً كبيراً من الأقوام (القبائل)، حسب تعبير "مونشيكور"، وغطى المنطقة الواقعة بين طرابلس الغرب إلى نواحي قسنطينة، ومع ذلك فقد نوّه بأنّها دولة عرقية أكثر منها ترابيّة، في إشارة إلى أنّ نفوذ الطّريقة كان يشمل القبائل دون أنْ يكون لها أي سيطرة على الأرض؛ خاصة بعد انهزامها في 27 ديسمبر سنة 1557م بالقيروان أمام درغوث باشا، رغم محاولة العودة بين 1558 و1560م بقفصة وتوزر بقيادة محمّد بن أبي الطّيب ثم خليفته[4] "محمّد الزّفزاف"[5]، ويأخذنا الحديث عن القبائل المساندة

---

1- علي الشابي، "**العلاقات**...، المرجع السّابق، ص-ص 72-73.

2- أشار "فيرو" إلى أنّ كل من الحنانشة والنمامشة والحراكته وسكان جبال الأواس تحالفوا مع الشيخ عبد الصّمد الشّابي، **يُنظر**: Charles Féraud, Op.Cit, p 143.

3- العدواني، المصدر السّابق، ص-ص 174-175؛ علي الشابي، "**تاريخ الشابية**...، المرجع السّابق، ص 369.

4- شارل مونشيكور، المرجع السّابق، ص ص 98، 168-179.

5- يشير فرمان سلطاني مُرسل إلى حيدر باشا حاكم تونس بخصوص شخص سماه الفرمان الشّيخ زفزف ومن الممكن أنْ يكون هو نفس المشار إليه في المتن، وهو قاطن بقفصة وقد وصف هذا الفرمان الشيخ المذكور بأنّه ابتدع مذهب جديد=

للشّابية إلى قبيلة طرود التي تستوطن أرض سوف بجنوب مقاطعة قسنطينة، وتعتبر من أقوى قبائل المنطقة، وقد اعتمد عليها عبد الصّمد في حروبه مع دايات تونس.

فعندما تولى مراد الأوّل منصب الباي بأمر من يوسف داي، بدأ عهده بمحاربة القبائل الثائرة، وفي مقدمتها قبيلة طرود، ورغم كُره الشّيخ عبد الصّمد للعثمانيين إلاّ أنّ مراد باي استعان به في هذه القضية لمعرفته السّابقة بما للشّيخ عبد الصّمد من نفوذ على طرود، وفي مقابل ذلك يُمَكِّنُه من نصف المملكة، وكانت علاقة طرود بالشّابية قد ساءت خلال هذه الفترة [1]، ومع ذلك فقد رفض عبد الصّمد طلب الباي وردّ عليه قائلاً: «والله لو وجدت الرّوم تقاتلك لأعنتهم عليك»، وكانت طرود حسب "العدواني" قد أغارت على قفصة لذلك أراد صاحب تونس قطع يدها عن أهالي مملكته[2]، وعندما احتد الصّراع أكثر بين مراد باي والشّيخ عبد الصّمد تأكدّ الطّرفان أنّ من تكون طرود في صفه يكون النّصر حليفه، لذلك استطاع الشابية كسب تأييدهم من جديد، ودعمته بخمسمائة (500) فارس، لذلك خاطبهم الشيخ عبد الصّمد قائلاً: «أنتم مني وأنا منكم، دم ولحم وعظم، إلى أن تقوم السّاعة»[3].

وبعد سنوات من الحروب يئس مراد باي من الانتصار على عبد الصّمد، بسبب قوّة حلفائه؛ ومنهم طرود، وأُرغمت الحكومة التونسية على تقسيم البلاد مع عبد الصّمد كما أشرنا إلى ذلك من قبل، لكن السّلطة التّونسية ما لبثت أنْ تراجعت عن مشروع التّقسيم بسبب مفارقة طرود للشّابي لأنّ هذه القبيلة القوية تأكّدت من أنّ هذا المشروع سوف يعود بالرّبح على الشّابية بينما سينعم صاحب تونس بالأمن، في حين أنّها لم تحصل هي على شيء، لذلك طالبت عبد الصّمد بالثّمن، وعندما امتنع توجهت إلى مراد باي وعرضت الانضمام إليه بشروط عجز عن تحقيقها، ففارقتهما وقصدت موطنها ببلاد سوف، وفي طريقهم أغاروا على

=خارج عن المذاهب الأربعة، ويمارس كل أنواع الفتن والضلال ويعمل على اضلال أعراب تونس من أجل خلق القلاقل في الولاية، والفرمان عبارة عن ردّ علي طلب حيدر باشا ألفي جندي من الباب العالي من أجل القضاء على الشيخ المذكور، **يُنظر**: أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 30، حكم رقم 431، بتاريخ: الخامس (05) ربيع الأوّل 985هـ.

1- علي الشابي، "**تاريخ الشابية**..، المرجع السّابق، ص-ص 367-368.

2- العدواني، المصدر السّابق، ص-ص 170-173.

3- علي الشابي، "**تاريخ الشابية**..، المرجع السّابق، ص 370.

مدن إفريقية، انتقاماً من الطّرفين وتحقيقاً للمكاسب التي لم يحصلوا عليها من مشاركتهم في هذا الصّراع[1].

وقد أورد العدواني الحوار الذي دار بين الشابي وطرود، مع أنّه لم يتعرض في هذا الحوار للسبب الحقيقي لمفارقة طرود للشابي، واكتفى برفض الشّابي إعطائهم ثمن مشاركتهم في الحرب، وكان ردّ طرود على الشّابي: «نحن لا منك ولا منه [صاحب تونس] وإنما نحن أصحاب دراهم ودنانير، إما تعطينا وإلا نرجعوا عليك إلى صاحب إفريقية، نحن الذي قهرناه عليك»[2]، وقد يكون سبب رفض الشّابي لمطالب طرود لعدم امتلاكه المال وقتها، أو أنّه أنهكته كثرة حروبه ضدّ دايات تونس بسبب كبر سنه، لذلك قبل تقاسم النّفوذ على البلاد مع حكومتها، أو ظنّ أنّه بسبب هذا التّقسيم لم يعد في حاجة إلى خدمات طرود، رغم أنّه أشار للمفاوضين بعدم ثقته في مراد باي الذي وصفه بالغادر.

**ثالثاً- موقف قبائل بايلك الشّرق الجزائري من أزمات تونس السّياسية خلال القرن 17م:**

**أ-موقفها من أزمتي الحدود بين الإيالتين 1614م و1628م:**

كانت قبيلة الحنانشة التي تسيطر على رقعة جغرافية واسعة، بين المنطقة الواقعة غرب إيّالة تونس وشرق إيّالة الجزائر، وبسبب موقعها الطّرفي من السّلطة في كلا الإيّالتين، فقد عملت على التّهرب من دفع الضّرائب، إضافة إلى المراوغة بولائها حسب ما تحصل عليه من منافع من سلطة الإيّالتين[3]، وقد أدت هذه التّصرفات إلى توتر العلاقات بين البلدين، لأنّ كل طرف كان يحاول السّيطرة على هذه القبيلة واستغلالها جبائياً من أجل الحصول على أكثر موارد يملأ بها خزائنه، وكبح جماحها خاصة وأنّها كانت تسيطر على العديد من القبائل الأخرى في الإيالتين، بحكم قرابة الدّم مثل عروش ونيفة وورغة أو عن طريق علاقات تاريخية مع مجموعات أخرى[4].

وقد حمّل إلياط، الذي عايش هذه الأحداث بنفسه، مسؤولية النّزاع الأوّل على الحدود بين إيالتي تونس والجزائر، سنة 1614م، إلى عرشي أولاد مسعود وأولاد قانة التّابعين

---

1- يوسف بن حيدة، "**عبد الصمد الشابي ...**"، المرجع السّابق، ص 201.

2- العدواني، المصدر السّابق، ص 185.

3- عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، 124.

4- فاطمة بن سليمان، المرجع السّابق، ص 98.

للحنانشة، حيث استنجد العرشان بعسكر الجزائر عندما أحرقت محلة تونس مزروعاتهم وانتزعت منهم دوابهم خلال صيف 1612م، وهدد صاحب الجزائر باجتياح عسكري لمدينة تونس في حالة عدم تعويض سلطات تونس القبائل المتضررة وتسليم رمضان باي قائد المحلة التّونسية، وانتهت الأزمة في الأخير بعقد صلح وابرام أوّل معاهدة للحدود بين العمالتين، بعد تدّخل العلماء[1]، وإذا ما حاولنا الرّجوع إلى الصّراع القائم في المنطقة الغربية من إيّالة تونس بين عبد الصّمد الشّابي وعثمان داي نفهم بأنّ تصّرف رمضان باي كان محاولة من السّلطات التّونسية تحييد الحنانشة عن هذا الصّراع.

بينما انتهجت السّلطة التّونسية سياسة مخالفة تماماً مع جموع الحنانشة القاطنة بقلعة أرقو التي شن عليها مراد كورسو حملة عسكرية وأراد احتلالها سنة 1625م، كما ذكرنا سابقاً، وتجدد على إثرها النّزاع الحدودي بين الإيالتين، حيث حاول مراد كورسو إضفاء الشّرعية على تدخله فحصل من أعيان أهل أرقو، على شهادة أكدّوا فيها ولاءهم وتبعيتهم للسّلطة التّونسية وأنّ بايات المحلة التّونسية مثل رمضان باي وخليفته مراد باي ما يزالون يقبضون ما يترتب على أهلها من الواجبات الشّرعية والمطالب المخزنية، وأن صاحب الجزائر ليس له عليهم ولاية[2]، ورغم محاولة التّونسيين إضفاء الشّرعية على تدخلهم في أرقو، إلاّ أنّ موقع هذه القلعة حسم الأمر، فوقوعها غرب واد سراط يؤكّد تبعيتها للجزائر حسب معاهدة الحدود التي وافق عليها الطّرفان سنة 1614م، وبالتّالي فالتّدخل العسكري لمراد كورسو ضدّ أرقو يعتبر خرقاً للمعاهدة المذكورة، ومحاولة تونسية لمد نفوذهم على مناطق جزائرية، كما لم يتسن لنا معرفة الطّريقة التي حصلت بها السّلطة التّونسية على هذه الوثيقة.

وهنا يظهر لنا تعدد أوجه الخدمات التي تقدّمها القبائل لهذه السّلطة أو تلك، لأنّ خدمات القبائل عند هذه المرحلة لم تعد تقتصر على الجانب العسكري من خلال إعانة السّلطة في تونس أو الجزائر بالفرسان والمحاربين أو تقديم المطالب المخزنية وإنّما تعدته إلى خدمات جديدة وغير معهودة تمثلت في هذه الشّهادة التي حاولت السّلطة في تونس أنْ

1- فاطمة بن سليمان، المرجع السّابق، ص 100.

2- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 212، ملف رقم 229، وث 17، **يُنظر**: محتوى هذه الوثيقة في الملحق رقم 09، ص 331.

تثبت من خلالها أحقيتها التّاريخية في منطقة أرقو، وتستغلها إنْ لزم الأمر أثناء المفاوضات الديبلوماسية بينها وبين السّلطة الجزائرية، وهذا ما يؤكّد لنا على الدّوام إشكالية تغيير الولاء بالنسبة لهذه القبائل وأنّها دائماً ما تكون في صف من يدفع أكثر.

**ب- علاقتها بحروب حمودة باشا المرادي وابنه مراد الثّاني مع الشّابية 1631-1675م:**

عندما توفي عبد الصّمد خلفه ابنه علي سنة 1616م، وكان الأخير قد قاد جيش الشّابية أثناء حروب والده مع مراد باي، وقضى حوالي ستة عشر سنة في إعادة كسب ولاء القبائل متنقلاً بين إفريقية وقسنطينة والزيبان وسوف، من أجل مواصلة الثّورة ضدّ العثمانيين، وبسبب ذلك كان السّلم المظهر الذي طبع الفترة الأخيرة لحكم مراد باي، لكن الوضع تغير مع وصول حمودة باشا لحكم تونس سنة 1631م، حيث أصبح علي الشّابي على استعداد للحرب مع المراديين منذ ذلك التّاريخ، أمّا حمودة باشا فواصل المساعي الديبلوماسية التي بدأها والده مع طرود سنة 1628م[1] وتوفي مراد باي قبل أنْ يتمها، بينما نجح الابن في استمالة طرود وإفساد ما كان بينها وبين الشّابية عندما أجزل لها العطايا، ووعدته بنصرته ضدّ الشّابية، إذا ما وقعت الحرب، كما نجح كذلك في استمالة دريد أخوال الشّابي[2].

أما علي الشّابي فكان سنة 1631م، قد خاض حرباً مع قبيلة الحنانشة، حيث أوقع بها بعين حجر قرب تمغزة[3]، ويبدو أنّ الحنانشة قد فارقت الشّابية وانقلبت عليها مثل طرود ودريد وغيرها، إما بسبب عدم وفاء الشّابية بعهودها كما فعلت مع طرود أو بسبب تحييدها من طرف بايات تونس، أو بسبب عنف الشّيخ عبد الصّمد ومعاملته القاسية حتّى للقبائل الحليفة، وقد يكون السبب راجع إلى إحساسها بضعف الشّابية بعد وفاة الأخير، ولم تأكّد لنا المصادر التي اطلعنا عليها صحة أيّ من الأسباب التي أشرنا إليها.

---

1- ذكر صاحب الصّروف بأنّ هذه الواقعة كانت سنة 1629م، وأنّ مراد باي بعث إلى زعماء طرود رسولاً بالهدايا، وكان الباي يعلم بفساد أمر طرود مع الشّابية حينئذ، حيث دعاهم المبعوث إلى الاستجابة لطلب الباي بالقدوم إلى تونس كي= =يُمكنوا الرّوابط بينهم وبين حاكم تونس، ويصيروا أهل حظوة عنده، ولما قدموا عليه أكرم مراد باي وفادتهم وأعطى لرؤسائهم عطايا عظيمة، وطلب منهم أن يُبقوا على هذه المودة بينه وبينهم، فأقسموا له على ألا يردوا أمراً طلبه ولو قتل أبناءهم، **يُنظر**: إبراهيم محمّد السّاسي العوامر، المرجع السّابق، ص-ص 224-225.

2- علي الشابي، **العلاقات**...، المرجع السّابق، ص 82.

3- المرجع نفسه والصّفحة.

ولم يطل الأمر حتّى اندلعت الحرب بين الطّرفين، ووصل خبر الحرب إلى طرود فخرج منها ألف (1.000) رجل، من أكثر رجالها قوّة وشجاعة، لنصرة حمودة باشا، ولما وصلوا فرحت بقدومهم أهل إفريقية وقدموا لهم الأسلحة وأجريت لهم نفقات يومية، وعندما اندلعت نار الحرب بين الفريقين، وتواصلت المعارك مدّة من الزّمن كان النّصر في آخرها حليف حمودة باشا، ونتج عن هذه الحرب موت أعداد كبيرة من الطّرفين، وبعد طرود خرجت عن طاعة الشّابي دريد وورغمة وغيرهم[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحنانشة خاضت حروباً مع حمودة باشا كذلك، حيث استطاع هذا الباي هزيمة خالد بن نصر الحناشي سنة 1641م قرب وادي سراط، وكان خالد قبل ذلك من أشهر شيوخ القبائل، بسبب قوته، التي دفعته إلى التّشامخ على العمالة التّونسية والامتداد في أوطانها، لكن بسبب هذه الهزيمة لم تقم له قائمة بعد ذلك مدة حياته، وقد أدت هزيمة الحناشي إلى دخول شيوخ بعض القبائل الأخرى تحت طاعة حمودة باشا، ومنهم شيخ العرب بن علي بنواحي الزيبان، وكان الأخير من المتمردين على السّلطة الجزائرية[2].

وبعد وفاة علي الشّابي سنة 1637م تولى الأمر ابنه بوزيان، وسار على نهج أبيه في محاربة القبائل المتمردة وإعادتها إلى صف الشّابية واستنفارها ضدّ حمودة باشا، ففي سنة 1646م استطاع الانتصار على قبيلة دريد التي كانت في صف حمودة باشا، بعد حروب عظيمة، أمّا طرود فكان نصيبها بعدما واصلت دعمها لباي تونس بأنْ هاجمها في عقر دارها بوادي سوف وعاقبهم، حيث فرض عليهم ضريبة تؤديها القبيلة إلى الشّابية، وفي سنة 1664م جند منهم بوزيان جيشاً معتبراً لمحاربة الباي[3].

ورغم كل هذه الاستعدادات إلاّ أنّ بوزيان لمْ يتمكن من محاربة خصمه، فقد وافته المنية في الطّريق، وقام أبناؤه بالأمر من بعده، وأيدتهم دريد وطرود والحنانشة والهمامة[4]، إلاّ أنّ نفس المؤلّف أشار في مرجع آخر بأنّ طرود تمرّدت سنة 1665م عن الشّابية وامتنعت عن أداء العادة لبيت الشّريعة، وهذا بعد وفاة القائد بوزيان، سنة 1664م، لكن

---

1- إبراهيم محمّد السّاسي العوامر، المرجع السّابق، ص-ص 227-228.

2- ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص-ص 260-261.

3- علي الشابي، "**تاريخ الشابية**...، المرجع السّابق، ص-ص 375-376.

4- علي الشابي، **العلاقات**...، المرجع السّابق، ص 84.

عندما نزلت بسوف الجوائح في نفس الفترة اعتقد أهلها أنّ ذلك بسبب امتناعهم عن تقديم العادة، فعدلوا عن قرارهم وقدموها من جديد، وقد أنشدت احدى السّوفيات حول ذلك ما يلي[1]:

| | |
|---|---|
| وليدات الشّـابيّــــه | ثْميـراتْ في وسط المــزاود |
| واللّيى خْطو الشّابيّــه | صـــابْهم الجوع وعـــــاود |
| تصبح بلادهم خْليّـــه | نْخيــــلاتْ كـيف المـراودْ |

ثمّ توفي حمودة باشا سنة 1666م، وتولى من بعده ابنه مراد الثّاني، وتواصلت الحروب بين الطّرفين من جديد.

**ج- موقفها من حروب محمّد باي وعلي باي على السّلطة 1675-1686م:**

خفّت حدّة الصّراع بين المراديين والشّابية، وبعد أنْ تولى محمّد باي سنة 1675م، إثر وفاة والده، واستنجد الباي الجديد بالشّابية فانضموا إليه وجندوا له القبائل الموالية لهم في حربه ضدّ أخيه، خاصة الحنانشة فرع منصر، بينما ساند فرع نصر علي باي[2]، حيث ذهب الأخير إلى قسنطينة واستجار بشيخ قبيلة الحنانشة سلطان بن نصر، وعاد في السّنة الموالية بقوة معتبرة من الحنانشة وأتباعهم وتمكّن من الانتصار على أخيه قُرب جبل وسلات؛ في فيفري من سنة 1677م، وهُزم محمّد باي شرّ هزيمة أمام قوات علي باي، وأُجبر على الفرار نحو الكاف، وتسمى هذه المعركة بموقعة واد تاسة، وقد قُتل فيها سلطان الحناشي حليف الباي محمّد[3]، وأصبحت منذ هذا التّاريخ الصّراعات بين أجنحة السّلطة في البلاط المرادي صراعات بين فرعي قبيلة الحنانشة.

**د- مشاركتها في نصرة محمّد باي ضدّ خصمه بن شكر 1695م:**

بعد هزيمة محمّد باي أمام بن شكر وعسكر الجزائر سنة 1694م، فرّ الباي نحو القيروان، ولما رفض أهلها استقباله، غير وجهته نحو منطقة الزّاب، بمساعدة شيخ الشّابية

---

1- علي الشابي، "**تاريخ الشابية**..."، المرجع السّابق، ص 404.

2- أشار الأستاذ "بن زردة" إلى أنّ الكتابات التّاريخية لم تحدّد بالضبط تاريخ انقسام مشيخة الحنانشة، ولكنه أردف أنّ ذات المصادر تحدثت عنه بشكل واضح بعد وفاة مراد باي الثّاني سنة 1675م، عندما لجأ كل واحد من ابني الباي أثناء صراعهم على السّلطة إلى أحد فروع الحنانشة، وبالتالي فتاريخه يكون بين وفاة خالد بن نصر سنة 1644م ووفاة مراد باي الثّاني 1675م، واعتبر التّاريخ الأوّل كمؤشر لهذا الانقسام، **يُنظر**: توفيق بن زردة، المرجع السّابق، ص 91.

3- علي الشابي، **العلاقات**...، المرجع السّابق، ص 84؛ محمّد صالح بن مصطفى، المرجع السّابق، ص 30.

"محمّد بنجدو"[1]، وبقي هناك إلى أنْ استطاع الشّيخ تجنيد القبائل الجزائرية الحليفة ودفعها لنصرة محمّد باي، وزحف الأخير على القيروان وهزم خصمه بمرق الليل كما أشرنا قبل ذلك في تفاصيل الأزمة بين الطّرفين، ودخل الباي القيروان ثم العاصمة تونس ظافراً[2]، ومع أنّ المصدر لم يفصِّل في أمر القبائل ولا في أعداد الفرسان التي أمدت بها محمّد باي واقتصر على أنّ الشّيخ جنّد القبائل للقتال مع الباي، إلاّ أنّه ليس من الصعوبة معرفة هذه القبائل، فحلفاء الشّابية في بايلك قسنطينة هم الحنانشة والنّمامشة وطرود والذواودة والحراكته، فحتّى وإنْ لم تشارك كلها في هذه الواقعة فالأحداث دلّت على أنّ بعضها على الأقل شارك في مساعدة محمّد باي في استعادة عرشه.

وجاء في كتاب تاريخ الشّابية أنّه بعد واقعة 1694م[3]، التي انهزم فيها محمّد باي بالغت الشاّبية في إكرامه، وجنّدت القبائل الموالية لها، وبخاصة قبيلة طرود، من أجل معاضدة محمّد باي[4]، وهنا خص المؤلِّف بالذكر قبيلة طرود دون باقي القبائل، وقد يرجع ذلك إلى مشاركتها الفعّالة في الحرب مع محمّد باي، واكتفى بن أبي الضّياف كذلك بإشارة مقتضبة، حيث أورد أنّ محمّد باي نهض من الصّحراء، وقد التفت عليه جنود كثيرة[5].

ونستنتج من ذلك مدى تأثير الشّابية في القبائل الجزائرية خاصة قبائل بايلك الشّرق الجزائري، وفي مسار الأحداث في كل من تونس والجزائر، حتّى بعد اختفائها من مسرح الأحداث بعد وقعة واد تاسة سنة 1677م، وفي ذلك أورد الأستاذ علي الشابي: «وبالرغم من أن الشابية اختفوا عمليا منذ هذه الوقعة من المسرح الحربي فإنهم ظلوا يؤثرون في أحداث

1- في عهد هذا الشّيخ ازدهرت منشأة بيت الشّريعة وتكاثرت مواردها المالية، حيث كانت تصل لها الهدايا والهبات من القبائل، إضافة إلى العادة التي تتلقاها في كل موسم، وفي ذلك دلالة على ما يتمتع به شيخ الطّريقة من نفوذ كبير بين القبائل في كل من تونس الجزائر، **يُنظر:** علي الشابي، **تاريخ الشابية...**، المرجع السّابق، ص 404.

2- علي الشابي، **العلاقات...**، المرجع السّابق، ص 85.

3- أشار علي الشابي أنّ هذه الحرب بين محمّد باي وعلي باي ابنا مراد الثّاني، وقد أخطأ المؤلِّف هنا لأنّ علي باي توفي سنة 1686م، وأنّ حرب 1694م كانت بين محمّد باي وصهره بن شكر الذي ثار ضدّه واستنجد بحكام الجزائر.

4- علي الشابي، **تاريخ الشابية...**، المرجع السّابق، ص 363.

5- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 66.

تونس والجزائر بما لطريقتهم الصوفية التي انبثقت عنها بيت الشّريعة في القرن الحادي عشر الهجري من نفوذ بين القبائل واشعاع روحي وعلمي»[1].

**رابعاً- موقف قبائل بايلك الشّرق الجزائري من أزمات تونس السّياسية خلال القرن 18م:**

**أ-موقفها من الأزمة الباشية الحسينية 1728-1740م:**

ذكرنا من قبل أنّ الأزمة الباشية الحسينية التي عصفت بالبلاد التّونسية قد ساهمت في تقسيم البلاد وقبائلها إلى شق باشي وآخر حسيني، ورغم أنّ الطّريقة الشّابية قد اتخذت موقف الحياد من هذه الأزمة إلاّ أنّها تركت القبائل الحليفة وشأنها في هذا الصدد، سواء في تونس أو الجزائر[2].

وأشرنا في المبحث الأوّل من هذا الفصل إلى أنّ موقف السّلطة العثمانية في الجزائر من الطّور الأوّل لهذه الأزمة كان الحياد، إلاّ أنّ موقف القبائل في بايلك الشّرق الجزائري كان مختلفاً، حيث شاركت هذه القبائل في الحرب بين حسين بن علي وابن أخيه علي باشا مشاركة قوية، وأكّد "بن يوسف" مشاركة الحنانشة في هذه الأزمة، بقوله: «ومن جملة من دخل في هذه المناوشة، فرقة الحنانشة، ورأسهم بو عزيز الغدّار، وسلطان كبير أولاد عمار»[3]، فقبيلة الحنانشة بفرعيها: فرع نصر بقيادة الشّيخ بوعزيز بن نصر، وفرع منصر بزعامة الشّيخين: أحمد الصّغير وأخيه سلطان، وقبيلة ابن علي من عرب الزّاب، والزّواوة وغيرهم شاركوا في هذه الأزمة[4].

والحنانشة باعتبارها كنفدرالية تضم تحت لوائها العديد من القبائل الحليفة، حيث أكسبها ذلك قوّة ومنعة، وجعلها تحظى بمكانة مميزة في بايلك قسنطينة وجعل أطراف الصّراع في المنطقة، مثل بايات قسنطينة وبايات تونس وخصومهم، يسارعون لكسب ولائها.

---

1- علي الشابي، **العلاقات**...، المرجع السّابق، ص 84.

2- علي الشابي، **تاريخ الشابية**...، المرجع السّابق، ص 408.

3- الصّغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 01، ص 148.

4- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام**...، المرجع السّابق، ص 82.

ومن أجل الاستفادة من قوات هذه القبائل والأعداد الهامة من الفرسان التي توفرها لحلفائها أوقات الأزمات، لجأ كل طرف في هذه الأزمة إلى أحد فرعي قبيلة الحنانشة، حيث سارع حسين بن علي باي إلى خطب ود فرع نصر، في حين تقرّب خصمه من فرع منصر[1]، ونفس المصير عرفته قبيلة النّمامشة التي تنقسم إلى فخذين؛ أولاد خيار الذين انضموا إلى علي باشا، والأعشاش الذين ناصروا حسين بن علي باي وأولاده[2]، وقد أشار الأستاذ "علي الشابي" إلى نفس الأمر بالنسبة لقبيلة الأعشاش التابعة للنّمامشة والتي ناصرت الباي حسين بن علي، ولم تتضح لنا طبيعة تحالفها وانضمامها إلى معسكر الباي، وهل شاركت بفرسانها في حرب الباي مع علي باشا؟ وقد نسب المؤلّف هذه القبيلة عن طريق الخطأ إلى سوف، لأنّه من المعروف أنّ النّمامشة استوطنوا منذ أمد بعيد جهات تبسة وخنشلة والمناطق القريبة منها، ويبدو أنّ خطأه هذا جاء من وجود عرش الأعشاش (من عروش قبيلة طرود) بهذه المنطقة[3].

وقد استعملت أطراف النّزاع كل وسائل الإغراء من أجل كسب الحلفاء وضمان ولائهم، ومن هذه الوسائل المصاهرة، حيث قام علي باشا بمصاهرة شيخ فرع منصر؛ سلطان بن منصر، في حين أغرى حسين بن علي باي بوعزيز شيخ فرع نصر من أجل مصاهرته، لكن تمّ رفض طلبه، ومن أجل ذلك حرّض باي قسنطينة وجعله يوافق على انتزاع مشيخية الحنانشة من الشّيخ بوعزيز[4]، وبعد هذه الحادثة مال فرعا الحنانشة إلى صف علي باشا، واندلعت الحروب والمعارك بين الطّرفين وتواصلت مدّة ثمانية عشر(18) شهراً، وانتهت بانهزام علي باشا أمام قوات عمّه، رغم مؤازرة قبيلتي الحنانشة والنّمامشة له، وفرّ إلى الجزائر عبر الصّحراء بمساعدة شيخ العرب فرحات بن رجراجة، ومكث بها ينتظر الدّعم من سلطاتها لأجل العودة إلى تونس، وقد تمّ له ذلك عام 1735م[5].

---

1- جميلة معاشي، "**أسرة أحرار...**"، المرجع السّابق، ص 158.

**2**- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 129.

3- يوجد حي بوسط مدينة الوادي بهذا الاسم إلى اليوم.

4- Charles Féraud, Op.Cit, pp 228-230.

5- جميلة معاشي، **الأسر المحلية...**، المرجع السّابق، ص-ص 227-228.

أما الشّيخ بوعزيز فقد تصالح مع شيخي فرع منصر من أجل محاربة باي قسنطينة، غير أنّ الأخير استطاع هزيمتهم، وفقد بوعزيز ابنه في هذه الحرب، وبينما عاد الشّيخان أحمد الصّغير وسلطان إلى التّصالح مع باي قسنطينة وباي تونس، لجأ بوعزيز إلى "بورنان المقراني شيخ مجانة"[1]، الذي زوّجه إحدى بناته، وتحالف مع بوعزيز ضدّ البايين؛ باي قسنطينة وباي تونس، وعندما توفي عبدي باشا وتولي إبراهيم باشا حكم الجزائر، كان بوعزيز يحاول الانتقام من باي تونس بمساعدة حليفه بورنان وراسلا من أجل ذلك الدّاي الجديد الذي وافقت طموحاته رغبة الشّيخ بوعزيز في الانتقام، لذلك أطلق الدّاي سراح علي باشا مستغلاً هذه الظّروف، وحصل الأخير على موافقة الدّاي للهجوم على تونس بحملة شاركت فيها قوات الحنانشة وحلفائهم أولاد مقران وشيخ الأوراس محمّد بن بوضياف وفرحات بن رجراجة، حيث أطاحت بحسين بن علي باي، ونصبت علي باشا على عرش تونس[2].

وبعد الهزيمة التي مُني بها الباي حسين بن علي، خاصة وأنّ فرعي الحنانشة بقيا على وفائهم لعلي باشا، اضطره الوضع الجديد إلى ارسال ابنه محمّد إلى حنانشة فرع نصر، يستميلهم لصفه من جديد، لكن الشيخ بوعزيز لم ينس صنيع حسين بن علي باي وبقي مصرّاً على موقف الرّفض[3]، ثمّ بعثه إلى النّمامشة لنصرته ضدّ ابن أخيه وحلفائه، وقد أورد "بن يوسف" تأكيد ذلك في مؤلَّفه، حيث كتب ما نصه: «ومكث الباي حسين هو وأولاده أياماً قليلة [بعد هزيمة 1735م]، بعث ولده محمد باي رحمه الله للنمامشة لزاوية الشريفة يستنصر بهم»[4]، لكن المؤلِّف لم يُوضِّح ردّ النّمامشة على طلب الباي حسين، لكن من الواضح أنّ حسين باي لم يحصل على الدّعم من جميع هذه القبائل، لأنّه بقي محاصراً في القيروان مدّة خمس (05) سنوات، إلى أنْ استطاع يونس بن علي باشا قتله سنة 1740م.

---

1- كانت عائلة المقرانيين منقسمة إلى شقين شأنها في ذلك شأن قبيلة الحنانشة، صف الشيخ بوزيد الذي يعترف بالأتراك، وصف الشيخ بورنان وهو صف في حالة تمرد ويتبعه بنو عباس وبنو صالح والزواوة وبنو ورتلان وقبائل أخرى، **يُنظر:** صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 162؛ Charles Féraud, Op.Cit, pp 342-343.

2- صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص-ص 158-159. وتجدر الإشارة إلى أنّ إبراهيم باشا كان له عدّة مآخذ على باي تونس، وقد ذكرناها عندما تعرضنا لحملة 1735م في المبحث الأوّل من هذا الفصل، ومن أجلها وافق على الحملة التي أطاحت بالباي حسين بن علي.

3- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، ج 02، ص 105.

4- المصدر نفسه، ص 102.

**ب- موقفها من ثورة يونس ضدّ والده علي باشا 1752م:**

لم تشر المصادر إلى مشاركة القبائل مثل الحنانشة والنمامشة وطرود وغيرهم في هذه الأزمة، ومن المستبعد مشاركتها خاصة وأنّ يونس كان شريكاً لوالده في قتل ثلاثة من شيوخ الحنانشة سنة 1739م، بعد أنْ قدموا له الدّعم أثناء حملة 1735م التي جردها داي الجزائر ضدّ حسين بن علي، كما قام علي باشا، سنة 1750م، بإغارة على النّمامشة وأرسل ابنه سليمان إلى قمار بواد سوف لمعاقبة أحد الموالين للباي حسين بن علي وأبنائه، وكانت مكانة يونس قد تراجعت نتيجة سعي أخيه محمّد في افساد ما كان بين يونس وعلي باشا بسبب غيرته، وبالتالي فالعلاقة بين علي باشا وهذه القبائل ليست على ما يرام أثناء ثورة يونس على والده، خاصة وأنّ عمر هذه الثّورة قصير مقارنة بغيرها من الثّورات، حيث لم تستمر سوى خمسين يوماً.

ويبدو أنّ العلاقات بين هذه القبائل وبين علي باشا بقيت متوترة إلى غاية سقوطه، لأنّها شاركت قبل ثورة يونس في الحملة الجزائرية سنة 1746م، وشاركت كذلك بعد هذه الثّورة، في حملة 1756م، والتي أعادت أبناء حسين بن علي باي إلى حكم تونس وأطاحت بعلي باشا، وهو ما سوف نناقشه في العنصر الموالي.

**ج- مشاركتها في حملة 1756م لإعادة أبناء حسين بن على إلى حكم تونس:**

جاء مشروع هذه الحملة بقرار من الدّاي علي بوصبع، الذي أوكل قيادتها لباي قسنطينة الجديد؛ حسن أزرق عينه، ومعه أبناء حسين بن علي، حيث خرج محمّد باي على رأس محلة مدعوماً بحلفائه الحنانشة والقبائل الموالية لها[1]، وتحركت محلة علي باي بن حسين، المدعومة من قبيلة دريد وغيرها من القبائل، نحو تونس[2]، وقد شاركت الحنانشة وحلفائها في هذه الحملة انتقاماً من عدوهم علي باشا سنة 1756م، وذلك بدافع الانتقام منه لقتله ثلاثة من شيوخ هذه القبيلة سنة 1739م، وكان لها دور كبير في الحملة التي أطاحت به، ونصرة لأبناء حسين بن علي المطالبين بحقهم في استعادة عرش أبيهم.

إلاّ أنّ المصادر لم تسعفنا بأعداد الفرسان والمشاة التي شاركت بها هذه القبائل في هذه الحملة، وقد ذكر "بن يوسف" أثناء وصفه للحملة الجزائرية بعد انتصارها في الكاف

1- Charles Féraud, Op.cit, p 346.

2- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص 166.

ومسيرها باتجاه تونس بأنّ فرسان الحنانشة ومشايخها كانوا ضمن هذه الحملة، حيث أورد ما نصّه: «ومشايخ الحنانشة وأجوادهم وخدامهم ومرازقيتهم للعساكر أمامهم وخلفهم ويمينهم وشمالهم»[1]، وذِكْرُهُ لمشايخ الحنانشة في هذه العبارة يدّل على أنّ الحنانشة اشتركت بفرعيها في هذه الحملة، لكن مع الأسف لم يتعرّض المؤلّف لأعداد فرسان الحنانشة التي شاركت في هذه الحملة.

**د- موقفها من ثورة اسماعيل بن يونس على علي باي 1759-1762م:**

بقيت الحنانشة في وفاق مع علي باي بن حسين، بسبب مساعدتهم له ولأخيه محمّد باي على استعادة عرش أبيهم من علي باشا، فقد شاركت الحنانشة مع قوات علي باي عندما ثار ضدّه إسماعيل بن يونس سنة 1759م، ورغم العدد الكبير من الصّفحات التي خصّ بها مؤلّف "المشرع" هذه الثّورة، غير أنّنا لم نقف على ذكر الحنانشة إلاّ في موضع واحد فقط، عندما تعرّض المؤلّف لحصار جبل وسلات، حيث قال: «وأما الأمير علي فإنه دار بجبل وسلات وخرج من قبلته وترك المخازنية والحنانشة وغيرهم يأكلون في زرع أولاد عيار»[2]، ومن الواضح أنّ علاقة الصّداقة بين باي تونس والحنانشة استمرت إلى غاية وفاة الباي سنة 1782م[3]، لذلك كانت الحنانشة من بين القوات التي اعتمد عليها الباي في إحدى غاراته على جبل عمدون بسبب عصيان أهله وتمردهم على السّلطة في تونس[4].

---

1- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 04، ص 56.

2- المصدر نفسه، ص 171.

3- يوجد بالأرشيف الوطني التّونسي دفتران يحملان الرّقم 2144 (1170-1192هـ/1756-1779م) و2145 (1191-1197هـ/1777-1783م) يحتويان على احسانات في معظمها مبالغ مالية من بايات تونس لجماعات داخل وخارج التّراب التّونسي، وقد خصّ الأستاذ "توفيق بن زردة" هذين الدّفترين بدراسة ركّز فيها على احسانات بايات تونس لقبيلة الحنانشة، وللمزيد من التّفاصيل حول هذا الموضوع، **يُنظر**: توفيق بن زردة، "**احسانات بايات تونس لجماعات الحنانشة 1170هـ/1756م-1192هـ/1779م من خلال الدفترين 2145،2144 بالأرشيف التونسي**"، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، مج 10، ع 20، جانفي 2017م جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ص-ص 239-270.

4- الصّغير بن يوسف، المصدر السّابق، ج 04، ص-ص 198-199.

## المبحث الثّالث: قراءة نقدية تحليلية للمواقف الجزائرية من أزمات تونس السّياسيّة

### أولاً- مواقف السّلطة الجزائرية في كفة الميزان:

قبل أنْ نتطرّق إلى مواقف السّلطة الجزائرية بالنّقد والتّحليل، ارتأينا أنّه من الأصح أنْ ننطلق من طرح تساؤل هو: هل كانت السّلطات الجزائرية سبباً في قيام أزمات سياسية في إيّالة تونس؟

**أ- سعي السّلطات الجزائرية إلى خلق أزمات سياسية في تونس بين النّفي والإثبات:**

ومن أجل الإجابة على هذا التّساؤل كان علينا العودة إلى تفاصيل الفصل السّابق (الفصل الثّاني) من هذه الأطروحة والذي عالجت من خلاله الأزمات السّياسية في إيّالة تونس، والتي بلغت حوالي اثنى عشرة أزمة، وتطرّقت في كل أزمة إلى أسبابها ومجرياتها ونتائجها على إيّالة تونس، وخلصت في الأخير إلى أنّ السّلطات الجزائرية لم تكن سبباً في أي أزمة من الأزمات السّياسية في تونس، كما لم تكن أزمة الحدود، التي ظهرت بداية القرن السّابع عشر بين العمالتين، استثناءً رغم اختلاف المصادر حول أسباب اندلاعها.

ومعظم المصادر التي تناولت أزمة الحدود بين البلدين أرجعت السّبب إلى تصرّفات القبائل التّونسيّة مثل الشّنانفة أو الجزائرية كالحنانشة والتي تستوطن منطقة الحدود بين الإيالتين، وبسبب موقعها الهامشي دأبت هذه القبائل على تغيير ولائها بين سلطتي البلدين، بينما كانت تتخلى عن ولائها لكلا السّلطتين في بعض الأحيان لصالح طرف ثالث، حيث انضمت إلى الشّابية في صراعهم مع بايات تونس وبايات قسنطينة، وبالتّالي ساهمت في تذكية الصّراعات بين السّلطتين على مناطق النّفوذ، والعوائد الجبائية من أجل ملء خزائنها، ويبدو أنّ هذا السّبب كان وراء هجوم مراد باي على قلعة أرقو، وعلى قبائل الحنانشة، والذي جعلته مصادر أخرى سبباً مباشراً في هذه الأزمة، كما أسلفنا الذِّكر.

أمّا بالنّسبة لباقي الأزمات ومع أنّ السّلطة العثمانيّة في الجزائر لم تكن سبباً مباشراً في اندلاعها، غير أنّ ذلك لا ينفي تدخّلها فيما بعد (خلال مجريات الأزمة) في بعض الأزمات فقط، ولم تتدّخل في الكثير من المرات، وتركت السّلطات التّونسية تعالج أزماتها بمفردها، بالأخص في الفترة التي امتدت من نهاية القرن السّادس عشر إلى غاية نهاية القرن السّابع عشر الميلادي، وهي مدة ليست بالقصيرة، حيث تجاوزت القرن، بينما بدأت التّدخلات

الجزائرية خلال الرّبع الأخير من القرن السّابع عشر الميلادي، وذلك بعد وفاة مراد باي الثّاني سنة 1675م، وتناحر ابنيه محمّد وعلي وعَمُّهما محمّد الحفصي على السّلطة في تونس ودخلت البلاد في حرب أهلية لجأ خلالها أطراف الصّراع إلى السّلطات الجزائرية.

وكذلك طول مدة عدم تدّخل السّلطات الجزائرية في شؤون تونس، والذي تجاوزت القرن كما أشرنا (1587-1694م)، بالإضافة إلى أنّ جميع التّدخلات الجزائرية كانت بطلب من أطراف الصّراع في تونس من أجل فض النّزاعات، وهو ما يؤكّد فكرة عدم نية الجزائر في خلق أزمات سياسية في إيّالة تونس بهدف تحقيق مكاسب ترابية أو مادية، مع أنّ بعض الدّايات بعد ذلك كانت لهم أطماع مادية خاصة خلال القرن الثّامن عشر (18) الميلادي، ولكن لم يكن كلّ الدّايات كذلك.

**ب- ايجابيات وسلبيات التّدخلات الجزائرية:**

كان من المفروض أنْ نبدأ بالإيجابيات أولاً، ولكن لكثرة تداول السّلبيات في المصادر، مقابل شُح في المعلومات حول الإيجابيات، ارتأينا العمل على تقديم وتأخير بين العناوين وفضلنا البدء بما هو معروف، وهي السّلبيات.

**1- سلبيات التّدخلات الجزائريّة:**

**1.1- العنف:**

تناولت العديد من المصادر التّدخلات الجزائرية، خاصة المصادر التّونسية التي عاصر مؤلفوها فترة القرنين السّابع عشر والثّامن عشر ميلادي، غير أنّ هذه المصادر وبحكم قرب أصحابها من البلاط التّونسي سواء خلال حكم الأسرة المرادية أو الأسرة الحسينية فيما بعد، انصب تركيزها على الجانب السّلبي من التّدخلات وبالغت في وصف الأعمال الشنيعة التي قام بها عسكر التّرك الجزائري أثناء الحملات العسكرية على تونس من قتل ونهب وغيرها، وهي أعمال ترافق دائماً الحملات العسكرية، وقد أشارت هاته الفئة في مؤلفاتها إلى العنف الذي رافق حملات بايات تونس من أجل ردع القبائل المتمرّدة، والنّاقمة على السّلطة والوضع في الإيّالة[1]، إذن فالعنف ليس صفة خاصة بالجزائريين، ورغم ذلك

---

1- لم يكن العنف خاص بحملات البايات ضدّ القبائل العاصية فقط بل رافق محال جمع الضرائب كذلك، لتفاصيل أكثر حول الموضوع، **يُنظر**: Jocelyne Dakhlia, Op.Cit, p 736.

فإنّ التشنيع والأوصاف القبيحة شملت كل من ثار أو عادى البلاط التّونسي، الذي تنتمي له هذه الفئة من المؤرخين، وظهر ذلك جلياً في كتاباتها التي لا يستطيع أي باحث في مجال التّاريخ الاستغناء عنها لأهميتها البالغة، إلاّ أنّه وفي المقابل يجب الأخذ منها بحذر.

وفي المقابل، نجد أنّ الجيش التّونسي قد مارس العنف والإرهاب عندما أقدمت عساكر تونسية على إبادة الحامية الطرابلسية في جزيرة جربة بداية القرن السّابع عشر (17) الميلادي، حيث كانت الجزيرة لا تزال تابعة لحاكم طرابلس وقتئذ[1]، كما هاجم مراد الثّالث قسنطينة سنة 1700م، حيث أمر هذا الباي، بعد انتصاره الأوّل على باي قسنطينة علي خوجة (1692-1700)، بحمل رؤوس القتلى وإرسالها لتعلق في قصبة تونس، بعدما أثخن هو وجنوده في عسكر الجزائريين بالقتل والأسر[2].

ثمّ أنّ عنف الجيش التّونسي طال أيضاً أبناء تونس، فقد أورد مُؤلِّف "الحوليات التّونسية" أنّ علي باشا أطلق يد قواته ضدّ العاصمة تونس بعد قضائه على ثورة ابنه يونس سنة 1752م، وذكر أنّ هذه الأحداث استمرت خمسة (05) أيام[3]، وقد طال انتقام علي باشا فئة من جند التّرك التّونسي، الذين كان مصيرهم النّفي مثل ما فعل بهم كذلك سنة 1743م عندما ثاروا ضدّه. ورداً على انتقام الباشا شاركت هذه الفئة جنباً إلى جنب مع عسكر الجزائر في حملات 1746م و1756م على إيّالة تونس، وقد أشار إلى ذلك "بن أبي الضّياف" خلال حملة سنة 1756م، حيث قال:«...، واختلط عسكره [باي قسنطينة] مع عسكر الترك بتونس، ودخلوا الحاضرة، فعاثوا في دورها وأسواقها بالنهب، فدافع الناس عن النفس والمال»[4].

ومن الأجدى بنا أنْ نشير إلى ما كتبه "محمّد ماضور"، في مقدمة تحقيقه للكتاب الباشي، حيث أورد المؤلّف بأنّ وسائل الضّغط والإرهاب في ذلك العصر (العصر الحديث) كانت من طبيعة إقامة المُلك واستخدامها جائز في مواجهة الثّورات[5].

---

1- المنصف التايب، المرجع السّابق، ص 12.

2- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 75.

3- ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص-ص 207-208.

4- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 152.

5- حمودة بن عبد العزيز، المصدر السّابق، ص 10.

وبالنسبة للعنف الذي نقلته لنا المصادر، ذكر نفس المؤلّف بأنّه يشكك في وقوع كثير من تلك الصور، وضرب مثالاً بمن كتب بعد سقوط دولة علي باشا سنة 1756م، وأرجع السّبب في ذلك حسب قوله: «لأنا لمسنا من المصادر التاريخية التي دوّنت بعد انطواء دولة الباشا تجسيم مؤاخذته والتشنيع عليه تنفيرا من بقايا ذريته وتزلّفا لأخلافه في الحكم»[1]، وقد أشار "بن أبي الضّياف" إلى أنّ الوزير بن عبد العزيز أورد في كتابه معلومات حول رحلة علي باي إلى الجزائر، وكانت هذه الرّحلة بطلب من والده عندما كان مُحاصراً بالقيروان بهدف الحصول على الدّعم والمساعدة من أطراف جزائرية، وعلّق صاحب الاتحاف على بن عبد العزيز ونوّه إلى أنّ هدفه من ذكر هذه الرّحلة هو المديح والتزّلف لمخدومه[2]، وليس هذا طريق التّزلف الوحيد، بل هناك طرق أخرى كَذَمِّ أعداء ولي الأمر، فلا غرابة إذاً إنْ وجدنا في مؤلفاتهم أوصافاً مُشينة للقبائل والجهات المعادية للسّلطة التّونسية.

ومع ذلك لم يكن هذا هو الحال دائماً، فقد أورد بن أبي الضّياف أنّ عسكر الجزائر رجع، بعد حملة 1735م التي أطاحت بحسين بن علي باي، دون أنْ يقوم بنهب البلاد، وأضاف بأنّ علي باشا لم يسمح لهم بذلك[3]، إلاّ أنّنا نُشَكِّك في ذلك لسببين؛ أولهما أنّه ليس له سلطة على هذا العسكر ليأمره، وثانيهما أنّ هذا العسكر وهذه الحملة هي من أوصلته إلى حكم تونس وبالتّالي فهو الطّرف الأضعف في هذه المعادلة، ومع ذاك لا نستبعد اغراء الجيش بالمال الذي وعدهم به الباشا مقابل مساعدته للوصول إلى حكم تونس، أو أنّ باي قسنطينة، المسؤول الأوّل عن هذه الحملة، لديه أوامر من داي الجزائر بتنصيب علي باشا والرّجوع إلى الجزائر، لأنّه لم يواصل زحفه باتجاه القيروان للانتقام من حسين بن علي باي.

### 2.1- الغنائم والضّرائب السّنوية والهدايا:

ترتبط الحروب والحملات العسكرية بعمليات السّلب والنّهب، الذي يقوم به الجنود بعد انتصارهم، وعادة ما يكون هؤلاء خارج سيطرة قادتهم، وقد تكون هذه الأعمال في بعض الحالات بمباركتهم، وتدخل هذه الممارسات ضمن عملية كسب الغنائم التي يسعى الجند

---

1- حمودة بن عبد العزيز، المصدر السّابق، ص 10.

2- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 114.

3- المصدر نفسه، ص 118.

والحكام إلى تحقيقها من دخولهم حروب ضدّ أطراف معادية داخلية أو خارجية، وفي الحقيقة لم تكن مثل هذه الأعمال حصراً على الجند النّظاميين فقط، فالقبائل كذلك تدخل الحروب مع أحد الأطراف من أجل الغنائم، وقد تفارقه وتنضمّ إلى خصمه، في حال اختلفت معه في اقتسامها أو امتنع عن إعطائها حقها، ونضرب هنا مثالاً لقبيلة طرود التي فارقت الشّابية وانضمّت لحزب باي تونس، عندما امتنع عبد الصّمد عن إعطائها ثمن مشاركتها معه في حربه ضدّ مراد باي الأوّل[1]، وقد أوردنا الحوار الذي دار بين الطّرفين عند تعرضنا لعلاقة القبائل بالأزمات السّياسية في تونس في المبحث السّابق.

وقد سعى كذلك بعض الحكام في الجزائر إلى المكاسب المادية من تدخلاتهم في شؤون إيالة تونس، فقد عاد الجيش الجزائري بقيادة ابراهيم الصّغير من حملة 1735م، محملاً بالغنائم التي تركها الباي حسين بن علي في معسكره بعد فراره، وبالهدايا والأموال التي قدّمها لهم علي باشا مقابل المساعدة التي حصل عليها من أجل الجلوس على كرسي تونس[2]، بالإضافة إلى هذا تعهد الأخير بدفع ضريبة سنوية إلى حكومة الجزائر[3]، وكذلك الحال بالنّسبة لحملة 1756م، وقد كتب "بن يوسف" حول كثرة غنائم هذه الحملة حيث قال: «واشتغل [حسن أزرق عينه] بوسق أحماله بدخايره وحليه وأمواله من أول المحرم إلى عشرة أيام فيه»[4].

ومع ذلك فإنّ تكاليف هذه الحملة تحملها أبناء حسين بن علي، وقد عثرت في الأرشيف الوطني التّونسي على وثيقتين هما في الأصل مراسلتان، الأولى من الدّاي علي بوصبع إلى محمّد بن حسين باي، بتاريخ فيفري 1758م، حيث قدّر الدّاي من خلال هذه الوثيقة مصاريف هذه الحملة باثنى عشر ألف (12.000)[5]، والثّانية بين باي قسنطينة

---

1- يوسف بن حيدة، "**عبد الصمد الشابي...**"، المرجع السّابق، ص 201.

2- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص 105.

3- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, T 02, p 293.

4- الصّغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 04، 108.

5- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 212، ملف رقم 229، وث 01. وفيها شكر داي الجزائر محمّد باي وطمأنه بأنّ جميع ما أرسله وصل على الوفاء والتّمام، وفي آخر الرّسالة ذكّره بأنّ يُرسل مصاريف محلة 1756م إلى أحمد باي قسنطينة، ويظهر من خلال كلام الدّاي أنّ أحمد باي قد اشتكى من تماطل محمّد باي تونس في سداد مصاريف الحملة، لذلك أمره الدّاي بسدادها لباي قسنطينة على دفعات. للمزيد حول محتوى الوثيقة، **يُنظر:** الملحق رقم 10، ص 334.

وعلي بن حسين باي تونس سنة 1764م، بشأن تمام باي تونس من سداد تكاليف هذه الحملة المقدرة بمائتين وستة وأربعين ألف وسبعمائة وثمانين (246.780) ريال حسب الوثيقة[1]، بينما أورد بلانتي في مراسلته حسب رسالة قنصل فرنسا في تونس بأنها مائة وخمسون ألف (150.000) سكوين[2].

ومما تجدر الإشارة إليه أنّه ليست الحملات العسكرية وحدها من ترجع بالفائدة المادية على السّلطات في الجزائر، لأنّ الحياد تجاه الأزمات وأطراف الصّراع وحتّى التّدخل من أجل الصّلح أو مساعدة السّلطات التّونسية في أزماتها كانت له عوائد مادية على حكومة الجزائر، فالصّلح الذي عقده داي الجزائر؛ بابا حسن، بين الأخوين محمّد وعلي أبناء مراد الثّاني سنة 1680م أثناء اقتتالهم على العرش، حصل من خلاله الدّاي على هدايا كثيرة من البايين[3]، كما أنّ سجن علي باشا ما بين 1729–1735م وولده يونس من بعده 1752–1768م، استفادت منه السّلطات الجزائرية بضريبة سنوية يدفعها بايات تونس مقابل الابقاء عليهما في السّجن[4]. إلاّ أنّ هذه السّلبيات لا تعني بالضّرورة عدم وجود ايجابيات في هذه التّدخلات، وهو ما سنناقشه في العنصر المُوالي.

### 2- ايجابيات تدخلات السّلطات الجزائرية:

إنّ التّدخلات الجزائرية في إيّالة تونس حقيقة واضحة بَيِّنَة، لا يختلف حولها اثنان، ولكن ما يمكن أنْ يُختلف فيه، هو طريقة النّظر إلى هذه التّدخلات، فإذا تعدّدت زوايا النّظر إلى نفس الحدث التّاريخي فالنّتائج حتماً سوف تكون مختلفة، وعليه فإنّ النّظر إلى الحدث التّاريخي من زاوية واحدة دون سواها، قد يوصلنا إلى نتيجة هي في أصلها جزء من الحقيقة المراد الوصول إليها، وليست كل الحقيقة، مع تسليمنا بأنّ الحقائق التّاريخية هي حقائق نسبية وليست مُطْلَقَة.

---

1- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 212، ملف رقم 229، وث 04. اعترف أحمد باي قسنطينة بقبض مصاريف الحملة كلها وأبرأ بذلك ذمة باي تونس منها. للمزيد من التفاصيل، **يُنظر**: الملحق رقم 11، ص 336.

2- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, T 02, p 564.

3- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، المصدر السّابق، ص–ص 70–71.

4- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص ص 86، 143.

**1.2- إعادة الهدوء إلى إيالة تونس بعد الأزمات والحروب:**

اختلفت طرق التّدخل الجزائري في إيالة تونس، وتنوعت من الصّلح بين الأطراف المتناحرة إلى الحملات العسكرية، ورغم هذه الاختلافات في طبيعة التّدخلات إلاّ أنّ بعضها اشترك في النّتيجة نفسها، وهي إعادة الاستقرار والهدوء إلى ربوع الإيّالة التّونسية، فمنذ وفاة مراد الثّاني سنة 1675م، دخل أبناؤه في صراع حول العرش المرادي، ثمّ انضم عمهم محمّد الحفصي إلى الصّراع، وتجددت الفتن في البلاد، وعمّ الخراب بسبب اقتتال الشّقيقين دون أن يحرز أيّ منهما نصراً حاسماً على الآخر، ورغم ميل "روسو" الواضح للجانب التّونسي في الحوليات، إلاّ أنّنا نجده أكثر واقعية بخصوص هذا الموضوع عندما علّق قائلاً: «إلا أنه تبيَّن له [علي باي بن مراد الثّاني] أنهم ما قدموا [محلة الجزائر] إلاّ بنوايا سلمية، في محاولة لرأْب الصّدع وعقد مصالحة بين الأطراف المتناحرة، وبالتالي العمل على إعادة السكينة والهدوء إلى ربوع البلاد التونسية التي ظلت تمزقها الحزازات الداخلية ردحاً طويلاً من الزمن»[1]، وقد علّق ابن أبي دينار على ذلك بقوله: «فكان هو السّبب [داي الجزائر بابا حسن] في التئام الكلمة حتّى صلح الله حال هذه الأمة وتدارك بلطفه أحوال العباد. وقام سوق الأمن بعد الخوف في جميع البلاد»[2].

أمّا التّدخل العسكري الجزائري سنة 1685م، وهو أوّل تدخل جزائري من هذا النّوع، فأنّه كذلك ساعد في إعادة الهدوء والاستقرار إلى إيالة تونس، بعد قرار السّلطة الجزائرية دخول الحرب إلى جانب الأخوين محمّد وعلي، أبناء مراد الثاني، في صراعهم مع الدّاي أحمد شلبي (1682-1686م)، حيث ساهم التّدخل الجزائري في إيقاف الحرب وحسمها لصاحب الأخوين، وقد بيّن الأستاذ "توفيق البشروش" ذلك عندما أشار إلى الصّراعات على السّلطة بين أفراد البيت المرادي خلال الرّبع الأخير من القرن السّابع عشر (17) ميلادي، وبالتّحديد، فترة الصّراع بين أبناء مراد الثّاني محمّد وعلي، وبين الدّاي أحمد شلبي، بعد تأزم الوضع أكثر وتحوّلها إلى حرب أهلية، كادت تعصف بالبيت المرادي، وركّز "البشروش"

---

1- ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص ص 132، 135.

2- ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص 297.

خلال وصفه للوضع في الإيّالة حينئذ على أنّ هذه الحرب لم تضع أوزارها إلاّ بفضل التّدخل العسكري الجزائري[1].

فهذا التّدخل رغم طبيعته العسكريّة إلاّ أنّه ساهم في إنقاذ الدّولة المرادية من الانهيار، وجنّب الشّعب التّونسي المزيد من المآسي والويلات، بإنهائه للحرب الدّائرة بين الأخوين وبين غريمهما الدّاي أحمد شلبي، حيث انفرد محمّد باي بحكم تونس من سنة 1686 إلى 1695م، عرفت خلالها البلاد التّونسية عودة الأمن والاستقرار إلى ربوعها.

**2.2- حقن دماء المسلمين:**

إنّ الصّلح بين الأخوين أو التّدخل العسكري ساعد في إعادة الاستقرار إلى إيّالة تونس، فعادة ما ترافق الحروب حالة من عدم الاستقرار وينتج عنها خسائر في الأرواح من جنود المعسكرين وحتّى من الأبرياء الذين لا ناقة لهم ولا جمل في هاته الحروب، خاصة إذا طالت مدة الحرب وكثرت المعارك بين الطّرفين، وهو ما لاحظناه خلال العشر سنوات التي أعقبت وفاة مراد الثاني 1675م إلى غاية انفراد ابنه محمّد بالسّلطة بعد وفاة أخيه علي سنة 1686م.

وبالتالي فقد ساهمت التّدخلات الجزائرية التي ذكرناها، وإن كانت بطريقة غير مباشرة، في حقن دماء المسلمين في إيّالة تونس، وجنّبتها خسائر قد تكون كارثية في حال استمرت الحرب بين ورثة العرش المرادي، ثمّ بينهم وبين الدّاي أحمد شلبي بعد ذلك، وهو ما أعتبره شخصياً جانباً من الجوانب الإيجابية لهذه التّدخلات، وهو عكس ما تتناقله الدّراسات، التي تؤكِّد دائماً على الجانب السّلبي، وتركز على الدّمار والنّهب الذي تُخَلِّفُه عادة الحملات العسكرية، بغض النّظر عن الانتماءات الجغرافية للجند الذي قام بهذه الأعمال.

**3.2- مساعدة السّلطات التونسية على تجاوز أزماتها:**

كما لا يمكننا أنْ نُغفل الجانب الإيجابي في مساعدة السّلطات الجزائرية لنظيرتها التّونسية عندما لبت رغبتها في السّجن والتضييق على الثّائرين عليها والمطالبين بالعرش خاصة علي باشا وابنه يونس وحفيده اسماعيل بن يونس، عندما طلبوا اللّجوء من دايات

1- توفيق البشروش، المرجع السّابق، ص 71.

الجزائر في أوقات مختلفة من القرن الثّامن عشر، حتّى وإن كان ذلك بمقابل يدفعه بايات تونس إلى دايات الجزائر، فبايات تونس يعلمون جيداً أنّ في حرية هؤلاء خطراً كبيراً يهددهم ويهدد مملكتهم، ولأنّهم متأكّدون كذلك أنّه حتّى في حالة عدم نجاحهم في الحصول على الدّعم من دايات الجزائر وديوانها وعسكرها، فهناك قوّة أخرى ألا وهي القبائل التي يمكنها دعم الثّائرين بأعداد كبيرة من الجنود يستطيعون بها التغلب على جيوش البايات، حيث إنّ هذه القبائل لا تُقدّم خدماتها بالمجان وتتحالف دائماً مع من يجزل لها العطاء.

**ج-مواقف السّلطات الجزائرية وتدخلاتها العسكريّة بلغة الأرقام:**

**1- مواقف السّلطة الجزائرية:**

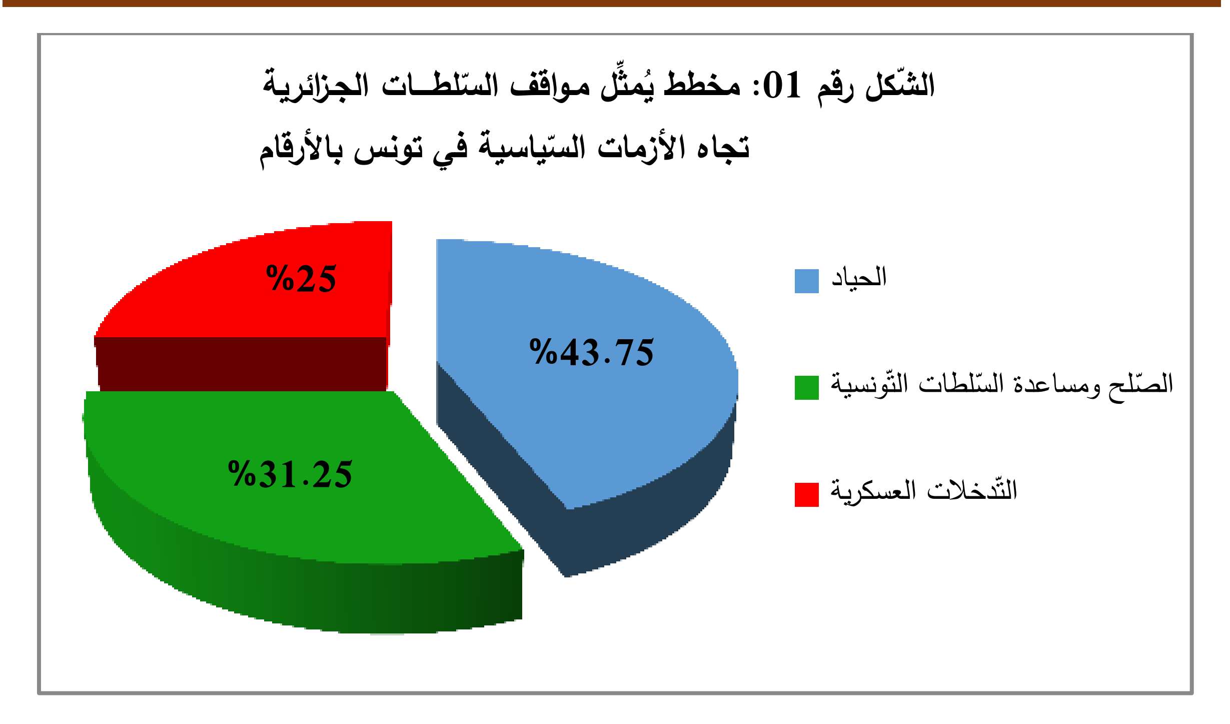
إذا أردنا تبسيط ما كنا بصدد الخوض فيه منذ بداية هذا المبحث فإننا نخضعه إلى المنهج الإحصائي، ونجعل المواقف أرقاماً في جدول نستطيع ببساطة تحويلها لمخطط يوضح لنا بسهولة مواقف السّلطة العثمانية في الجزائر من أزمات تونس السّياسية خلال الفترة الحديثة.

**جدول رقم 01: مواقف السّلطة العثمانية في الجزائر من أزمات تونس السّياسية**[1]

| الموقف | الحياد | الصّلح ومساعدة السّلطات التّونسية | التّدخلات العسكرية | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| عدد مرات التّكرار | 07 | 05 | 04 | 16 |
| النّسبة المئويّة | %43.75 | %31.25 | %25.00 | %100 |

تجدر الإشارة إلى أنّ هناك بعض الأزمات كانت للسّلطة الجزائرية فيها أكثر من موقف، وهو ما يُفَسِّر زيادة عدد المواقف التي أحصيناها؛ وهي ستة عشرة (16) موقفاً، مقارنة بعدد الأزمات التي بلغت حوالي اثنى عشر (12) أزمة.

1- من إعداد الباحث بالرّجوع إلى تفاصيل مواقف السّلطة الجزائرية في المبحث الأوّل من هذا الفصل.



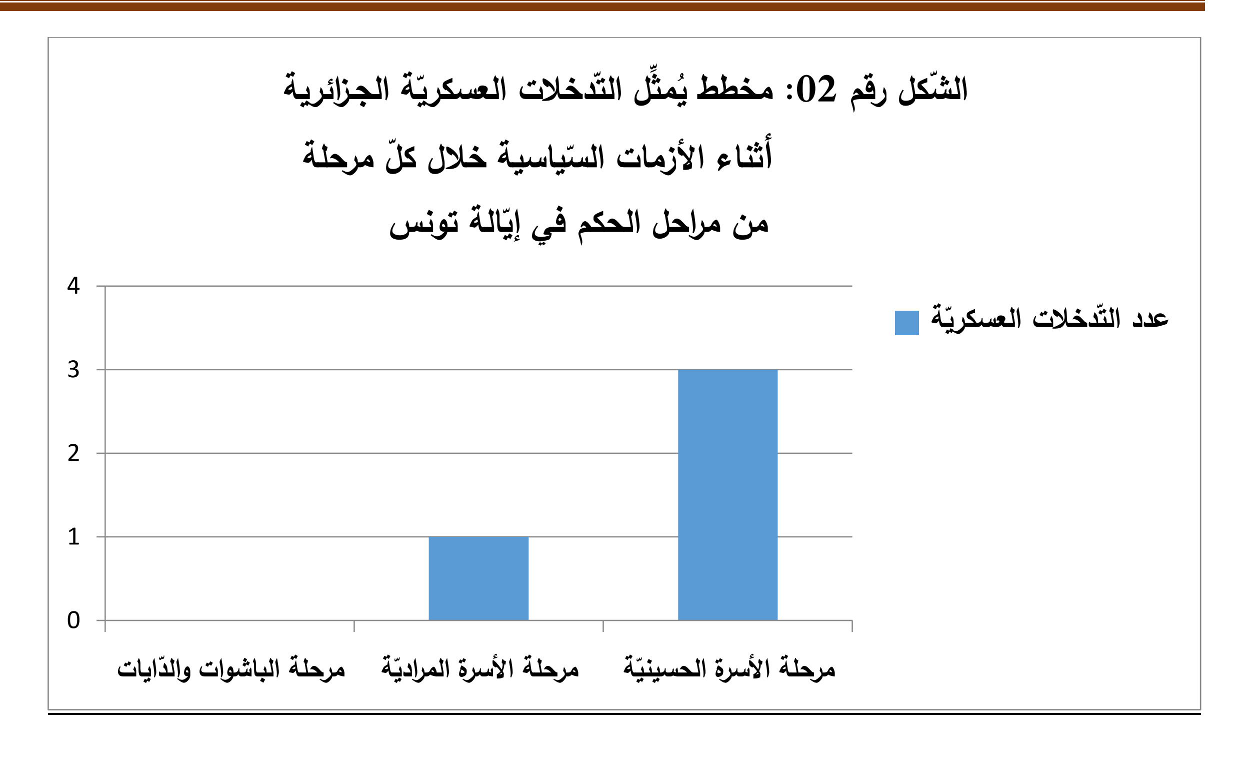

في قراءة للمعطيات التي تضمنها كل من الجدول والشّكل السّابقين يتضح لنا أنّ التّدخلات الجزائرية أكثرها كان في صالح الإيّالة التّونسية وحكوماتها، حيث بلغ مجموع التّدخلات التي يمكن أنْ نعتبرها ضدّ السّلطات التّونسية أربع (04) تدخلات من أصل ستة عشر (16) موقفاً مختلفاً أي بنسبة 25% فقط، مقابل اثنى عشرة (12) موقفاً توزعت بين الحياد والتّدخل لصالح السّلطات التّونسية، وهو ما مثّل نسبة *75%*.

**2- التّدخلات العسكريّة الجزائريّة خلال كل مرحلة من مراحل الحكم في إيالة تونس:**

**جدول رقم 02: التّدخلات العسكريّة الجزائريّة خلال أزمات تونس السّياسية**[1]

| الفترات | الباشوات والدّايات | الأسرة المراديّة | الأسرة الحسينيّة | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| **عدد مرات التّكرار** | 00 | 01 | 03 | 04 |

1- من اعداد الباحث بالرّجوع إلى تفاصيل التّدخلات العسكرية في المبحث الأوّل من هذا الفصل.




ومن خلال تفحصنا للشّكل رقم 02 نجد أنّه لم تكن هناك تدخلات جزائرية خلال مرحلتي الباشوات والدّايات، طبعاً باستثناء أزمة الحدود سنة 1628م، وهي أزمة مشتركة بين العمالتين، حاول كلّ طرف خلالها إثبات صحّة ادعاءاته، مما أدى إلى تأزم الوضع ونشوب حرب بين السّلطتين الجزائرية والتّونسية، انتهت بعقد اتفاقية صلح، ونتج عنه ظهور أوّل وثيقة حدود بينهما خلال نفس السّنة، بينما كان نصيب الأسرة المرادية تدخل واحد فقط لإعانة بن شكر ضدّ محمّد باي المرادي سنة 1694م، وقد ذكرنا أسباب هذا التّدخل في الفصل الثّاني أثناء تعرضنا لهذه الأزمة، أمّا الأسرة الحسينية فأخذت نصيب الأسد من التّدخلات بثلاثة تدخلات؛ سنوات 1735 و1746 و1756م، كما استثنيت تدخل سنة 1705م ضدّ إبراهيم الشّريف واعتبرته مظهراً من مظاهر الصّراع بين الإيّالتين، وليس له علاقة بأزمة سياسيّة تونسيّة.

والملاحظ أيضاً أنّ التّدخلات الجزائرية بصفة عامة، قد ظهرت عندما ارتقى الدّايات سُدة الحكم في الجزائر، ولم تكن قبل ذلك؛ أي خلال مرحلتي الباشوات والآغوات، وهو ما يطرح عديد التّساؤلات التي سنحاول مناقشتها في العنوان الموالي.

**د- في تغير مواقف الحياد للسّلطة الجزائرية إلى تدخل في شؤون تونس خلال فترة الدّايات:**

وصل "الدّايات"[1] إلى السّلطة في الجزائر سنة 1671م بعد فترة انتقالية قصيرة، عُرفت بعهد الآغوات (1659-1671م)[2]، ميّزها عدم الاستقرار بسبب قصر مدة حكم الآغا، التي كانت لا تتجاوز الشّهرين، ونتيجة كثرة تغيير الآغوات، وحب هؤلاء للسّلطة، فأنّه كانت عادة ما تنتهي فترة حكم الأغا بالقتل، ومن جهة أخرى كان نشاط البحارة الجزائريين كبيراً خلال هذه المدّة، حيث قام الرّياس بتنظيم غارات منتظمة على سواحل إسبانيا وإيطاليا وغيرها، وكسبوا غنائم مهمة وعدد معتبر من الأسرى، وبسبب التّنافس الدّائم على السّلطة بين الرّياس والانكشارية فقد استغلت الفئة الأولى الفرصة وانقلبت على الأخيرة، وعين أفرادها واحداً منهم على رأس الإيالة برتبة "داي"[3].

أمّا بالنّسبة للتّدخلات الجزائرية في إيّالة تونس فقد بدأت بالصّلح الذي عقده داي الجزائر سنة 1680م بين أبناء مراد باي الثّاني كما أشرنا إلى ذلك، ثم تتالت التّدخلات وظهرت في شكل حملات عسكرية ابتداءً من سنة 1694م، إلى منتصف القرن الثّامن عشر (18) ميلادي، وقد أشار إلى ذلك الأستاذ "التايب"، عندما تعرض إلى التّدخلات الجزائرية، حيث أورد ما نصّه: «وبخلاف النزاع مع طرابلس، أزمن النزاع التونسي الجزائري واتخذ في بعض الفترات، شكل تدخل جزائري صريح في الصراعات التي كانت تشق الطبقة الحاكمة في تونس والتي كانت تغذيها الانقسامات القبلية وذلك منذ أواخر الدولة المرادية حتّى منتصف القرن الثامن عشر»[4]، وبلغة الأرقام، فإنّ هذا المجال الزّمني يكون حوالي سبعين (70) سنة، تدّخلت فيه السّلطة الجزائرية عسكرياً في شؤون تونس أربع (04) مرات؛ وذلك سنوات: 1694، 1735، 1746، و1756م.

---

1- بدأ عهد الدّايات في الجزائر سنة 1671م، واستمر إلى 1830م، وأخذ اسمه من قادة جند البحرية الذين انقلبوا على الآغوات وسيطروا على السّلطة في الجزائر، وكان يطلق عليهم اسم "دايي" وتُكتب بياءين، وتعني "الخال" في اللّغة التّركية، وصُحِّف عند الباحثين العرب إلى "الدّاي"، **يُنظر:** فاضل بيات، **الدولة العثمانية**...، المرجع السّابق، ص 542.

2- أطلق عليها بيار بوايي (Pierre boyer) ثورة الآغوات، للمزيد من التفاصيل **يُنظر:** Pierre Boyer, **la revolution dite "des Aghas" dans la régence d'Alger (1659-1671)**, R.O.M.M, N°13-14, 1973, Mélanges Le Tourneau,.pp 159-170.

3- فاضل بيات، **الدولة العثمانية**...، المرجع السّابق، ص-ص 541-542؛ صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 128.

4- المنصف التايب، المرجع السّابق، ص 16.

والإشكال الذي يفرض نفسه هنا هو: لماذا لم تتدخّل الجزائر خلال عهد الدّايات والأسرة المرادية في تونس، ما بين نهاية القرن السّادس عشر وطوال القرن السّابع عشر تقريباً، بينما كثرت تدخلاتها في فترة حكم الأسرة الحسينية، خاصة خلال النّصف الأوّل من القرن الثّامن عشر؟ وما أسباب عدم تدخلها بعد ذلك إلى غاية سقوط مدينة الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي؟

وقد نجد في الظّروف والأحداث الدّاخلية والخارجية، التي تزامنت مع وصول الدّايات إلى الحكم في الجزائر، إجابة على الإشكال المطروح، وبما أنّ الظّروف عادة ما تكون متعددة، فقد فرض علينا هذا الواقع تجزئة الإشكال إلى مجموعة من التّساؤلات الفرعية، لعلّ من أهمّها:

- هل كان لقوة الأسطول الجزائري ووفرة غنائم البحر خلال القرن 17م أثر على موقفها تجاه تونس وأزماتها؟
- هل كان لاستقرار الوضع بعد وصول الدّايات للحكم في الجزائر دور في تدخلاتهم خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ميلادي؟
- هل كان لأوضاع الدولة العثمانية في حدّ ذاتها تأثير في تغيير موقف السّلطات الجزائرية تجاه تونس وأزماتها السّياسية؟

**1- تراجع عائدات النّشاط البحري للأسطول الجزائري:**

عرف الأسطول الجزائري تطوراً ملحوظاً خلال القرن السّادس عشر، وحافظ على هذه القوّة على الأقل خلال النّصف الأوّل من القرن السّابع عشر[1]، فقد شهدت هذه الفترة تقارباً بين إسبانيا، العدو الأوّل للجزائر، وكل من فرنسا وانجلترا وهولندا، والتي كانت تربطهم معاهدات سلام مع الجزائر، وبسبب هذا التّقارب أصبحت تلك الدّول في خانة الأعداء، وأدى هذا الوضع الجديد إلى وقوع اشتباكات بحرية بين الأسطول الجزائري وأساطيل هاته الدّول، ونشطت القرصنة المتوسطية بشكل كبير[2]، ثمّ بدأ يضعف نتيجة لأسباب كثيرة ومختلفة؛ داخلية وخارجية، واستمرت حالة الضّعف هذه طوال القرن الثّامن عشر وبداية القرن

---

1- ناصر الدّين سعيدوني، **ورقات...**، المرجع السّابق، ص 193.

2- أرزقي شويتام، **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519-1830م**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2016م، ط 02، ص-ص 73-74.

التّاسع عشر، حيث فقد قوته تماماً عندما تعرضت الجزائر لهجوم انجليزي، بقيادة اللورد اكسموث سنة 1816م[1]، واعتبر هذا الهجوم بمثابة الضّربة المدمرة للأسطول الجزائري[2].

وربط الأستاذ "سعيدوني" مدى قوّة البحريّة الجزائريّة بعدد سفنها، وقام بتتبع جدول عدد السّفن الحربية العاملة بمياه البحر المتوسط، بالاعتماد على المصادر الأوروبية المعاصرة لتلك الفترة، وخلص في الأخير إلى أنّ عدد السّفن العاملة في البحرية الجزائرية سنة 1571م حوالي خمسون (50) سفينة، ثمّ قفز العدد إلى سبعين (70) سنة 1634م، ومنذ 1659 نزل العدد إلى ثلاثة وعشرين (23) سفينة، وابتداءً من هذه السّنة وإلى غاية 1830م لم يتجاوز عدد السّفن العاملة في الأسطول الجزائري اثنين وثلاثين سفينة[3]، وقد أكّدت لنا هذه النّتيجة التّراجع الذي عرفته البحرية الجزائرية منذ أواخر القرن السّابع عشر حتّى 1830م.

وقد أطلق "مروش" على الفترة ما بين 1580 إلى منتصف القرن السّابع عشر ميلادي مصطلح "صعود القرصنة" وهو دلالة على نشاط البحرية الجزائرية خلال هذه الفترة وكثرة ووفرة عائدات هذا النّشاط، ويضيف بأنّ المعطيات المتوفرة عن الغنائم ليست في مستوى السّمعة العالية للبحرية الجزائرية، وتفسير ذلك أنّ الكتابات المعاصرة كانت عادة ما تهتم بالوقائع المهمة ذات الغنائم المعتبرة، ونشاط الأسطول الجزائري لم تكن غنائمه كبيرة دائماً فهناك الكثير من العمليات ذات المردود المتوسط والمتواضع، ومع ذلك فإنّه أصبح يُمثل النّشاط الأساسي والمحوري للإيّالة[4].

وأوردت "كنيوة" جدولاً لقيمة الغنائم خلال السّنوات ما بين 1611 و1671م، وحصلت على المبالغ التّالية بالدّينار الخمسيني بعد تحويلها من العملة الأصلية باحتساب سعر

---

1- حول هذه الحملة، **يُنظر**: Abraham Salamé, **Narrative àf the expedition to Algiers in the year 1816 under the command of the right hon admiral Lord Viscount Exmouth**, Publishde by John Murray, London, 1819, pp 1-55; Nahoum Weissmann, **les Janissaires: Etude de l'organisation militaire des Ottomans**, Libraire Orient Edition, Paris, 1964, pp 77-79 .

2- خليفة حماش، **العلاقات...**، المرجع السّابق، ص 143. وعلى إثر هذا الهجوم قام داي الجزائر عمر باشا بطلب المساعدة من الباب العالي، حيث أرسل له الأخير مجموعة من التجهيزات العسكرية سنة 1817م، **يُنظر**: م.و.ج، ر.ع، مجموعة رقم 3190، ملف رقم 01، وث 30.

3- ناصر الدّين سعيدوني، **ورقات...**، المرجع السّابق، ص-ص 193-194، وأشار "جوليان" إلى أنّ عدد قطع الأسطول الجزائري نزل إلى 24 قطعة سنة 1724م، ثمّ تدهور الوضع أكثر مع نهاية القرن نفسه، ففي سنة 1788م أصبح عدد قطع الأسطول 8 قطع فقط، **يُنظر**: شارل أندري جوليان، **تاريخ افريقيا الشمالية: تونس- الجزائر-المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م**، ج 02، (تع): محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1983م، ط 02، ص 371.

4- المنور مروش، المرجع السّابق، ص ص 200، 301.

الصّرف وقتئذ، وتحصلت على المبالغ التالية: 12.509.440 د.خ، و 6.257.200 د.خ، و 32.104.000 د.خ؛ بمجموع قدره: 50.870.640 د.خ، وذكرت أنّ هذه لا تمثّل كل الأموال التي دخلت إيالة الجزائر، خلال الفترة المذكورة، بسبب عدم مصداقية من كتب حول نفس الفترة، وبسبب عدم تصريح الرّياس بكل الغنائم كذلك، ورغم ذلك فالمبالغ التي دخلت خزينة الإيالة، والتي تمثل الخمس، وهو في هذه الحالة يفوق الثّمانية (08) ملايين د.خ[1].

أمّا بخصوص القرن الثّامن عشر فلا توجد احصائيات واضحة عن الغنائم خلال الفترة ما بين 1700 و1764م، إلاّ أنّ الدّراسات تكاد تجمع على التّراجع الذي شهده نشاط الأسطول الجزائري وبالتالي تواضع الغنائم، وأشارت هذه الدّراسات أنّ نفس الفترة عرفت هبوطاً حقيقياً ومستمرّاً لمدة طويلة رغم ما تخلله من فترات انتعاش نظراً لظروف وملابسات مختلفة، لكن المثير للانتباه أنّ فترة التّراجع هذه شهدت خلالها التّدخلات الجزائرية أوجها، حيث أشرنا فيما سبق أنّ التّدخلات الجزائرية في شؤون إيالة تونس كانت من نهاية القرن السّابع عشر (17) إلى منتصف القرن الثّامن عشر (18) الميلادي وهذا ما يتطابق مع فترة التّراجع في مداخيل الإيالة من عائدات النّشاط البحري.

وفي محاولة تفسير هذه الظّاهرة قمنا بتتبّع أثر هذا النّشاط من خلال الرّجوع إلى دراسة "ألبير دوفو" في المجلة الافريقية، والتي جمع فيها عائدات النّشاط البحري لكل سنة، وذلك من خلال معطيات سجل غنائم البحر، والذي يُغطي الخمسة والسّتين (65) سنة الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر (1765–1830م)، ولكنه قبل أنْ يخوض في تفاصيل هذه الفترة قام بجمع معلومات عن عدد عمليات وغنائم الأسطول الجزائري لسنوات 1674، 1675، 1676 و1677م[2]، في حين نظّم الباحث "مشوشة" المعلومات التي جمعها "دوفو" في

1- هيبة كنيوة، المرجع السّابق، ص 89. وجعلت الباحثة مجموع المبالغ المتحصل عليها: 21.977.040 د.خ، ويبدو أنّه خطأ حسابي وقعت فيه الباحثة دون قصد، وللمزيد حول تفاصيل هذه المبالغ، **يُنظر:** الملحق رقم 12، ص 338.

2- هذه الدّراسة تضمنها المجلدان رقم 15 لسنة 1871م ورقم 16 لسنة 1872م، وجاءت مقسمة على عشرة (10) أجزاء في المجلدين، احتوى الأوّل على ستة (06)، بينما تضمن الثّاني أربعة (04) أجزاء، أمّا تفاصيلها:

- المجلد رقم 15: - الجزء الأوّل، ص-ص 70-79؛- الجزء الثّاني، ص-ص 149-160؛ - الجزء الثّالث، ص-ص 184-201؛ - الجزء الرّابع، ص-ص 285-306؛ الجزء الخامس، ص-ص 362-374؛ الجزء السادس، ص-ص 447-457، وتُغطي هذه الأجزاء السّتة الفترة ما بين 1765 و1801م.
- المجلد رقم 16: - الجزء الأوّل، ص-ص 70-77؛- الجزء الثّاني، ص-ص 146-156؛ - الجزء الثّالث، ص-ص 233-240؛ - الجزء الرّابع، ص-ص 292-303، وغطّت هذه الأجزاء الأربعة الفترة من 1802 إلى 1830م.

جدولين اثنين؛ الأوّل خاص بالسّنوات الأربعة من سبعينات القرن السّابع عشر، والثّاني للسّنوات ما بين 1765 و1799م.

وفي ما يلي نورد معلومات عن عدد عمليات الأسطول الجزائري والقيمة المالية للغنائم خلال سنوات 1674-1677م، وكذلك لنفس السّنوات من القرن الثّامن عشر؛ أي 1774-1777م، وذلك من خلال الجدولين رقم 03، و04.

**جدول رقم 03: الغنائم البحرية للسّنوات ما بين 1674-1677م**[1]

| السّنوات | عدد عمليات | القيمة المالية للغنائم بالفرنك |
|---|---|---|
| 1674 | 38 | 89.108.37 |
| 1675 | 83 | 312.988.75 |
| 1676 | 58 | 97.387.97 |
| 1677 | 12 | 9.143.62 |
| **المجموع** | **191** | **508.628.71** |

**جدول رقم 04: الغنائم البحرية للسّنوات ما بين 1774-1777م**[2]

| السّنوات | عدد عمليات | القيمة المالية للغنائم بالفرنك |
|---|---|---|
| 1774 | 04 | 121.080.37 |
| 1775 | 06 | 122.001.70 |
| 1776 | 10 | 104.572.26 |
| 1777 | 14 | 122.440.95 |
| **المجموع** | **34** | **470.095.28** |

1- Albert devoulx, "**Le registre des prises maritimes**", R.A, Vol N° 15, 1871, A.Jourdin Libiraire-éditeur, Alger , pp 78-79;

سمير مشوشة، **الموارد البحرية للجزائر العثمانية خلال القرنين 11-12هـ/ 17-18م**، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2018/2019م، ص 255.

2- Albert Devoulx, "**Le registre**…", Op.Cit, pp 186-191.

وقد قارن الأستاذ "مشوشة" المعطيات التي تضمنها كلا الجدولين، وخلص إلى أنّ النّشاط الذي عرفه الأسطول البحري خلال الفترة في الجدول الأوّل (الجدول رقم 03)، والذي وصلت عدد عملياته، خلال الأربعة سنوات، إلى 191 عملية، بينما لم يتضمن الجدول الثّاني (الجدول رقم 04) سوى 34 عملية فقط، وهو في الحقيقة فارق كبير بالنّسبة لنشاط الأسطول خلال الفترتين، حيث مثّلت القيمة الأولى لعدد العمليات أكثر من خمسة أضعاف عدد العمليات في الجدول الثّاني، أمّا بالنّسبة لقيمة العوائد المالية فقد قام نفس الباحث بعملية حسابية استنتج من خلالها الفارق الخاص بالفترتين (508.628.71-470.095.28=38.533.43 فرنك)، وذهب في تحليله لهذه المعطيات إلى أنّ القرصنة البحرية خلال القرن 17م مثّلت عصب الحياة الاقتصادية لإيّالة الجزائر[1].

صحيح أنّ نشاط الأسطول الجزائري خلال الفترة الأولى كبير جداً مقارنة بنشاطه خلال الفترة الثّانية، لكن ما يلاحظ أيضاً من مقارنة قيمة العوائد أنّها متقاربة وأنّ قيمة الفارق بينهما، والتي تساوي 38.533.43 فرنك الخاصة بالأربعة سنوات مجتمعة، نستنتج بعملية حسابية أنّ الزّيادة في العوائد المالية من خلال مقارنة الفترتين، لم تتعد نسبة **08%**، وهي ليست بالقيمة الكبيرة، وبالتّالي فنشاط الأسطول لا يدل بالضّرورة على ارتفاع قيمة الغنائم.

وبالتّالي فالعوائد المالية من النّشاط البحري خلال النّصف الثّاني من القرن الثّامن عشر ليست سيئة مقارنة بما كان عليه الوضع خلال القرن السّابع عشر، أي أنّه ليس هناك تراجع في عائدات النّشاط البحري على الأقل خلال النّصف الثّاني من القرن الثّامن عشر وبداية القرن التّاسع، بينما بدا التّراجع واضحاً خلال الخمسة عشر سنة الأخير من الحكم العثماني بالجزائر[2]، وتؤكّد دراسة "دوفو" ذلك حيث بلغت عائدات بعض السّنوات نهاية القرن الثّامن عشر أضعاف ما بلغته السّنوات الأربعة مجتمعة خلال سبعينات القرن السّابع عشر، وذلك ما يوضحه الجدول الموالي.

---

1- سمير مشوشة، المرجع السّابق، ص 260.

2- أطلق "مروش" على النّشاط البحري للأسطول الجزائري خلال الخمسة عشر سنة الأخيرة من عمر إيالة الجزائر (1816-1830م) مصطلح "بقايا قرصنة"، وقد أشار "دوفو" إلى أنّ خلال هذه الفترة شهد نشاط الأسطول تذبذباً، وأنّ هناك بعض السّنوات لم يرد في سجل غنائم البحر بشأنها أي معلومات مثل سنوات 1819، 1821، 1822 و1823م، **يُنظر**: المنور مروش، المرجع السّابق، ص 479؛ Albert DEVOULX, "**Le registre des prises maritimes**", R.A, Vol N° 16, 1872, A.Jourdin Libiraire-éditeur, Alger, p 295.

**جدول رقم 05: الغنائم البحرية في إيالة الجزائر للسّنوات ما بين 1796-1799م**[1]

| السّنوات | عدد عمليات | القيمة المالية للغنائم بالفرنك |
|---|---|---|
| 1796 | 08 | 202.811.61 |
| 1797 | 22 | 1.294.269.72 |
| 1798 | 42 | 1.510.528.69 |
| 1799 | 31 | 1.583.482.47 |
| **المجموع** | **103** | **4.591.092.49** |

بمقارنة بسيطة بين الفترة 1674-1677 والفترة 1796-1799م نلاحظ أنّ الفارق كبير بين الفترتين، رغم تساوي عدد السّنوات بينهما، حيث مثّلت مجموع عوائد الفترة الثّانية أكثر من تسعة (09) أضعاف الفترة الأولى، رغم أنّ عدد العمليات الفترة الثّانية هي نصف عدد العمليات في الفترة الأولى، فيما بلغت قيمة عائدات سنة 1799م منفردة أكثر من ثلاثة أضعاف مجموع عائدات الأربعة سنوات مجتمعة الخاصة بالفترة الأولى، ويرجع هذا الارتفاع في العائدات البحرية بالأخص نهاية القرن الثّامن عشر (18) الميلادي إلى النّشاط المكثف للبحرية الجزائرية مع بروز بحارة ذوي كفاءة عالية مثل "الرّايس حميدو"[2]، وصادف هذا النّشاط دخول السّفن الأمريكية المحملة بمختلف السّلع والبضائع إلى طريق التّجارة المتوسطي، حيث أصبحت هذه السّفن أحد أهداف البحرية الجزائرية خاصة وأنّ الولايات المتحدة الأمريكية لم تربطها بالجزائر معاهدات صداقة قبل سنة 1795م، حيث وصلت غنائم الجزائريين من الأمريكيين 11 سفينة أغلبها تجارية[3].

1- Albert Devoulx, "**Le registre…**", Op.Cit, Vol 16, pp 368,371,449,454.

2- من أعظم رياس البحر الجزائريين وخلافاً لمعظم البحارة النّاجحين المشهورين لم يكن علجاً ولا تركياً، حيث كان ابناً لرجل جزائري يمتهن الخياطة، وصادف نشاطه فترة الفوضى التي عرفتها أوروبا أثناء الثّورة الفرنسية وما أعقبها من أحداث داخل القارة الأوروبية، ومن المؤكّد أنّه كان يتمتع بعبقرية كبيرة وبمميزات خاصة جعلته يتدرج في المناصب حتّى يصل إلى هذه الرّتبة، وأستشهد سنة 1815م في معركة مع أسطول الولايات المتحدة الأمريكية، جون ب.وولف، المرجع السّابق، ص ص 204، 205، للمزيد من التفاصيل حول هذه الشّخصية، **يُنظر**: Albert Devoulx, **Le Rais Hamidou**, Adolphe Jourdan Editeur, Alger, 1859.

3- سمير مشوشة، المرجع السّابق، ص 258.

ونستنتج ممّا تمّ التّطرق إليه خلال الفقرات السّابقة أنّ فترة التّدخلات الجزائرية صادفت تراجع مداخيل البحرية، في حين أنّ فترات انتعاش الموارد البحرية للإيالة لم تشهد فيها تونس أي تدخلات جزائرية، فهل يمكن أنْ يكون هذا محض صدفة؟ أم كان لسياسة الدّايات التي تغيرت نحو الاهتمام بالدّاخل، بعد تراجع مداخيل النّشاط البحري، من أجل البحث عن موارد بديلة تأثيراتها على تونس؟

**2- مضاعفة دايات الجزائر للضرائب تعويضاً عن تراجع مداخيل النّشاط البحري:**

تميزت سياسة الأتراك في الجزائر خلال الفترة الأولى بعدم تدخلهم في شؤون السّكان، والاكتفاء بالتّعامل مع شيوخهم ومرابطيهم الذين كانوا يقدمون نيابة عن السّكان ما كان يفرضه عليهم البايلك من مطالب مخزنية وضرائب مختلفة مقابل تمتع هؤلاء الشّيوخ بتأييد الحكام، ويرجع السّبب الرئيسي في تخفيف الضّغط الجبائي على السّكان إلى اعتماد السّلطة في سد متطلباتها على ما يوفره الجهاد البحري من مداخيل معتبرة لصالح خزينة الإيالة، لكن هذا الوضع تغير مع أواخر القرن السّابع عشر (17) الميلادي، حيث اتبع الحكام منذئذ سياسة ترمي إلى مد نفوذ البايلك إلى الجهات الدّاخلية وإخضاع القبائل الممتنعة، واتبعوا في ذلك أسلوباً يعتمد على القوّة وعدم مراعاة أحوال الأهالي وتجاهل رأي رجال الدّين[1]، فقد ارتبطت سياسة الحكام هذه بشُح مصادر الجهاد البحري للإيالة، لذلك زاد اهتمامهم بدواخل البلاد، وعلى العكس من الفترة الأولى اعتمد الحكام في تلبية متطلبات الجهاز الحكومي على المصادر المحلية المتمثلة في الضّغط المالي والجبائي على الأرياف[2]، هذا التغير في سياسة الحكام تزامن مع وصول الدّايات للحكم في الجزائر بعد قضائهم على نظام الأغوات.

وقد كان الدّايات الأوائل (1671-1689م) كانوا من فئة الرّياس نظراً لنفوذهم وثرواتهم ومكانتهم بين السّكان، هذا ما جعلهم يصبحون قوّة فاعلة على الصّعيد الدّاخلي منذ بداية العهد العثماني في الجزائر، وقد أهّلهم ذلك إلى لعب أدوار أساسية في كلّ القضايا المتعلقة بالسّلطة، لكن بمجرد أنْ قلّ نفوذهم وثرواتهم، إثر ضعف البحرية، أصبح هذا المنصب حكراً على فئة الأوجاق، حيث حافظت هذه الفئة على هذا المنصب من سنة

1- ناصر الدّين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السّابق، ص 36.

2- ناصر الدّين سعيدوني، **ورقات**...، المرجع السّابق، ص-ص 200-201.

1689م وإلى غاية نهاية العهد العثماني في الجزائر، سنة 1830م[1]، ويعتبر هذا مؤشر آخر على ضعف البحرية الجزائرية أواخر القرن السّابع عشر (17) الميلادي.

وقد صادف مطلع القرن الثّامن عشر (18) الميلادي توتر العلاقات بين الجزائر وجيرانها من الشّرق والغرب، حيث استطاع الدّاي عشي مصطفى الانتصار على القوة المشتركة بين تونس وطرابلس الغرب سنة 1700م، والتّصدي لجيش مولاي إسماعيل في أفريل من السّنة الموالية، وجاء هذا الانتصار في الواقعتين نتيجة تعبئة استثنائية للقوى، حيث صرف مبالغ هائلة في زيادة عدد الجنود وتجنيد آلاف الفرسان، هذه التعبئة ورغم ما كان لها من أثر إيجابي في انتصار الدّاي، إلاّ أنّ ذلك لا يحجب أثرها السّلبي على ميزانية الدّولة التي لم تستطع تحمل هذه النّفقات لمدّة طويلة[2].

والجدير أنْ نُذَكِّر في هذا المقام أنّ هذا التّوجه بدأه الدّاي الحاج شعبان سنوات التّسعينات من القرن السّابع عشر (17) الميلادي، وربما يرجع ذلك إلى طموحات هذا الدّاي في تحقيق اتحاد مغاربي يكون تحت لوائه[3]، ومن الممكن أنّ هذا الاهتمام جعل الدّايات بعد ذلك يفكرون في توسيع دائرة اهتمامهم من دواخل البلاد لتشمل إيالة تونس نتيجة ما تُدِّره التّدخلات في شؤونها من غنائم وإتاوات سنوية. وقد يسأل سائل لماذا لم تتدخل الجزائر في شؤون تونس خلال النّصف الثّاني من القرن الثّامن عشر، والإجابة قد تكون في استمرارية حكام تونس تقديم الإتاوات والهدايا للسّلطات الجزائرية خلال نفس الفترة وإلى غاية سنة 1807م، عندما توقف فيها باي تونس عن دفع الإتاوات المترتبة عليه بموجب معاهدة 1756م لإيالة الجزائر، إضافة إلى ما شهدته فترة 1765-1815 من انتعاش لعائدات الجهاد البحري، وقد أشرنا إلى هذا الانتعاش في العنوان السّابق، خاصة الجدول رقم 05.

ومع ذلك وجبت الإشارة إلى أنّه حتّى وإنْ أرادت السّلطات الجزائرية إعادة فرض هيمنتها على تونس من جديد بعد وفاة حمودة باشا سنة 1814م فأظنها، في تلك الفترة، لم

1- ناصر الدّين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السّابق، ص 15؛ أرزقي شويتام، المرجع السّابق، ص ص 41، 42.

2- المنور مروش، المرجع السّابق، ص 375.

3- المرجع نفسه والصّفحة.

تعد قادرة على ذلك بسبب ظروفها الدّاخلية[1]، وكذلك بسبب الوفاق الذي تمّ بين الدّول الأوروبية، بعد هزيمة نابليون بونابرت، حيث استغلت هذه الدّول ضعف البلدان المغاربية وقتئذ، وفرضت منطقها بالقوّة، فقد شهدت الجزائر وحدها خلال الخمسة عشر سنة الأخيرة من عمر الإيّالة أربع حملات أوروبية تمثلت في حملة اللورد اكسموث 1816، والحملة الانجليزية الهولندية 1819، والحملة الانجليزية 1824، وأخيراً الحملة الفرنسية 1830م، بعد حصار دام حوالي ثلاث سنوات، ونجحت في إنهاء الحكم العثماني فيها.

ويبدو أنّ التّوتر في العلاقات بين الإيالتين والحرب التي دارت بينهما سنة 1807م يمكن ربطها بالضّعف الذي أصبحت عليه الدولة العثمانية وما رافق هذا الضّعف من بوادر استقلال إيّالات بلاد المغرب عن مركز الخلافة منذ أواخر القرن السّابع عشر وبداية القرن الثّامن عشر الميلادي.

**3- تأثر العلاقات السّياسية بين إيّالتي الجزائر وتونس بأوضاع الدولة العثمانية:**

كان الضّعف والوهن مع نهاية القرن السّابع عشر الميلادي قد بدأ يدب في جسد الدولة العثمانية لأسباب داخلية وخارجية، حيث تتابع على حكمها عدد من ضعفة السّلاطين، وبسبب ذلك تمرد الجيش عليهم، إضافة إلى ذلك بدأت أوروبا تعرف النّهضة والقوّة، فقد استطاعت روسيا هزيمة الجيش العثماني سنة 1683م، وتوالت الهزائم بعد ذلك إلى غاية سنة 1697م عندما مُني بهزيمة ساحقة جنوب المجر، وأُرغِمت الدّولة العثمانية على عقد معاهدة كارلوفيتش في 26 جانفي 1699م، ومنذئذ دخلت الدّولة العثمانية في طور الانحدار وعمت الفوضى وساد الفساد أرجاء الامبراطورية[2]، ومن المؤكَّد أنّ الوضع الجديد في عاصمة الخلافة سوف يكون له بالغ الأثر على الإيالات خاصة البعيدة منها عن مركز الخلافة مثل إيّالات بلاد المغرب.

وبسبب ضعف السّلطة المركزية ظهرت بوادر استقلال الإيّالات المغربية عن إسطنبول، فقد رفض داي الجزائر علي شاوش استقبال الباشا المبعوث من الباب العالي

---

1- حول هذه الظّروف، **يُنظر:** نجوى طوبال، "**واقع السّلطة وإشكالية الحكم خلال فترة الدايات (1710-1830)- مقاربة تحليلية إحصائية**"، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 13، ع 02، أفريل 2021م، ص-ص 15-16.

2- حمودة بن عبد العزيز، المصدر السّابق، ص 8.

وطلب لقب الباشوية لنفسه ومنذ 1711م جمع دايات الجزائر بين منصبي الدّاي والباشا[1]، ونفس الأمر حصل في إيّالة تونس حيث تواصل إرسال الباشوات من الباب العالي إلى هذه الولاية حتّى فترة حكم حسين بن علي (1705-1735م)[2]؛ ونلاحظ أنّ ما حدث في الجزائر حدث خلال نفس الفترة تقريباً في إيّالة تونس، وهو ما يؤكّد فكرة بداية الاستقلال عن الدولة العثمانية مع بداية القرن الثّامن عشر لم تقتصر على ولاية دون أخرى، بل شملت إيّالات بلاد المغرب الثّلاثة.

كما دخلت الإيالات المغربية مرحلة جديدة كذلك حيث تدخّل بعضهم في شؤون بعض، فالجزائريون تدّخلوا في شؤون تونس منذ 1685م وإلى غاية 1756م، خاصة أثناء الصّراعات على السّلطة[3]، وكذلك فعل التّونسيون عندما تدّخل محمّد باي المرادي في شؤون إيالة الجزائر بمحاولته إثارة الفتن والقلائل داخل الإيّالة وقد تسبب ذلك في ثورة الجند التي هدفت للإطاحة بالدّاي شعبان[4]، كما تحالف بايات تونس مع سلاطين المغرب وحكام طرابلس الغرب بين نهاية القرن السّابع عشر وبداية القرن الموالي، في أكثر من مناسبة وهدفهم من ذلك الإطاحة بالحكم العثماني في الجزائر[5].

ولا يمكن أنْ نُنهي موضوع التّدخلات الجزائرية في شؤون تونس دون أنْ نطرح التّساؤل التّالي: هل من الممكن أنْ تكون التّدخلات الجزائرية بدافع الخوف من انتشار الفوضى والتّمرد من تونس إلى الجزائر؟

**4- خوف الدّايات من انتقال عدوى الأزمات السّياسيّة من تونس نحو الجزائر:**

ذكر "التايب" أنّ حكام تونس تدخلوا مراراً في النّزاعات الدّاخلية لطرابلس الغرب، مثل مراد الأوّل 1613-1630م، وإبراهيم الشّريف 1702-1705م، ثمّ حمودة باشا الحسيني أواخر القرن الثّامن عشر 1782-1814م، في حين أنّ حسين باي تونس 1824-1835م استشار بعض رجال دولته سنة 1834م بخصوص أزمة الحكم القرمانلي في طرابلس الغرب، فأشاروا عليه بالتّدخل خوفاً من أنْ يسري الفساد من طرابلس الغرب إلى الأعراض

1- نجوى طوبال، المرجع السّابق ص 12؛ المنور مروش، المرجع السّابق، ص 377.

2- فاطمة بن سليمان المرجع السّابق، ص 199.

3- حمودة بن عبد العزيز، المصدر السّابق، ص-ص 8-9.

4- محمّد بن ميمُون الجزائري، المصدر السّابق، ص-ص 20-21.

5- للمزيد من التّفاصيل حول هذه التّحالفات **يُنظر**: المبحث الأوّل من الفصل الرّابع من هذه الأطروحة.

التي تسكنها قبيلة ورغمة ذات النّزعة البدوية والاستقلالية، وأشار نفس الكاتب إلى أنّ إيالة طرابلس أصبحت إلى حدّ ما امتداداً للمجال التّونسي، وأنّ حسين باي المذكور راسل الباب العالي يطلب ضمّ طرابلس الغرب إلى إيّالة تونس خلال نفس الأزمة[1]، ونفهم من هذا كلّه مدى حرص حكام تونس خلال الأسرة المرادية ومن بعدها الأسرة الحسينية على التّدخل في شؤون طرابلس الغرب واعتبارها امتداداً جغرافياً لإيالة تونس في محاولات منهم لإخضاعها، معتمدين في ذلك على الإرث التّاريخي للحفصيين.

وبالنّسبة لمشكلة انتشار عدوى الأزمات السياسية فقد أشار "بوايي" إلى انقلاب الأغوات في الجزائر على الباشوات سنة 1659م، حيث قال أنّه لا يمكن فصل هذا الحدث عن ما حصل من تطوّر سياسي في الإيّالة المجاورة، بعد حادثة البلوكباشية 1591م[2]، والتي سبق الإشارة إليها في الفصل الثّاني.

فإذا وضعنا الموضوع في ميزان، تُمثِّل الجزائر أحد كفتيه وتُمثِّل تونس كفته الأخرى، نجد أنّ هذا الطّرح وهذا التّوجه يمكن إسقاطه على الواقع الجزائري حينئذ، ونعني هنا التّدخل الجزائري في شؤون الإيّالة التّونسية خلال أزماتها السّياسيّة، خاصة وأنّ الحدود الشّرقية لإيّالة الجزائر كانت تسيطر عليها واحدة من أقوى قبائل المنطقة؛ وهي قبيلة الحنانشة، وهي الذّريعة التي اتخذها رجال الدّولة التّونسية عندما استشارهم حسين باي من أجل التّدخل في شؤون إيّالة طرابلس الغرب، فإذا تقبلنا المبررات التّونسية من أجل التّدخل في إيّالة طرابلس الغرب، فمن باب العدل والمساواة أن نتقبل كذلك نفس المبررات للتّدخل الجزائري في إيّالة تونس، ومن الممكن أنّ نفس السّبب هو الذي جعل حاكم طرابلس الغرب يعرض المساعدة على محمَّد الحفصي في صراعه مع أبناء أخيه مراد الثّاني، وبالتّالي فالتّدخل في شؤون تونس وأزماتها كان وارداً ومُمْكِناً حتّى من حكام طرابلس الغرب أنفسهم.

وما يمكن أنْ نستنتجه هو أنّ التّدخل في شؤون الغير ليس حكراً على حكام الجزائر، وليس وليد الفترة الحديثة، وإذا أخذنا بلاد المغرب كمثال فنجد الكثير من الدّراسات التي تناولت صراعات الحفصيين مع الزيانيين والمرينيين ما بين القرنين الثّالث عشر والخامس

---

1- المنصف التايب، المرجع السّابق، ص-ص 13-14.

2- Pierre Boyer, Op.Cit, p 162.

عشر الميلاديين، فقد كان جيران الزيانيين من الشّرق والغرب يطمحون إلى بسط نفوذهم على أراضي المغرب الأوسط التّابعة للدّولة الزّيانية، وظهر ذلك من خلال الحروب الطاحنة والحصار التي تعرضت له مدينة تلمسان عديد المرات وعانى سكانها بسبب ذلك الجوع والقتل والتشريد[1]، وبالتالي فالصّراع والتّدخلات بين الجيران والأشقاء في ذلك الوقت كان أمراً عادياً فالجميع في سباق محموم من أجل الحفاظ على مُلكه، لأنّ في نظرهم البقاء للأقوى دائماً.

إضافة إلى ذلك فإنّ منطقة بلاد المغرب بسبب قربها الجغرافي من دول أوروبا جعل حكومات وقناصل هذه الأخيرة تتدّخل باستمرار في كل من تونس والجزائر وحاولت بذلك زرع بذور الفتن بين الجارتين حتّى يحققوا أهدافهم، وقد بدا ذلك جليا خلال القرن التّاسع عشر (19) بعدما احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830م، وازداد نفوذها داخل إيّالة تونس وحققت هدفها بعد حوالي خمسين سنة، حيث فرضت حمايتها على تونس؛ سنة 1881م.

ومجمل القول بالنّسبة للتّدخلات الجزائرية في شؤون إيّالة تونس هو أنّه لم يكن هناك سبب واضح ومباشر لهذه التّدخلات، وإنّما تحكمت في ذلك مجموعة من الأسباب، عادة ما تكون ظرفية–آنية لها علاقة مباشرة بالحدث، وقد أشرنا قبل ذلك إلى تراجع مداخيل البحرية وتأثيرها على سياسة الدّايات وأوضاع الدولة العثمانية في حد ذاتها، ومن المؤكّد أنّ هذه العوامل شجعت بعض الدّايات على التّدخل في شؤون إيّالة تونس، لأنّه ليس كلّ الدّايات الذين حكموا خلال النّصف الأوّل من القرن الثّامن عشر تدخلوا في شؤون إيّالة تونس، فقد أوضحنا أنّ الدّاي كور عبدى كان محايداً خلال الأزمة الباشية الحسينية 1728–1729م، كما اتخذ محمّد بن بكير نفس الموقف من ثورة يونس على والده سنة 1752م، لكن اختلف الأمر بعد وصول الدّاي علي بوصبع إلى حكم الجزائر سنة 1754م، حيث تدّخل من أجل إزاحة علي باشا من حكم تونس وتسليمه إلى أبناء حسين بن علي سنة 1756م كما أسلفنا الذّكر، وبالتّالي فشخصية الدّاي في حدّ ذاتها وطبيعة علاقته ببايات تونس كان لها أبلغ الأثر في قرار التّدخلات.

---

1- عبد العزيز فيلالي، "**الأحوال الصحية لسكان تلمسان في عهد بني زيان (تأثير الأمراض والأوبئة والكوارث الطبيعية والأزمات السياسية على السكان)**"، الملتقى الدولي التغييرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، قسنطينة، 23–24 أفريل 2001م، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة، ص 167.

في حين ذهب الأستاذ "سوداني" إلى أنّ الضّرورة هي التي حتّمت على السّلطات العثمانية في الجزائر الانخراط في صراع الأجنحة داخل البيت الحسيني، وأرجع ذلك إلى أنّ حكام تونس هم من كانوا يلجؤون خلال الأزمات إلى السّلطات العثمانية في الجزائر من أجل مساعدتهم، وبالتّالي فإنّ إيّالة تونس هي من كانت تُصدِّر أزماتها السّياسية إلى الجزائر، وأنّ دايات الجزائر لم تكن لهم نيّة في الهيمنة على تونس وإلحاقها بالجزائر[1].

ونستطيع التّذكير هنا بأنّ أوّل نية حقيقية للتدّخل من الباشا ميزومورتو سنة 1688م من أجل مساعدة بن شكر كلفت الباشا منصبه، بسبب رفض الدّيوان هذا التّدخل، كما أنّ الدّاي علي بوصبع رغم حرصه على التّدخل وإزاحة علي باشا على كرسي تونس وتسليمه لأبناء حسين بن علي سنة 1756م، إلاّ أنّه في الوقت نفسه رفض عرض باي قسنطينة حسن أزرق عينه ضمّ تونس إلى إيالة الجزائر بعد الإطاحة بعلي باشا، وهو ما نستنتجه من إجابه الدّاي التي نورد منها المقتطف التالي: «إن الأوجاق الثلاثة –تونس والجزائر وطرابلس– من ممالك السلطنة العلية العثمانية، ونحن على طاعتها، ولو صحت هذه الضريبة من المال في الإسلام يكون سلطان المسلمين أولى بها، ونحن عبيد طاعته»[2]، وهذه المعطيات تدحض النّظرية القائمة على نية السّلطة العثمانية في الجزائر التّوسع والسّيطرة على الإيّالة المجاورة.

**ثانياً– قراءة نقديّة لمواقف القبائل الجزائرية من أزمات تونس السّياسيّة:**

تشير الدّراسات إلى أنّ القبائل كان ولاؤها دائماً لمن يدفع أكثر، خاصة وأنّ القبائل المعنية هنا هي التي تقطن أطراف الإيالتين، النّاحية الغربية من إيالة تونس والجهة الشّرقية لإيالة الجزائر، وبحكم قوتها تعتبر نفسها مستقلة عن كلا السّلطتين في الإيالتين، وعلى هذا الأساس فإنّ هذه القبائل جعلت مصالحها الخاصة فوق جميع الاعتبارات الأخرى، وتحالفت مع من يحقق مصالحها ودعمته بالفرسان والأسلحة، وساهمت في الكثير من الأحيان في حسم المعارك لصالح حلفائها.

---

1- عبد القادر سوداني، المرجع السّابق، ص ص 113، 119.

2- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 154.

ورغم أنّ مشاركة القبائل الحدودية في كل من الإيالتين في الأحداث السّياسية وخاصة الأزمات السّياسية في تونس وانخراطها في الصّراعات السّياسية على السّلطة حقيقة، إلاّ أنّها ليست كل الحقيقة، فلم تشارك هذه القبائل في الأحداث الدّائرة بملء إرادتها دائماً، بل أجبرها، في بعض الأحيان، أطراف الصّراع على الدّخول في خضم هذه الأحداث مستعملين في ذلك سياسة التّرغيب والتّرهيب، فقد حارب علي الشّابي قبيلة الحنانشة سنة 1631م وأعادها إلى صفه بالقوة، واتبع ابنه بوزيان طريقة والده في التّعامل مع القبائل منذ توليه مشيخة الطّريقة سنة 1637م، ففي سنة 1646م حارب الأخير قبيلة دريد وأعادها إلى صفه بالقوّة، ثمّ التفت إلى طرود حيث هاجمها في موطنها بأرض سوف وفرض على زعمائها شروطه ومنها ضريبة تؤديها القبيلة كل سنة، وأعاد الكّرة بعد ذلك سنة 1664م، حيث كوّن من طرود جيشاً لمحاربة الباي حمودة باشا[1].

ورغم ذلك لم يكن منطق القوّة حاضراً دائماً في تعامل أطراف الصّراع مع القبائل، فقد استمال حمودة باشا المرادي قبيلة طرود عن طريق الدّيبلوماسية، فقد أكمل الأخير مساعي والده في كسب ولاء هذه القبيلة، وكانت طرود قد فارقت عبد الصّمد الشّابي بعدما رفض إعطاءها ثمن مشاركتها معه الحرب ضد السّلطة في تونس، حيث اغتنم الباي هذه الفرصة وتمكن من استمالة طرود التي شاركت الباي في حروبه ضدّ الشّابية[2]. ومن المؤكّد أنّ طروداً لم تكن القبيلة الوحيدة التي سعت أطراف الصّراع إلى استمالتها، خاصة وأنّ هناك العديد من القبائل القوية والتي حاولت السّلطة في تونس وحتّى الأطراف الأخرى كسب ثقتها، كقبيلة الحنانشة مثلاً، فقد حاول علي باشا كسب ولائها بعد ثورته ضدّ عمه سنة 1728-1729م، عن طريق المصاهرة، حيث تزوّج هو وابنه يونس من هذه القبيلة التي دعمته بعد ذلك سنة 1735م من أجل الوصول إلى حكم تونس[3]، وقد صاهر كل من علي باي المرادي وأخوه محمّد باي، خلال صراعهما على السّلطة، أحد فروع قبيلة الحنانشة قبل ذلك، طمعاً في الدّعم والمساندة.

---

1- علي الشابي، **العلاقات...**، المرجع السّابق، ص 82؛علي الشابي، "**تاريخ الشابية...**، المرجع السّابق، ص-ص 375-376.

2- علي الشابي، **العلاقات...**، المرجع السّابق، ص 82.

3- العربي الحناشي، المرجع السّابق، ص 59.

## خلاصة الفصل:

ما يمكن أن نستخلصه بعد تعرضنا لمواقف الجزائريين من أزمات تونس السياسية، هو أنّ مواقف السّلطات في الجزائر من هذه الأزمات كانت متعددة وغلب عليها الحياد خلال الفترة من نهاية القرن السّادس عشر إلى نهاية القرن السّابع عشر ميلادي، ثمّ تغيرت بعد ذلك وبوصول الدّايات في الجزائر إلى السّلطة، وتحولت خلال القرن الثامن عشر إلى تدخلات عسكرية خلال النصف الأوّل من نفس القرن، لتتوقف بعد ذلك هذه التّدخلات إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، في حين غلب على موقف القبائل الجزائرية من أزمات تونس السّياسية الدّخول ومساندة أحد أطراف الصّراع، ولكن كذلك لم تكن القبائل حرة دائما في اختياراتها، فقد تعرضت لضغوطات مختلفة من أطراف الصّراع من أجل كسب ولائها.

وبعد استعراض مواقف الجزائريين من الأزمات السّياسية في تونس، والتي كانت مختلفة ومتنوعة كما أوضحنا، فماذا عن انعكاسات هذه الأزمات على إيالة الجزائر يا تُرى؟

# الفصل الرّابع:

# انعكاسات الأزمات السّياسيّة في تونس على إيّالة الجزائر

**المبحث الأوّل:**

**الانعكاسات السّياسيّة والعسكريّة**

**المبحث الثّاني:**

**الانعكاسات الاقتصاديّة**

**المبحث الثّالث:**

**الانعكاسات الاجتماعيّة**

**المبحث الرّابع:**

**الانعكاسات الثّقافيّة والدّينيّة**

بعد أنْ حاولنا في الفصول السّابقة الخوض في تفاصيل العلاقات السّياسية بين إيالتي الجزائر وتونس، وتعرّضنا إلى الأزمات السّياسية التي ضربت الإيّالة التّونسية من نهاية القرن السّادس عشر (16) إلى بداية القرن التّاسع عشر (19) الميلادي ونتائجها على إيّالة تونس، ثمّ عرّجنا على المواقف المختلفة للسّلطة العثمانية في الجزائر من هذه الأزمات، وأبرزنا أنّ هذه السّلطة لم يكن هدفها التّدخل دائماً في شؤون تونس وإنما توافرت مجموعة من العوامل جعلت السّلطة الجزائرية تغير موقفها خاصة مع بداية القرن الثّامن عشر ميلادي من الحياد ومساعدة السّلطة في تونس إلى تدخلات عسكرية تسببت في تغيير السّلطة مرتين؛ سنة 1735 و1756م، ولم تقتصر نتائج الأزمات السّياسية على تونس بل تعدت الحدود الجغرافية للإيالة التّونسية ووصل تأثيرها وانعكاساتها إلى إيّالة الجزائر، بحكم القرب الجغرافي وعوامل الوحدة المشتركة بين العمالتين، ومن أجل ذلك خصّصنا الفصل الرّابع والأخير من هذه الأطروحة لدراسة الانعكاسات المختلفة للأزمات السّياسية في تونس على إيّالة الجزائر.

ورغم أنّ الأزمات التي خصها هذا العمل بالمعالجة والدّراسة ذات طبيعة سياسية، إلاّ أنّ ذلك لا ينفي تنوع نتائجها وانعكاساتها على إيّالة الجزائر، وقد وجدنا بعد التّعمق أكثر في موضوع هذه الدّراسة أنّ انعكاساتها كثيرة ومتنوعة من حيث الطبيعة، فهناك السّياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية وحتّى الدّينية والثّقافية، ولم يقف التّنوع عند طبيعة الانعكاس، بل تعدته إلى أكثر من ذلك، فحتّى الانعكاسات التي تنتمي إلى طبيعة واحدة قد تتنوع من حيث تأثير الانعكاس على أكثر من صعيد، فالسّياسية مثلاً قد يكون تأثير الأزمة على الحاكم نفسه أو على طبيعة الحكم في الإيّالة، بينما نجد تأثيراً سياسياً آخر يخص موقف بايات تونس من بعض أزمات الجزائر، والاجتماعية أيضاً كذلك، حيث وجدنا هجرات في أوقات مختلفة للتّونسيين بسبب الأزمات السّياسية في بلدهم، بينما تأثرت القبائل الجزائرية القاطنة على الحدود مع إيّالة تونس بالضّغط الممارس عليها من قبل أطراف الصّراع في تونس وتعرضت بسبب ذلك للعقاب من البايات التّونسيين، كما تعرّضت نفس القبائل للإغراءات المادية من أطراف الصّراع في إيّالة تونس أحياناً أخرى، ونفس الشّيء يمكن إسقاطه على باقي الانعكاسات الأخرى الاقتصادية والدّينية والثّقافية كذلك.

## المبحث الأوّل: الانعكاسات السّياسيّة والعسكريّة

### أولاً- اضطرابات على مستوى السّلطة العثمانية في إيّالة الجزائر:

رغم أنّ الأزمات السّياسية التي تمّ التّطرق إليها في الفصل الثّاني من هذه الدّراسة هي أزمات خاصة بالإيّالة التّونسية إلاّ أنّ انعكاساتها تعدت حدود هذه الإيّالة، وأثّرت بشكل مباشر وغير مباشر على السّلطة العثمانية في الجزائر وعلى مؤسسات الدّولة بها.

#### أ- إقالة الدّايات والباشوات من مناصبهم:

#### 1- الباشا حسين ميزومورتو والدّاي إبراهيم خوجة:

تمّ إقالة حسين ميزومورتو سنة 1688م من قبل الدّيوان والانكشارية، فقد ثاروا عليه وخلعوه بسبب تأييده محمَّد بن شكر في ثورته ضدّ صهره محمَّد باي من أجل الاستحواذ على منصب باي تونس. واضطر ميزومورتو إلى مغادرة الجزائر متوجهاً إلى الاستانة، ولمّا بلغ أمره محمَّد باي تونس أرسل له مركباً أتاه به، حيث تقبل عذره وأكرم وفادته وسمح له بالتوجه إلى الباب العالي بحراً، وبقي في خدمة السّلطان العثماني، وترقى إلى أنْ وصل منصب قبطان باشا [1]، بينما اتفق كل من "الباجي" و"روسو" و"التر" على أنّ كلاً من الباشا ميزومورتو والدّاي إبراهيم خوجة فرّا إلى تونس في أوقات مختلفة، ففي حين ذهب الأوّل والثّاني إلى أنّ كليهما حظي بأحسن استقبال من الباي نفسه والذي ساعدهما على الوصول إلى الاستانة، وسكت الأخير عن معاملة محمَّد باي لهما[2].

#### 2- الدّاي حسين شاوش:

انفجرت مدينة الجزائر ضدّ الدّاي حسين شاوش مع وصول أخبار قسنطينة، فقد ثار الجند والضباط في الجزائر ضدّه، واضطر الدّاي إلى الاستقالة في الثّالث والعشرين (23) من شهر جويلية سنة 1700م، بسبب ضعفه وعجزه عن معالجة قضية هجوم مراد بوبالة وحِصَارِه لقسنطينة، حيث ترك مجال الاختيار أمام هذه الطّائفة مفتوحاً لتنصيب من يريدون داياً، فوقع اختيار الدّيوان على مصطفى عشي في نفس اليوم، واختار هذا الدّاي الانسحاب

---

1- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 63، بينما ذهب "مقديش" إلى أنّ من كان في حالة فرار من الجزائر إلى الإستانة وأرسل محمَّد باي في طلبه هو الدّاي إبراهيم خوجة وليس ميزومزرتو، حيث تحالف الأخير مع الانكشارية للفتك بالأوّل، وأنّ محمَّد باي عامل إبراهيم خوجة معاملة حسنة، **يُنظر**: محمود مقديش، المصدر السّابق، ص-ص 134-135.

2- الباجي المسعودي، المصدر السابق، ص 234؛ ألفوص روسو، المرجع السّابق، ص 140؛ عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص 431.

مع عائلته إلى طرابلس تحت ضغط الجند، ومن هناك انتقل إلى القسطنطينية، وقد خصص له الدّاي الجديد مركباً وحياه بطلقات مدفعية عند مغادرته[1].

**3- الدّاي حسن خوجة:**

في بداية سنة 1707م، وقعت في الجزائر محاولة انقلاب ناجحة من محمَّد بن كور عبدي ورفاقه، كان ضحيتها الدّاي حسن خوجة وتسببت هذه الحادثة في إقالة الدّاي، وتولي محمّد بن كور عبدي مكانه في الثّالث (03) من فيفري 1707م، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه المحاولة تمت بمساعدة من باي تونس؛ حسين بن علي، للإطاحة بالدّاي حسن خوجة[2]. ومن الممكن أنّ مساعدة باي تونس لمحمَّد بن كور عبدي كانت رد فعل ضدّ هذا الدّاي بسبب أنّ الأخير عندما وصل إلى السّلطة في الجزائر بدأ عهده بأطلاق سراح إبراهيم الشّريف وسمح له بالذّهاب إلى تونس في محاولة لاستعادة ملكه من حسين بن علي باي، مقابل الاعتراف بسيادة داي الجزائر، لكن باي تونس لم يترك له الفرصة واستطاع قتله بمجرد دخوله الأراضي التّونسية عند ميناء غار الملح[3].

**ب- مقتل العديد من دايات الجزائر وباياتها:**

في الحقيقة الموت هو نهاية كل كائن حي طال الزّمن أو قصر، وهو سنة الله في هذا الكون، وقد خاطب الله الإنسان بحكم أنّه الكائن الحي الوحيد الذي ميزه عن سائر المخلوقات بالعقل، حيث قال في محكم تنزيله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾[4]، هذا عن الموت، أمّا عن أسباب الموت فكثيرة ومتعددة، فقد قال الشّاعر: "تعددت الأسباب والموت واحد" [5].

---

1- محمّد بن ميمون الجزائري، المصدر السّابق، ص 26؛ حنيفي هلايلي، **أوراق...**، المرجع السّابق، ص 47.

2- محمّد بن ميمون الجزائري، المصدر السّابق، ص-ص 137-138.

3- أحمد توفيق المدني، **مُحّمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1792**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، د.ط، ص 47.

4- سورة المؤمنون، الآية: 15.

5- وأصلها بيت الشّعر هذا: ومن لم يمت بالسّيف مات بغيره تنوّعت الأسباب والـداء واحـد

وهذا البيت للشّاعر ابن نباتة السّعدي، وهو من شعراء العهد العباسي (327-405هـ/941-1015م)، وُلد ببغداد وتُوفي بها، ويقول المحقق في تعليقه على هذا البيت، ولا عجب إذا اشتهر هذا البيت وهو لا يزال كذلك منذ مئات السنين، وقد افتتن وتلاعب قائلوه في ألفاظه وأبدلوا غيروا بعضها، **يُنظر:** أبي نصر عبد العزيز بن عمر بن نباتة السعدي، **ديوان ابن نُباتة السعدي**، ج 01، (درا) و(تح): عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، وزارة الإعلام، العراق، 1977م، د.ط، ص ص 22-25، 87-88.

وعن فئة الحكام في الجزائر العثمانية فإنّ الأستاذة "طوبال" أوردت في إحدى دراساتها عن فترة الدّايات في الجزائر خمسة أسباب لموت الحكام، وهذه الأسباب على التّوالي هي: الموت الطبيعي، الطاعون، الأفيون، الملاريا، وأخيرا القتل والذي احتل المركز الأوّل من بين جميع الأسباب المذكورة بنسبة 47%[1]، وأسباب القتل تختلف كذلك فمنها ما تعلق بأسباب داخلية ومنها ما كان له أسباب خارجية كالتّدخل في شؤون إيّالة تونس أثناء الأزمات التي مرت بها الجارة الشرقية خلال الفترة الحديثة، والقائمة الموالية توضح ذلك.

### 1- الدّاي الحاج شعبان:

ذكر "قنان" أنّ مقتل الدّاي شعبان في شهر أوت 1695م يعود إلى رغبته في تجريد حملة جديدة ضدّ تونس من أجل مساعدة بن شكر بعد أنْ تمكّن محمَّد باي من استعادة حكم تونس وافتكاكها من بين يدي الأخير[2]، وكان الدّاي الحاج شعبان قد وعد بن شكر بالمساعدة عند تعيينه على عرش تونس، في السّنة الفارطة، لكن الانكشارية رفضت دخول هذا الباي إلى الجزائر بعد أنْ عاد محمَّد باي إلى حكم تونس من جديد، وهددت الانكشارية الدّاي شعبان في حال عاد إلى حرب تونس، غير أنّ الدّاي لم يستمع للتّهديد وأصرّ على محاربة المتمردين في تونس، وأثناء ذلك ثارت فرق الجنود التي كانت تحرس الحدود مع إيّالة تونس، وعزمت على الهجوم على مدينة الجزائر، ورغم محاولات الدّاي شعبان إيقافها لكن دون جدوى، وانتهى هذا التّمرد بسجن الدّاي شعبان لمدة ثلاثة أيام، ثمّ قتله بأمر من خليفته الدّاي أحمد باشا[3].

جاء عند سعد الله: « ثم التفت إلى تونس من جديد ولكن الجنود ملوا الحرب بعد خوضها ثلاث سنوات فتمردوا عليه وسجنوه، ولكن خليفته، أحمد باشا، حكم بقتله في السجن خنقا»[4].

---

1- نجوى طوبال، المرجع السّابق، ص 18.

2- جمال قنان، **معاهدات**...، المرجع السّابق، ص 143؛ عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص 449.

3- محمّد بن ميمون الجزائري، المصدر السّابق، ص 25؛ E.cat, Op.Cit, p 310 ؛ Léon Galibert, Op.Cit, p 234.

وذكر "كات" أنّ الدّاي شعبان سُجن عشرة (10) أيام قبل إعدامه.

4- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث**...، المرجع السّابق، ج 02، ص 322.

**2- باي قسنطينة علي خوجة:**

توفي علي خوجة سنة 1700م أثناء حملة مراد باي الثّالث على قسنطينة، وفي نفس الحملة قام باي تونس بإلقاء القبض على أحد أبناء باي قسنطينة وزوجته، وبعد انتهاء الحملة وانتصار الدّاي الحاج مصطفى على باي تونس سار باتجاه قسنطينة وعين على رأسها أحمد فرحات خلفاً لعلي خوجة[1].

**3- الدّاي الحاج مصطفي:**

بعد وفاة مراد الثالث باي تونس سنة 1702م، وتقلُّد إبراهيم الشّريف منصب الباي، سرعان ما تعكر صفو العلاقات بين الإيالتين مجدداً، فقد توقف باي تونس عن دفع الاتاوات السّنوية إلى حكومة الجزائر منذ 1703م، ومجاهرته بالعداء للجزائر بعد الحملة التي قام بها ضدّ طرابلس الغرب، ممّا جعل داي الجزائر الحاج مصطفى يسير على رأس حملة إلى تونس بمساعد بوعزيز بن ناصر شيخ الحنانشة، حيث تمكّن الدّاي من هزيمة باي تونس في مدينة الكاف، وزحف بعدها على مدينة تونس غير أنّه لم يتمكن من دخولها بسبب قدرة الباي الجديد؛ حسين بن علي، على تنظيم دفاع المدينة بشكل جيد، اضطر بعدها داي الجزائر إلى فك الحصار. وفي طريق عودته إلى الجزائر لاحقته القبائل وكبّدت جيشه خسائر كبيرة بعد أنْ تخلى عنه شيخ الحنانشة بسبب استخفاف الدّاي الحاج مصطفى به ووفاة غريمه إبراهيم الشّريف. هذه الهزيمة جعلت الدّاي يمتنع عن دخول مدينة الجزائر ويفكر بعدها بالفرار لكن قُبض عليه في نواحي القل وتمّ قتله[2].

**4- باي قسنطينة حسن بن صالح باي 1807م:**

تمّ إعدام حسن بن صالح باي بعد الهزيمة التي تلقاها الجيش الجزائري في جويلية سنة 1807م على يد قوات تونس التي أرسلها حمودة باشا ضدّ قسنطينة بهدف وقف هيمنة دايات الجزائر على تونس، والتي سببت لباي تونس ولوالده من قبله قلقا كبيراً، فضلاً عما كانت تدفعه حكومة تونس لدايات الجزائر وبايات قسنطينة وحاشيتهم لأكثر من خمسين سنة متواصلة، لقد أدت هذه الأسباب وغيرها إلى إقدام حمودة باشا على إرسال محاله العسكرية إلى قسنطينة سنة 1807م، وفي إحدى المعارك انسحب باي قسنطينة تاركاً وراءه قائد

---

1- صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 148.

2- صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص-ص 148-149؛ Henri Garrot, Op.Cit, pp 556-557.

المحلة حسن آغا لوحده مما أثر على نتيجة المعركة وتسبب في هزيمة الجيش الجزائري، فما كان من داي الجزائر إلاّ أنْ أمر حسن آغا بإعدام باي قسنطينة الهارب، وقد ذكرت المصادر بأنّ هذا الباي كان شاباً تنقصه الخبرة والتّجربة[1]، وعُين علي شاوش بايا على قسنطينة[2].

**5- الدّاي أحمد باشا (1805-1808م) وباي قسنطينة علي شاوش (1807-1808م):**

بعد ما تمكّنت القوات الجزائرية من هزيمة الجيش التّونسي عندما هاجم قسنطينة أوّل الأمر ثمّ هُزمت بعد ذلك عندما عاود حمودة باشا الكرّة في شهر جويلية سنة 1807م، فجرد الدّاي أحمد باشا حملة عسكرية ضدّ تونس في السّنة الموالية، وأرسل إلى قسنطينة مبلغاً هاماً من المال لسدّ حاجيات الحرب، لكن قوات هذه الحملة قامت بثورة في قسنطينة وقتلت بايها علي شاوش، ورفعت طوبال أحمد لمنصب الباي[3]، وعند رجوعها إلى العاصمة قامت بثورة أخرى انتهت بقتل الدّاي أحمد باشا نفسه، واختاروا علي باشا (1808-1809م) مكانه[4].

**ج- فرار أفراد السّلطة في الجزائر إلى إيّالة تونس:**

فرّ مصطفى انجليز باي قسنطينة (1798-1803م) إلى تونس مع ولده علي، بعد عزله بسبب تجاوزات ابنه، فأكرمه حمودة باشا وأعطاه بستاناً بمنوبة، ووعده بإعادته إلى منصبه على رأس بايلك قسنطينة، فأغضب ذلك داي الجزائر، وبعد هذه الحادثة تغير خطاب داي الجزائر مع حمودة باشا، فقد كانت أوامر دايات الجزائر لبايات تونس مبطنة بعبارات الود والمحبة فتغيرت منذئذ، وأدى ذلك إلى توتر العلاقات بين الإيالتين، وكانت أحد أسباب حملة حمودة باشا على قسنطينة سنة 1807م[5]، وقد رافق مصطفى انجليز قادة الحملتين الأولى والثّانية التي أرسلهما باي تونس في السّنة المذكورة طمعاً في إعادة تنصيبه باياً على قسنطينة كما وعده حمودة باشا، لكن فشل الحملة الأولى وقوع معارك الحملة الثّانية

---

1- محمّد عطية، **التحالفات الإقليمية والدولية ضد إيّالة الجزائر 1541-1830م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 1441هـ/2019-2020م، ص 244.

2- صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 211.

3- قام الباي الجديد طوبال أحمد بقتل أحمد شاوش وهو أحد الجنود الذين تسببوا في هذه الثّورة وفي مقتل الباي السّابق علي شاوش بإيعاز من الدّاي أحمد باشا مقابل ابقائه في منصب الباي، **يُنظر**: المرجع نفسه، ص 212.

4- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السّابق، ص 129.

5- تفاصيل حملتي حمودة باشا على قسنطينة سنة 1807م، **يُنظر**: عنوان **الحملات العسكرية التّونسية ضدّ إيّالة الجزائر**، في الصفحات الموالية من هذا المبحث.

على الحدود بين الإيالتين بعيداً عن مدينة قسنطينة جعلت أحلام الباي انجليز تذهب أدراج الرياح، وجعله ذلك يستقر في تونس إلى غاية وفاته بها سنة 1813م[1].

**ثانياً- انعكاساتها على الجيش الجزائري:**

**أ- خسائر الجيش الجزائري:**

**1- الخسائر البشرية:**

خلال هجوم مراد الثّالث على قسنطينة سنة 1700م، انتصر الأخير على الجيش الجزائري في المعركة الأولى، وقُتل حوالي 500 جندي انكشاري من قوات الجزائر، وقطعت آذانهم وأرسلها الباي إلى تونس كدليل على الانتصار[2]، بينما خسر الجزائريون خلال الحملة الثّانية التي أرسلها حمودة باشا لضرب العثمانيين في قسنطينة سنة 1807م حوالي ألفي (2.000) قتيل وثمانمائة (800) أسير[3]، وقد أورد "بن أبي الضياف" بأنّه تم تبادل الأسرى بين الطّرفين الجزائري والتّونسي خلال شهر أكتوبر من سنة 1807م، حيث انتصر الجزائريون خلال شهر ماي وأُسر الكثير من التّونسيين، بينما أسر التّونسيون في معركة سلاطة خلال شهر جويلية ما ذكرناه قبل قليل، وقد جاء على لسان المُؤلِّف:« ولما وصل من لم يستطع الهروب من عسكر الجزائر خيَّرهم الباي بين الثبات في عسكر تونس، أو الرجوع إلى بلادهم، فاختار أكثرهم الرّجوع إلى الجزائر، فوجههم في البحر وأكرمهم. والمراكب التي بلّغتهم، رجعت بعسكر تونس الذين أخذوا في محلة قسنطينة، وكان وصولهم في شعبان السنة 1222 (أكتوبر 1807م)»[4].

**2- الخسائر المادية:**

غنم مراد بوبالة، خلال حملة 1700م، ستة مدافع من النّحاس أرسلها إلى تونس بعد انتصاره في المعركة الأولى على باي قسنطينة علي خوجة[5]، كما استولى الجيش التونسي على كل ما خلفه الجيش الجزائري وراءه بعد انهزامه في معركة سلاطة في جويلية 1807م، حيث أشار إلى ذلك "بن أبي الضياف" أثناء حديثه عن تفاصيل هذه الواقعة: « وفي الصباح استولى الوزير أبو المحاسن يوسف [صاحب الطابع] على أثقال المحلة من مدافع

---

1- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 02، ج 03، ص ص 40-42، 59.

2- حنيفي هلايلي، **أوراق**...، المرجع السّابق، ص 47؛ ألفوص روسو، المرجع السّابق، ص 148.

3- محمّد عطية، **التحالفات**...، المرجع السّابق، ص 245.

4- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 02، ج 03، ص 49.

5- محمود مقديش، المصدر السّابق، ص 145.

وسلاح وإبل وغير ذلك من الآلات»[1]، ويوحي ذلك بأنّ الخسائر التي تكبدها الجيش الجزائري من جراء الحملات التّونسية على إيّالة الجزائر كثيرة ومتنوعة كالأسلحة والآلات والخيام وحتّى الإبل وغيرها.

ويجدر التّنويه إلى الخسائر الأخرى التي تعرض لها الجيش الجزائري خلال حملاته على إيّالة تونس والتي أشرنا إليها من قبل في الفصل الثّالث من هذه الدّراسة، مثل حملات 1695، 1735، 1746، وحملة 1756م رغم أنّه انتصر في جميعها، ولكن الانتصار لا يعني بالضّرورة عدم وجود خسائر على الأقل البشرية منها، فخلال المعارك التي خاضها ضدّ الجيش التّونسي تكبد جيش الجزائر خسائر بشرية ومادية كبيرة فالقتلى والجرحى يصل في بعض الأحيان إلى المئات.

**ب-التحاق أفراد جند التّرك التّونسي بالجزائر:**

تلقى مراد بوبالة هزيمة نكراء، عندما هاجم مدينة قسنطينة، على يد الدّاي الحاج مصطفى سنة 1700م، وتمكنت القوات الجزائرية من أسر عدد كبير من قوات باي تونس، قدرته بعض الدّراسات بحوالي ألفي (2.000) تونسي، وسُمح للجنود الأتراك الذين تمّ أسرهم خلال هذه الحملة بإنقاذ أنفسهم عن طريق التّجنيد في فرق الإنكشارية الجزائرية[2]، وحول هؤلاء الأسرى أشار ابن العطار أنّه تمّ إجبارهم على جر المدافع التي أتى بها مراد باي، وعددها خمسة وعشرون مدفعاً، وعندما بلغوا بها قسنطينة، خيروهم بين الرّجوع إلى تونس أو البقاء في الجزائر، فمنهم من رجع ومنهم من أختار العمل في الجيش الانكشاري الجزائري[3].

وفي سنة 1752م، بعد انتهاء ثورة يونس على والده، أكثر علي باشا وولده محمّد من معاقبة المتعاونين مع يونس، ومن جملة هؤلاء جند التّرك التّونسي، فأكثرهم سافر إلى الجزائر[4]، وحتّى الذين حملتهم الأقدار إلى مدن أخرى كالإسكندرية أو أزمير، سافروا من

1- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 02، ج 03، ص 49.

2- حنيفي هلايلي، **أوراق...**، المرجع السّابق، ص 48.

3- أحمد بن المبارك بن العطار، المصدر السّابق، ص 111. تجدر الإشارة إلى أنّه رغم ما كانت تقوم به الانكشارية من ثورات من حين لآخر في الجزائر إلاّ أنّ تجنيد هذه الفئة من الأناضول تواصل إلى سنة 1830م، حول هذه النّقطة **يُنظر:** م.و.ج، ر.ع، مجموعة رقم 1903، وث 12، 38، 42، 54؛ مجموعة رقم 3190، ملف رقم 01، وث 20، 25، 143.

4- في الحقيقة الفرار لم يكن من جهة واحدة فقد فرّ جند التّرك الجزائري نحو تونس وطرابلس الغرب عديد المرات، وراسل الباب العالي من أجلهم حكام المقاطعتين المذكورتين وأمرهم بعدم استقبالهم وبردهم إلى الجزائر، **يُنظر:** م.و.ج، ر.ع، مجموعة رقم 3190، ملف رقم 01، وث 143؛ أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 220، ملف رقم 348، وث 01، 03.

المدن التي استقروا بها أوّل الأمر إلى الجزائر وانضموا إلى أصدقائهم هناك[1]، مثل أغلب أفراد حامية الكاف، وهؤلاء الجند تقوى بهم عضد محمَّد باي وعلي باي بن حسين أثناء حملة 1756م[2].

**ثالثاً- مظاهر الهيمنة الجزائرية على إيّالة تونس 1735-1807م:**

**أ- المعاهدات المبرمة بين الإيّالتين:**

من المؤكّد أنّه ليس كل المعاهدات المبرمة بين الإيالتين الجزائرية والتّونسية يحمل بنودها دلالات النّفوذ والهيمنة الجزائرية على تونس، خاصة خلال القرن الثّامن عشر (18) الميلادي، فقد وُجدت معاهدات خلال القرن السّابع عشر (17) ميلادي حول ضبط الحدود بين البلدين (1614 و1628م)، تفادياً للأزمات التي يمكن أنْ يُحدثها تجاوز الحد من أحد الأطراف، لكن وفي المقابل فهناك معاهدات جاءت نتيجة لمساعدة السّلطات الجزائرية لأحد أطراف الصّراع على عرش تونس مثل معاهدة 1735 ومعاهدة 1756م.

**1- معاهدة 1702م:**

ليس هناك معلومات كثيرة حول هذه المعاهدة، سوى أنّها عُقدت بين داي الجزائر الحاج مصطفي وباي تونس الجديد إبراهيم الشّريف سنة 1702م، يدفع بموجبها الأخير إتاوة سنوية لحكومة الجزائر[3]، ومن المؤكّد أنّ الإتاوة لم تكن البند الوحيد في هذه المعاهدة، غير أنّها وفي المقابل تمثل أهم البنود نظراً لأهمية هذه الضّريبة السّنوية بالنّسبة لإيّالة الجزائر، خاصة وأنّ هذه الفترة شهدت بداية تراجع نشاط الأسطول الجزائري، ونقص عائدات هذا النّشاط.

**2- معاهدة 1735م:**

ما قلناه عن المعاهدة الأولى ينطبق على هذه المعاهدة، فلا وجود لتفاصيل المعاهدة التي أبرمت بين علي باشا وبين باي قسنطينة حسن بوكمية؛ نيابة عن الدّاي إبراهيم خوجة، فقد اشترط الدّاي خلال اتفاقه مع علي باشا مقابل مساعدته على حكم تونس أنْ يبقى الأخير تحت نفوذ الجزائر[4]، ونورد بعض الإشارات التي وردت في مراجع مختلفة حول هذا

1- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 03، ص 170.

2- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام**...، المرجع السّابق، ص 143.

3- صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 149.

4- المرجع نفسه، ص 159.

الاتفاق، الذي تمّ بين باي قسنطينة وابراهيم الخزناجي من جهة وبين علي باشا بعد اعتلائه عرش تونس:

- تعهد علي باشا بدفع ضريبة سنوية لحكومة الجزائر قدرها خمسون ألف (50.000) بياستر[1]، وذكر "دي غرامون" أنّها (200.000) إيكوس[2].
- إرسال علي باشا لهدايا ثمينة للدّاي إبراهيم خوجة.
- تنازل علي باشا عن كل غنائم هذه الحرب للجيش الجزائري.
- التزام باي تونس بإرسال شحنات من الحبوب إلى الجزائر تخصص للجيش الانكشاري، كلما احتاجوا إلى ذلك[3].

### 3- معاهدة 1756م

استعاد أبناء حسين بن علي عرش تونس بمساعدة داي الجزائر علي بوصبع الذي جرّد حملة عسكرية سنة 1756م أطاحت بعلي باشا، وفي المقابل اعترف الأخوان بسيادة داي الجزائر عليهم عن طريق معاهدة عُقدت بين الطّرفين في نفس السّنة[4]، وقد احتوت المعاهدة المذكورة على بنود تظهر فيها الهيمنة الجزائرية على بايات تونس بوضوح، ومن بين بنود هذه المعاهدة نذكر:

- التزام أبناء حسين بن علي باي بدفع مصاريف الحملة الجزائرية التي قادتهم إلى حكم تونس من جديد[5].
- التزام بايات تونس بإرسال ضريبة سنوية وحمولة من الزّيت وعدد كبير من الهدايا إلى داي الجزائر وباي قسنطينة وحاشيتهم.
- احترام السّفن الجزائرية عند رسوها بأحد موانئ تونس.
- عدم تجاوز العلم التّونسي وسط السّارية عند رفعه.

---

1- Ernest Mercier, Op.Cit, p 252.

2- H.-D. de Grammont, Op.Cit, p 295.

3- يوسف مالكي وحميد آيت حبوش، "**النفوذ الاقتصادي الجزائري في إيالة تونس (1705-1782م)**"، مجلة عصور الجديدة، مج 12، ع 01، ماي 2022م، جامعة وهران 01، ص 324.

4- عبد الحميد هنيّة، المرجع السّابق، ص 174.

5- أشرنا فيما سبق إلى أنّ الدّاي علي بوصبع طالب باي تونس بمصاريف حملة 1756م حسب المراسلات التي أشرنا إليها سابقاً، والموجودة بالأرشيف الوطني التّونسي.

- هدم تحصينات مدينة الكاف، نظراً لأهمية هذه المدينة في استراتيجية الدّفاع عن العاصمة التّونسية في حال تعرضت تونس لحملة عسكرية جزائرية خاصة وأنّها تقع على الحدود الجزائرية التّونسية وفي الطريق الرّابط بين قسنطينة ومدينة تونس.
- احترام السّلطات التّونسية وكيل داي الجزائر ووكيل باي قسنطينة كما تحترم سفراء الدّول الأوروبية[1].

**ب- الضّريبة السّنوية:**

تعهد علي باشا بدفع ضريبة سنوية إلى حكومة الجزائر قدرها خمسون ألف (50.000) بياستر وكمية من القمح من أجل اطعام عسكر الجزائر، وهذا بعد حملة سنة 1735م الذي أوصلته إلى حكم تونس[2]، كما أشرنا إلى ذلك من قبل، ونفس الشّيء فعله أبناء حسين بن علي، فمنذ تنصيبهم على عرش تونس سنة 1756م لم يتوقفوا عن أداء الضّريبة السّنوية لحكومة الجزائر إلاّ سنة 1807م عندما قطعها حمودة باشا في نفس السّنة التي شن فيها حرباً على إيّالة الجزائر، حيث وجه الأخير حملة على مدينة قسنطينة في جانفي من السّنة نفسها بعدما توترت العلاقات بين البلدين، أمّا عن تفاصيل هذه الضّريبة فقد جعلها "دي بارادي (de Paradis)" 250 جرّة من الزّيت، و50 جرة من السّمن المملح، و20 جرّة صابون، وهدايا معتبرة لكبار موظفي إيّالة الجزائر؛ مثل الشواشي والسّروج المطرزة والشّالات الجربية الفاخرة، وغيرها من المنتجات التّونسية والمستوردة، وقُدّر مجموع قيمتها حوالي مائة وخمسين ألف (150.000) جنيه[3].

وكان بايات تونس لا يتأخرون عن دفع هذه الضّرائب حتّى في الظّروف الاستثنائية التي كانت تمر بها إيّالة تونس، ففي الرّابع والعشرين (24) أكتوبر من سنة 1795م جاء الحاج علي وكيل الجزائر بتونس على متن سفينة تابعة للبندقية تحمل الضّريبة السّنوية التي أرسلها حمودة باشا إلى حكومة الجزائر، وكانت تونس وقتئذ في حرب مع علي برغل حاكم طرابلس الغرب الذي استولى على جزيرة جربة التّونسية[4]، في حين أنّ دايات الجزائر كانوا

1- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السّابق، ص 125.

2- Ernest Mercier, Op.Cit, p 252.

3- Venture de Paradis, **Alger au XVIII ème siècle**, Adolphe Jourdin Imprimeur- Libraire-Editeur, Alger, 1898, p 141.

4- جيمس ليندر كاثكارت، **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، (تر): العربي إسماعيل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، د.ط، ص 221.

لا يغفلون عن مطالبة السّلطات التّونسية بالضّريبة السّنوية في حال تراخت عن أدائها، حيث تُشير رسالة أوردها "بلانتي" في مراسلاته تحت رقم 1183 إلى أنّ الدّاي علي بوصبع أرسل إلى علي باي تونس أحد قادة جنده للمطالبة بمصاريف حملة 1756م، وذكر القنصل الفرنسي أنّ مصاريف هذه الحملة قُدرت بـ: مائة وخمسين ألف (150.000) ايكوس، وأضاف بأنّه مبلغ كبير وأنّ استحالة دفعه يضع علي بن حسين باي في حرج كبير[1].

**ج- هدايا بايات تونس إلى سلطات وأعيان إيّالة الجزائر:**

يُشير الباحث "توفيق بن زردة" بأنّ لفظ هدية جاء بمُسَمّى إحسان في "الدّفاتر الجبائية والإدارية"[2] المحفوظة بالأرشيف الوطني التّونسي، ولأنّ هذه الإحسانات شملت مواطن مختلفة داخل إيّالة تونس، وكذلك خارجها، ومن بينها إيّالة الجزائر، التي استفادت شخصيات كثيرة من هذه الإحسانات؛ مثل شيوخ الحنانشة وبايات ودايات الجزائر، فلا يمكن أنْ يحمل لفظ الإحسان معنى الصّدقة في هذه الحالة[3]. وبعدما قام نفس الباحث بجمع مبالغ الإحسانات الخاصة بسنة 1191هـ/1777-1778م من الدفتر الذي يحمل الرقم 2145 وتحصّل على المعطيات التي تضمنها الجدول التّالي.

**<u>جدول رقم 06:</u> مواطن إحسانات بايات تونس خارج الإيالة 1191هـ/1777-1778م**[4]

| مواطن الاحسان خارج إيّالة تونس | المبالغ /بالريال | النّسبة المئوية للاحسان |
|---|---|---|
| موطن المشرق | 110 | %1.06 |
| موطن الترك | 100 | %0.96 |
| موطن طرابلس | 84 | %0.81 |
| موطن الجزاير | 4883 | %46.96 |
| موطن السودان | 1944 | %18.70 |
| المغرب الأقصى | 233 | %2.24 |
| موطن لم يحدد الباحث اسمه | 3.044 | %29.27 |
| **المجموع** | 10.398 | %100 |

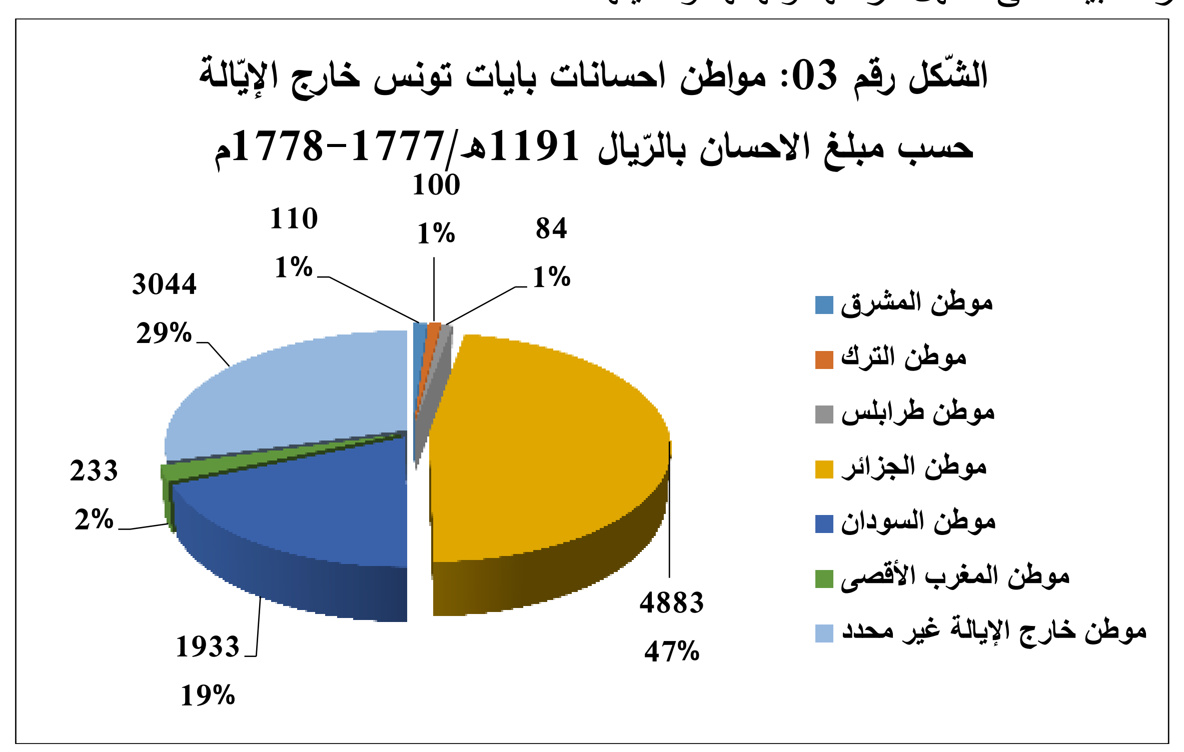
1- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, T 02, Op.Cit, p 564

2- على سبيل المثال لا الحصر الدفترين رقم 2144 و2145.

3- توفيق بن زردة، "**احسانات ...**"، المرجع السّابق، ص-ص 10-11.

4- المرجع نفسه والصّفحة.

وفي خطوة ثانية حوّلنا المعلومات التي تضمنها الجدول السّابق إلى مخطط على شكل دائرة نسبية حتّى تسهل قراءتها وفهمها وتحليلها.




ومن خلال الجدول والشّكل السّابقين نستنتج أنّ موطن الجزائر كان له نصيب الأسد من هذه الإحسانات (الهدايا)، بمبلغ قدره 4.883 ريال من مجموع 10.398 ريال، أي بنسبة 46.96% ويعني ذلك أنّ مجموع الإحسانات التي استقبلتها إيّالة الجزائر لوحدها قاربت ما تلقته باقي الأوطان السّتة الأخرى مجتمعة، وهذا إنْ دل على شيء فإنّما يدل على هيمنة السّلطة الجزائرية على حكام تونس على الأقل خلال النّصف الثّاني من القرن الثّامن عشر (18) الميلادي، ومدى محافظة بايات تونس على العلاقات الودية التي ربطتهم مع السّلطات الجزائرية وقبائل بايلك الشّرق الجزائري، خاصة الحنانشة[1]، والتي تعتبر واحدة من أقوى القبائل في المنطقة كما سبق وأشرنا.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الإحسانات التي تلقتها الجزائر من بايات تونس إضافة إلى قيمتها الكبيرة، فإنّها توزعت على مختلف مناطق الإيّالة (دار السّلطان والبايلكات الثّلاثة)،

1- كانت الحنانشة بفرعيها؛ نصر ومنصر، من أكثر قبائل بايلك الشّرق الجزائري التي تلقت احسانات من بايات تونس، ووردت الاحسانات باسم حنانشة ابراهيم (1170-1190هـ) وحنانشة محمد بن سلطان (1173-1192هـ)، للمزيد من التّفاصيل حول هذه الاحسانات، **يُنظر:** أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 2144، ص-ص 210-220، 221-224.

كما شملت الدّايات والبايات وأرباب الدّولة وشيوخ القبائل، والزّوايا وغيرها، وذلك حسب ما ورد في الدّفتر الجبائي رقم 2144[1].

ومع ذلك وجبت الإشارة إلى أنّ الهدايا كانت متبادلة بين الطّرفين (حكام الإيالتين)، فهناك إشارة في الدّفتر رقم 99 (1171هـ/1757م) إلى استقبال باي تونس هدية من داي الجزائر؛ علي بوصبع، نظراً للعلاقة الحسنة التي ربطته بمحمد بن حسين باي وبأخيه علي بن حسين باي بعد ذلك[2].

**د- تعويض بايات تونس للجزائريين ما يضيع منهم في تونس نقداً:**

هناك إشارات كثيرة إلى هذا الأمر في المصادر المختلفة، حيث قام الباي محمّد بن حسين بتعويض 300 ريال إلى الحاج أحمد تعويضاً له عما ضاع منه في سوسة خلال شهر ديسمبر 1756م[3]، وتشير إحدى الوثائق، بتاريخ 1171هـ/1757م، من الدّفتر الجبائي رقم 99 بالأرشيف الوطني التّونسي إلى أنّ باي تونس دفع مبلغ 26.000 ريال لكاتب باي قسنطينة السيد نعمون مقابل الإبل التي أخذها بنو رزق، وفي نفس الوثيقة تقييد يُشير إلى أنّ نفس الباي كما قام بدفع خمسمائة (500) ريال إلى مجموعة من الجزائريين كانوا بتونس، وجاءت العبارة في الوثيقة كالآتي: «مدفوع للغرابة [الجزائريين] الذي ضاعت حوايجهم في نواحي الكاف»، وتشير نفس الوثيقة إلى واقعة أخرى مشابهة، لكن هذه المرة حددت الوثيقة الفئة التي شملها التّعويض؛ وهي الحنانشة، ونورد الصيغة كما كُتبت في الوثيقة: «مدفوع لخدام الشيخ إبراهيم بن بوعزيز [شيخ الحنانشة] في حق البقر الذي ضاع لهم وادعوا أن الهمامة أخذوه لهم»[4].

**هـ- مسايرة بايات تونس لسلطات الجزائر ودياتها:**

ناقشنا في العناصر السّابقة التزام بايات تونس بالضّرائب السّنوية والهدايا التي كانوا يرسلونها إلى دايات الجزائر وكبار موظفيها وأعيانها، ومع ذلك فإنّ محمّد باي ومن بعده

---

1- أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 2144، ص ص 171-172، 176، 190، 202-203، 210-224، 249-252. لتفاصيل أكثر حول هذه الاحسانات، **يُنظر**: الملحق رقم 13، ص 339.

2- خليفة حماش، **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي**، ج 01، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية-جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1437هـ/2016م، ط 02، ص 345.

3- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص 210.

4- أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 99، ص 70.

علي باي كانا دائمي الاستجابة لأوامر ورغبات دايات الجزائر وبايات قسنطينة وحاشيتهم، وكان بايات تونس يحاولون تجنّب كل ما يثير نقمة حكّام الجزائر عليهم[1]، ففي عهد محمّد باي حدث أنْ قام ساعي بريد قسنطينة بشتم بعض التّونسيين وأراد أنْ يستولي على بضاعتهم، وهو ما جعل آغا قصبة تونس يأمر بضرب المعتدي، فجاءت الأوامر من داي الجزائر بقتل آغا القصبة فاستجاب محمّد باي للأمر[2].

أمّا علي باي فبعد توليه حكم تونس سنة 1759م إثر وفاة أخيه محمّد، وخلال فترة حكم هذا الباي فرّ مجموعة من الفرنسيين من القالة إلى جزيرة طبرقة التّونسية، وأرسلت السّلطات الجزائرية في شأنهم إلى باي تونس من أجل إيقافهم واحتجازهم فاستجاب للأمر مع علمه بما سوف يسبّبه له هذا التّصرف من حرج مع السّلطات الفرنسية، وقد يصل الأمر إلى قطع العلاقات بين الطّرفين، لذلك نجده سارع بإرسال رسالة للسّلطة الفرنسية يشرح فيها موقفه، والظّروف التي دفعته إلى هذا التّصرف[3].

ويجب الإشارة إلى أنّ علي باي أوصى ابنه وولي عهده حمودة باشا بالمحافظة على العلاقات الحسنة مع دايات الجزائر، وقد أورد الزّهار هذه الوصية في كتابه، وهذا نصّها: «العشر والخراج الذي تقبضه، أعط بعضه للجزائر وبعضه لمصارف المملكة وبعضه لتعيش به، إياك أن تجعل منهم أعداء»[4]، والتزم حمودة باشا بهذه الوصية إلى غاية 1807م.

**و- الدّول الأوروبية توسّط إيّالة الجزائر من أجل عقد معاهدات صلح مع تونس:**

كانت معظم الدّول الأوروبية تدفع الإتاوات إلى إيّالة الجزائر وفي نفس الوقت كانت هذه الدّول تحرص في بعض الأحيان على إرضاء دايات الجزائر للوصول إلى مكاسب لها في تونس، لأنّها تعرف جيداً ما لدايات الجزائر من تأثير على بايات تونس وعلى قراراتهم، وكانت البندقية تسعى منذ 1762م إلى عقد معاهدات صلح مع إيّالات بلاد المغرب، ومن أجل ذلك أرسلت الوزير المفوض لحكومتها "قائتانو جرفازوني (Gaetano Geruasone)" في مهمة إلى الجزائر من أجل توقيع المعاهدة، وبعد موافقة الدّاي وعد الأخير الوزير

---

1- محمّد الهادي الشّريف، المرجع السّابق، ص 87.

2- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, T 02, Op.cit, pp 534-535.

3- Ibid, p 600.

4- أحمد الشريف الزّهار، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، (تح): أحمد توفيق المدني، موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص 85.

المفوض بإرغام باي تونس على توقيع معاهدة مماثلة بين تونس والبندقية[1]، فقد حصلت البندقية على رسالة توصية من داي الجزائر جعلت باي تونس؛ علي بن حسين، يوافق على عقد معاهدة معها بنفس شروط معاهدتها مع الجزائر[2]، وتعتبر هذه المعاهدة الأولى بين الطّرفين خلال الفترة الحديثة، وتحمل تاريخ 01 سبتمبر 1763م، وتحوي ثلاثة وعشرين (23) بنداً[3].

أمّا السّلطات الاسبانية فبعد أنْ عقدت معاهدة صلح مع الجزائر، في جوان 1786م، سعت لدى داي الجزائر وحكومتها من خلال مراسلات كانت بين الطّرفين، وطلبت من الدّاي استخدام نفوذه على باي تونس من أجل عقد معاهدة صلح بينهما، وتوّجت مساعي داي الجزائر؛ محمد بن عثمان، بخصوص هذا الموضوع بإبرام معاهدة بين تونس وإسبانيا في جانفي من سنة 1791م[4]. وبعد 05 سنوات (1796م) وقع حمودة باشا معاهدة صلح مع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا الصّلح فرضه داي الجزائر على حمودة باشا[5]، ويُضيف رأي آخر بأنّ داي الجزائر تدّخل في فرض شروط المعاهدة على حكومة تونس[6].

**ز- وكلاء الجزائر بتونس:**

الوكيل هو موظّف تعينه السّلطة الجزائرية ليكون نائباً عنها في عاصمة الخلافة أو إحدى الإيالات العثمانية أو المدن الأوروبية، ومهمته السّهر على تسيير مصالح الإيّالة السّياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلد الذي يُعين فيه، وتسلّم له وثيقة من الحكومة تكون بمثابة توكيل رسمي يُحدد فيها تفاصيل الصّلاحيات الموكلة له، ويُعتبر ذلك اعتماداً رسمياً للوكيل لدى سلطات البلد الذي عُين فيه[7].

---

1- الشافعي درويش، "**المعاهدة التونسية البندقية 1763م أول معاهد للسلم بين تونس وجمهورية البندقية في العصر الحديث (دراسة وثيقة)**"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج 12، ع 02، 2019م، جامعة غرداية، ص 465.

2- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام**...، المرجع السّابق، ص ص 222، 223.

3- الشافعي درويش، "**المعاهدة** ..."، المرجع السّابق، ص 466.

4- يحي بوعزيز، "**اسبانيا توسط الجزائر لإبرام صلح مع تونس**"، مجلة الدراسات التاريخية، مج 03، ع 01، 1988م، جامعة الجزائر، ص 60.

5- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, T 03, Op.cit, p 304.

6- زهيرة سحابات، المرجع السّابق، ص 80.

7- سيد أحمد بن نعماني، "**وظيفة وكيل الجزائر لدى الدولة العثمانية وبعض إيالاتها من خلال بعض وثائق الرصيدين العثمانيين الموجودين في الجزائر**"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 01، ع 01، جانفي 2013م، مركز الحكمة، الجزائر، ص 199.

وبالنّسبة لعلاقة وكلاء الجزائر في إيّالة تونس بالهيمنة الجزائرية عليها فتتجلى في ثلاثة مظاهر؛ أولها، هو وجود وكيل للجزائر في تونس وعدم وجود وكيل لتونس في الجزائر بسبب أنّ دايات الجزائر يعتبرون أنفسهم أصحاب حق في تولي البايات الحسينيين عرش تونس[1]، وفي نظرتهم لها، والتي كانت مثلما وصفها "حمدان خوجة" نظرة "تبعية"[2] للجزائر[3]، في حين تجلى المظهر الثّاني في تصرفات هؤلاء الوكلاء خاصة وأنّهم تمتعوا بنفوذ كبير في بلاطها، إلى درجة أنْ أُشير على قنصل الولايات المتحدة الأمريكية بالجزائر تقديم هدية لوكيل الجزائر في تونس؛ الحاج علي، عندما جاء بالضّريبة السّنوية التي أرسلها حمودة باشا سنة 1795م، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية قد عقدت معاهدة صلح مع الجزائر، وتسعى لعقد معاهدة مماثلة مع إيّالة تونس، وقد أكّد "كاثكارت" نفوذ هذا الوكيل في إيّالة تونس، حيث أورد ما نصّه: «حيث أن لهذه الشخصية [الحاج علي] نفوذا كبيرا في البلاط التونسي. وسوف يتبنى قضيتنا مع تونس حينما تبدأ المفاوضات بين البلدين»[4].

أمّا بالنّسبة للمظهر الثّالث والأخير فنجده في أنّ تونس كان بها وكيلان الأوّل وكيل الدّاي والثّاني وكيل باي قسنطينة، وهذا الأمر خاص بإيالة تونس، ولا أظن أنّ هناك أكثر من وكيل لإيّالة الجزائر في باقي الإيّالات العثمانية، باستثناء عاصمة الدّولة التي يوجد بها ثلاث وكلاء ولكنهم يمثلون الدّاي لا غيره، وأرجع "بن نعماني" تفرد إسطنبول بثلاثة وكلاء إلى أنّ هذه المدينة هي عاصمة الدّولة ومقر السّلطان وإلى جانب الدّور السّياسي لهذه المدينة، فهي كذلك العاصمة التّجارية والدّينية للدّولة العثمانية، ومركز إشعاع على كامل الولايات العثمانية، أمّا عن الوكلاء الثّلاثة فلكل واحد منهم مهام يضطلع بها؛ فالأوّل يسهر

---

1- زهيرة سحابات، المرجع السّابق، ص 64؛ يوسف مالكي وحميد آيت حبوش، المرجع السّابق، ص ص 331، 332.

2- لفظ التّبعية هنا لا يحقق المعنى المطلوب، حيث أنّ موسوعة السياسة تُعرف التّبعية على أنّها نظام سياسي واقتصادي تخضع بموجبه إحدى الدّول لدولة أخرى، ما يَحْرُم الدولة التّابعة من ممارسة كافة مظاهر سيادتها داخلياً وخارجياً، وهذا الوضع يتنافى مع علاقة إيّالة الجزائر مع تونس خلال الفترة العثمانية، وفي اعتقادي أنّ اللّفظ الذي يحقق المعني في هذه الحالة هو لفظ "الهيمنة" مع أنّ هذه الكلمة مرتبطة بالتسّلط العسكري، **يُنظر**: عبد الوهاب الكيالي وآخرون، المرجع السّابق، ج 01، ص 684؛ نفسه، ج 07، ص 237.

3- احميدة عميراوي، المرجع السّابق، ص 61.

4- جيمس ليندر كاثكارت، المصدر السّابق، ص 221.

عل تسيير الشّؤون التّجارية للإيّالة من بيع وشراء، في حين يسهر الثّاني على تجنيد المتطوعين، أمّا الثّالث فمهمته دينيّة، ويلقب بـ"مفتي الجزائر" ويتخذ من أزمير مركزاً لعمله[1].

ومع ذلك لا يمكن أنْ نُغفل ما يقوم به بعض وكلاء الجزائر في تونس من ظلم وتعدٍ على الآخرين بسبب ما يتمتعون به من نفوذ كما ذكرنا وبسبب أنّ هؤلاء الوكلاء كانوا يعلمون جيداً أنّ هذه التجاوزات كانت تَمُر دون حساب أو عقاب من بايات تونس[2]، ولا يعني ذلك بالضّرورة أنّ بايات تونس كانوا في خضوع تام لدايات الجزائر، أو أنّهم لا يحركون ساكناً تجاه تصّرفات الجزائريين، بل على العكس فقد كانوا من حين لآخر يعملون على ضرب السّلطة العثمانية في الجزائر، من أجل إضعافها، مستخدمين في ذلك كل الوسائل التي قد توصلهم إلى هدفهم، وشعارهم في ذلك الغاية تبرر الوسيلة.

**رابعاً- مساعي بايات تونس من أجل اضعاف قوّة الجزائر والقضاء عليها:**

**أ- الحملات العسكرية التونسية ضدّ إيّالة الجزائر:**

**1- حملة مراد بوبالة على قسنطينة 1700م:**

ومن الأسباب التي أوردها روسو حول حملة مراد بوبالة على قسنطينة هو أنّ الجزائريين ناصروا عمه رمضان[3]، وكان قد أرسل هدية لداي الجزائر، حسن شاوش (1698-1700م)، ولما ردّ الأخير الهديّة غضب مراد الثّالث، وعزم على الغزو للانتقام من غريمه صاحب الجزائر[4]، بعد أنْ استشار الدّيوان، وأرسل إلى صاحب طرابلس محمد باشا

---

1- سيد أحمد بن نعماني، المرجع السّابق، ص-ص 200-202، ولتفاصيل أكثر حول هؤلاء الوكلاء ومهامهم، **يُنظر:** صرهودة يوسفي، "**وكلاء إيالة الجزائر في أزمير أواخر الحكم العثماني: دراسة في الأدوار والمهام**"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج 21، ع 02، ديسمبر 2020م، جامعة باتنة 01، ص-ص 261-278.

2- يوسف مالكي وحميد آيت حبوش، المرجع السّابق، ص 331.

3- ألفوص روسو، المرجع السّابق، ص 148.

4- لم يكن رد الهديّة سبباً كافياً لشن حملة على الجزائر، فقد كان هناك أسباب كثيرة أخرى دفعته إلى ذلك، فقد أراد الانتقام لمقتل والده علي باي بن مراد الثاني بسبب أنّ عسكر الجزائر كان طرفاً في الحرب التي قتل فيها هذا الأخير، وكان لتحريض أخواله الحنانشة، من أجل الانتقام من باي قسنطينة دور في ذلك، بينما ذهب "بن خروف" إلى أنّ الباي مراد الثّالث لم يكن مرغوباً فيه من طرف حكام الجزائر، وأنّهم كانت تربطهم علاقات صداقة وحسن جوار مع عمّه رمضان باي، وأنّهم هدّدوه بحملة ضدّه في ربيع سنة 1700م بهدف وقف مظالمه وشرعوا بالفعل في الإعداد لها، فنقم عليهم وتخوف من موقفهم منه. **يُنظر:** Charles Féraud, "**Les Hrar seigneurs des Hanencha étude historique sur la province de Constantine**", R.A, N° 105, Mai 1874, pp 206-207;

كوثر العايب، **العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات 1711-1830**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي، 2013/2014م، ص-ص 30-31.

الإمام يطلب مساعدته فوافق[1]. بعدها شرع باي تونس في تجهيز محلة قوامها اثنى عشر ألف (12.000) جندي من المشاة، وأربعة آلاف (4.000) فارس واثنان وثلاثون مدفعاً توجه بها نحو قسنطينة[2].

أمّا باي قسنطينة علي خوجة فقد خرج فور سماعه بخبر قدوم القوات التّونسية، على رأس جيشه لملاقاة باي تونس، وبعد قتال شديد انهزم علي خوجة وقتل مراد باي الكثير من جنوده[3]، بينما واصل مسيره نحو قسنطينة وحاصرها مدة خمسة أشهر مع خليل باي قائد محلة طرابلس الغرب، وتغيرت الأوضاع بوصول محلة الجزائر التي أرسلها الدّاي الحاج مصطفى، وكانت الهزيمة لصاحب تونس في معركة ."جوامع العلمة"[4] قرب مدينة سطيف؛ بتاريخ 03 أكتوبر 1700م، رغم التّفوق العددي للقوات التّونسيّة، حينها فرّ باي تونس تاركاً وراءه جنوده وأمواله وعتاده الحربي التي استولت عليها محلة الجزائر[5]، أمّا خليل باي فقد فرّ كذلك حين تأكّدت الهزيمة وقُتل العديد من جنوده، ووقع عدد آخر أسرى لدى جيش الجزائر، أمّا داي الجزائر فسار نحو قسنطينة ونصّب على رأسها أحمد فرحات خلفاً لعلي خوجة[6].

## 2- حملة حمودة باشا الحسيني على قسنطينة 1807م:

بعد تولي حمودة باشا عرش تونس حاول التّخلص من هيمنة سلطات الجزائر على تونس، فقد هاجم حمودة باشا ناحية تبسة، بعد أن طالبه صالح باي قسنطينة بتعويض كبير جراء الحملة التي قام بها جيشه على الأراضي الجزائرية، لكن باي تونس واجه قوات باي قسنطينة التي قادها بنفسه وخضع في نهاية الأمر إلى مطالب صالح باي، لكنه عاد سنة

---

1- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، ص 75. لم يتوقف مراد باي عند هذا الحد بل تفاوض مع سلطان مراكش من أجل القيام بعمل مشترك ضدّ إيّالة الجزائر. **يُنظر**: جون ب.وولف، المرجع السَّابق، ص 372.

2- م.و.ج، ر.ع، مجموعة رقم 3190، ملف رقم 01، وث 53؛ محمّد عطية، المرجع السّابق، ص 84. وقد جعل "Féraud" عدد المدافع 25 مدفعاً فقط . Charles Féraud, Op.Cit, p 207

3- محمود مقديش، المصدر السّابق، ص 145.

4- في بعض المصادر وردت "جوامع العلماء"، **يُنظر** على سبيل المثال: أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 75؛ احمد بك النائب الأنصاري، المصدر السابق، ص 279.

5- أحمد بن المبارك بن العطار، **تاريخ بلد قسنطينة**، (تح) و(تعل) و(تق): عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنّشر والتوزيع، قسنطينة، 2011م، د.ط، ص-ص 109-111.

6- صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 148.

1787م وهاجم تبسة مرّة أخرى فوقع له ما وقع في المرّة السّابقة[1]، وعندما فشل باي تونس في مواجهة الجزائريين التفت إلى تحصين البلاد، ووضع مشروعاً متكاملاً من أجل النّهوض بتونس وإعادة هيبتها ومكانتها، ونظراً لأهمية هذا المشروع فإنّ حمودة باشا لم يستثن أيّ مجال من الإصلاح، حيث شمل الإدارة، والسّياسة، والعسكر، والاقتصاد وغيرها[2].

ومع بداية القرن التّاسع عشر (19) وصل التّوتر بين الجزائر وتونس مداه، ففي حين دعم حمودة باشا ابن الأحرش من أجل الثّورة على السّلطة في الجزائر، نجد باي قسنطينة يراسل قبائل تونسية من أجل الثّورة ضدّ حمودة باشا والدّخول تحت طاعة داي الجزائر، وقد تطورت العلاقات بين البلدين من التّوتر إلى القطيعة بعد التّحصينات التي بدأها التّونسيون في مدينة الكاف، لأنّ معاهدة 1756م بين الطّرفين نصّت على عدم تحصين هذه القلعة، وبدأت بوادر الحرب تلوح في الأفق بعد أنْ أخذ الطّرفان جميع الاستعدادات[3].

وحول هذه الحرب قال المسعودي: «... وتهيأ [حمودة باشا] للدفاع عن حوزته وأعلن بما كان يخفيه من حرب الجزائريين لما عيل صبره من مداراتهم»[4]، وقد كانت المبادرة من حمودة باشا عندما أرسل محاله العسكرية للهجوم على قسنطينة، في جانفي 1807م، وتألفت هذه القوّة من حوالي خمسين ألف (50.000) مقاتل، يقودهم "سليمان كاهية"[5]، في حين كانت المحلة الجزائرية بقيادة حسين بن صالح باي، لكنها أقل بكثير من تعداد القوات التّونسية[6]، وبعد انتصاره الأوّل حاصر سليمان كاهية مدينة قسنطينة مدة شهر كامل، وأثناء الحصار تعرضت المدينة للقصف بالمدفعية، وانقلبت موازين القوى بعد وصول المدد

1- صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 177.

2- حول إصلاحات حمودة باشا الحسيني، **يُنظر:** رشاد الإمام، المرجع السّابق، ص-ص 164-364، محمد حلوان، المرجع السّابق، ص-ص 88-89.

3- ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص-ص 278 -279.

4- الباجي المسعودي، المصدر السّابق، ص 261.

5- هو أبو الرّبيع سليمان كاهية الأوّل، كان من خواص علي باي والد حمودة باشا، أصله من أعلاج القرج، ترقى في المراتب إلى أنْ صار كاهية المحال، قاد محلة 1807م، وجاء تقديمه لهذه المهمة لمنصبه وتقدم سنه، ورغم هزيمته فإنّه لم يتعرض للعقوبة من الباي، وتوفي في 21 سبتمبر من نفس السّنة، **يُنظر:** أحمد بن أبي الضياف، **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، مج 04، ج 07، (تح): لجنة من وزارة الشّؤون الثقافيّة، وزارة الثقافة، تونس، 1999م، ص 56.

6- H.-D. de Grammont, **Histoire...**, Op.Cit, pp 367-368.

من الجزائر العاصمة عن طريق البر والبحر، حيث انتصر الطّرف الجزائري الذي غنم ما خلف الجيش التّونسي وراءه في ماي 1807م[1].

لم تنته الحرب عند هذه المرحلة، فبعد هزيمة القوات التّونسية، سرعان ما تقرّر في تونس مواصلة الحرب ضدّ الجزائريين، بعد الدّعم الذي وجده حمودة باشا من وزرائه وحاشيته، خوفاً من أنْ يستغل الجزائريون هذه الفرصة للهجوم على مدينة تونس[2]، وخلال فترة قصيرة أصبح الجيش التّونسي جاهزاً للانطلاق نحو الحدود الجزائرية يوم 12 جوان 1807م، حيث قدّرته المصادر بحوالي ثمانية عشر ألف (18.000) مقاتل يقودهم الوزير يوسف صاحب الطابع[3]، أمّا الجزائريون فمن جهتهم أعدوا جيشاً وضعوا قيادته بيد حسن آغا خزناجي الإيّالة، على أنْ ينظم إليه حسين باي قسنطينة وقواته ومن قسنطينة تتجه المحلات الجزائرية نحو الكاف ثمّ العاصمة تونس، لكن هذه القوات اصطدمت بخصومها قد تمركزوا عند وادي سراط؛ الذي يمثل الحد الفاصل بين الإيالتين منذ معاهدة 1628م[4].

ودون الخوض في تفاصيل المعركة التي انتهت بهزيمة الجيش الجزائري في الواقعة التي دارت أحداثها يوم 13 جويلية 1807م بمنطقة "سلاطة"[5]، وسبب الهزيمة هو انشغال القوات الجزائرية بالغنائم التي خلفها التّونسيون وراءهم بعد انهزامهم في المرحلة الأولى من هذه الواقعة، ولم يتتبعوا القوات المنهزمة[6]، أمّا الزهّار فيرجع الهزيمة إلى انسحاب حسين باي قسنطينة من ميدان القتال خلال الجولة الأولى، ثمّ تبعه حسن آغا بعد ذلك، وأشار أنّ غنائم التّونسيين في هذه المعركة كانت من غير قتال ولا تعب[7]. فإذا صحّ ما أورده الزهار فإنّ سبب انسحاب قادة الجيش الجزائري من المعركة يبقى مجهولاً خاصة وأنهم كانوا منتصرين في الجولة الأولى، إلاّ إذا كان انسحاب الجيش التّونسي في المرحلة الأولى لهذه الواقعة كميناً وقع فيه أفراد الجيش الجزائري وقادته.

---

1- أحمد الشريف الزهّار، المصدر السّابق، ص 96؛ محمد الصالح بن العنتري، المصدر السّابق، ص 74.

2- ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 284.

3- أحمد بن أبي الضياف، المصدر السّابق، مج 02، ج 03، ص 45.

4- ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 284؛ Ernest Mercier, Op.Cit, pp 326-327.

5- أحمد بن أبي الضياف، المصدر السّابق، مج 02، ج 03، ص 47

6- Ernest Mercier, Op.Cit, p 327.

7- أحمد الشريف الزهّار، المصدر السّابق، ص 97.

**ب-محاولات السّلطات التّونسية إثارة القلائل والحروب ضدّ إيّالة الجزائر:**

**1- محاولات محمّد باي المرادي إثارة الفتن والاضطرابات ضدّ السّلطة في الجزائر:**

أشرنا إلى أنّ ديوان الجزائر أجبر سنة 1688م كلاً من الباشا حسين ميزومورتو والدّاي إبراهيم خوجة على الاستقالة بسبب عزم الأوّل على مساعدة بن شكر في ثورته ضدّ محمَّد باي تونس[1]، ورغم هذا الموقف المُشرِّف من ديوان الجزائر، إلاّ أنّ باي تونس تحالف مع مولاي إسماعيل العلوي أثناء حربه ضدّ داي الجزائر الحاج شعبان، فقد كانت لسلطان المغرب نوايا توسعية على حساب إيالة الجزائر، وأرسل من أجل ذلك حملة على تلمسان سنة 1691م، وحسب "دي غرامون" فإنّ عسكر الجزائر بعد عودته من هذه الحملة وجد العاصمة في تمرّد، وأرجع السّبب إلى ايعاز باي تونس للقبائل الذين تحالفوا مع البلدية من أجل إشعال فتيل الثّورة ضدّ الدّاي شعبان وعساكر جند التّرك في العاصمة[2]، بينما أشار "بلانتي" في ترجمة الرّسالة التي بعث بها الدّاي شعبان إلى ملك فرنسا لويس الرّابع عشر بأن محمَّد باي تونس حرّض قبائل الشّرق الجزائري المتاخمة للحدود التّونسيّة، وعددها حوالي خمسة وثلاثين (35) قبيلة، على رفض دفع الضرائب المتوجبة عليها للسّلطات الجزائرية، حيث من مجمل أربعمائة ألف (400.000) ايكوس التي كان يحصلها باي قسنطينة في السّنة، جمع الأخير ثلاثين ألف (30.000) ايكوس فقط وذلك على مدى ثلاث سنوات[3].

**2- إعانة الباي حسين بن علي لمحمَّد بن علي بكداش:**

استلم حسن خوجة منصب الدّاي في إيّالة الجزائر في نوفمبر 1705م، إثر الاطاحة بالدّاي مصطفى بعد فشل حملته على تونس، وقد حاول الدّاي الجديد استغلال فرصة انشغال التّونسيين بتنظيم شؤون بلادهم بعد الحملة الجزائرية وأطلق سراح إبراهيم الشّريف على شروط وافق عليها مقابل عودته إلى حكم تونس، ورغم ذلك فسرعان ما صفا الجو بين الجانبين بعد اتفاق الصّلح الذي عُقد بين الطّرفين سنة 1706م، بوساطة عثمانية[4]، ولكن يبدو أنّ باي تونس حسين بن علي، رغم موافقته على الصّلح، لم ينس مساعدة حسن خوجة لإبراهيم الشّريف فضرب الاتفاق المبرم بين الإيّالتين عرض الحائط عندما أقدم على مساعدة محمَّد بن علي بكداش.

---

1- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، المصدر السّابق، ص 56؛ H.-D. de Grammont, Op.Cit, p 254.

2- H.-D. de Grammont, **Histoire…**, Op.Cit, p 262.

3- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, Op.Cit, T01, p 417. الرّسالة بتاريخ الأوّل سبتمبر 1694م.

4-عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام…**، المرجع السّابق، ص-ص 67-68.

وكان الأخير منفياً بطرابلس الغرب، ويطمح إلى حكم الجزائر، حيث انتقل إلى تونس، وفيها التقى ثلاثة من رفاقه، وقابلوا الباي حسين بن علي الذي أعانهم بالزاد والخيل، وانطلقوا نحو الجزائر، وتمكنوا من الإطاحة بالدّاي حسن خوجة سنة 1707م وارتقى محمَّد بن علي بكداش كرسي الحكم في الجزائر في الثّالث (03) من فيفري من نفس السّنة[1]، وقد تميزت فترة حكمه بالسّلام وحسن الجوار مع إيّالة تونس بسبب المساعدة التي حصل عليها من الباي حسين بن علي من أجل ارتقاء منصب الدّاي.

**3- محاولة علي باشا استقدام محمَّد بن كور عبدي:**

توترت العلاقات بين علي باشا وإبراهيم الصّغير داي الجزائر بعد رفض الأخير طلب الأوّل في قتل أولاد عمّه حسين بن علي باي، وكان الإخوة الثّلاث (محمّد وعلي ومحمود)، لاجئين في الجزائر منذ سنوات، ولم يكتف الدّاي بالرّفض بل أغلظ في القول لباي تونس وسبه وقال: هذه صنعته الغدّار، ويبدو أنّ تصّرف داي الجزائر أزعج علي باشا، وردّ الأخير بأنْ بعث إلى الحاج محمّد بن كور عبدي، وكان مستقراً في مصر، وأطمعه في مُلك الجزائر، فوافق وأخذ يعد العُدة وجمع ما يقرب من ألف (1.000) تركي، وخرج معهم باتجاه الجزائر، ولمّا سمع داي الجزائر هذا الخبر عن طريق وكلائه، أرسل إلى حاكم طرابلس الغرب؛ أحمد باشا، في قتل محمَّد بن كور عبدي، وأخبره بأنّه قادم إلى الجزائر عن طريق الصّحراء، فاستجاب أحمد باشا لأمر الدّاي إبراهيم، وتخلص من غريم الدّاي، وبذلك ذهبت أحلام علي باشا في القضاء على داي الجزائر أدراج الرّياح[2].

**4- دعم حمودة باشا الحسيني لابن الأحرش:**

تُعتبر ثورة "ابن الأحرش"[3] بداية القرن التّاسع عشر ميلادي (1804م) التي جرت أحداثها في بايلك الشّرق الجزائري إحدى الثورات الدّاخلية التي قامت ضدّ السّلطة في الجزائر، ورغم طبيعتها الدّاخلية، كما أشرنا، إلاّ أنّها لم تكن بمعزل عن المؤثرات الخارجية[4].

---

1- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص-ص 68-69.

2- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 03، ص 70 وما بعدها.

3- هو محمَّد بن عبد الله بن الأحرش المعروف بالبودالي، وقد عُرف عند البعض بالشّريف المغربي، وكان ابن الأحرش في مقتبل عمره شاباً طويل القامة أشقر اللّحية، فصيح اللسان واسع الأفق ويتمتع بصحة جيدة، وصفته بعض المصادر بالشعوذة، حيث أدعى أنّه المهدي المنتظر، الأمر الذي سهل عليه توسيع نفوذه في وقت قصير، لأنّ القبائل صدقت هذه الإدعاءات، **يُنظر:** زينب جعني، "**ثورة ابن الأحرش في بايلك السّرق (1800-1807)**"، مجلة عصور جديدة، ع 18، أوت 2015م، جامعة وهران 01 أحمد بن بلة، ص-ص 129-130.

4- محمّد عطية، **التحالفات...**، المرجع السّابق، ص 234.

ومن خارج الإيالة بدأ نجم ابن الأحرش بالسّطوع، نظراً لما أظهره من شجاعة أثناء مشاركته مع القوات المصرية في مقاومة الاحتلال الفرنسي لمصر سنة 1798م، وسبب وجوده بمصر وقتئذ هو أداؤه لفريضة الحج، وبعد انسحاب الفرنسيين من مصر قفل راجعاً إلى بلاد المغرب، وفي طريقه نزل بتونس وتعرف على حاكمها حمودة باشا الذي استقبله وأكرم وفادته، وحاول استغلال طموحه وشجاعته وأوعز إليه، حسب بعض الرّوايات، بالثّورة على العثمانيين في الجزائر، ووعده بالعون والمساعدة[1]، وعندما دخل الجزائر استقر بنواحي وادي الزهور، ومنها بدأ يخطط لإعلان الثّورة بعد أن كسب تأييد عدة قبائل بمنطقة بايلك الشّرق، ووصل عدد أنصاره إلى عشرة آلاف (10.000) رجل قادر على حمل السّلاح، وما بين 10 جوان و20 جويلية 1804م أعلن ابن الأحرش ثورته وحاول خلالها الاستيلاء على قسنطينة، وقُتل في إحدى المعارك الباي عثمان (1803-1804م)، وعين الدّاي عبد الله بن إسماعيل (1804-1806م) مكانه، وتمكّن الباي الجديد وضع حدّ لهذه الثّورة، حيث فرّ الثّائر والتحق بابن الشّريف عبد القادر الدرقاوي الذي أعلن الثّورة بالغرب الجزائري سنة 1805م[2].

**ج- تحالفات بايات تونس مع أطراف خارجية ضدّ إيّالة الجزائر:**

**1- التّحالف التّونسي المغربي ضدّ إيّالة الجزائر:**

بعد أنْ تخلص مولاي إسماعيل من منافسيه في المغرب واستتب له الوضع، فكّر في الهجوم على الجزائر، وفي الطّرف الذي يتحالف معه لتحقيق هدفه، وأدرك أنّ التّونسيين أفضل حليف وقتئذ بسبب توتر العلاقات بينهم وبين الجزائريين، وحدّد الطّرفان وقتاً واحداً للهجوم على الجزائر، لكن علم سلطات الجزائر بما يُدبره الجيران من الشّرق والغرب أفسد على المتآمرين مشروعهم، حيث هاجم الدّاي شعبان تونس قبل أنْ يتموا استعداداتهم، وتفرغ بعد ذلك للمغاربة، وكان سلطانهم قد أرسل جيشه إلى نواحي تلمسان، غير أنّ جيش الجزائر استطاع هزيمتهم، وملاحقتهم حتّى أسوار فاس، وانسحب بعدها عائداً إلى الجزائر سنة 1693م، وتجدر الإشارة أنّ داي الجزائر تحالف مع حاكم طرابلس الغرب رداً على التّحالف التّونسي المغربي[3].

---

1- قد تكون هناك أسباب أخرى لهذه الثّورة غير أنّ المقام هنا لا يسمح بمناقشتها والخوض في تفاصيلها.

2- **يُنظر:** ناصر الدّين سعيدوني، **ورقات...**، المرجع السّابق، ص-ص 308-337؛ محمّد عطية، **التحالفات...**، المرجع السّابق، ص-ص 234-235؛ محمد حلوان، المرجع السّابق، ص-ص 94-95.

3- عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص-ص 440-441؛ شارل أندري جوليان، المرجع السّابق، ص-ص 369-370.

**2- التّحالف الثّلاثي (التّونسي-المغربي-الطرابلسي) ضدّ الجزائر:**

جاء هذا التّحالف في وقت تعقدت فيه الأمور والعلاقات بين بلدان المغرب، نهاية القرن السّابع عشر وبداية الثّامن عشر الميلادي، فقد اعتلى مراد باي الثّالث عرش تونس سنة 1699م بعد أنْ أطاح بعمه رمضان باي، وكان خليل الأرناؤوطي قد تخاصم مع الدّاي شعبان أثناء حملة 1695م على تونس بسبب الغنائم، أمّا مولاي إسماعيل فلم يتخلّ عن طموحاته التّوسعية في الغرب الجزائري رغم هزيمته أمام قوات الدّاي شعبان قبل ذلك، وما تزامن حملة مراد بوبالة بمساعدة خليل باشا طرابلس الغرب على قسنطينة وهجوم مولاي إسماعيل على تلمسان إلاّ دليل على ذلك، وما زاد من تعقيد الأمور في الجزائر ظهور وباء الطاعون الذي فتك بحوالي خمسة وأربعين ألف (45.000) شخص[1].

فقد سارع مراد بوبالة بالهجوم على قسنطينة خريف سنة 1700م، بجيش مشترك بينه وبين حاكم طرابلس الغرب[2]، وانتصر هذا التّحالف على قوات باي قسنطينة في الجولة الأولى، إلاّ أنّ الأوضاع تغيرت بوصول المدد من الجزائر، حيث سحق الجيش الجزائري القوات المتحالفة في الجولة الثّانية، وسارع بالعودة إلى مدينة الجزائر، لأنّ المولى اسماعيل سلطان المغرب كان قد هاجم تلمسان بجيش جرار، قدّرته بعض المصادر بحوالي خمسين ألف (50.000) مقاتل، وهدفه الوصول إلى مدينة الجزائر، لكن الدّاي الحاج مصطفى خرج على رأس قوّة عسكرية استطاعت دحر الجيش المغربي، رغم كثرة عدده وعدته[3]، ورغم التّنسيق بين الأطراف المتحالفة والاستعدادات الكبيرة فشل الحلف في تحقيق هدفه المتمثّل في النّيل من قوّة الجزائر واستقرارها.

**3- التّحالف التّونسي المغربي بداية القرن التّاسع عشر:**

حاول سليمان العلوي (1792-1822م) التّدخل في شؤون الجزائر الدّاخلية بتغذيته للفتن، فتحالف مع باي تونس حمودة باشا، حيث حرض الأوّل ابن الشّريف الدّرقاوي الثّائر بناحية الغرب الجزائري، في حين قام الثّاني بتحريض ابن الأحرش على الثّورة ضدّ الحكم العثماني في بايلك الشّرق الجزائري، كما استغل السّلطان المغربي انشغال الجيش الجزائري بالثّورات التي اندلعت في الشّرق والغرب الجزائري وحملة حمودة باشا على قسنطينة سنة

---

1- للمزيد حول هذا التّحالف، **يُنظر:** محمّد عطية، **التحالفات**...، المرجع السّابق، ص-ص 150-152؛ Léon Galibert, Op.Cit, p 235.

2- م.و.ج، ر.ع، مجموعة رقم 3190، ملف رقم 01، وث 53.

3- **يُنظر:** H.-D. de Grammont, Op.Cit, p 270؛ شارل أندري جوليان، المرجع السّابق، ص 370.

1807م، وقام بسلسلة حملات على الغرب الجزائري في عهد الدّاي مصطفى باشا (1798-1805م)، ثمّ أثناء فترة حكم الدّاي علي خوجة الغسال (1808-1809م)[1]، ويبدو أنّ الجارتين الشّرقية والغربية كانتا لا تفوتان فرصة تحالف تكون مواتية إلاّ وتغتنمانها من أجل زعزعة استقرار إيّالة الجزائر.

**د- موقف بايات تونس من بعض الأزمات السّياسيّة في الجزائر:**

**1- موقف حسين بن علي من محاولات السّلطات الجزائرية إستعادة وهران من الإسبان:**

تتالت حروب الجزائر مع إسبانيا حول وهران، حيث احتلها الإسبان منذ 1509م، ولم ينجلِ هذا الاحتلال نهائيا إلاّ في نهاية القرن الثّامن عشر (1792م)، وبين التاريخين بقيت المدينة في مد وجزر بين القوات، وشكل تمركز الإسبان طوال هذه المدّة شوكة في حلق السّلطات الجزائرية التي حاولت مرات عديدة تحريرها ونجحت في ذلك مع بداية القرن الثّامن عشر (1708م) على يد الدّاي محمّد بكداش بمساعدة باي الغرب مصطفى بوشلاغم وصهره أوزون حسن[2]، لكن النّصارى عاودوا احتلالها سنة 1732م، ومكثت بأيديهم مدة ستين (60) سنة قبل أنْ يحررها الباي محمد الكبير سنة 1792م في عهد الدّاي حسن باشا[3]. ولئن حاول سلاطين المغرب تقديم الدّعم للجزائر خلال هذه الحروب، ففي المقابل شهدنا غياب أي دور لبايات تونس في هذه الصّراعات[4]، رغم أنّ داي الجزائر طلب سنة 1732م المساعدة من باي تونس حسين بن علي[5]، كما سبق وأشرنا إلى ذلك.

ولقد اكتفى باي تونس بالتّظاهر برغبته في تقديم الدّعم للسّلطات الجزائرية، لكن الواقع أثبت تقاعس هذا الباي، وقد أشار القنصل الفرنسي بتونس للموقف السّلبي لباي تونس، في قوله: «إن هذا الرجل [حسين بن علي] ذو فهم وسياسة حكيمة، وقد فهم كما ينبغي بأن من فائدته إضعاف الجزائريين، لأن في ضعفهم ضماناً لسيادته واطمئنانه، وتمكيناً لدولته في تونس»[6]، وذهب البعض إلى أكثر من ذلك عندما اتهموا باي تونس بمساعدة الإسبان على احتلال وهران، حيث أمدهم بالذّخيرة.

---

1- حنيفي هلايلي، **أوراق...**، المرجع السّابق، ص-ص 64-65.

2- وإثر هذا الفتح قام السلطان العثماني بتكريم الدّاي وصهره بهدايا وخلعة وإرسال السّفن والعتاد الحربي لضمان أمن المنطقة، **يُنظر:** مصطفى بوداق وآخرون، المصدر السّابق، ص-ص 30-31.

3- محمد بن أحمد أبي راس الناصر، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، ج 02، (تق) و(تح): محمد غالم، منشورات CRASC، د.ب.ن، د.ت، د.ط، ص 37 وما بعدها. وقد سبق وأنْ جرت مفاوضات للصلح بين الجزائر وأسبانيا انتهت بالصلح وعقد معاهدة سنة 1785م، **يُنظر:** مصطفى بوداق وآخرون، المصدر السّابق، ص-ص 78-79.

4- عبد القادر سوداني، المرجع السّابق، ص 117.

5-صورية حصام، **العلاقات...**، المرجع السّابق، ص 56.

6-عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص-ص 87-88.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الباي حسين بن علي لم يقدم أي مساعدة تذكر للمساهمة في تخفيف حدّة الأزمة الاقتصادية التي عانت منها الجزائر في عهد الدّاي محمّد بن حسن (1718-1724م)، واضطر الدّاي أنْ يسمح لبحارته بالهجوم على مختلف الأمم المسيحية من أجل الحصول على غنائم تساعده على تخطي هذه الأزمة، غير أنّ قرار الدّاي هذا أوقعه في مشكلة بسبب شكاوى بعض الدّول التي تعرّضت سفنها لهجمات الأسطول الجزائري[1].

## 2- موقف حسين باي تونس(1824-1835م) من احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م:

تأكّدت الحكومة الفرنسية من عقم الحصار البحري الذي فرضته على إيّالة الجزائر[2]، فراحت تفكر في حل يُخرجها من هذه الأزمة[3]، وإثر ذلك جاء قرار ارسال حملة عسكرية هدفها إسقاط الحكم العثماني في هذه الإيّالة، وبدأ التّفكير الجِدِّي في هذا المشروع[4] منذ تولي "بولينياك (de Polignac)" منصب رئاسة الوزارة الفرنسية بتاريخ 18 أوت 1829م[5]، ولم يكن مشروع بولينياك يخص الجزائر فقط بل أوروبا والشرق أيضاً، وعلى كلٍ ففي جلسة 30 جانفي 1830م قرّر مجلس الوزراء الفرنسي القيام بالحملة ضدّ الجزائر، وفي 07 فيفري أقرّ

1- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص 80.

2- أُعلن الحصار الفرنسي على السواحل الجزائرية يوم 16 جوان 1827م، حيث قدم القبطان "كولي (Collet)" يوم 12 جوان من نفس السّنة على متن سفينة إلى ميناء الجزائر، وبعد أنْ صعد القنصل "دوفال" إلى السفينة طلب القبطان من داي الجزائر تقديم اعتذاره للقنصل الفرنسي، وعندما رفض الدّاي اقتراحات كولي أعلن الأخير الحصار، الذي دام ثلاث سنوات، **يُنظر:** حنيفي هلايلي، **العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815-1830**، دار الهدى، عين مليلة، 1428هـ/2007م، ط 01، ص 80؛ ناصر الدين سعيدوني، "**الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية 1827-1830**"، المجلة التاريخية المغربية، ع 05، 1976م، مؤسسة التميمي، تونس، ص 35.

3- حول تفاصيل عدم جدوى الحصار البحري الفرنسي، **يُنظر:** ناصر الدين سعيدوني، "**الحصار...**، المرجع السّابق، ص-ص 37-39.

4- القصد هنا هو الخروج من الأزمة بتحويل الحصار إلى حملة عسكرية، أمّا عن مشاريع فرنسا لاحتلال الجزائر فحسب "سعد الله" تعود إلى عهد نابليون، وحتّى قبل ذلك، **يُنظر:** أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال**، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، د.ط، ص 19.

5- أرزقي شويتام، **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011م، د.ط، ص 191. يبدو أنّ هناك أطرافاً كثيرة تريد الانتقام من الجزائر، فقد ورد في وثائق أرشيف الفاتيكان بأنّ قرار الحملة الفرنسية على الجزائر جاء بضغط من روما عن طريق قنصلها في فرنسا، **يُنظر:** لورا فيشيا فاقلييري، **أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر من قبل القوات الفرنسية لشارل العاشر أو الحروب الصليبية المجهولة**، (تق): ايمانويل باتاي، (تر): حميد عبد القادر، عالم الأفكار، د.ب.ن، د.ت، ص 51.

الملك شارل العاشر مشروع الحملة، وأصدر مرسوماً ملكياً بتعيين الكونت "دي بورمون (de Bourmont)" قائداً عاماً للحملة، والأميرال "دوبيري (Duperre)" قائداً للأسطول[1].

وحاولت الحكومة الفرنسية تبرير حملتها على الجزائر سنة 1830م، وصرّحت بأنّ هدفها من هذه الحملة هو الانتقام من داي الجزائر الذي أهان الشّرف الفرنسي بضربه لقنصلها على وجهه، لكن الحقيقة كانت غير ذلك، فقد كانت أهداف فرنسا من هذه الحملة كثيرة ومتنوعة، وأرجع البعض الهدف الرئيسي لسبب اقتصادي[2] حيث ارتبط الغزو بكنز القصبة (خزينة الإيّالة) التي قدّرها المؤرخ ميشو بحوالي ثلاثمائة وخمسين مليون فرنك ذهبي[3]، وفضحت رسالة من السّيد "ماتيو دي ليسبس" قنصل فرنسا بتونس إلى الوزير شاكير صاحب الطابع نوايا فرنسا الحقيقية وأهدافها من الحملة، حيث أخبر فيها القنصل مراسله بأنّ انتصار الجيوش الفرنسية لم يكن المراد منه الانتقام من داي الجزائر فقط، وأضاف بأنّ الهدف أكبر من ذلك، حيث سعت فرنسا إلى وقف تعدي الممالك البربرية على دول أوروبا وإراحتهم من مصيبة دامت قرون، وإبطال أسر النّصارى والجزية التي تؤديها ممالك النّصارى لهاته الدّول وتسريح الأسرى الأوروبيين، وإرجاع منحة صيد المرجان[4].

أمّا عن موقف باي تونس من هذه الحملة فقد أجمعت الدّراسات على سلبيته، إنْ لم نقل تخاذله وإعانته للحملة الفرنسية وقادتها ضدّ الدّاي، ويرجع ذلك لعدة أسباب، أهمها توتر العلاقات بين البلدين، بسبب الهيمنة الجزائرية على بايات تونس منذ 1756م، حيث أدت ممارسات بعض الدّايات إلى توتر العلاقات بين الطّرفين وصلت إلى حد القطيعة وإعلان الحرب، خاصة نهاية القرن الثّامن عشر وبداية القرن التّاسع عشر، وقد وصف قنصل فرنسا بتونس شعور الباي حمودة باشا نحو الجزائر، في رسالة بعثها إلى حكومته بباريس، مؤرخة في الفاتح (01) جويلية 1783م، حيث قال أنّ باي تونس يتمنى لو أنّ أسطول إسبانيا المتجه نحو الجزائر، والذي ينوي تدمير المدينة، ينجح في مهمته، من أجل أنْ ينعم هذا

---

1- أبو القاسم سعد الله، **محاضرات** ...، المرجع السّابق، ص ص 30، 33.

2- حول الاهمية الاقتصادية للجزائر ودور ذلك في احتلالها، **يُنظر:** Sevda Ozkya, **cezayir'in siyasi ve iktisadi önemi ve misir valisi mehmet ali paşa'nin cezayir'in fransa tarafindan işgalindeki rolü,** Ortadoğu Etütleri, Vol 07, No 2, January 2016, pp 118-127.

3- لورا فيشيا فاقلييري، المصدر السّابق، ص 08.

4- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 223، ملف رقم 384 مكرر، وث 02. محتوى الوثيقة، **يُنظر:** الملحق رقم 14، ص 343.

الباي بنوع من الاستقلالية ويتحرر من تسلّط دايات الجزائر عليه(1)، ويبدو أنّ شعور حمودة باشا تجاه الجزائر وداياتها ورثه من تداول على حكم تونس من البايات بعده، حتّى بعدما تخلّص هؤلاء من الهيمنة الجزائرية.

وتدعيماً للفكرة السّابقة نورد مقتطفاً من تعليق "جان قانياج (Jean Ganiage)"(2) على موقف الحكومة التّونسية من احتلال فرنسا للجزائر: «تبدلت حال تونس بعد 1830، فقد تقبل التونسيون نبأ نزول الجيش الفرنسي بارتياح لأنّه عجّل بسقوط خصوم ألدّاء[دايات الجزائر]»(3)، ومن المؤكّد أنّ المُؤلِّف يقصد هنا موقف الحكومة التّونسية المتمثلة في الباي وحاشيته، لأنّه من المعروف أنّ الشّعب التّونسي لم يتقبل دخول الفرنسيين إلى الجزائر والدّليل أنّه ساعد قادة الثّورات الشّعبية في الجزائر، والتي قامت ضدّ الاحتلال الفرنسي مباشرة.

أمّا "بن أبي الضياف" فيُرجع إعانة باي تونس للفرنسيين إلى تهديد هؤلاء له، حيث أورد في الجزء الثّالث من الاتحاف خطاب الفرنسيين لباي تونس بشأن حربهم مع الجزائر، وقد جاء على لسان قائد الحملة ما يلي: «إن أردت الأمان على بلادك فكن في هذه النّازلة حبيبا للفريقين، وإن أعنت الجزائر من البرِّ تَكُنْ حربا لنا مثلها»(4)، ويُفهم من الطلب الفرنسي أنْ يبقى باي تونس على الحياد من الطّرفين الجزائري والفرنسي، إلاّ أنّ العلاقات

---

1- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, Op.Cit, T03, p 132.

2- هو مؤرخ فرنسي معاصر شغل عدّة وظائف منها التّدريس والتّأطير والبحث، بفرنسا وتونس، وساهم في تأسيس الجامعة التّونسية، له عدّة مؤلفات، منها:

- Une affaire tunisienne: l'affaire de l'Enfida 1880-1882… (1956)
- L'Expansion coloniale et les rivalités internationales … (1973)
- Histoire contemporaine du Magreb (1994)

**يُنظر:** نجاة الطاهر قرفال، "**الصلة بين علماء تونس وباياتها كما تمثّلها المستعرب جان قانياج**"، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، مج 07، ع 02، جويلية 2022م، جامعة بوبكر بلقايد، تلمسان، ص ص 57، 69.

3- جان قانياج، **أصول الحماية الفرنسية على تونس (1861-1881)**، (تر): عادل بن يوسف ومحمّد محسن البوّاب، برق للنشر والتوزيع، تونس، 2012م، د.ط، ص 35.

4- أحمد بن أبي الضياف، المصدر السّابق، مج 02، ج 03، ص 166. وتحمل رسالة باللّغة الفرنسية من وزير فرنسا إلى قنصلها بتونس، تحوي على ملّخص لها باللغة العربية في الهامش العلوي للوثيقة، يخبر فيها الوزير قنصله بتونس بقرب خروج أسطول لمحاربة الجزائر، ويأمره بتحذير باي تونس من التدخل في هذه الحرب، أو أنه يحل به ما يحل بجاره (داي الجزائر)، **يُنظر:** أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 223، ملف رقم 384 مكرر، وث 01، **يُنظر:** الملحق رقم 15، ص 344.

بين باي تونس وقادة الحملة الفرنسية يبدو أنّها قد تحسنت بعد ذلك، والدّليل أنّ هناك تعاوناً من الباي ووزرائه مع الحملة الفرنسية المتربصة بإيّالة الجزائر.

وفَسَّر "عميراوي" هذا التّعاون بتضافر مجموعة من المبررات ساهمت في ميل حكام تونس للجانب الفرنسي، ومن هذه المبررات العلاقات التّجارية، حيث تورط الباي في ديون لصالح تجار فرنسيين خاصة سنة 1829م، إضافة إلى ذلك فإنّ الباي فهم بأنّ ميزان القوى أصبح لصالح الأوروبيين منذ معركة نافرين سنة 1827م، وبالتّالي لم يعد الباب العالي والجزائر قادرين على فرض إرادتهما على إيّالة تونس، لذلك استبعد المُؤلِّف خوف هذا الباي من إقدام السّلطان العثماني على ضم تونس لأوجاق الجزائر، لأنّ ذلك غير وارد منذ 1587م[1]، وهي السّنة التي أقدم السّلطان العثماني على فصل إيّالات بلاد المغرب، وتكوين ثلاث باشويات منفصلة تتبع كل واحدة منها الباب العالي مباشرة.

أمّا عن أوجه التّعاون التّونسي الفرنسي ضدّ إيالة الجزائر فمتعددة، تمثّلت أولاً في منع محاولات الباب العالي حل الأزمة الجزائرية الفرنسية[2]، ففي أواخر شهر نوفمبر 1829م وصل المفتي خليل "أفندي"[3] إلى الجزائر في مهمة، وأَذِنَ له الباب العالي بالقيام بمحاولة إيجاد صيغة للتفاهم بين فرنسا وحسين باشا، ولكنه لم يُوفق في مهمته[4]، وبعد حوالي

---

1- احميدة عميراوي، المرجع السّابق، ص 65.

2- تجدر الإشارة إلى أنّ هناك محاولات أخرى للدّولة العثمانية من أجل مساعدة بلدان المغرب العربي على التحرر من الاستعمار الفرنسي، على غرار سعيها في استعادة الجزائر بعد احتلالها سنة 1830م، حيث كانت لها محاولة لإعانة الثّورات الشّعبية في المغرب الأقصى ضد الحماية الفرنسية، وتزامنت هذه المساعدات مع اشتعال فتيل الحرب العالمية الأولى، فقد أرسلت نجموعة من الضباط إلى إسبانيا من أجل دعم حركة المقاومة التي اندلعت في المغرب الأقصى وقتئذ، ويشير إحدى الدّراسات إلى أنّ هناك العديد من الأبحاث التي تناولت حركات المقاومة في المغرب الأقصى إلاّ أنّ مساهمة الدّولة العثمانية في هذه المقاومات لم تحظ من طرف الباحثين بالاهتمام والدّراسة وأرجعت الدّراسة السبب لحواجز اللّغة التي منعت الباحثين من استغلال الوثائق العثمانية في أبحاثهم، للمزيد حول الموضوع **يُنظر:** Halil Kaya, **"Ottoman Empire and Moroccan Resistance to the French Protectorate in the First World War: Activities of Teşkilat-i Mahsusa in Morocco",** History Studies, Vol 15, N° 01, Fabruary 2023, pp 41-55.

3- لقب أطلق في العهد العثماني على الموظفين ورجال الدّين وحتى صغار ضباط الجيش، في أواخر الدّولة العثمانية أصبحت تضاف إلى اسم الشّخص للاحترام والتبجيل، **يُنظر:** إحسان ذنون الثامري وآخرون، **أحكام متعلقة بالولايات العربية من دفتري المهمة العثمانيين رقم 3 ورقم 4 (967-968هـ/ 1568-1569م)**، دار الجنان للنشر والتوزيع، الأردن، 2017م، ط 01، ص 49.

4- عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص 637.

خمسة (05) أشهر، منتصف شهر أفريل 1830م، أقلع طاهر باشا باتجاه الجزائر حاملاً معه أمراً من السّلطان يوضح مهمته، وكُلِّف المبعوث بأنْ يعمل ما في وسعه من أجل نجاح المُهمة[1]، لكن فرنسا كانت وقتئذ قد اتخذت قرار الحملة على الجزائر كما سبق وأشرنا.

ولذلك تمّ منع طاهر باشا من دخول الجزائر بواسطة قائد الأسطول الفرنسي الذي كان لا يزال يحاصر ميناء الجزائر منذ 1827م، مما اضطر المبعوث العثماني إلى التّوجه نحو طولون، ومنها راسل وزير الخارجية الفرنسي بشأن مهمته في الجزائر، غير أنّ تماطل الحكومة الفرنسية في الرّد عليه، جعله يقوم بمحاولة أخرى لدخول الجزائر عبر تونس، حيث وصلها في العاشر (10) ماي 1830م، لكن حسين باي تونس والسّفير الفرنسي بها منعاه من عبور الأراضي التّونسية[2]. وبالتّالي نستطيع القول بأنّ التّعاون التّونسي الفرنسي قد أفشل محاولات الباب العالي الرّامية لإنقاذ الجزائر من الاحتلال الفرنسي.

ولم يقف تعاون باي تونس مع الفرنسيين عند هذا الحد بل تجاوزه إلى الدّعم المباشر للحملة الفرنسية، حيث سمحت السّلطات التّونسية لعميلين فرنسيين بدخول أراضيها، نهاية شهر أفريل 1830م، وقد قَدِمَا إليها في مهمة تجسُسيّة تهدف إلى تجميع معلومات عن الجزائر وقواتها وأحوال سكانها، كما كُلِّف هذان العميلان بتوثيق صلاتهما بكبار الشّخصيات في بلاط باردو، وإضافة إلى ذلك نجحا أيضاً في تجنيد بعض شباب الجالية الأوروبية في تونس ممن يتقنون اللّغة العربية بهدف تعيينهم كمترجمين للحملة الفرنسية على الجزائر[3]، في حين أشار "قانياج" إلى أنّ الباي انتدب مترجمين تونسيين للحملة الفرنسية وأضاف أنّه قام ببيع الخيول للجيش الفرنسي[4].

1- آرجمنت كوران، المرجع السّابق، ص ص 45، 54-55. يبدو أنّ محاولات الباب العالي هذه، رغم فشلها، أبقت الأمل في نفوس بعض الجزائريين بشأن عودة الجزائر تحت ظل الدّولة العثمانية، حيث في السنوات الأولى من القرن العشرين أرست سفينة عثمانية في ميناء الجزائر (1906م) فصعد على متنها بعض الجزائريين وطلبوا مجيئ السّلطام العثماني لانقاذ الجزائر، وكان السّلطان العثماني عبد الحميد الثّاني (1876-1909م) آنذاك متبنياً لفكرة الجامعة الإسلامية التي دعا إليها جمال الدّين الأفغاني ومحمّد عبده، **يُنظر**: مولود قرين، "**قضايا الدّولة العثمانية في اهتمامات الشيخ عمر بن قدور الجزائري**"، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 13، ع 01، جانفي 2021م، ص-ص 176-177.

2- آرجمنت كوران، المرجع السّابق، ص-ص 59-60.

3- ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 357؛ رشاد الإمام، المرجع السّابق، ص 411.

4- جان قانياج، المرجع السّابق، ص 35.

وقد استمرت المساعدات التّونسية للفرنسيين حتّى بعد احتلالهم مدينة الجزائر؛ الذي تمّ في الخامس (05) جويلية 1830م، وتواصل التّعاون بين الطّرفين، ودخل مرحلة جديدة؛ تمثّلت في تجذير الوجود الفرنسي في الجزائر، خاصة وأنّ العلاقات بين الطّرفين كانت حسنة وقتئذ، وذلك ما نستشفه من نص الرّسالة التي بعث بها حسين باي تونس إلى الجنرال كلوزيل، حيث بالغ الباي في مدح الجنرال، ومن العبارات الواردة في هذه الرسالة: «... إلى كبير العساكر الفرنساوية وأحد عظماء الحملة المسيحية كبير المقام وركن الوزراء العظام معاهدنا الكونتي كلوزيل الجنرال الكبير بالجزائر...»، وورد كذلك في آخر الرّسالة عبارات حب وتمجيد للدّولة الفرنسية من طرف باي تونس، نقتطف منها الآتي: «... وهذا ما تقتضيه المودة الراسخة بيننا وبين الدولة الفرنساوية والمحبة التي لم تزل بيننا مرعية خصوصا وقد حصلت المجاورة بيننا بالأوطان... وهذا المعروف من طبيعتكم والمحمود من دولتكم والله يعيننا على مكافاتكم ويجعل محبتنا ليس لها حد دايمة إلى الأبد...»[1].

فقد زادت حاجة الفرنسيين إلى دعم تونس بعدما شهدت فرنسا اضطرابات سياسيّة عقب احتلالها للجزائر انتهت بهروب شارل العاشر وتولي لويس فيليب الحكم، وتزامن ذلك مع بروز حلف أوروبي مناهض للتّوجه الاستعماري الفرنسي؛ ضمّ كل من النّمسا وروسيا وبروسيا، مما اضطر فرنسا إلى عدم الصدام مع انجلترا والدولة العثمانية مُؤقتاً، وسعت في هذه الأثناء إلى اقحام الحكومة التّونسية في مشروعها الاستعماري هذا، حتّى تُوهِم الدولة العثمانية والأطراف الأوروبية بأنّ دولة اسلامية تُشاركها هذا المشروع[2].

ونعود هنا إلى دور قناصل الدّول الأوروبية في بلدان المغرب، حيث لعب القنصل الفرنسي بتونس "دي ليسبس (de Lesseps)"[3] دوراً مُهماً في إقناع باي تونس بقبول

---

1- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 01، ملف رقم 11 مكرر 03، وث 29، محتوى الوثيقة، **يُنظر:** الملحق رقم 16، ص 345. وتجدر الاشارة أنّ عبارات التمجيد والتبجيل للجنرال كلوزيل وشخصيات عسكرية أخرى تكررت في الكثير من الوثائق، بينما لم يحظى القناصل مثل قنصل فرنسا وقنصل انجلترا بنفس التمجيد من سلطات تونس، على سبيل المثال، **يُنظر:** المصدر نفسه، و 64، 74، 76، 99.

2- عبد القادر سوداني، المرجع السّابق، ص 122.

3- Mathieu de Lesseps قنصل فرنسا بتونس ما بين 08 أوت 1827 و 28 ديسمبر 1832م، **يُنظر:** Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, Op.Cit, T03, p LXXVIII.

"التّفاوض"[1] مع الحكومة الفرنسية بشأن وضع عمالتي قسنطينة ووهران تحت حكم باي تونس[2]، وتعيين شخصيتين من أفراد العائلة الحسينية تكون كل شخصية على رأس واحدة من العمالتين[3]، ونتج عن هذه المفاوضات معاهدتان؛ الأولى بتاريخ 17 ديسمبر 1830م تخص عمالة قسنطينة تدفع بموجبها الحكومة التونسية مبلغ مليون (1.000.000) فرنك على أربعة أقساط إلى الخزينة العامة بالجزائر، والثّانية بتاريخ 06 فيفري 1831م تخص عمالة وهران مقابل ثمانمائة ألف (800.000) فرنك، وتُدفع على أربع أقساط كذلك[4].

غير أنّ هذا المشروع لم يُكتب له النّجاح بسبب تأرجح موافق الحكومة الفرنسية بين الرّفض والموافقة على توقيع نص المعاهدتين، وبسبب عدم الاستقرار الذي طبع الوضع في عمالة وهران[5]، حيث ما فتئت المصاعب تتزايد يومياً طيلة السِّتة (06) أشهر التي قضاها خير الدّين آغا؛ مبعوث الحكومة التّونسية في مقاطعة وهران، وهو ما جعل الطّرفين يقتنعان باستحالة مواصلة هذا المشروع خاصة وأنّ فرنسا حسمت موقفها بشأن الاستقرار في الجزائر

---

1- ذكر "حمدان خوجة" أنّ المفاوضات بين الطّرفين بدأت في عهد "دي بورمون" وتوقفت بعزله، ولكن "كلوزيل" وجد المشروع في وثائق سابقه فأحياه، وواصل المفاوضات مع الطّرف التّونسي، **يُنظر:** حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السّابق، ص 225.

2- أطلق "التميمي" على هذا المشروع عبارة "مغامرة الحماية"، **يُنظر:** عبد الجليل التميمي، "**مغامرة الحماية التونسية على وهران –سنة 1831–**"، المجلة التاريخية المغربية، ع 05، تونس، ص–ص 5–19.

3- حسب المراسلات التي تمت بين الطّرفين، تمّ اختيار مصطفى باي لحكم عمالة قسنطينة، وأحمد باي لحكم عمالة وهران، **يُنظر:** أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 01، ملف رقم 11 مكرر 03، وث 01؛ عبد الجليل التميمي، "**مغامرة...**، المرجع السّابق، ص 7.

4- Hayet Aloui, **"Le protectorat Tunisien à Oran et Constantine (1830-1831): quelles perspectives?"**, Revue Oussour Al Jadida, Vol 06, N° 25, Octobre 2016, Université Oran 01 Ahmed ben Bella, Oran, p 38.

ذكر صاحب المرآة أنّ المبلغ المتفق عليه بين الطّرف الفرنسي ونظيره التّونسي هو مليون فرنك لكل مقاطعة، لكن تمّ تخفيضه إلى ثمانمائة ألف فرنك خلال السّنة الأولى فقط، وللمزيد من التّفاصيل حول بنود المعاهدتين، **يُنظر:** حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السّابق، ص–ص 231–236.

5- هناك وثائق بالأرشيف الوطني التّونسي، تحتوي على مداخيل ومصاريف عمالة وهران خلال فترة خير الدّين آغا، سنة 1831م، **يُنظر:** أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 01، ملف رقم 11 مكرر 03، وث 70، 71. محتوى الوثيقتين، **يُنظر:** الملحق رقم 17، ص 347.

ومواصلة احتلال البلاد شرقاً وغرباً، وبالتّالي وجب الغاء المعاهدتين بصورة نهائية، وجلاء القوات التّونسية من وهران، الذي تحقق في السّادس والعشرين (26) أوت سنة 1831م[1].

وعلى الرّغم من التّعاون والتّنازلات التي قدّمها الباي التّونسي للفرنسيين إلاّ أنّ ذلك لم يشفع له، ففي أوج التّعاون بين الطّرفين سارعت فرنسا إلى استغلال خضوع باي تونس وفرضت عليه معاهدة في شهر أوت 1830م، كانت جميع بنودها في صالح فرنسا والدّول الأوروبية، وكان ذلك بداية عهد السّيطرة الفرنسية على تونس، وساعدها تخوف بايات تونس من مشاريع الدولة العثمانية في إعادة السّيطرة على إيالات بلاد المغرب، وبدت الإيّالة التونسية منذئذ إمارة شبه تابعة للدّولة الفرنسية، حيث نصبت وزارة الخارجية الفرنسية نفسها حامية للوضع الرّاهن في تونس، واعتبرت تونس الحد الفاصل بين الجزائر الفرنسية وطرابلس العثمانية، مع وجوب الابقاء على النّفوذ الفرنسي في تونس متفوقاً[2].

## المبحث الثّاني: الانعكاسات الاقتصاديّة

### أولاً- تأثير الأزمات السّياسية في تونس على التبادل التجاري بينها وبين الجزائر:

#### أ- تذبذب النّشاط التّجاري:

تعاملت إيّالة الجزائر تجارياً مع محيطها، وتعاطت التّجارة البحرية مع دول أوروبا، ونشطت الحركة التّجارية بينها وبين العالم الإسلامي براً وبحراً، خاصة الدّول المجاورة كالمغرب الأقصى وطرابلس الغرب وإيّالة تونس، وقد كانت التّجارة مع تونس أكثر أهمية من التّجارة مع البلدان المجاورة الأخرى[3]، حيث كانت هناك محاولات تشجيعية من أجل دعم الحركة التّجارية بين الإيالتين، فقد استفادت المراكب التي تحمل السّلع الجزائرية من

---

1- عبد الجليل التميمي، "**مغامرة...**، المرجع السّابق، ص-ص 14-19. بعد عودة خير الدّين آغا من وهران وإلغاء الاتفاقية بشأنها بين فرنسا وتونس، طالبت الحكومة الفرنسية باي تونس بمبالغ الضرائب (جات في الوثائق باسم السراحات) التي جمعها خير الدّين آغا أثناء اقامته بوهران، غير أنّ باي تونس رفض وعلل رفضه بأنّه تم الاتفاق في ذلك مع الجنرال كلوزيل والجنرال المكلّف بعمالة وهران قبل عودة خير الدّين من هناك، وتعجب الباي من الطلب الفرنسي، وأجاب في أكثر من رسالة على أن المقبوض من ضرائب وهران قد صُرف على المهمات والعسكر، وأكّد بأنّه زاد على مبالغ الضرائب أضعاف ذلك، **يُنظر**: أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 01، ملف رقم 11 مكرر 03، وث 74، 75، 76.

2- جان قانياج، المرجع السّابق، ص ص 35، 39.

3- صدام رزيم، **تداول العملات الأجنبية في الجزائر خلال العهد العثماني وأثرها في علاقاتها الخارجية (1518-1830)**، أطروحة دكتوراه في التّاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 1442-1443هـ/ 2020-2021م، ص ص 26، 28.

تخفيضات جمركية في الموانئ التّونسية مقارنة بالمراكب التي تحمل سلعاً أوروبية، غير أنّ وتيرة هذا النّشاط لم تكن ثابتة، لأنّ عوامل كثيرة تحكمت به؛ منها الطبيعية والبشرية والسّياسية، وساهمت جميعها بشكل كبير في قوة وضعف العلاقات التّجارية بين البلدين[1].

وخلال القرن السّادس عشر الميلادي برزت المدينتان كمركزين عثمانيين من أهم مراكز الجهاد البحري في الضّفة الجنوبية لحوض المتوسط الغربي[2]، وخلق هذا الموقع خطوط اتصال بحري بينهما[3]، ورغم أهمية المركزين باعتبارهما عاصمتي الإيالتين، فإنّ هناك العديد من المراكز البحرية الأخرى التي ساهمت في تنشيط الحركة التّجارية بين الإيّالتين؛ مثل بجاية وعنابة التّابعتين لإيّالة الجزائر وبنزرت وغار الملح التابعتين لإيّالة تونس، دون أن نُغفل دور المدن الدّاخلية مثل قسنطينة وتبسة وبسكرة وسوف في الجزائر، ومدن قفصة والكاف والقيروان في تونس، وجميعها مراكز تجارية يقصدها تجار الإيالتين للبيع والشّراء، وتبادل السّلع، في اطار حركة أفقية (شرق/غرب) مخترقة تخوم البلدين، وتساهم هذه الحركة بشكل غير مباشر في دورة تنشيط التّجارة الدّاخلية بين مدن الإيّالة نفسها، والتي تتم في إطار حركة عمودية (شمال/جنوب)[4]، وعليه فالمبادلات التّجاريّة بين الإيّالتين كانت تتم عبر طريقين؛ طريق بحري يعتمد على السّفن، وطريق بري يستخدم الجمال.

وإذا كانت الطّريق البحرية بين موانئ الإيالتين تمر عبر البحر الأبيض المتوسط، فإنّ للطّريق البرية مسلكين؛ مسلكاً رئيسياً وآخر فرعيّاً:

- **المسلك الرئيسي:** وينقسم بدوره إلى مسلكين؛ الأوّل شمالي والثّاني جنوبي:

المسلك الشّمالي: وأهم محطاته من الغرب إلى الشّرق تبدأ بفاس ثم تازة فوجدة المغربية، وأوّل محطة له في إيالة الجزائر هي مدينة تلمسان، ثم معسكر فمازونة إلى أن يصل إلى الجزائر، ومنها إلى بجاية ثمّ قسنطينة، ومن قسنطينة يدخل الأراضي التّونسية ويجتاز مدينة

---

1- للمزيد من التّفاصيل حول هذه العوامل، **يُنظر:** وهيبة بولصباع، **العلاقات التجارية بين مدينة الجزائر ومدينتي تونس وسلا كمراكز للجهاد البحري خلال القرنين (17-18م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1434-1435هـ/ 2013-2014م، ص-ص 81-95.

2- وهيبة بولصباع، المرجع السّابق، ص ص 83، 127.

3- لأكثر تفاصيل حول المسالك البحرية بين المدينتين، **يُنظر:** فيصل قاسم، **الحركة التجارية بين موانئ بلدان المغرب خلال العهد العثماني**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1434-1435هـ/ 2013-2014م، ص-ص 38-41.

4- نرجس دبش، المرجع السّابق، ص 28.

الكاف باتجاه تونس، ويتفرع من قسنطينة طريق باتجاه بسكرة ثمّ بلاد الجريد التّونسية، وهو الطريق الذي يسلكه الحجاج الجزائريون القادمون من الشّمال لينظموا إلى القافلة المغربية.
المسلك الجنوبي: وله فرعان؛ الأوّل يحاذي الأطلس الصّحراوي ويجانب وادي الجدي، وينطلق من واحات تافيلالت إلى واحات الزّيبان ثمّ الجريد ويعرف بطريق القصور، أمّا الثّاني فيتوغل في أعماق الصّحراء ليصل إلى إقليم توات ودرعة ثمّ إلى غدامس ويطلق عليه طريق الواحات. وقد ساهمت كثرة الطّرق والمسالك التّجارية وتفرعها في تنشيط وتوسيع دائرة المبادلات التّجارية من خلال الحركة النّشيطة والمستمرة للقوافل التّجارية ذهاباً وإياباً مستخدمة هذه المسالك بهدف التنقل بين مراكز التّجارة في البلدين طلباً للكسب والرّبح[1].

وبالنّسبة للسّلع والمنتجات التي مثلت روح عملية التّبادل التّجاري بين الإيّالتين، فقد كانت القوافل الجزائرية تجلب من تونس الكتان والحرير والشواشي والأدوية والعقاقير والحبوب، في حين أنّها تحمل إلى تونس الشّمع وجلود الحيوانات والماشية[2]، كما كان انتاج عنابة الوفير من الحليب والزّبدة يصل إلى مدينة تونس وجزيرة جربة أيضاً[3]، وبعد اعتلاء حمودة باشا سُدة الحكم في تونس؛ بداية من سنة 1782م، شجّع التّجارة مع الجزائر، فبعد أنْ كانت تونس تستقبل من قسنطينة ما بين ثمانية وعشر قوافل في السّنة، أصبحت منذ 1809م تستقبل هذا العدد من القوافل شهرياً، مع أنّ هذه الفترة شهدت توتر في العلاقات بين الإيالتين، بعد حرب 1807م، ونجاح حمودة باشا في التّخلص من الهيمنة الجزائرية على تونس، ورغم ما عرفته العلاقات الجزائرية التّونسية من توتر بين الحين والآخر، خلال فترة الدّراسة، إلاّ أنّ الجزائر كانت أحد أهم الأسواق بالنّسبة لتونس، وموردًا هاماً لتُجَّارِها[4].

وما من شك أنّ الحروب بين القبائل، وثوراتها ضدّ السّلطة لأي سبب من الأسباب ساهمت بشكل أو بآخر في تخريب البلاد وتعطيل النّمو الاقتصادي في جميع الميادين[5]، وهذا الوضع يمكن إسقاطه على جميع الأزمات السّياسية التي تجتاح البلاد من حين لآخر،

---

1- حبيبة محيدب، **العلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، رسالة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1435-1436هـ/ 2015-2016م، ص-ص 45-46.

2- رشاد الإمام، المرجع السّابق، ص 320.

3- وليام سبنسر، المرجع السّابق، ص 140.

4- رشاد الإمام، المرجع السّابق، ص 320.

5- محمّد العَربي الزبيري: المرجع السّابق، ص 24.

وبخصوص الاضطرابات السّياسية في تونس وتأثيرها على النّشاط التّجاري مع الدّول الأخرى، فإنّ علي باشا راسل ملك فرنسا لويس الرّابع عشر، بعد أن استطاع إخماد ثورة ابنه يونس عليه؛ سنة 1752م، وقد أخبر الباشا ملك فرنسا في هاته الرّسالة بأنّ إيّالة تونس استعادت الهدوء الذي نجم عن الاضطرابات التي صاحبت الحرب الأهلية، واستؤنفت التّجارة وعادت إلى سابق عهدها بعد أنْ توقفت بسبب هذه الثّورة(1).

ورغم أنّ هذه الأوضاع الاستثنائية لها تأثيرها السّلبي على التّجارة بين الإيالتين (الجزائر وتونس)، إلاّ أنّ هذا النّشاط لم ينقطع تماماً، وتواصل بوتيرة متذبذبة تحكمت فيها الأوضاع السّياسية، وقد بلغت التّجارة بين البلدين حداً من الازدهار والانتعاش جعل التّونسيين يلعنون الحرب مع الجزائر ويتمنون توقفها، بسبب ما تخلفه من أضرار نتيجة توقف النّشاط التّجاري، حتّى وإنْ كان هذا التّوقف لمدة محدودة(2)، ولم تؤثر الأزمات السياسية وتداعياتها على العلاقات بين البلدين على التّونسيين فقط بل طال هذا التّأثير التّجار الجزائريين كذلك، خاصة أصحاب القوافل الذين وجدوا في المدن التّونسية وأسواقها مراكز لبيع وشراء ما يحتاجه كل طرف من سلع ومنتوجات الطّرف الآخر.

**ب- تعرض القوافل التّجارية الجزائرية لاعتداءات القبائل التّونسية:**

تمت الإشارة إلى أنّ الحركة التّجارية ظلّت نشطة بين الإيالتين، رغم ما كان من أزمات سياسية في تونس وما أعقبها من تدخلات جزائرية في بعض الأحيان أدت إلى توتر العلاقات بين الطّرفين، وكان التّبادل التّجاري بين الطّرفين يُستأنف في كل مرّة بعد استقرار الأوضاع، وكانت القوافل الجزائرية لا تتوقف عن الذهاب إلى الأسواق التّونسية محملة بالسّلع والمنتوجات التي تحتاجها الأسواق التّونسية، وتعود بالبضائع التّونسية التي تعرف رواجاً في الأسواق الجزائرية، ومع ذلك فإنّ القوافل التّجارية كانت في بعض الأحيان تغامر بالذهاب والإياب في الأوقات التي تشهد فيها الأوضاع عدم استقرار(3)، مثلما حدث مع قافلة قسنطينة أثناء ثورة اسماعيل بن يونس على باي تونس علي بن حسين (1759-1762م).

---

1- الرّسالة بتاريخ التّاسع من شهر جويلية سنة 1752م، أي بعد انتهاء ثورة يونس على والده بحوالي ثلاثة أسابيع، **يُنظر**: Eugène Plantet, **Correspondance des Bey…**, Op.Cit, pp 447-448.

2- رشاد الامام، المرجع السّابق، ص 320.

3- تعرضت القوافل الجزائرية التي تتاجر مع الباستيون في القالة لإغارة الأعراش التّونسية ومنها نهد، حيث نهبت الأخيرة قافلة بني مازن التي كانت متجهة للباستون، وقد اشتكى قائد الباستيون لصالح باي قسنطينة من هذه الأفعال، وفي رد صالح باي على القائد المذكور بتاريخ جوان 1779م، أنّه راسل علي باي تونس من أجل ردع نهد، **يُنظر**: م.و.ج، ر.ع، مجموعة رقم 1641، وث 44.

ففي أوائل ربيع الأول من سنة 1173هـ/ 1760م، وأثناء ثورة اسماعيل بن يونس على باي تونس، خرجت قافلة عظيمة للتّجار من قسنطينة باتجاه تونس، وكانت تحمل أموالاً كثيرة، وعندما وصلت تستور أغار عليها أولاد مناع؛ وهم أحد فروع قبيلة دريد، وأخذوا جميع ما في القافلة، ودخلوا في طاعة إسماعيل، ولمّا بلغ علي بن حسين باي أمر أولاد مناع وما فعلوه بتجار قسنطينة عزم على الخروج إليهم بنفسه، وعندما علم بارتحالهم إلى نواحي بلاد الجريد بعد فعلتهم هذه، أرسل لهم أحد شيوخهم؛ وهو صميدة بن سليمان بن أحمد، فأدركهم الأخير وقد تجاوزوا قفصة، فأخذ الشيخ يرغبهم تارة ويرهبهم أخرى، وأخبرهم بأنّ باي تونس أمّنهم إن هم رجعوا وردوا ما أخذوه من أهل قسنطينة، فأجابوه ورجعوا معه، وردوا الأموال التي أخذوها، وبقي ما قيمته ستون ألف ريال أداها عنهم الباي من ماله إلى تجار قسنطينة[1].

ويبدو أنّ باي تونس ازداد اهتمامه بأمر هذه القافلة بعدما سمع من تجارها أنّ بعض السّلع التي أخذها أولاد مناع تعود لأتراك الجزائر، وطلب الباي أنْ يقوموا بحساب كل البضائع التي أُخذت منهم، حتّى يسعى في ردها لهم، ففعلوا وجاءوه بـ"أزِمَّة"[2] فيها حصر أموالهم وبضائعهم التي ضاعت، وبالفعل استطاع الباي اقناع أولاد مناع برد ما أمكنهم جمعه من البضائع التي نهبوها من تجار قسنطينة، وتكلف هو بدفع مقابل ما لم يُسترد من منهوبات القافلة كما أشرنا إلى ذلك[3]، وفي الجدول الموالي تفاصيل المبالغ التي تكفل علي بن حسين باي بردها إلى تجار قسنطينة مقابل البضائع التي لم يستطع المغيرون إعادتها لهم.

**جدول رقم 07: بيان المبالغ التي تكفل بردها علي بن حسين باي تونس لتجار قسنطينة من ماله الخاص مقابل البضائع التي نهبها أولاد مناع[4]**

| البيان | المبلغ بالرّيال |
|---|---|
| كمال الأمانات التي ضاعت | 25.114 |
| حق الشدايد والسفاسر والبرانس | 31.219 |
| حق المكاحل والطبانجات واليطغانات والزعفران وغيرها | 6.809 |
| إحسانات للقسنطينيين لما أخذت منهم قافلتهم | 4.000 |
| **المجموع** | **67.142** |

1- حمودة بن عبد العزيز، المصدر السابق، ص-ص 67-69.

2- جمع زمام بمعنى السِّجل.

3- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 03، ص-ص 180-182.

4- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص 229.

وأشار بن عبد العزيز إلى أنّ المبلغ الذي دفعه باي تونس لتجار قافلة قسنطينة كان ستين ألف ريال، لكن الباي في الحقيقة دفع أكثر من هذا المبلغ، فحسب المعلومات التي تحصل عليها الأستاذ "بن خروف" من الدّفاتر الجبائية بالأرشيف الوطني التّونسي، فإنّ المبلغ فاق سبعة وستين ألف ريال، وقد حاول باي تونس عمل ما في وسعه من أجل ردّ ما أُخذ من تجار قسنطينة حفاظاً على العلاقات الودية التي كانت تربطه بالسّلطات الجزائرية، خاصة وأنّ إيّالة تونس كانت وقتئذ تعاني من ثورة اسماعيل بن يونس على علي بن حسين باي، والتي تسببت في أزمة سياسية أثّرت على استقرار الأوضاع في تونس.

**ثانياً- النّفوذ الاقتصادي الجزائري في تونس وانعكاساته:**

**أ- امتياز بيع الأنعام والأصواف الجزائرية في أسواق تونس:**

ليس هناك ما يدّل على ارتباط امتيار بيع الأنعام الجزائرية بمعاهدة 1756م، لأنّ بنود المعاهدة التي تعرضنا لها في المبحث السّابق لم تُشر بصراحة إلى هذا الامتياز، غير أنّ الواقع يُشير إلى أنّ هذا الامتياز ظهر بقوة خلال النّصف الثّاني من القرن الثّامن عشر الميلادي (فترة حكم البايات محمّد بن حسين باي وأخيه علي باي وحمودة باشا)، وهو ما سوف يتضح أكثر عندما نورد أمثلة عما تمّ إرساله من قطعان إلى إيّالة تونس.

وقد أشرنا إلى أنّ تونس كانت تحت هيمنة ونفوذ دايات الجزائر خلال الفترة المذكورة، ومع طغيان الجانب السّياسي والدّيبلوماسي على هذه الهيمنة، حيث كان بايات تونس مُلزمين بإرسال الضّريبة السّنوية والهدايا لأرباب الدّولة في إيّالة الجزائر، كما أنّه كان وكلاء للجزائر في تونس ولم يكن لتونس وكلاء في إيّالة الجزائر، إلاّ أنّ ذلك لا ينفي امتداد الهيمنة الجزائرية إلى ميادين أخرى، فقد كان للهيمنة الجزائرية نصيب من النّاحية الاقتصادية، حيث كان دايات الجزائر وبايات قسنطينة يرسلون أنواعاً من السّلع لتباع في الأسواق التّونسية عن طريق وكلائهم هناك[1]، والأغرب أنّ البضائع التي كانت تُرسل من الجزائر كان الدّايات هم من يُحددون سعر بيعها في الأسواق التّونسية مسبقاً، إضافة إلى ذلك فإنّ ما يُرسل من الجزائر من بضائع يتم بيعها قبل مثيلاتها التّونسية[2]،

1- يتولى مهمة توصيل قطعان الماشية التي تُرسل من الجزائر إلى تونس قائد يُرافقه حراس (تذكرهم الوثائق باسم دواير)، وكان يتلقى هؤلاء عادة احسانات من بايات تونس، بعدما يُتِمون مهمتهم، ونورد مثال عن احسان قَدَّمه علي باي سنة 1190هـ لهاته الفئة التي قدمت بقطيع من البقر من قسنطينة، حيث تحصّل القائد على احسان قيمته 50 ريالاً، بينما تحصل 26 حارساً على 390 ريالاً أي 15 ريال لكل فرد منهم، **يُنظر**: أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 2144، ص 202، وحول محتوى التقييد، **يُنظر**: الملحق رقم 18، ص 349.

2- حبيبة محيدب، المرجع السّابق، ص 4.

أما عن مصدرها فليس هناك ما يؤكّده، إلاّ أننا نُرجح وصولها إلى يد داي الجزائر أو باي قسنطينة كضريبة سنوية من القبائل الجزائرية. لكن تجدر الإشارة إلى أنّ وثائق الرّصيد العثماني بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحتوي مراسلات من الحاج أحمد باي قسنطينة موجهة إلى آخر دايات الجزائر حسين باشا، وتشير هذه المراسلات إلى أعداد هامة من الأنعام التي أخذها أعوان البايلك من بعض القبائل كالحنانشة والنّمامشة، ونجد في رسالة واحدة أنّ قبيلة أولاد رشاش من النّمامشة أُخذت منها في دفعة واحدة واحد وعشرين ألف وستمائة (21.600) رأس من الغنم وخمسمائة وخمسة وثمانين من الإبل (585) وعدد من البقر، وفي وثيقة أخرى تخص الحنانشة تحدثت الوثيقة عن غنيمة كبيرة وصلت خمسة عشر ألف وستمائة (15.600) رأس منها ألفين (2.000) من الكباش وألف وستمائة وستين (1.660) من البقر، وسبعة عشر (17) من الإبل[1]، وما يثير الانتباه أنّ هذه الأصناف هي نفسها التي يتم إرسالها من الجزائر لتباع في أسواق إيّالة تونس، إضافة إلى الصّوف.

**1- البقر:**

ومن أمثلة إرسال البقر من إيّالة الجزائر إلى تونس ليباع في أسواقها ما وجدنا تقييده بالدّفاتر الجبائية المحفوظة بالأرشيف التّونسي، حيث ورد في الدّفتر رقم 99، اجمالي ما قبضه محمّد الصفاقسي، وكيل قسنطينة، في حق البقر الذي أُرسل إلى تونس، واشتراه منه الباي محمّد بن حسين بن علي بسعر تسعة (09) ريالات للرّأس الواحدة، والمبلغ الاجمالي المذكور في الوثيقة هو 10.161 ريال[2]، ومع أنّ الوثيقة لم تُشر إلى عدد البقر، إلاّ أننا نستطيع حسابه بما أنّه توفرت لدينا المعطيات اللازمة؛ وهي المبلغ الإجمالي وسعر الرّأس، حيث نقوم بقسمة الأوّل على الثّاني لنجد عدد البقر الذي أتى به هذا الوكيل إلى تونس هذه المرّة، وهو 1129 رأس، أمّا الدّفتر رقم 100 فيحتوي تفصيل البقر الذي قدم على يد علي فريكح وتفرق على الأوطان في محرم 1172هـ/1758م، والذي أدرجناه في الجدول الموالي.

---

1- م.و.ج، ر.ع، مجموعة رقم 1642، وث 18، 19. وحول نفس الموضوع، **يُنظر**: المصدر نفسه، وث 15، 26.

2- أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 99، ص 70.

**جدول رقم 08: بيان البقر الذي قدم به علي فريكح وتفرق على الأوطان أواسط محرم 1172هـ/ سبتمبر 1758م**[1]

| الأوطان | عدد رؤوس البقر |
|---|---|
| قبل قايد وطن قليبية على يد أحمد الفلاف سوم 12 ريال | 149 |
| قبل وطن المنستير على يد عبد الله بن عبد الصمد | 149 |
| قبل وطن سوسة على يد منصور بن علي | 149 |
| قبل وطن صفاقس على يد محمد الأصرم | 149 |
| قبل وطن تبرسق على يد بن ساسي | 164 |
| قبل وطن ماطر على يد محمد عيسى دفدوف | 149 |
| قبل وطن بني زرق وقايد راس الجبل | 150 |
| قبل وطن قايد باجة على يد صالح بن ساسي | 149 |
| قبل وطن رياح على يد الحاج بنور | 149 |
| قبل أمناء جزارت تونس والجلابة | 149 |
| قبل سي علي الجزيري | 20 |
| قبل محمد بن الضريف | 01 |
| قبل الفقيه عبد الستار | 01 |
| **المجموع** | **1488** |

وفي سنة 1179هـ/1766م قام مسعود بن زكري وكيل قسنطينة بتونس بجلب عدد من الأنعام إلى تونس، من بينها 1500 رأس من البقر، ووزعها على الأوطان هناك عن طريق وجهاء الدّولة[2].

أمّا الدّفتر رقم 291 فاحتوى التقييد التّالي، تحت عنوان: "تقييد البقر الذي أتى من الغرب لولدنا الحاج محمد البرادعي الوكيل"، وهذا نصه: «أخذنا منه [محمد البرادعي

1- أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 100، ص 65، تحتوي صفحات هذا الدّفتر على ثلاثة أنواع من التّرقيم، اثنين منها أساسهما ترقيم الأوراق أحدهما أعلى كل ورقة والآخر أسفلها، أمّا التّرقيم الثّالث فأساسه ترقيم الصّفحات، وقد اعتمدنا النّوع الأخير، أثناء اشارتنا للمعلومات المستخدمة، **يُنظر**: محتوى الوثيقة في الملحق رقم 19، ص 350.

2- حبيبة محيدب، المرجع السّابق، ص 5.

الوكيل] ألف واحدة رأس بقر وأربعماية وخمسة وتسعين سعر ثمانية ريالات الرأس ودفعناه لولدنا رجب بونمره كاهية ليبيعه "بالطلوق"[1] سنة 1211 [1796م]»[2]، وفي الجدول الموالي حساب "الكاهية رجب بونمره"[3] على البقر المذكور أعلاه.

**جدول رقم 09: حساب رجب بونمره كاهية على البقر لسنة 1211هـ/1796م**[4].

| عدد البقر | البيان | المبلغ بالرّيال |
|---|---|---|
| 852 | حق رؤوس البقر اتباع على يده | 6949 |
| 455 | حق جلود البقر الميت دفعه لدار الجلد | 187 |
| 188 | ضاعت جلودها على يد الحاج عيسى قايد ماطر | / |
| 1495 | **المجموع** | 7136 |

أشار التّقييد المذكور أعلاه أنّ ثمن الرأس الواحد ثمانية (08) ريالات، وإذا أردنا معرفة ثمن جميع هذا البقر نقوم بضرب العدد الاجمالي في ثمن الرّأس الواحد، وفي هذه الحالة يساوي 11960 ريال، أمّا المبلغ الذي صرّح به الكاهية رجب بونمره المُكلف ببيع البقر في تونس فهو 7136 ريال، والفارق بين المبلغين يقدر بـ 4824 ريال، ولم تشر الوثيقة إلى المبلغ الذي أُرسل للجزائر، وهل تمّ تعويض هذا الفارق من طرف السّلطات التّونسية؟

إلاّ أنّنا نجد إشارة في الدّفتر رقم 94 (1170-1173هـ/1756-1760م) وفي الورقة رقم 3 بالتحديد إلى أنّ ثمن المواشي والأنعام المرسلة من الجزائر لتباع في الأسواق التونسية قد يتم تسديد ثمنها على دفعات، حيث يشير التقييد إلى ما نصه:«ويليه مبلغ ما قبض من ثمن الدفعة الثانية من البقر الذي أرسلها باي قسنطينة مع الحاج محمد السفاقصي الوكيل»[5].

---

1- ويقصد به البيع بالأجل، وبالتّأجيل في هذه الحالة يعني التّأخير وتعليق الوفاء بالدّين إلى وقت معين، حسث يشتري التّاجر سلعة معينة دون أن يدفع ثمنها، ويقوم هذا النّوع من المعاملات أساساً على الثّقة بين الطّرفين المتعاملين، ويكتفي التّاجر بكتابة عقد يعترف فيه بما عليه من دين، مع تحديد المدّة اللازمة لقضائه، **يُنظر**: نجوى طوبال، **طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700-1830م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2004-2005م، ص 181.

2- أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 291، ص 6.

3- هو قائد محلة الأعراش بتونس والتي تمتد في الهضاب العليا على منطقة الكاف والقصرين، **يُنظر**: حبيبة محيدب، المرجع السّابق، ص 5.

4- أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 291، ص 6.

5- نقلاً عن: خليفة حماش، **كشاف...**، المرجع السّابق، ص 337.

ومن المُلاحظ كذلك من خلال الجدول مجموع ثمن 852 رأس باحتساب سعر ثمانية ريالات للرّأس الواحدة نتحصل على 6816 ريال، أما التقييد فذكرها 6949 ريال، أي بزيادة 133 ريال عن ثمنها الأصلي، وقد نفسر ذلك بأنّ الحكومة التّونسية لا تلتزم بالثّمن الذي يُحدِّده الدّاي كما أشرنا، وإنما تزيد في السّعر، فهي عندما تسمح ببيع البقر والأنعام الجزائرية في أسواقها فإنّ هدفها تحقيق الرّبح المادي، أو على الأقل تغطية مصاريف هذه القطعان من أكل وأجرة العمال وغيرها إلى غاية تمام عملية البيع.

وفي السّنة الموالية أُرسل عدد أكبر من البقر إلى تونس حدده تقييد آخر في نفس الوثيقة السّابقة بـ 1986 رأس، تسلمه وكيل الجزائر بتونس محمد البرادعي، وحدد سعر البيع بستة عشر ريالاً إلاّ ربع للرأس الواحدة، وقبضه محمد الحامي السايس بمحضر كاتب الشيخ سي محمد بوعتور وقُيد في 05 شوال سنة 1212هـ (1797م)، ووزعت لتباع بالطلوق عن عام واحد، وتفاصيله في الجدول الموالي.

**جدول رقم 10: حساب رجب بونمره كاهية على البقر لسنة 1212هـ/1797م**[1].

| البيان | عدد البقر |
|---|---|
| أخذ منها ولدنا رجب بونمرة كاهية ألف واحدة رأس لبيعها على يده في 05 شوال سنة 1212[2] | 1.000 |
| أخذ ولدنا مصطفة الأرناوط ستماية رأس لبيعها على يده في (كذا)[3] | 600 |
| أخذ الحاج علي بن عيسى ماية واحدة انطبعت وقيدت عليه في زمام السعي | 100 |
| اشترى محمد الحامي السايس ومرزوق الجلاصي (كذا) ماية واحد وثلاثة روس وقيدوا عليهم في صفحة البيوع في التلاقط | 103 |
| ماية واحدة وثمانون راس بقر أذن المعظم الأرفع سيدنا دام مجده بتفريقها على العوايده (كذا) | 180 |
| باقي ثلاثة ضاعو | 03 |
| **المجموع** | 1986 |

1- أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 291، ص 6، محتوى الوثيقة، **يُنظر**: الملحق رقم 20، ص 352.

2- وفي نفس الدّفتر، بيان ما تم بيعه من البقر الذي أخذه رجب بونمره كاهية، ويشير التقييد إلى الثمن الاجمالي المُقدر بـ 22.594 ريال، للمزيد من التّفاصيل، **يُنظر**: أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 291، ص-ص 48-54.

3- تفاصيل بيع هذا العدد، **يُنظر**: المصدر نفسه، ص-ص 40-47.

وحسب ما جاء في الوثيقة التي أشارت أنّ ثمن الرأس الواحد ستة عشر ريالاً إلاّ ربع (15,75 ريال) فإن الثّمن الإجمالي لعدد البقر في هذا التقييد يكون 31.279 ريالاً، وقد عثرنا في نفس المصدر على تقاييد بيع بعض الأعداد من هذا البقر وقد أشرنا إلى ذلك في الهامش في الصفحة السّابقة، لكن شدّ انتباهنا نفس الملاحظة التي أشرنا إليها في بالنّسبة للجدول السّابق حول سعر بيع البقر من طرف المكلف بذلك في تونس، ففي هذا التقييد حُدد سعر الرأس الواحدة بستة عشر ريال إلاّ ربع، وأخذ رجب بونمره كاهية 1.000 رأس أي ما مجموع ثمنه 15.750 ريال، ولكن تشير الصّفحة 54 من الدّفتر المذكور إلى مجموع ما تم بيعه على يد الكاهية المذكور، والذي وصل إلى 22.594 ريال، والفرق بين المجموعين 6.844 ريال، أي بنسبة فائدة وصلت إلى 43.45%، أمّا بالنّسبة لمصطفى الأرناوط والذي أخذ 600 رأس أي بثمن 9.450 ريال، نجده يصرح، في الدّفتر المشار إليه، ببيعها 14.604 ريال، وبحساب الفرق بين المجموعين نجده 5154 ريال، ونسبة الفائدة في هذه الحالة 54.54%.

ونستنتج مما سبق أنّ أعداد الأبقار التي تُرسل إلى تونس كل سنة تُقدر بالآلاف، وبالتّالي فقد احتلت هذه الماشية المرتبة الأولى دون منازع مقارنة بباقي الأصناف الأخرى التي كان دايات الجزائر وبايات قسنطينة يرسلونها إلى أسواق تونس، وهو ما يجعل مهمة السّلطات التّونسية من أجل توزيعها وبيعها في أسواق الإيّالة ليست سهلة[1]، إلاّ أنّه وفي المقابل كانت هذه السّلطات تحقق بعض الأرباح من عمليات البيع هذه حسب ما تشير إليه الوثائق لأنّها كانت تزيد في سعر الأنعام التي يُحددها الدّاي أو باي قسنطينة.

**2- الإبل:**

تأتي الإبل من حيث الأعداد المرسلة إلى أسواق تونس في المرتبة الثّانية بعد البقر، ربما لأهمية هذا الصنف في عملية التّبادل التّجاري، ونظراً لهذه الأهمية التي اكتسبها لكونه أحد المكونات الأساسية للقافلة التّجارية، بحكم خصائص التّحمل التي ينفرد بها عن غيره من الدّواب الأخرى، ولذلك لا يستطيع التّجار والمسافرون الاستغناء عنه أثناء تشكيل القوافل التي تقطع عادة مسافات طويلة من أجل التّجارة أو أداء فريضة الحج، وتزخر المصادر بإشارات كون صنف الإبل أحد أهم السّلع التي يبعث بها دايات الجزائر وبايات قسنطينة إلى إيّالة تونس لتباع في أسواقها.

---

1- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص 209.

وتُفيدنا إحدى الوثائق بإشارات عن أنّ الباي محمّد بن حسين أرسل 100.000 ريال للدّاي علي بوصبع مع أحد رجاله الذي رافق "أحمد الأصرم"[1] إلى الجزائر عندما كُلِّف الأخير بتوصيل هدية باي تونس لداي الجزائر سنة 1758م، وأرسل 12.960 ريال إلى باي قسنطينة في حق 432 بعير، سعر الرّأس الواحدة منها 30 ريالاً[2]، وتشير وثيقة في الدّفتر الجبائي رقم 206 إلى بيان بيع الإبل التي أصلها سبعمائة (700) رأس أتت من الغرب (الجزائر) بورقة من باي قسنطينة، وبيعت على يد حسونة بن قبران، وقد قمنا بجمع محتوى التقييد الموجود بالوثيقة المذكورة في الجدول الموالي.

**جدول رقم 11: بيان الإبل التي أتت من الغرب بورقة من باي قسنطينة وبيعت على يد حسونة بن قبرار 1773/1193م[3]**

| إبل بيعت لـِ | عدد الرّؤوس |
|---|---|
| قبل عماره بن الجرو | 4 |
| قبل عمر الجزيري | 3 |
| عند أحمد بن الزهاني | 10 |
| على الوطن القبلي في قبض رجب بن عياد | 170 |
| قبل حسونة بن قبرار | 15 |
| قبل الفقيه محمد بن غانم | 6 |
| عند الأخضر الحلانبة | 2 |
| عند محمد بن الضيف البواب | 2 |
| عند قياد الدايرة | 311 |
| والباقي عند الضيف مساوم الشوابلي | 177 |
| **المجموع** | 700 |

في شهر شعبان 1192هـ/ سبتمبر 1778م أحضر علي فريكح 1473 بعيراً قبلها منه حسونة بن قبران وسلّمها إلى الطرابلسية[4]، وذكر أحمد باي قسنطينة في إحدى رسائله إلى

1- ترجمة هذا العالم، **يُنظر**: عنوان هجرة العلماء في نفس المبحث.

2- خليفة حماش، **كشاف**...، المرجع السّابق، ص 338.

3- أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 206، ص 9.

4- خليفة حماش، **كشاف**...، المرجع السّابق، ص 375.

باي تونس مؤرخة في 1821/1237م، يخبره فيها أنّه وجه مع سي علي بن عاشور 450 بعيراً بقصد البيع في أسواق تونس[1]، وقد وجب التّنويه إلى ملاحظة هامة وهو أنّ ما أوردناه من معلومات حول عدد الإبل المرسلة إلى تونس ما هي إلاّ نماذج، أمّا الواقع فأكثر من هذا، ولا يسعنا المقام هنا لذكرها جميعاً.

**3- المواشي:**

شكّلت المواشي كذلك إحدى أهم صادرات الجزائر إلى تونس، ففي سنة 1766م قام مسعود بن زكري وكيل باي قسنطينة بتونس بجلب قطعان من الغنم والبقر والإبل وكميات من الصّوف إلى تونس لتباع في أسواق الإيّالة هناك، وقد جاءت تفاصيل ما جلبه الوكيل المذكور كالتّالي: 2700 شاة، و100 ثور، و4 إبل[2]، وفي الرّسالة التي بعثها أحمد باي قسنطينة إلى حسين باي تونس، والتي أشرنا إليها من قبل، أنّ باي قسنطينة أرسل مع سي علي بن عاشور إلى تونس إضافة لقطعان البعير التي ذكرناها ومجموعة من الثيران وألحقهم بِ 1000 كبش، غير أنّ الذي تمّ ذكره ليس هو هدف رسالة باي قسنطينة إلى باي تونس وإنّما الأصل في الرّسالة طلب مساعدة باي تونس من أجل اجبار بن عاشور على العودة إلى قسنطينة رفقة السّيار الذي يحمل هذه الرّسالة من أجل أنْ يُقدم حسابات ما تمّ بيعه إلى خليفة الباي في قسنطينة، لأنّ المذكور دفع بعض مستحقات القطعان التي أخذها إلى تونس وسكت بن الباقي[3].

وما يسترعي الانتباه من خلال ما ورد في الرّسالة التي تعود إلى السّنوات الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر (عشرينات القرن التّاسع عشر)، هو استمرار السّلطات الجزائرية في إرسال قطعان الماشية إلى أسواق تونس لتباع هناك رغم أنّ بعض الدّراسات التّاريخية ربطت هذا النّشاط بالهيمنة الجزائرية على بايات تونس والتي تخلص منها حمودة باشا بعد الحرب التي شنها سنة 1807م على الجزائر، وهو ما قد يدفعنا للتسّاؤل، هل أنّ أسواق

---

1- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 223، ملف رقم 384، وث 19.

2- حبيبة محيدب، المرجع السّابق، ص 11، وتسلم نفس الوكيل ثمنها في شعبان 1179هـ/ جانفي فيفري 1766م كمايلي: - 6075 ريال ثمن 2700 شاه (ثمن الرّأس 2.25 ريال) – 2200 ثمن 10 ثور (ثمن الرّأس 220 ريال؟) – 200 ريال ثمن 04 إبل (ثمن الرّأس 50 ريال)، **يُنظر**: خليفة حماش، **كشاف**...، المرجع السّابق، ص 359.

3- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 223، ملف رقم 384، وث 19.

تونس كانت بالفعل بحاجة لهذه القطعان؟ أم أنّ السّلطات التّونسية كانت بحاجة إلى هذه التّجارة خاصة أنّنا لاحظنا أنّ ما يتم بيعه في تونس يكون سعره أكثر من السّعر الذي تحدده سلطات الجزائر؟

**4- الصّوف:**

كان بايلك قسنطينة من أهم موردي الصّوف إلى إيّالة تونس، حيث كان تسير شهريا قافلة من ثلاثمائة (300) بغل محملة بكميات معتبرة من الصّوف وحتّى الجلود المدبوغة، ففي سنة 1177هـ/1764م على عهد علي بن حسين باي قام وكيل قسنطينة ببيع الصّوف المرُسل إلى تونس وبعث ثمنه المقدر بـ 23.999 محبوب إل باي قسنطينة[1]، وتشير وثيقة من الدّفتر الجبائي رقم 129 بالأرشيف الوطني التّونسي، بتاريخ شوال 1177هـ/1764م، إلى بيان المبالغ التي رجع بها "علي فريكح" و"بوبعاية" السّيار للجزائر وقسنطينة من حق الصّوف الذي تمّ بيعه في تونس وهي 12.000 محبوب لباشا الجزائر و 9.361 محبوب لباي قسنطينة[2].

**ب- مساهمة تجارة الأنعام مع تونس في انعاش خزينة إيّالة الجزائر:**

وجه أحمد باي قسنطينة رسالتين إلى حسين باي تونس سنة 1237هـ/1821م[3]، طلب من خلالهما مساعدة الأخير في استعادة أموال القطعان التي أرسلها إلى تونس لتباع هناك، وأكّد باي قسنطينة أنّ هدفه من جمع هذه الأموال هو توفير مصاريف الدّنوش التي يؤديها إلى خزينة الإيّالة، فقد كانت أسعار البيع في تونس مرتفعة وهو ما يعتبره مصدراً مالياً هاماً لانعاش خزينة البايلك[4]، ومن خلال ما أوردناه من أمثلة عن أثمان القطعان التي تمّ ارسالها طوال النّصف الثّاني من القرن الثّامن عشر الميلادي يتضح أنّ هذه التّجارة توفر مداخيل معتبرة لخزينة دار السّلطان أو خزينة بايلك قسنطينة، وساهمت بشكل أو بآخر في سد بعض العجز النّاجم عن تراجع مداخيل النّشاط البحري لإيّالة الجزائر خلال هذه الفترة.

---

1- يوسف مالكي وحميد آيت حبوش، المرجع السّابق، ص 335.

2- زهيرة سحابات، المرجع السّابق، ص 162.

3- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 223، ملف رقم 384، وث 17، 19.

4- حبيبة محيدب، المرجع السّابق، ص-ص 12-13.

**ج- انتشار العملات التّونسية في إيّالة الجزائر:**

امتازت العُملة في الجزائر العثمانيّة بتنوع مادتها واختلاف قيمتها، وكان يتم إصدارها بأمر من الدّاي وبإشراف الخزناجي، فهناك العملة الذهبية مثل السّلطاني، والفضية مثل زوج بوجو، ودورو الجزائر، وريال بوجو وربع بوجو، وثمن بوجو، والموزونة، والصائمة، وريال درهم المعروف ببدقة شيك، أمّا النّقود البرونزية والنّحاسية فمنها الخروبة، ودراهم صغار، ونصف دراهم صغار[1]، غير أنّ العملة الجزائرية تعرضت لمزاحمة العملات الأجنبية لها بسبب أنّ حكام الجزائر آنذاك يسمحون بالتّعامل بهذه العملات المختلفة في الجزائر ولا يرون حرجاً في ذاك[2]، ومن هذه العملات الاسبانية كالدبلون، والدوكة والكرونة والدورو والقرش والدولار والريال، والعملات الفرنسية مثل القرش والفرنك، وسكة الدولة العثمانية كالسّلطاني والمحبوب وغيرها، ونقود تونس مثل السّلطاني والريال والخروبة والفلس والدرهم الناصري[3].

ويُعزى تواجد النّقود الأجنبية في إيّالة الجزائر إلى عدة أسباب أهمها؛ النّشاط البحري للأسطول الجزائري وما ينجم عنه من الغنائم والأسرى بعد عمليات افتدائهم، بالإضافة إلى الإتاوات والضرائب والهدايا التي تقدمها مختلف الدّول الأجنبية إلى حكومة الإيّالة، وقبل كل هذا ارتباط الجزائر تجارياً بعدد كبير من الدّول الأجنبية؛ الأوروبية والعربية وغيرها.

وتأتي النّقود التّونسية في المرتبة الثّانية من حيث انتشار العملات الأجنبية بالجزائر العثمانية، بحكم الجوار وكذلك تشابه أنظمة الحكم في الإيالتين (الحكم العثماني)، ومساهمة هذه العناصر في تنشيط الحركة التّجارية بين البلدين[4]، ومن جهة أخرى فقد أدّت الأزمات والصّراعات على السّلطة في تونس خلال القرنين السّابع عشر والثّامن عشر ميلادي إلى تدّخل حكام الجزائر بطلب من أطراف الصّراع في تونس من أجل فض هذه النّزاعات بشتى الطّرق، مقابل ضرائب وإتاوات سنوية يدفعها بايات تونس للسّلطة العثمانية في الجزائر،

---

1- للمزيد حول أنواع العملات المحلية وأسمائها وأوزانها، **يُنظر:** صدام رزيم، المرجع السّابق، ص-ص 29-37.

2- كانت نقود كل من إيّالة الجزائر وتونس وطرابلس الغرب مقبولة عند الإسبان ويتعاملون بها كذلك، **يُنظر:** عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص 659.

3- ناصر الدّين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السّابق، ص 27.

4- ناصر الدّين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830**، البصائر للنشر والتّوزيع، الجزائر، 2012م، ط 03، ص 186.

إضافة إلى الغنائم التي تحصل عليها عادة الحملات العسكرية الجزائرية على تونس سنوات 1695، 1735 و 1756م، حيث استولى الجيش الجزائري خلال الحملة الأخيرة على خزينة مدينة تونس، عندما أطاح بعلي باشا ونصّب مكانه محمّد بن حسين باي[1].

وقد أشرنا إلى كمية وقيمة الغنائم التي عاد الجيش الجزائري محملاً بها من الحملات المذكورة أعلاه، فقد أشار "دي غرامون" إلى الغنائم التي أتى بها داي الجزائر الحاج شعبان من حملته على تونس سنة 1695م، وذكر بأنّ الدّاي رجع ومعه 120 بغلاً تحمل الذّهب والفضة[2]، أمّا حملة 1735م، فقد عاد الجيش الجزائري بقيادة ابراهيم الصّغير محملاً بالغنائم التي خلفها الباي حسين بن علي بعد فراره، وبالهدايا والأموال التي قدّمها لهم علي باشا في مقابل مساعدة داي الجزائر له من أجل الجلوس على كرسي تونس[3]، وأشار "بن يوسف" لكثرة غنائم حملة 1756م، التي أخذها باي قسنطينة حسن أزرق عينه، حيث ذكر بأنّ باي قسنطينة المذكور استغرق عشرة أيام كاملة في جمع أمواله وحليه وذخائره[4].

ويجب الإشارة أنّ تكاليف هذه الحملات كان يتحملها بايات تونس، فقد طلب الدّاي علي بوصبع من محمّد بن حسين باي، مصاريف حملة 1756م التي قدّرها باثني عشر ألف (12.000)، في رسالة بتاريخ فيفري 1758م[5]. وكلّ هذه عوامل ساهمت في توفر العملة التّونسية بإيالة الجزائر، ولو بدرجات مختلفة، وفي الجدول الموالي أهم العملات التّونسية المتداولة في الجزائر وأنوعها وأوزانها.

---

1- صدام رزيم وعبد القادر فكاير، **تداول النقود التونسية في الشرق الجزائري خلال العهد العثماني (1519-1830)**، المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج 14، ع 01، 2022م، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، ص 98.

2- H.-D. de Grammont, **Histoire…**, Op.Cit, p 265

3- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام…**، المرجع السّابق، ص 105.

4- الصّغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 04، 108.

5- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 212، ملف رقم 229، وث 01.

**جدول رقم 12: قيمة وأنواع العملات التّونسية المتداولة في الجزائر**[1]

| نوع العملة | اسم العملة | وزنها (غ) | قيمتها |
|---|---|---|---|
| ذهبية | سلطاني | 3.50 | 80 ناصري |
| | نصف سلطاني | 1.75 | 40 ناصري |
| فضية | ريال تونسي Piastre | 0.7 إلى 14.9 | 16 خروبة |
| | ربع ريال | | 4 خروبة |
| | ثمن ريال | | 2 خروبة |
| | خروبة Karrouba | 0.35 إلى 0.55 | 39 ققصي أو 1/16 ريال |
| | ناصري Nasri أو نصري حيدري Asper | | 2 فلس أو 1/104 ريال |
| نحاسية | فلس fels أو Bourbe | 1.4 إلى 15 | 6 ققصي أو نصف ناصري |
| | ققصي Qafçi أو فلس رقيق Bourbine | 0.6 إلى 1.8 | 1/12 ناصري |

## المبحث الثّالث: الانعكاسات الاجتماعيّة

### أولاً- هجرة التّونسيين نحو إيّالة الجزائر:

الهجرة في علم السّكان كلمة تدل على الانتقال المكاني أو الجغرافي لفرد أو جماعة، أمّا التّهجير فهو إرغام فرد أو جماعة على الهجرة باستعمال القوّة والتّهديد[2]، ومن أهم الهجرات التي عرفها التّاريخ وأصبحت بعد ذلك معلماً زمنياً يؤرِّخ به المسلمون هجرة نبينا الكريم محمَّد صلى الله عليه وسلّم، ثمّ هاجر المسلمون بعدها شرقاً وغرباً من أجل نشر الدّعوة الإسلامية، وقد ورد لفظ الهجرة في القرآن الكريم في مواطنٍ كثيرة، ولأسباب مختلفة فقد قال عزّ وجل في محكم تنزيله: ﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[3].

---

1- صدام رزيم، المرجع السّابق، ص-ص 62-63.

2- عبد الوهاب الكيالي وآخرون، **موسوعة السياسة**، ج 07، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985م، د.ط، ص 67.

3- سورة النّساء، الآية: 100.

والهجرة في حدّ ذاتها ليست ظاهرة جديدة فمنذ أقدم العصور عرف الإنسان التّرحال بحثاً عن الاستقرار وعن مناطق توفر له الرّاحة ومتطلبات العيش الضرورية، وسكان تونس أو الجزائر خلال الفترة الحديثة لم يكونوا استثناءً، فقد رحلوا أفراداً وجماعات ومن جميع الطبقات واستقروا في أماكن جديدة؛ منها الجزائر، لأسباب عدة منها الأزمات السّياسية التي ينجم عنها الاضطرابات وعدم الاستقرار، ويضطر الانسان بسببها لترك أرضه والبحث عن موطن آخر أكثر أمناً، ومن المؤكّد أنّ اختيار بعض التّونسيين للجزائر من أجل الاستقرار راجع إلى القرب الجغرافي والوحدة السّياسية والدّينية بين الإيّالتين.

**أ-لجوء حكام تونس وأعيانها إلى إيّالة الجزائر:**

**1- صفر داي:**

يقول صاحب المؤنس في شأن هذا الدّاي:« فسبق إليها عثمان فدخلها [القصبة] وجلس في سقيفتها، واجتمع إليه بعض جماعته فلما رأى صفر داي مقبلاً إلى القصبة بعث له من رده وأمره بالخروج من البلاد... فخرج صفر داي وسافر إلى ناحية الجزائر ولم يزل هناك إلى أيام يوسف داي [1610-1637م] فأعاده إلى البلاد...»[1]، وجاءت هذه الحادثة في إطار التّنافس بين الدّايات على السّلطنة في تونس، فقد طلب موسى داي الإذن بالذهاب لأداء فريضة الحج فأذن له الدّيوان وطلبوا منه أنْ لا يرجع للبلاد، وكان ذلك سنة 1598م.

وعندما استبد عثمان بالمملكة، وكان من أعيان الجند الذين قدموا مع سنان باشا طلب من غريمه الخروج من البلاد فامتثل صفر داي واختار الجزائر للاستقرار والعيش وربما يرجع ذلك القرب الجغرافي وتشابه أنظمة الحكم بين الإيّالتين، كما أشرنا إلى ذلك، وقد بقي صفر داي في الجزائر 12 سنة على الأقل؛ أي من اعتلاء عثمان داي السّلطة في تونس إلى غاية وصول يوسف داي إلى سُدة الحكم سنة 1610م، حيث سمح له بالعودة كما ذكر ابن أبي دينار، وعلى الأرجح فإنّ هذه الشّخصية هي فاتحة الشّخصيات المحسوبة على أعيان الإيّالة التّونسية التي اختارت اللّجوء والاستقرار في الجزائر نهاية القرن السّادس عشر الميلادي، وهذا حسب المصادر التي توفرت لنا واستطعنا الاطلاع عليها.

---

1- ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص 226.

**2- محمّد باي المرادي:**

فرّ محمَّد بن مراد الثاني إلى الزّاب بعد مواجهة بينه وبين أخيه علي في قفصة[1]، ويبدو أنّ هذه الرّحلة ليست الوحيدة للباي محمّد باتجاه الزّاب، فقد ذكر علي الشّابي تفاصيل رحلة أخرى للباي إلى نفس الوجهة، بعد هزيمته أمام خصمه بن شكر المدعوم بعسكر الجزائر، وأشار إلى أنّ هذه الرّحلة كانت بمشورة من الشّيخ محمّد بنجدو الشّيخ الثّالث لبيت الشّريعة والحادي عشر للطّريقة الشّابية (1691-1711م)، وبمساعدته، فبعد أنْ أغلق أهل القيروان أبواب مدينتهم في وجهه، أدرك أنّ لا خلاص له إلاّ باللّجوء إلى شيخ بيت الشّريعة المذكور، وبعد أنْ أحاطه الشّيخ وأتباعه بكل رعاية أشار عليه بالخروج نحو الزّاب والبقاء عند اتباع الشّيخ هناك إلى أنْ تتهيأ له الظّروف، وبقي الباي هناك حوالي ستة أشهر، وهي المدة التي قضاها بن شكر في حكم تونس، إلى أنْ تمكن الشّيخ من تجنيد القبائل الحليفة للشّابية لنصرة الباي، وخرج على رأس جيش من الزاب وأطاح بخصمه بمرق الليل قرب القيروان[2]، في أفريل 1695م، وعاد إلى حكم تونس، لكنه توفي في السّنة التي بعدها.

**3- علي باي المرادي:**

بعد وفاة مراد الثاني سنة 1675م تولى حكم تونس ابنه محمّد باي، وزاحمه أخوه علي على السّلطة، وفي السّنة الموالية خرج علي نحو الجزائر، فركب البحر إلى بونة، وسار منها إلى قسنطينة، ففرح بايها بقدومه، وأكرم وفادته، وبقي بها مدّة يتنقل بنواحيها، واستقر عند شيخ الحنانشة سلطان بن منصر، الذي ساعده بجيش من اتباعه وحلفائه رجع به علي باي إلى تونس لقتال أخيه، وبالفعل تمكن علي باي بمعاضدة الحنانشة من الاستيلاء على الحكم في مارس 1677م[3].

---

1- ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص 288.

2- علي الشابي، **العلاقات**...، المرجع السّابق، ص 85.

3- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 49؛ العربي الحناشي، المرجع السّابق، ص-ص 40-42.

**4- محمّد بن شكر:**

أشرنا خلال تعرضنا لثورة بن شكر على الباي محمّد المرادي أنّ الأوّل استقر مدّة من الزّمن في الجزائر[1]، وكان لابن شكر طموحات سياسية لذلك حاول مع الباشا ميزومورتو اعانته بحملة ضدّ الباي محمّد، لكن إقالة الباشا أخرت مشروع بن شكر ست سنوات، حيث تحقق له ما أراد على يد الدّاي الحاج شعبان بعد أنْ توترت العلاقات بين باي تونس وداي الجزائر، لكن الباي محمّد المرادي استطاع استعادة عرشه من بن شكر في السّنة الموالية، وفر الأخير إلى الجزائر ليستقر بها، غير أنّ ظروفاً اضطرته لمغادرتها باتجاه مدينة فاس[2].

من المُؤَّكد أنّ بن شكر استقر في الجزائر مدّة من الزّمن قبل إن يذهب إلى فاس، خاصة وأنّ داي الجزائر الحاج شعبان قد وعده ووعد الدّاي طاطار بالمساعدة بعد تنصيبهم على عرش تونس، لكن هناك مستجدات طرأت على الأوضاع في إيّالة الجزائر جعلت بن شكر يتخلى عن فكرة الاستقرار بالجزائر ويواصل طريقه إلى المغرب الأقصى، ويستقر بفاس إلى غاية وفاته، فقد ثارت الانكشارية على الدّاي شعبان في الجزائر بسبب كثرة الحروب والتّدخلات في شؤون تونس، وهذا الطّرح أكّده "دي غرامون" عندما أشار إلى أنّ بن شكر كان متواجداً بالجزائر فترة حكم الدّاي الحاج مصطفى (1700-1705م)، وأنّه طلب من الأخير مساعدته في استعادة عرش تونس من إبراهيم الشّريف (1702-1705م) بعد قضاء الأخير على حكم الأسرة المرادية، وقد تسبب بن شكر في فتنة بمدينة الجزائر راح ضحيتها الباشا قرة مصطفى استوجبت معاقبته، ومُنع من دخول المدينة بعد هذه الحادثة. ونستنتج من هذه الرّواية أنّه إلى غاية سنة 1702م كان بن شكر لا يزال مقيماً بمدينة الجزائر، وأنّه غادرها باتجاه فاس بعد العقوبة التي تعرض لها، لكن يبقى تاريخ مغادرته مجهولاً[3].

---

1- لم تكن هذه الزّيارة الأولى لابن شكر إلى الجزائر، فقد جاءها سنة 1685م مبعوثاً من الأخوين محمَّد وعلي أبناء مراد باي الثّاني اللذين طلبا مساعدة داي الجزائر ميزومورتو ضدّ الدّاي أحمد شلبي الذي أراد الاستبداد بالسّلطة في تونس، **يُنظر:** أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 59.

2- ألفونص روسو، المرجع السّابق، ص 140.

3- **يُنظر:** H.-D. de Grammont, Op.Cit, p 271؛ عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص-ص 39-40. وأقرب التفسيرات إلى الواقع، أنّ مغادرة بن شكر للجزائر قد تكون قبل سنة 1705م ، وهو تاريخ حملة الدّاي الحاج مصطفى على تونس والتي أطاحت بإبراهيم الشريف، لأنّه لو كان بن شكر ما يزال متواجداً بالجزائر عند توجه الدّاي بهذه الحملة إلى تونس، لكان قد أخذه معه واستعمله كورقة ضغط ضدّ إبراهيم الشّريف، بحكم أنّه ما يزال طامعاً في العودة إلى حكم تونس الذي حرمه منه محمَّد باي قبل ذلك، سنة 1695م.

**5- علي باشا:**

بعد فشل ثورة علي باشا ضدّ عمه حسين بن علي وهزيمته النّهائية سنة 1729م، فرّ الأخير باتجاه الحامة ثم باتجاه الصحراء، وذكر صاحب المشرع حول خروج علي باشا نحو الجزائر: «وقصدوا الجزائر من جهة الصحراء وتركوا خلفهم ثنية (طريق) قسنطينة ولا زالوا سايرين في تلك الصحراء والقفار يرتاحون في الليل ويتعبون في النهار إلى أن وصلوا إلى مدينة الجزائر ودخلوها... وشاع في الجزائر إلى أن وصل داي الجزائر إبراهيم خوجة ...»[1]، وقصد المُؤلِّف هنا الدّاي كور عبدي الذي تولى (1724-1732م)، أمّا الدّاي إبراهيم خوجة فقد تولى بعد وفاة كور عبدي سنة 1732، واستمر في الحكم إلى 1745م.

وأمر داي الجزائر بتجهيز دار للباشا حتّى يستقر بها، وكان له ذلك، بعدها طلب الباشا من كور عبدي أنْ يأتيه بابنه يونس وكان الأخير عند الحنانشة، أولاد عمار، وتولى باي قسنطينة بهذه المهمة بعدما وصلته رسالة الدّاي[2]، لكن الوضع سرعان ما تغير بسبب إلحاح حسين بن علي باي على داي الجزائر قتل علي باشا، وانتهت المفاوضات بين الطّرفين بسجن علي باشا مقابل مبلغ مالي يؤديه باي تونس سنوياً لداي الجزائر، وبقي علي باشا على هذه الحال إلى غاية سنة 1734م، عندما توقف باي تونس عن دفع الضّريبة السّنوية المتفق عليها، بعد وفاة الدّاي كور عبدي، حيث أُطلق سراح الباشا، وتكّفل الدّاي الجديد إبراهيم خوجة بمساعدته بحملة عسكرية أوصلته إلى حكم تونس وأطاحت بالباي حسين بن علي[3]، أمّا المدّة التي قضاها علي باشا في الجزائر فهي حوالي ست (06) سنوات؛ من 1729 إلى 1735م .

**6- محمّد بن حسين بن علي تركي:**

غادر الأمير محمد بن حسين بن علي القيروان وذهب إلى التّمامشة؛ أصهار والده، حيث مكث لفترة من الوقت يسعى لإعادة حلفائهم السّابقين إلى صف والده، ومن هناك توجه إلى الحنانشة للشّيخ سلطان بن عمار، وزار تبسة وعين شبرو، والتقى هناك بالشّيخ أحمد الصّغير، ووعده الجميع بالصداقة والمساعدة، وحتّى يُعبِّر الأمير عن امتنانه قدّم لهم عشرة آلاف (10.000) ريال وبعض الهدايا الثّمينة. بعدها عاد الأمير الشّاب بعد أنْ أتمّ مهمته

---

1- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق (مخ)، ورقة 39 ظهر.

2- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 01، ص-ص 242-243 .

3 - Armand de Flaux, Op.Cit, p 208.

إلى القيروان حيث يستقر والده[1]، ولم يطل الأمر حتّى رجع الأمير إلى الجزائر لطلب الدّعم، ربّما لأنّ علي باشا شدّد عليهم الحصار في القيروان، وقبل أن يغادر قُتل والده على يد يونس بن علي باشا، واضطر للاستقرار بالجزائر إلى غاية 1756م، عندما جرد الدّاي علي بوصبع حملة عسكرية ضدّ علي باشا وتمكّن من اعادة حكم تونس للأميرين محمّد وعلي[2].

وقد عاش الأمير محمّد بن حسين بن علي في الجزائر أكثر من ستة عشر (16) سنة معظمها في عاصمة الإيّالة، وكان يقضي وقته في إقامته بأحد ضواحي العاصمة في قراءة الكتب، وفي المسامرة مع خواصه، وخلال هذه المدة تعرف على واحد من أعيان عسكر الجزائر وأحد خواص الدّاي الجزائر، يُدعى "علي"[3]، هذا الأخير هو من تولى منصب الدّاي بالجزائر بعد وفاة سيّده سنة 1754م (الدّاي علي بوصبع)، وذكرنا قبل ذلك أنّه هو من أوصل هذا الأمير إلى حكم تونس؛ سنة 1756م، وأورد ابن حمادوش في رحلته أنّ محمَّد بن حسين باي تزامن وجوده في الجزائر مع استقرار القائد عبد الواحد بن الباشا علي بن عبد الله الريفي المغربي، وكان الأخير قد فرّ من مولاي عبد الله بعد أنْ قتل والده، وقد صلوا جميعاً في المسجد الكبير بالجزائر[4].

## 7- علي بن حسين بن علي تركي:

لجأ علي بن حسين باي إلى الجزائر لطلب المساعدة من بوعزيز شيخ الحنانشة، بعد هزيمة أبيه على يد علي باشا المدعوم من عسكر الجزائر سنة 1735م، ويقول "بن أبي الضّياف": «وتقلب في تلول الحنانشة والصحارى عند بن جلاب بتقرت وغيره سنين، ...، ثمّ استقر بقسنطينة بعد وفاة أبيه»[5]، ويُفهم من كلام "ابن أبي الضّياف" أنّ قدوم الأمير علي بن حسين باي إلى الجزائر لم يكن بنية الاستقرار بل من أجل الحصول على المساعدة لوالده المحاصر بالقيروان، لكن وفاة والده، سنة 1740م، اضطرته إلى البقاء بالجزائر، مثل أخيه الأمير محمّد.

---

1- Charles Féraud, Op.Cit, p 236.

2- ابن المفتي حين بن رجب شاوش، المصدر السّابق، ص 74.

3- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص-ص 146-147 .

4- عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، **رحلة بن حمادوش الجزائري المسماة: لسان المقال في النّبأ عن النسب والحسب والحال،** (تق) و(تح) و(تعل): أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، د.ط، ص 134.

5- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص-ص 113-114.

وقد ذكر أبو عبد الله محمَّد بن أحمد الورغي في احدى قصائده التي مدح فيها هذا الأمير الأماكن التي زارها من صحراء الجزائر، وهذه بعض أبياتها[1]:

| | |
|---|---|
| قطعت أحقاف "سوف" وهي مجهلة | لا تستقـر بـها الأخفـاف والثفـن |
| وفــي مـهامـه "تقرت" وفـدفـدهـا | كلت –سواك– أولو الأبدان والبدن |
| وقد كشفت ما بـ "الزاب" من طرق | دعاك "ناج"[2] وناج كاسمه حسن |
| فزرته وعلى "خيران"[3] ما نكصت | بك العتـاق ولا ولـى بهـا الطـعن |
| وقـد تـرقيت فــي أعــلام "نـازية" | منــازلاً ما بهـا مـن طيرها وكـن |
| وجئت "أوراس" تطوي كل شاسعة | تمتد فيها بـك الأطـلال والدّمـن |

وبعد هذا التّرحال في بايلك قسنطينة استقر الأمير علي بن حسين في مدينة الجزائر، وقد كان علي باشا وراء هذا الانتقال، فقد سعى لدى باي قسنطينة من أجل ارسال الأمير إلى الجزائر لأنّ الأخير كان في قسنطينة على اتصال دائم بالتّونسيين[4]. وخلال المدة التي قضاها هذا الباي لاجئاً بالجزائر تزوج بجارية من أعلاج القرج، اسمها محبوبة، وأنجبت واحداً من أهم بايات الأسرة الحسينية؛ وهو حمودة باشا الحسيني، حيث وُلد هذا الباي سنة 1759م، أي بعد حوالي ثلاث سنوات من رجوع والده وعمه إلى حكم تونس بمساعدة جزائرية[5].

**8- محمود بن حسين بن علي تركي:**

محمود بن حسين بن علي الذي التجأ إليها قادما من سوسة عبر مالطة ومرسيليا على مثن مركب أُرسل إليه من الجزائر، وكان محمود قد تسلم قيادة سوسة من أخيه محمّد عندما كُلف الأخير من طرف والده بمهمة البحث عن المساعدة من القبائل الجزائرية، وكان الوالد لا يزال محاصراً بالقيروان، لكن وفاة حسين بن علي باي جعلت الأمير محمّد بن حسين يبعث بمركب من الجزائر إلى سوسة من أجل استقدام أخيه قبل يظفر به علي باشا وابنه يونس[6]، واستقر هذا الأمير في الجزائر مع أخويه محمّد وعلي، وشارك في حملة 1746م على تونس، لكن الحملة الذكورة لم تحقق الهدف الذي من أجله دخلت تونس.

---

1- حمودة بن عبد العزيز، المصدر السابق، ص 271.

2- ويقصد بها المُؤلّف شيخ زاوية خنقة سيدي ناجي.

3- وهي قرية تقع في الجزء الجنوبي لجبل الأوراس، على ضفة وادي العرب، **يُنظر:** إ.كاريت، المرجع السّابق، ص 280.

4- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص 149.

5- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 02، ج 03، ص 11.

6- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص 122.

وتجدر الإشارة إلى أنّ محمود باي توفي في قسنطينة ودُفن بها[1]، ويذكر بن أبي الضّياف أنّ الأمير محمود شارك في حملة 1746م، وأضاف بأنّ وفاته كانت اثر رجوع أولاد حسين بن على من نفس الحملة، بسبب امتناعه عن الأكل لما ناله من الأسف، خاصة وأنّ الحملة التي جهزها لهم داي الجزائر إبراهيم الصّغير من أجل استعادة عرش أبيهم لم تحقق الغرض المطلوب[2]، لأنّ الدّاي أمرهم بعد ذلك بالعودة بسرعة إلى الجزائر، بسبب ثورة الكراغلة التي اندلعت في تلمسان ضدّ السلطة العثمانية.

ومع أنّ المؤلِّف لم يشر إلى سنة وفاة محمود باي، إلاّ أنّنا نستنتج من عبارة "إثر الرّجوع من حملة 1746م" بأنّ سنة الوفاة قريبة من هذه السّنة، إنْ لم تكن السّنة نفسها، وبالتّالي يكون الأمير محمود قد بقي لاجئاً في الجزائر ما يقرب من 6 سنوات.

**9- يونس بن علي باشا:**

خرج يونس بن علي باشا من تونس نحو قسنطينة بعد فشل ثورته ضدّ أبيه سنة 1752م، ولحق به المتسببون في الفتنة، حيث نفاهم علي باشا، وجدّ يونس في السّير إلى أنْ وصل تبسة، فأكرمه رجالها والعسكر الذي في نوبتها، وأرسلوا إلى حسن باي قسنطينة يخبروه بوصول يونس إلى تبسة، وبعث له باي قسنطينة صبايحية التّرك، حيث رافقوه إلى قسنطينة، وخرج بايها للقائه قرب قسنطينة، وبالغ الأخير في إكرام ضيفه ومن قَدِم معه[3].

وعندما ولي حسن أزرق عينه على قسنطينة، استصفى جميع ذخائره وأمواله وضيق عليه وسجنه في داره بسبب ما كان بينه وبين باي قسنطينة وداي الجزائر علي بوصبع، ولم يترك معه غير كاتبه أحمد السهيلي وخديمين، وزادوا في التضييق عليه وبقي على هذه الحال إلى غاية سنة 1768م عندما أمر داي الجزائر بإخراجه من سجنه، لكن المرض كان قد أضعفه بسبب ضيق المحبس وطول المدّة، ومات في نفس السّنة[4]. واستقر يونس بن علي باشا في الجزائر حوالي 16 سنة.

---

1- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 04، ص-ص 8-9.

2- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص ص 129، 130.

3- الصغير بن يوسف، المصد السّابق، مج 03، ص-ص157-159؛ محمود مقديش، المصدر السّابق، ص 165.

4- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص-ص 141-142، وجاء في كتاب "المشرع" أنّه توفي بعد ثلاثة أيام من اخراجه من السّجن، **يُنظر**: الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 04، ص 219.

**10- إسماعيل بن يونس:**

فرّ إسماعيل بن يونس وأتباعه من أعيان عائلة السهيلي إلى الجزائر سنة 1762م[1]. فبعد هزيمته أمام قوات علي باي فرّ إسماعيل بن يونس نحو الجزائر، وقال صاحب المشرع: «وأمّا إسماعيل ما أخذته غفلة إلى أن دخل تبسة»، وبقي بها أياماً، وكانت وجهته قسنطينة، وعندما وصلها اجتمع بوالده يونس بن علي باشا[2]، ولما توفي والده سنة 1768م انتقل إلى الجزائر، وتزوج ابنة الخزناجي وأنجب منها ابنه حسن، وفي عهد حمودة باشا الحسيني عاد إلى تونس، وبقي هناك إلى أنْ قتل بها سنة 1799م[3]، وأورد بن أبي الضّياف أنّ ذلك بسبب أمر بدر منه، وأحجم عن ذكر تفاصيله[4]، وبالتّالي فمدة استقراره بالجزائر والتي نستطيع حسابها عن طريق طرح سنة وصوله إلى الجزائر (1762م) من سنة اعتلاء حمودة باشا حكم تونس (1782م)، نستنتج بكل سهولة أنّه قضى بإيّالة الجزائر مدّة فاقت العشرين (20) سنة.

**ب- هجرة العلماء:**

بتدهور الدّولة الحفصية تدهورت معها الحياة الفكرية، فقد كانت الاضطرابات والفتن والهجومات الخارجية سبباً في انقطاع أخبار العلماء، واستمرت هذه الأوضاع حتّى الاستقرار العثماني في تونس، ثمّ تحسنت هذه الأوضاع مع محاولات السّلطة الجديدة إعادة الاستقرار للإيّالة[5]، لكن الصّراعات على السّلطة كانت تساهم من حين لأخر في تجدد الفتن، وتدفع بمختلف فئات المجتمع إلى الهجرة والبحث عن أماكن جديدة تكون أكثر هدوء، ومن بينها فئة العلماء التي فضّل بعضها الاستقرار في الجزائر، ومن بين هؤلاء نذكر:

**1- سيدي مبارك بن قاسم:**

بعد وفاة والده سافر سيدي مبارك غرباً، وتنقل في رحلته هذه بين أوطان عدّة منها؛ ورقلة وتقرت وسوف والزّاب الشّرقي، ثمّ استقر في خنقة وادي العرب (مورد النعام) سنة

---

1- حمودة بن عبد العزيز، المصدر السابق، ص 339؛ عبد الواحد المكني، المرجع السّابق، ص 173.

2- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 04، ص 189.

3- ذكر "مقديش" أنّه بقي بالجزائر وتوفي بها، ولم يُشر إلى تاريخ وفاته، **يُنظر:** محمود مقديش، المصدر السّابق، ص 167.

4- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 142.

5- أحمد قاسم، **إيالة تونس على ضوء فتاوى ابن عظوم (1574-1600م)**، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2004م، د.ط، ص ص 273، 274.

1602م، وأطلق عليها اسم جده "ناجي"، دفين تونس، وأصبحت تسمى "خنقة سيدي ناجي، وحسب المصادر فإنّ سبب استقراره بهذه المنطقة يعود إلى أنّه رأى في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأمره بسكنى مورد النعام[1].

واستقراره بالخنقة كان حتمية دفاعية بعد فراره من مطاردة الشّابية له في الصّحراء، حيث أنّه حدث صدام بين الطّرفين[2]، ربما لعدم تقبل الشّابية ظهور منافس ديني لهم في بايلك الشّرق الجزائري، أمّا عن سبب هجرته من تونس إلى الجزائر فلم نجد في المصادر التي اطلعنا عليها أي إشارات حول ذلك، لكن الرّاجح أنّ خلال فترة هجرته هذه كانت تونس لا تزال تعاني من عدم الاستقرار بسبب صراعات السّلطات التّونسية مع الشّابية الذين لا زالت لديهم طموحات سياسية وقتئذ، ويطمعون في استعادة أمجاد دولتهم.

**2- أحمد برناز:**

هاجر "أحمد برناز"[3] التّونسي نهاية القرن السّابع عشر (17) ميلادي، خلال السّنوات الأخيرة من حكم الدّولة المرادية، واستقرّ في قسنطينة، وكانت تحت حكم علي خوجة باي[4]، وقد جاءت اشارة إلى أنّ هذا العالم ارتحل من تونس مغاضباً وقصد الجزائر، وبقي بها مدّة زار خلالها مناطق كثيرة من القطر الجزائري كعنابة وقسنطينة ومدينة الجزائر وبلاد القبائل وأخذ عن علمائها[5]، وأضاف سعد الله بأنّه لم يستطع التأكد من أنّ هذا العالم قد تولى الوظائف في الجزائر[6]، أمّا عن استقراره بقسنطينة خلال هذه الفترة قد يكون سببه الاضطرابات السّياسية التي شهدتها تونس طوال أكثر من ربع قرن من الزّمن، فمنذ وفاة مراد

---

1- توفيق بن زردة، **الكنفدراليات...**، المرجع السّابق، ص-ص 73-74.

2- كريم الطيب، "**المعالم الأثرية الإسلامية في منطقة الزاب الشرقي**"، مجلة العلوم الإنسانية، ع 47، جوان 2017م، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص 256.

3- اسمه الكامل: أحمد بن مصطفى بن الشّيخ محمد بن مصطفى الشهير بقارة خوجة من سلالة الأتراك المستقرين بتونس، كان جده درويشاً وصحب جيش سنان باشا واستقر بتونس منذ إلحاقها بالخلافة العثمانية سنة 1574م، **يُنظر:** حفناوي بعلي، **التواصل الثقافي المغاربي في الأصلاح والكفاح والوحدة والتحرير والتنوير**، دار الأيام، الأردن، 2020م، ط 01، ص 196.

4- صدق السلامي، "**أسئلة وأجوبة بين الجزائر وتونس الحياة الثقافية بين الإيالتين في مخطوطات العصر الحديث**"، المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 18، أكتوبر 2021، ص 16.

5- كوثر العايب، **العلاقات...**، المرجع السّابق، ص 97.

6- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ط 03، ص 437.

باي الثّاني سنة 1675م، دخلت تونس في أزمة سياسية طويلة الأمد ولم تنته هذه الأزمة إلاّ بوفاة مراد الثّالث سنة 1702م.

وقد عُرف مراد هذا بشدة ظلمه وسفكه للدّماء، وعدم احترامه للعلماء، حيث أخبرنا ابن أبي الضياف عن صنيعه مع فئة العلماء فقال: «وكان يعبث بالعلماء ويمتهنهم، ولربما يحضر بعضهم في مجالس خموره ويسألهم عن سيرته، فمن مدحه وداهنه استخف به وسقاه الخمر، ومن صدقه الخبر، تهدده وتوعده وأكرهه على شرب الخمر»[1].

**3- العالمان أحمد الأصرم ومحمّد الشّافعي الباجي:**

صاحب هذان العالمان الأمير محمَّد بن حسين باي سنة 1739م عندما لجأ الأخير إلى الجزائر، وقد أشرنا إلى الظروف التي بقي بسببها الأمير محمّد لاجئاً في الجزائر، وبعد أن استقر الأمير في العاصمة بإذن من داي الجزائر، رافقه كل من "محمّد الشّافعي" و"أحمد الأصرم"[2]، وأقاما معه في نفس الدّار بضواحي مدينة الجزائر، وكان الأمير يسلي نفسه بمسامرتهما ليلاً[3].

**ج- هجرة القبائل والمجموعات:**

**1- الشّابية:**

استقر الشّابية في كل من قفصة وتوزر عقب هزيمتهم على يد درغوث باشا سنة 1557م، وبعد وفاة القائد محمّد الزفزاف سنة 1577م تفرقوا في مواطن عدّة بين إيالتي تونس والجزائر، وقد توزعوا في الجزائر بين تيزقرارين والعامرة وجبل أرقو وجبل شَشار والجوف وخنشلة والبيضاء وعنابة وقسنطينة والقارية بجبل بني صالح والقالة وبلاد القبائل[4]، وذلك بسبب خوفهم من الأتراك، وكان الشّيخ محمّد الزفزاف قد أوصى الشّابية بالانتقال إلى

---

1- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 74.

2- شاعر وأديب وفقيه تونسي، وُلد بالقيروان ونشأ بها، وصاحب الأمير محمّد بن حسين إلى الجزائر كما أشرنا، حتى أنّه كان يحمل الأمير على كتفيه إذا أعياه المشي حتّى بلغ الأخير مأمنه، وقد حفظ له الأمير هذا الصنيع، فتقلد رئاسة ديوان الإنشاء بعد ما رجع الحكم لأبناء حسين بن علي، وجعل الأمراء الحسينيون رئاسة الكتابة في عقبه، **يُنظر:** محمَّد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيّين**، ج 05، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م، ط 01، ص 193.

3- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 146.

4- علي الشابي، **تاريخ الشابية**...، المرجع السّابق، ص-ص 355-356.

تيزقرارين وقلعتها الحصينة، لأنّها وحسب تعبير الشّيخ: «ما تمنّع من التّرك إلاّ هي»، وأخذاً برأي الشّيخ فقد استقرّ الشّابية بالقلعة وتناسلوا بها، وولد بها سنة 1591م الشّيخ علي الشّابي[1].

**2- قبيلة أولاد شنوف (الشنانفة):**

تسكن هذه القبيلة الجهة الغربية من إيّالة تونس على الحدود مع الجزائر، وبحكم موقعها الطّرفي كانت من القبائل الممتنعة، التي لا تعترف بسلطة بايات تونس عليها، فقد أرجع صاحب "المؤنس"، سبب حرب الحدود بين إيالتي الجزائر وتونس بداية القرن السّابع عشر إلى "قبيلة الشنانفة"، وقال: «وفي سنة سبع وثلاثين كانت الواقعة العظمى بين عسكر الجزائر وعسكر تونس، ... واستجلبهم الشيخ ثابت بن شنوف وأطمعهم في البلاد»[2].

وقد أشارت المصادر إلى أنّ تصرفات شيخ قبيلة بني شنوف أدّت إلى هزيمة يوسف داي خلال واقعة الحدود مع عسكر الجزائر سنة 1628م، لذلك قام مراد باي بمحاولة اخضاعهم، لكنه لم يطل به العمر وتوفي سنة 1631م، وخلفه ابنه حمودة في منصب الباي، وواصل مساعي والده مع القبائل العاصية ومنها أولاد شنوف، حيث استطاع هزيمتهم وأجلاهم عن الكاف وضواحيها[3]. وقد أكّد "منشيكور" ذلك حيث أشار إلى أنّه لم يبقَ أي من الشنانفة في الكاف، وحول تبرسق وفي تونس، لقد لجأ الناجون إلى أولاد صولة في منطقة قسنطينة، ثمّ هاجروا بعد ذلك إلى الصحراء بنواحي الزّيبان[4].

**3- الوسلاتيون (أهل جبل وسلات):**

عُرف الوسلاتيون بمعاضدة كل من يثور ضدّ سلطة البايات في تونس، وذلك بسبب منعة الجبل، وكثرة قُراه ومداشره التي تفوق المائة، وعدد مقاتليهم يفوق العشرة آلاف (10.000) مقاتل[5]، وهذه الأسباب هي من شجعت علي باشا على الفرار إلى جبل وسلات سنة 1728م، وكذلك فعل حفيده اسماعيل بن يونس في ثورته ضدّ علي بن حسين باي والتي استمرت حوالي ثلاث سنوات (1759-1762م)، كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الثّاني، وقد أدّت تصرّفات أهل وسلات إلى عقابهم من طرف بايات الأسرة الحسينية، حسين

---

1- علي الشابي، **تاريخ الشابية**...، المرجع السّابق، ص 388.

2- ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص 231.

3- المصدر نفسه، ص 257.

4- Monchicourt (Ch), **la région**..., Op.Cit, p 272؛ جميلة معاشي، **الأسر المحلية**...، المرجع السّابق، ص 98.

5- الصّغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 01، ص-ص 105-106.

بن علي وابنه علي باي بعد ذلك، وكانت العقوبة تهجيريهم من الجبل وتشتتهم في البلاد[1]، وأشار "المكني" في كتابه "شتات أهل وسلات" أن من بين المناطق التي هاجر إليها الوسلاتيون الجزائر وبالتّحديد بايلك الشّرق الجزائري قسنطينة[2].

وقد كانت هذه الهجرة دائمة حيث استقرت هذه الفئة في منطقة الشّرق الجزائري وهو ما يؤكّده حضورها في سجلات المحاكم الشّرعية لمدينة قسنطينة، وأوضح أحد الأبحاث الذي جعل هذه الفئة عينة لدراسة مصاهراتها خلال الرّبع الأوّل من القرن التّاسع عشر (19) ميلادي، أنّ خلال هذه الفترة تواجد رجال الوسلاتية 104 مرة في السّجلات المذكورة، بين زواج وطلاق ومراجعة من طلاق، وكانت هذه الفئة منفتحة في مصاهراتها على باقي قبائل بايلك قسنطينة أو حتّى من خارج هذا البايلك، حيث فاقت نسبة زواج الوسلاتية من خارج فئتهم نسبة زواجهم فيما بينهم، حيث وصلت النسبة الأولى **56%** مقابل **44%** للثّانية، ومما يدل على الاستقرار الوسلاتية في شرق الجزائر تواتر تسجيل عقود عديدة لنفس الفرد خلا فترة الدّراسة، وتجدر الاشارة أنّ نساء الوسلاتية ظهرن في عقود نفس هذه السّجلات 37 مرة خلال نفس الفترة[3].

**4- قبيلة دريد:**

استقرت دريد مع الشابية في بايلك الشرق الجزائري منذ أواخر القرن السّادس عشر (16) الميلادي واتخذ الشّيخ عبد الصّمد من هذه القبيلة الحارس الشّخصي للشّابية، وقد فضّل الشّيخ الاستقرار بعين شبرو لوادي مسكيانة الكبير قرب تبسة، وفي هذه النّقطة أسّست دريد قرية أوكس[4]، وبعد أنْ استطاع الشّابية كسب الكثير من قبائل الشّرق الجزائري وأصبح لهم نفوذ على معظم بايلك الشرق، تدهورت العلاقات بين هؤلاء وحلفائهم الجزائريين ودخل الطّرفان في صراعات انتهت حسب "مرسيي" بإرغام الحنانشة وحلفائهم، بعد أنْ استطاعوا القضاء على سلطة الشّابية في المنطقة، على الاستقرار مع من تبقى من حلفائهم كدريد

---

1- حمودة بن عبد العزيز، المصدر السابق، ص-ص 84-90؛ عبد الحميد هنية، المرجع السّابق، ص 176.

2- عبد الواحد المكني، المرجع السّابق، ص 7، 9.

3- سهام بوديبة وفاطمة الزّهراء قشي، "**مصاهرات الوسلاتية والحنانشة بمدينة قسنطينة 1800-1825م**"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 49، جوان 2018م، جامعة قسنطينة 2، ص-ص 41-42.

4- Charles Féraud, Op.Cit, p 145.

بضواحي تبسة، وهكذا استطاع الحنانشة وأنصارهم إعادة ترتيب خريطة المقاطعة كما أرادوا[1]. وقد أضاف الحباشي أنّ دريد بعدما استوطنت جنوب قسنطينة مع الشّابية، تمرّدت سنة 1624م، إلى أنْ أذن لها حمودة باي المرادي بالعودة سنة 1647م، واستوطنت السّرس والمناطق المجاورة لها[2].

أمّا صاحب الصّروف ففي معرض حديثه عن أزمة الحدود بين الإيالتين، تحدث عن قدوم بعض أعراب دريد مع طرود، وذكر أنّ بعضهم دخل سوف واختلط بأهل الزّقم، أمّا الآخرون بقوا مع بني سليم الذين ينزلون أحيانا إلى "الميتة"[3] ويصعدون إلى الجبل[4]، وأضاف في موضع آخر تحدث فيه عن الحرب بين الدّاي عشي مصطفى وإبراهيم الشّريف، سنة 1705م، بأنّ أولاد سعيد وكثير من الأعراب، ومنها نجوع من دريد، فرّت عن الباي إلى الجزائرين[5]، بينما لم يُشر المؤلّف مكان استقرارهم في إيّالة الجزائر هذه المرّة.

وإذا كان الشّنانفة والوسلاتيون قد هُجروا، خلال القرنين السّابع عشر والثّامن عشر الميلادي، قسراً من تونس نحو الجزائر بسبب مشاركتهم في الثّورات التي هدفت إلى زعزعة الاستقرار وهدّدت السّلطة في تونس، فإنّ من المفارقات أنّ التّهجير القسري الذي تعرضت له قبيلة دريد بداية القرن التّاسع عشر كان بسبب مساندتها لباي تونس في حربه ضدّ السّلطة العثمانية في الجزائر، ولسائل أنْ يسأل كيف تُهجر قبيلة مساندة للسّلطة إلى بلد آخر؟ وما الذنب الذي ارتكبته هذه القبيلة؟

والإجابة على هذه التّساؤلات نجدها في تفاصيل حرب الباي حمودة باشا الحسيني التي أعلنها ضدّ السّلطة الجزائرية سنة 1807م وكانت قبيلة دريد من الأطراف المشاركة في هذه الحرب مع الباي، وكان الهدف من هذه الحرب، كما ذكرنا سابقاً، هو التّخلص من الهيمنة

---

1- Ernest Mercier, Op.Cit, pp 226-227.

2- محمد علي الحباشي، المرجع السّابق، ص 16.

3- وسميت الميتة لأنّ الرّعاة يرعون هناك وكانت كل ميتة من الإبل يجمعونها في ذلك المكان، وتقول رواية أخرى بأنّ شداد بن الحارث، وهو من طرود، مات هناك فسميت كذلك، وتقع باقليم ولاية خنشلة في وقتنا الحالي، **يُنظر**: العدواني، المصدر السّابق، ص-ص 88-89.

4- إبراهيم محمّد السّاسي العوامر، المرجع السّابق، ص 229.

5- المرجع نفسه، ص 238.

الجزائرية على بايات تونس، لكن الذي حدث خلال هذه الحرب، التي خسرها حمودة باشا، أنْ وقعت هذه القبيلة في قبضة قوات الجزائر، حيث استوطن جزء منها بعد هذه الحرب بنواحي قسنطينة بالبحيرة التي سميت باسمهم (بحيرة دريد)، في حين سكن جزء آخر بنواحي بسكرة وواحات الزّيبان[1]، ومن الواضح أنّ هذه القبيلة شهدت هجرات متعددة ولأسباب مختلفة طوال الفترة العثمانية.

**د- هجرة أتراك تونس:**

قال ابن أبي الضّياف أنّ محمَّد باي بن علي باشا تتّبع جميع أصحاب يونس باي على اختلاف أجناسهم بالقتل وأخذ المال، ولم ينج منهم إلاّ من فرّ بنفسه، وشرد التّرك عن الحاضرة بالنّفي، وتوجه أكثرهم إلى قسنطينة والجزائر، فتقوى بهم عضد محمَّد باي بن حسين بن علي، وكان وقتئذ لاجئاً في الجزائر منذ استيلاء ابن عمه علي باشا على السّلطة في تونس[2]، فبعد ثورة الجند سنة 1743م على علي باشا أدى القمع الشّديد الذي تعرضت له هذه الفئة، إلى تحرك القوات التّركية من تونس إلى قسنطينة بقيادة بلهوان ودخلوا في خدمة محمَّد بن حسين بن علي[3]، ومن المُمكن أن تكون هذه القوات هي التي شجعت الدّاي إبراهيم الصّغير على إرسال حملة عسكرية ضدّ علي باشا سنة 1746م، لكن الحملة لم تتجاوز مدينة الكاف، بسبب ثورة الكراغلة التي حصلت في تلمسان وأجبرتهم على العودة إلى الجزائر كما أسلفنا الذِّكر.

وفي سنة 1752م فرّ إلى الجزائر كل من تحالف مع يونس في ثورته على والده، وخاف بطش الباشا بعد فشل هذه الثّورة، فاجتمع من أهل تونس خلق كثير، وكانوا عونا عليه فيما بعد[4]، وهو ما أكّده تقرير "فالبير" إلى أنّ من التحق معه بالجزائر كان مئة وخمسين تركياً وألف فارس عربي[5].

---

1- سهام بوديبة وفاطمة الزّهراء قشي، المرجع السّابق، ص 43.

2- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 140.

3- المصدر نفسه، ص 129؛ Azzedine Guellouz et autres, Op.Cit, p 228.

4- محمود مقديش، المصدر السّابق، ص 165.

5- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص 143.

## ثانياً- سياسة بايات تونس مع بعض القبائل الجزائرية:

### أ- المصاهرات (الزّواج السياسي):

يلعب الزّواج أحياناً وظيفة سياسية، ويلجأ إليه أحد الأطراف أو كليهما من أجل كسب الأنصار وإقامة تحالفات ضدّ عدو أو خصم بغية كسب معركة أو حسم صراع، وفي حالتنا هذه قامت الأطراف المتصارعة على السّلطة في تونس التّقرب من قبائل بايلك الشّرق الجزائري أو من كبار الشّخصيات في إيّالة الجزائر عن طريق المصاهرة، ومن هذه النّماذج:

#### 1- زواج علي باي المرادي من قبيلة الحنانشة:

في حربه مع أخيه محمّد باي، فرّ علي باي بن مراد الثاني سنة 1676م باتجاه الجزائر واستقر في قسنطينة، وتحالف هناك مع شيخ الحنانشة سلطان بن منصر وتزوج ابنته، وأنجبت له ابنه مراداً[1]، ومراد هذا هو مراد بوبالة المشهور بسفك الدّماء، وهو الذي هاجم قسنطينة سنة 1700م، وكانت نيته في الهجوم على قسنطينة مرّة ثانية سنة 1702م سبباً في قتله على يد أحد قادة جنده المعروف بإبراهيم الشّريف.

في حين أنّ محمّد باي استمال الفرع الثّاني من قبيلة الحنانشة؛ فرع أولاد نصر[2]، لكن لم تحدد المصادر نوع العلاقة التي ربطت الطّرفين، وهل كانت هناك مصاهرة أم مجرد تحالف يحقق مصلحة للطّرفين؟

#### 2- زواج علي باشا وابنه يونس من قبيلة الحنانشة:

بعد فشل ثورته ضدّ عمه، فرّ علي باشا إلى الجزائر عن طريق الصّحراء، والتحق بابنه يونس الذي سبقه إلى هناك رفقة حنانشة أولاد منصر بعد هزيمتهم أمام قوات حسين بن علي باي، وبعد أنْ قضى بعض الوقت عند أولاد منصر تزوّج هناك بابنة سلطان بن عمّار، ثمّ غادر بعدها قاصداً عاصمة الإيّالة[3]، وقد اضطر علي باشا إلى هذا الزّواج خوفاً من أنْ ينقلب عليه أولاد منصر، ويفقد بذلك سنداً قوياً خاصة بعد هزيمته أمام عمه[4]، إضافة إلى أنّ مشروعه الرّامي إلى حكم تونس وما قصد الجزائر إلاّ طلباً للدّعم من أجل تحقيق هذا الهدف، وفي نفس الوقت حاول حسين بن علي باي توطيد علاقته بحليفه شيخ حنانشة أولاد

1- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 49.

2- العربي الحناشي، المرجع السّابق، ص 41.

3- Charles Féraud, Op.Cit, p 228.

4- العربي الحناشي، المرجع السّابق، ص 59.

نصر؛ الشّيخ بوعزيز، حيث أراد الباي تزويج أولاده من بنات شيخ الحنانشة، غير أنّ الأمر لم يتم بسبب رفض الشيخ طلب الباي[1].

ولقد أدى رفض طلب الباي من طرف الشّيخ بوعزيز إلى قطع العلاقات بينهما، وتدخل باي تونس لدى حسن كليان باي قسنطينة من أجل انتزاع مشيخة الحنانشة من بوعزيز، مما جعل الأخير يحقد على حسين بن علي ويسعى لدى داي الجزائر من أجل إخراج علي باشا من السجن ودعمه بحملة عسكرية، ودعمّ الشيخ بوعزيز حلفه هذا بتزويج حفيدته من ابنه طراد ليونس بن علي باشا[2].

**3- مصاهرة الأمير علي بن حسين باي لبوعزيز شيخ الحنانشة:**

ساءت العلاقات بين الشيخ بوعزيز وعلي باشا سنة 1739م، بعد أنْ قتل الأخير أولاد عمه، من حنانشة أولاد منصر؛ الشيخين سلطان ومحمّد الصغير، وكانت الباي خسين بن علي ما يزال محاصراً في القيروان، فلما سمع بما حصل أرسل ولده علي إلى الشّيخ بوعزيز يطلب مساعدته في قتال علي باشا، ففرح الشيخ بالأمير علي بن حسين باي وأكرمه، وبعد أنْ أقام الأمير مدّة عند حنانشة أولاد نصر، عرض عليه شيخها أنْ يزوجه حفيدته من ولده طراد، وكانت البنت مشهورة بالجمال، فوافق، ولمّا سمع علي باشا بخروج الأمير علي إلى الحنانشة وزواجه من حفيدة الشّيخ بوعزيز اغتاظ وأمر ابنه يونس بالخروج على رأس محلة من أجل الانتقام من شيخ الحنانشة بسبب ميله للباي حسين بن علي، وقام يونس بملاحقة بوعزيز والأمير علي لكنه لم يظفر بهما هذه المرة[3].

**4- زواج إسماعيل من ابنة خزناجي الجزائر:**

لما استقر المقام بإسماعيل بن يونس في الجزائر بعد فشل ثورته على علي باي بن حسين بن علي ما بين 1759 و1762م، استقر إسماعيل في قسنطينة مع والده يونس إلى غاية وفاة الأخير سنة 1768م، وبعد ذلك اختار الابن الذّهاب إلى الجزائر، والاستقرار هناك، وتزوّج في العاصمة من ابنة الخزناجي، التي أنجبت له ولده حسن[4].

---

1- Charles Féraud, Op.Cit, p 229.

2- Ibid, p 231.

3- الصّغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 02، ص ص 130-131، 133، 139.

4- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 142.

**ب- الهدايا والاحسانات:**

كان أعيان الحنانشة يتحصلون من بايات تونس على عوائد وإحسانات حتّى أواخر القرن الثّامن عشر (18) الميلادي مثل دايات الجزائر وبايات قسنطينة وكبار الشّخصيات في الجزائر، وقد شملت هذه الهدايا مواد متنوعة مثل السّروج المطرزة والألبسة الفاخرة[1]، وقد شملت الاحسانات الكثير من المجموعات القبلية في بايلك قسنطينة بصفة خاصة كالحنانشة[2]، وأولاد سيدي يحي بن طالب[3]، وقرفة، وأولاد عيسى، وأولاد بورنان، وقد تلقت هذه المجموعات سنة 1191هـ/1777-1778م من علي بن حسين باي تونس ما قيمته 1933 ريال كان نصيب الحنانشة منها 345 ريال؛ أي ما نسبته 17.84% وهو ما يفسر المكانة التي حظيت بها هذه القبيلة لدى بايات تونس[4].

وتحتوي الكثير من الدّفاتر الجبائية بالأرشيف الوطني التّونسي على الإحسانات التي قدمها بايات تونس خلال النصف الثّاني من القرن الثّامن عشر إلى فئات مختلفة من الجزائريين، فبالإضافة للدّفتر رقم 2144 والذي أشرنا إليه سابقاً، هناك إشارات متفرقة في دفاتر أخرى كالدّفتر رقم 99، حيث احتوت احدى صفحاته على إحسانات لأنفار حنانشة بتاريخ 1171هـ/1758م[5]:

- 45 ريال إحسان لثلاثة أنفار سيارة حنانشة وهم ... المدخل وعيسى بن جفال وبالقاسم بن الدالي كل منهم 15 ريال.
- 50 ريال إحسان لكاتب الشيخ إبراهيم بن بوعزيز الذي قدم لترحيل رعيتهم.
- 100 ريال إحسان لعلي بوعكاز الحناشي على يد حسونة بن قبران.

1- فاطمة بن سليمان، المرجع السّابق، ص-ص 209-210.

2- شملت احسانات بايات تونس فرعي الحنانشة؛ أولاد نصر وأولاد منصر:

- حنانشة ابراهيم سنوات 1169-1190هـ/1755-1779م، أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 2144، ص-ص 210-220.

- حنانشة محمّد بن سلطان سنوات 1172-1192هـ/1758-1781م، أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 2144، ص-ص 221-224.

3- سنوات الاحسانات التي تحصلت علسها هذه القبيلة تغطي الفترة ما بين 1170-1185هـ/1756-1774م، أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 2144، ص-ص 173-174.

4- توفيق بن زردة، **احسانات...**، المرجع السّابق، ص 12.

5- أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 99، ص 26، محتوى التقييد، **يُنظر:** الملحق رقم 21، ص 353.

ويبدو أنّ الحنانشة لم تكن وحدها صاحبة الحظوة عند بايات تونس، فقد وُجدت مجموعات أخرى كانت لها مكانة خاصة عند البايين محمّد باي وأخوه علي باي؛ أبناء حسين بن علي باي فطوال أكثر من عشرين سنة (1170-1190هـ) استفاد شيوخ خنقة سيدي ناجي وأهلها بالزّاب من احسانات كثيرة أشار إليها الدّفتر 2144[1]، ربما يعود اهتمام هذين البايين بشيوخ الخنقة إلى الاحسان والضيافة التي لقيها محمّد باي وعلي باي من هؤلاء الشّيوخ عندما كانا لاجئين في الجزائر، فقد قضى علي باي في الخنقة مدة سبعين يوماً قبل أنْ يلتحق بأخيه محمّد في مدينة الجزائر، ورداً للجميل قام علي باي بتخصيص وقف اشتراه من ماله الخاص لزاوية سيدي عبد الحفيظ بالخنقة، وهو ما سوف نتعرض له بالتّفصيل في المبحث الموالي.

وقد استفاد أهل الخنقة على سبيل المثال، سنة 1173هـ/1759م، من مجموع احسانات بقيمة 1324 ريال، تفصيلها كالآتي[2]:

- 500 ريال إحسان لسي محمد بن ناصر شيخ الخنقة على يد حمودة بن أحمد في ربيع الأول
- 184 ريال إحسان لسي أحمد بن ناصر بتذكرة في شعبان
- 500 ريال إحسان للشيخ سي أحمد بن ناصر بتذكرة في رمضان
- 30 ريال إحسان لسي إبراهيم من خنقة سيدي ناجي على يد سي علي الجزيري ثلاثين ريال في رمضان
- 50 ريال إحسان لسي مسعود بن سي أحمد زروق من المكان في رمضان
- 50 ريال إحسان لسي مسعود بن سي صالح من المكان في رمضان
- 10 ريال إحسان لإبراهيم بن عمار مع المذكورين في رمضان

كما أشار الدّفتر رقم 27 (1153-1154هـ/1740-1742م) إلى إحسانات لجزائريين لم يذكر الدّفتر أصولهم، ويبدو أنّهم من عامة النّاس، ومن هؤلاء 05 أسرى جزائريين ولم

---

1- أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 2144، ص-ص 302-309؛ وللمزيد من التفاصيل حول احسانات خنقة سيدي ناجي، يُنظر: توفيق بن زردة، **احسانات بايات تونس لبايات وأعيان وقبائل بايلك قسنطينة 1170-1192هـ/1756-1778م وثائق من الدفاتر الإدارية والجبائية بالأرشيف الوطني التونسي الدفتر رقم: 2144**، دار الأقصى، الجزائر، 2015م، ط 01، ص-ص 199-218.

2- المرجع نفسه، ص-ص 201-202.

يرد في الدّفتر مكان أسرهم أيضاً، أمّا التّقييد الثّاني فيخص 10 أنفار جزائريين كانوا في غار الملح، وأستفاد كل فرد من هؤلاء في كلا التّقييدين من إحسان بقيمة 3 ريالات[1].

وحسب الدّفاتر فإن هذه الإحسانات وردت على ثلاثة أوجه؛ عينية أو مبالغ مالية أو ثمن هدية، فالاحسانات العينية تمثلت في سرج متموم، قفاطن موبر، صناديق مجلدين، والمبالغ المالية مثل ارسال مبلغ مالي من الرّيالات إلى أحد الشيوخ، وثمن الهدية كحق برنوس أو حق سرج متموم ... إلخ[2].

**ج- معاقبة بايات تونس وأطراف الصّراع بها لبعض القبائل الجزائرية وزعمائها:**

**1- معاقبة الشّيخ بوزيان بن علي الشّابي لقبيلة طرود:**

بعد وفاة علي الشّابي سنة 1637م تولى الأمر ابنه بوزيان، وسار على نهج أبيه في محاربة القبائل المتمردة وإعادتها إلى صف الشّابية واستنفارها ضدّ حمودة باشا، ففي سنة 1646م استطاع الانتصار على قبيلة دريد التي كانت في صف حمودة باشا، بعد حروب عظيمة، أمّا طرود فكان نصيبها بعدما واصلت دعمها لباي تونس بأنْ هاجمها في عقر دارها بوادي سوف مما اضطر أفراد القبيلة إلى الفرار نحو الجنوب مسافة عشرة أيام مشياً، إلاّ أنّ بوزيان لاحقهم وتتبع أثرهم، وطلب منهم أنْ يعلنوا طاعتهم له ويمدوه بأربعمائة (400) فارس لمحاربة حمودة باشا، ولمّا امتنعوا أرسل لهم جنوده فقتلوا منهم عدداً كبيراً وغنموا أموالهم وفرضوا عليهم ضريبة قدرها ألف (1.000) دينار، وفي سنة 1664م جند منهم بوزيان جيشاً معتبراً لمحاربة الباي، وتضيف الرّواية أنّ أحد المجندين من طرود بكى وهو في طريقه إلى الحرب، حين مر بمرتفع كانت قبيلته قد اتخذت منه مكاناً للحراسة قرب سوف وأنشد[3]:

يا صخرتي لو نلقـاك        نبني عليك ديدباني

عشبك ما عاد نلقـــاه        والشـابي ما هنّـاني

---

1- خليفة حماش، **كشاف...**، المرجع السّابق، ص 336.

2- توفيق بن زردة، "**احسانات بايات تونس لجماعات...**"، المرجع السّابق، ص 14.

3- علي الشابي، "**تاريخ الشابية...**، المرجع السّابق، ص-ص 375-376. والديدبان: كلمة معربة من الفارسية، وتعني الحارس الحربي، وهنا تعني مكان الحراسة.

## 2- إغارة علي باشا على خنقة سيدي ناجي والواحات المجاورة:

بعد مقتل حسين بن علي على يد يونس بن علي باشا سنة 1740م، فرّ أولاده إلى الجزائر، كما أشرنا سابقاً، حيث لجأ علي بن حسين إلى النمامشة ثم إلى خنقة سيدي ناجي عند عائلة بن ناصر، لكن علي باشا رفقة ابنيه يونس وسليمان لاحق ابن عمه إلى الخنقة وقام بنهبها، ولم يحترم طابعها الدّيني، رغم أنّ شيخها أحسن إليه قبل ذلك عندما كان لاجئاً بالجزائر، وتتبع أنصار عمه بالزّاب الشّرقي والواحات المجاورة إلى غاية وادي سوف[1]، وقد أرجع بن أبي الضّياف سبب هذا الهجوم إلى أنّ وفد الحجيج الفاسي اشتكى له من النمامشة الذين أغاروا عليهم وسلبوهم أموالهم وأخذوا منهم الخيل والإبل بأحمالها، فوعدهم باستردادها من النّاهبين[2]، ولم يوضح المؤلّف أي من فرعي النمامشة التي استهدفته هذه الحملة، غير أنّه أشار إلى أنّ أولاد خيار هم شيعة علي باشا، أمّا فرع الأعشاش فمن أنصار حسين بن علي، ومن المؤكّد أنّ هذه الغارة استهدفت الأعشاش بسبب ميلهم لعمه.

## 3- قتل علي باشا لشيوخ الحنانشة سنة 1739م:

لم تستمر علاقات الحنانشة مع صهرهم علي باشا على حالها طويلاً، إذْ سرعان ما بدأ الأخير يشك في ولائهم، ويخشى تقلباتهم، فلجأ إلى الحيلة بعد أنْ قرّر التّخلص منهم. ففي سنة 1739م، وعند مجيء صهريه: أحمد الصّغير وأخيه سلطان لزيارة ابنتهما، أمر علي باشا بإكرامهما حتّى يطمئنا له، وما إن حلّ اللّيل، حتّى أمر بقتلهما وطلق زوجته[3]. وفي نفس السّنة، وبمساعدة ابنه يونس، قام بإلقاء القبض على الشّيخ بوعزيز عندما كان في مدينة الكاف، وأرسله إلى والده بتونس، حيث أمر بقتله، وطلّق يونس زوجته ابنة طراد بن بوعزيز[4]، ولعلّ هذا ما يفسّر مشاركة الحنانشة في حملة عام 1746م مع أبناء حسين بن علي ضدّ علي باشا بقيادة الشيخ سديرة، رغم تثاقلهم في بداية الأمر[5].

---

1- Gustave Mercier, **Khanguet Sidi Nadji (Quelques inscriptions arabes inédites)**, In: R. N. M.S.A.D.C, Constantine, Vol 49, 1915, p 147.

2- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 132.

3- الصّغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 02، ص-ص 109-124.

4- المصدر نفسه، ص-ص 213-224؛ جميلة معاشي، "**أسرة أحرار...**"، المرجع السّابق، ص ص 159، 160.

5- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص 131.

**4- قطع نخيل عمارة بن دالية في قمار بمنطقة سوف:**

أرسل علي باشا ابنه سليمان إلى منطقة سوف بجنوب بايلك الشّرق الجزائري على الحدود بين الإيالتين، وتقابلها منطقة نفطة وتوزر بالبلاد التّونسية، حيث نزل على بلدة قمار، وأمر بقطع نخيل "عزوز بن عمارة بن دالية"، وهو من أشياع أولاد الباي حسين بن علي، وكان ذلك حوالي سنة 1750م[1]، ورغم نهي التّقاليد الإسلامية واستنكاف الأخلاق القبلية عن مثل هذا الصنيع[2]، فإنّ علي باشا كان لا يتوانى عن معاقبة بعض الفئات حتّى وإن كانت خارج حدود مملكته، ويبدو السّبب هنا واضحا في إقدامه على هذا التّصرف، فيكفي أنْ يكون المعني من أتباع حسين بن علي وأبنائه، حتّى يتعرض لمثل هذه العقوبة، ومن المحتمل أن يكون بن دالية قد ساعد حسين بن علي أو أولاده بطريقة ما خلال الأزمة الباشية الحسينية. وقد أورد بن أبي الضّياف قصيدة، في مدح علي باشا، لأبي عبد اللّه محمّد الورغي، تغنى فيها بحملة علي باشا على قمار بأرض سوف، جاء فيها[3]:

ووافـى قمـارا والنواحـي فأشرقت ودانت لوجه من كرام أطائب

فيا أيها المولى الذي طار صيته فزاحم أقطار السما بالمناكب

**ثالثاً- ظاهرة الصّف عند القبائل الجزائرية أثناء أزمات تونس السّياسية وتأثيراتها:**

**أ- قتال القبائل الجزائرية ضدّ بعضها أثناء مشاركتها في الصّراعات التّونسية:**

شاركت الحنانشة إلى جانب علي الشّابي، بعد أنْ أخضعهم سنة 1631م، في الحرب التي خاضها ضدّ حمودة باشا المرادي في نفس السّنة، بينما شاركت طرود مع حمودة باشا بعد أنْ دانت له بالطّاعة بسبب ما غمرها به من العطايا والهدايا[4]، وبذلك دخلت القبائل الجزائرية في حروب ضدّ بعضها البعض بسبب الصّراعات على السّلطة والنّفوذ في إيّالة

1- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص-ص 132-133؛ علي الشابي، **تاريخ الشابية...**، المرجع السّابق، ص-ص 408-409.

2- المصف التايب، المرجع السّابق، ص 28.

3- أحمد بن أبي الضّياف، المصدر السّابق، مج 01، ج 02، ص 134.

4- علي الشابي، **العلاقات...**، المرجع السّابق، ص 82.

تونس، مع أنّ الحروب والغارات ليست بالظاهرة الغريبة بين هذه القبائل، التي عادة ما تدخل في حروب مع بعضها بعض من أجل المراعي أو التّوسع على حساب أراضي الطّرف الآخر.

وقد يكون خطرها أعظم عندما يصل الخلاف إلى نفس القبيلة وينضم كل فرع إلى أحد أطراف الصّراع، مثلما حصل مع قبيلة الحنانشة (فرع نصر وفرع منصر) أو النّمامشة (أولاد خيار والأعشاش) أثناء الفتنة الباشية الحسينية، وبالتّالي فقد كرّست هذه الصّراعات واقع الانقسام داخل هذه القبائل[1]، وعزّزت الخلافات بين هذه القبائل، بشكل مباشر أو غير مباشر.

**ب-تذكية ظاهرة الصّف للخلافات والصّراعات بين القبائل الجزائرية:**

عُرفت طرود بتأييدها للشّابية في صراعاتها مع بايات تونس، ومع انتقال الشّابية واستقرارها بنواحي الأوراس في بايلك قسنطينة، حاولت كسب تأييد قبائل الشّرق الجزائري، لكن لم يتحقق لها ذلك، وبقيت هذه القبائل في مد وجزر مع الشّابية، بسبب تقلب ولائها حسب ما يخدم مصالحها، وقد انجر عن ظاهرة تغيير الولاء دخول بعض هذه القبائل في صراعات ونزاعات، فقد تحالف النّمامشة والهمامة ضدّ السّوافة عامة وطرود خاصة، وقد صوّر العوامر، في مخطوطه، صراع النّمامشة مع السّوافة حيث أورد ما نصّه: «... وترصدوا لهم من كل طريق أخذوه للسفر ويهاجمونهم ليلاً فتارة يختلسون ما قدروا عليه ويقتلون من تعرض لهم، وتارة يلاقونهم كفاحاً لقلة المسافرين مع العير فيقتلون الرّجال ويأخذون الأموال، قيل أضرّوا بنحو العشرين عيراً في طريق بسكرة والزاب الشرقي ونقرين وفركان والجريد، ثمّ جمعت سوف من كل بلدة ناساً حتّى صاروا جيشاً عظيماً وأغاروا على اللمامشة في موضع سيدي عبيد الآن وقتلوا منهم كثيراً وسبوا بعضاً من النّساء وأخذوا ما وجدوه في ناحيتهم من الإبل والغنم مع ما بأيدهم من الأخبية والأثاث وغير ذلك، فلحقتهم اللمامشة في عدد كبير منهم، ومن أنصارهم الهمامة الذين امتلأت قلوبهم غيضاً على أهل سوف من أجل الشّابية...»[2].

**ج- خسائر القبائل الجزائرية خلال مشاركتها في الحروب والصّراعات التّونسية:**

شاركت طرود مع حمودة باشا في حروبه ضدّ الشّابية، حيث ساءت العلاقات بين طرود والشّابية بعد اختلافهم حول الغنائم، وقد أعانت طرود باي تونس خلال حربه مع

---

1- العربي الحناشي، المرجع السّابق، ص 46.

2- نقلاً عن: كوثر العايب، **حركة القبائل...**، المرجع السّابق، ص 136.

الشّابي سنة 1631م بنحو ألف رجل، ورغم أنّ حمودة باشا كان هو المنتصر في هذه المعركة إلاّ أنّ خسائر الطّرفين كانت كبيرة، أمّا نصيب طرود من هذه الخسائر فكان هلاك حوالي مائة (100) رجل من خيرة رجالها، وسمي هذا العام عند أهل سوف بعام المجزرة، ويسميه بعضهم بعام الطّمع، لأن طرود طمعت في عطايا حمودة باشا، في حين يرى آخرون أنّ انضمام طرود لصف الباي كان بسبب عدم وفاء الشّابية بعهودهم لها، ولم يكن سببه الطمع[1].

وفي أواخر الدّولة المرادية شارك شيخ الحنانشة سلطان في معركة بين محمّد باي وعلي باي ابني مراد الثّاني، سنة 1088هـ/نوفمبر1677م، عُرفت بواقعة وادي تاسة، وكان الشّيخ سلطان من أنصار علي باي، وأثناء القتال بين الطّرفين كثرت الجموع على الشّيخ فطُعن ومات[2].

## المبحث الرّابع: الانعكاسات الثّقافية والدّينيّة

### أولاً- ضياع الأرشيف:

ضياع جزء كبير من وثائق الأرشيف التّونسي للسّنوات التي سبقت 1756م، ومن المؤكّد هذه الوثائق تحوي الكثير عن تاريخ الجزائر نظراً للعلاقات التي ربطت الإيالتين بحكم القرب الجغرافي. وهي خسارة كبيرة للبلدين ولتاريخهما المشترك. وقد أشارت إلى ذلك الأستاذة فاطمة بن سليمان، في سياق حديثها عن فقدان النّسخة الأصلية لوثيقة الحدود بين إيالتي تونس والجزائر، لسنة 1628م، من الأرشيف التونسي، وأردفت أنّه يمكن أنْ يكون الهجوم الذي تعرضت له تونس سنة 1756م، وتقصد المحلة الجزائرية التي رافقت أبناء حسين بن علي وأطاحت بعلي باشا، وما صَاحَبَ هذه الأحداث من نهب وتخريب وإتلاف للوثائق والكتب، حسب تعبيرها[3].

وقد عاينا ذلك بأنفسنا عند زيارتنا لمركز الأرشيف الوطني التّونسي، حيث وجدنا أنّ أقدم الوثائق الموجودة تعود في معظمها إلى ما بعد سنة 1756م، على عكس الدّفاتر الجبائية وغيرها الموجودة والتي تعود تواريخ بعضها إلى القرن السّابع عشر-فترة الدّولة

1- إبراهيم محمّد السّاسي العوامر، المرجع السّابق، ص-ص 227-228.

2- ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص 287.

3- فاطمة بن سليمان، المرجع السّابق، ص 125.

المرادية–، ولا نعرف سبب ذلك، ومن الممكن أنّ هذه الدفاتر كانت محفوظة بمكان آخر غير التي حُفظت به الوثائق. وقد أشار "دي فلو de Flaux" إلى نفس المصير بالنّسبة لقنصلية فرنسا في تونس، حيث ذكر أنّ الذّهب الذي كان في مقر القنصلية تمّ أخذه، أمّا الأرشيف (أرشيف القنصلية) فمُزق أو حُرق(1).

بينما أشار "بن يوسف" إلى نفس الحملة والتي على إثرها قام عبد القادر الراجحي القسنطيني، وكان ساكناً بتونس، ويَدَّعِي طلب العلم حسب تعبير المُؤلِّف، حيث أورد أنّه لمّا دخل عسكر الجزائر إلى القصبة وتونس تعرف هذا الأخير بعسكر قسنطينة، فصاروا يأتونه بالكتب، ويقصد هنا مكتبة علي باشا بباردو، بعضها بمقابل وبعضها دون مقابل، ثمّ خرج بأهله مع المحلة(2). ويبدو أنّ الرّاجحي قصد الجزائر (والأرجح قسنطينة) لأنّ المحلة بعد أنْ تنتهي مهمتها بالتّأكيد فوجهتها سوف تكون الجزائر، كما لم نعثر، على الأقل، في المصادر التي اطلعنا عليها اشارة إلى هذه الحادثة أو إلى مصير هذه الكتب، وهل وصلت إلى الجزائر، ومكان تواجدها في حال وصولها سالمة.

أما صاحب الكتاب الباشي، فيذكر أنّ علي باشا أحرق الجزء الرّابع من كتاب "الحُلَل السُّندُسِيّة في الأخبار التّونسية" للوزير السّراج، لما احتواه هذا المُصنف من أخبار عن علي باشا عند قيامه على عمه الباي حسين بن علي واعتصامه بجبل وسلات، وميل المُؤَّلِف إلى حسين بن علي، وأضاف بأنّ هذا المُؤَلَّف لا يوجد منه الآن عين ولا أثر(3)، وكما اشتملت الأجزاء الأخرى عن تاريخ الجزائر لارتباطه بتاريخ تونس فلابد أنّ الجزء الرّابع يحتوي على معلومات تهم تاريخ الجزائر، وضياعه يعني ضياع جزء من التّاريخ المشترك للقطرين.

**ثانياً– نشاط علماء تونس في إيّالة الجزائر:**

**أ– الدّعوة والإرشاد:**

يتحدث الأستاذ "علي الشابي" عن دور الشّابية في تنوير وتعليم البدو أصول الدّين الإسلامي، إذ يقول: «وعملت الطريقة الشابية في هذا الصدد عملا لافتا حيث علمت البدو بعد أن كان التعليم لقرون طويلة قصرا على الحضر وانتشلتهم من الجهل بفعل تنويري

---

1- Armand de Flaux, Op.Cit, p 211.

2- الصغير بن يوسف، المصدر السّابق، مج 03، ص–ص 56–57.

3- حمودة بن عبد العزيز، المصدر السابق، ص 43.

فريد»[1]، فبعد سقوط دولتهم انقسم الشّابية إلى قسمين؛ قسم حارب العثمانيين للانتقام منهم وقد مثّل هذا القسم عبد الصّمد وابنه وأحفاده، وقسم آثر الانقطاع للتّصوف والعلم والإرشاد بين قبائل تونس والجزائر، ومثل هذا القسم محمّد المسعود الشّابي وأبناؤه وأحفاده، وقد أثبت الشّيخ محمّد المسعود هذا في أحد قصائده، والتي اخترنا منها بعض الأبيات:

ومنا مـربـ عـارف ذو مكـانـة  يلوذ به الإخوان من غير ما ندب

يعلّم محروما وينقذ جاهـلا  ويهـدي أنـاسا للمـرام بـلا ريـب

وكم مذنب لمّا أتى وهو خائف  يبـرأ مـن غـمّ شـديد ومـن كـرب

بتعليمه علم الشّريعة، فالهـدى  قـرين بشرع الله في البعد والقرب[2].

فقد أسّس محمّد المسعود الشابي زاوية بجبل ششار، وكانت القبائل هي القاعدة التي استهدفتها الزّاوية من أجل العمل الإرشادي والإصلاحي، ومن بين المناطق التي شملتها دعوة الشّابية منطقة سوف، فقد ذكر العدواني نقلاً عن أحد الرواة قوله: «وأني رأيت البالغين من قومنا يلعبون في الشاة عراة في النهار، ويأكلون في رمضان، وقد تزايد جهلهم، إلى أنْ سمع بهم الشّيخ الولي سيدي محمد المسعود الشابي، فركب جواده وأتى أليهم فوجدهم لا مؤمنين ولا كافرين، لم تبلغهم دعوة من عالم رشيد»، وذكر أنّه قد أسلم علي يد الشيخ رجل يدعى عون بن موسى من اللّجة ومعه ثلاثة وعشرون رجلاً، وقصد قرية تكسبت فأبى أهلها[3]، وبقي الشّيخ محمّد المسعود يتردد على سوف وينتقل بين كوينين وتاغزوت والدبيلة وغمرة والدميثة لنشر الدّعوة والقضاء على الانحلال والجهل الذي انتشرا فيها، واستطاع أنْ ينزع من أهلها حمية الجاهلية وتعصب المتعصبين، وذلك خلال الفترة ما بين 1602 و1618م[4].

وقام ابنه علي بهذه المهمة من بعده وتردد على سوف عدة مرات، وزار اللّجة وتكسبت وقاموا بضيافته، ويبدو أنّ أهل هذه القرية عادوا عن تعنتهم الذي أظهروه أوّل الأمر للشّيخ محمّد المسعود الشّابي، وبعد جولته في سوف قصد الشّيخ علي وادي ريغ[5].

---

1- علي الشابي، **تاريخ الشابية**...، المرجع السّابق، ص-ص 330-331.

2- المرجع نفسه، ص ص 391، 393.

3- العدواني، المصدر السّابق، ص ص 110، 113، 114.

4- إبراهيم محمّد السّاسي العوامر، المرجع السّابق، ص 235.

5- العدواني، المصدر السّابق، ص-ص 130- 132.

وذكر سعد الله أنّ أبو حفص عمر بن محمّد، وكان تونسي الدار والمنشأ، تولى قضاء العسكر في الجزائر في عهد الدّاي محمّد بكداش الذي وصل إلى هذا المنصب بمساعدة باي تونس حسين بن علي، ولم نعثر على السّبب الذي جعل هذا العالم يستقر بالجزائر، أمّا محمّد الشافعي الباجي وأحمد الأصرم القيرواني، اللذين قدما مع الأمير محمّد بن حسين بن علي باي، كانوا من العلماء الذين عملوا على بث العلم في الجزائر لفترة طويلة بسبب استقرارهم مع الأمير المذكور(1)، وقد أشرنا إلى أنّ الأمير محمّد بقي في الجزائر حوالي ستة عشر سنة.

**ب- تأسيس المساجد والزّوايا:**

أسّس الشيخ محمّد المسعود الشّابي زاوية في واحة سيار محتميا بقبيلة بابار بجنوب خنشلة والتي جعل منها مركزاً لنشر الدّعوة والتّوسط لحل الخلافات بين قبائل النّمامشة وأهالي ششار(2)، كما للشّيخ علي دربال، وهو مساعد سيدي المسعود الشابي، زاوية بعميش قرب الوادي وأبناؤه بها ويعرفون بأولاد دربال أو الدّرابلية، وخلال زياراته إلى سوف دعا أهلها إلى بناء مسجد وهو الجامع الذي بسوق الوادي ويسمى بمسجد سيدي المسعود، كما أسس الشّيخ مسجداً آخر بقمار سنة 1597م(3).

وبعد استقرار الشّيخ المبارك بن قاسم في بداية القرن السّابع عشر في منطقة مورد النعام بنواحي الأوراس قادماً إليها من تونس وأقام بها زاويته سنة 1010هـ/1602م، وأخذت اسم جده الشّيخ ناجي، ومنذئذ أصبحت تُعرف "خنقة سيدي ناجي"، وتسمى زاويتها "زاوية خنقة سيدي ناجي(4)، وبعد فترة قصيرة أصبحت هذه الزّاوية وجهة لطلاب العلم من كل مكان، حيث زارها الورثلاني أثناء رحلته ووصف حالة العلم فيها: «... لها فضل عظيم سيما اظهار العلم فيها فإنهم مشتغلون [أهلها] بالنحو والفقه والحديث...»(5)، وفي سنة

1- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...، المرجع السّابق، ص-ص 436-437.

2- توفيق بن زردة، **الكنفدرليات**...، المرجع السّابق، ص 61.

3- إبراهيم محمّد السّاسي العوامر، المرجع السّابق، ص-ص 232-233.

4- عبد الحليم عساسي ومروان سمير قدوح، "**خنقة سيدي ناجي أو تونس الصغيرة: حاضرة علم وفن وجمال**"، مجلة جماليات، مج 05، ع 01، 2019م، ص 122.

5- الحسين بن محمد الورثيلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، (تص): محمد ابن أبي شنب، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1326هـ/1908م، ص 117.

1147هـ/1734م أسّس حفيد الشيخ مبارك وهو محمّد بن محمّد الطيب مسجداً أخذ اسم الجد المبارك ويسمى "مسجد سيدي المبارك" أو "الجامع الكبير"[1].

**ثالثاً– أوقاف تونسية على مؤسسات دينية وتعليمية جزائرية:**

عدّد الأستاذ "عليوان اسعيد" الواقفين؛ من الوقف، في إحدى دراساته عن هذه الظّاهرة خلال العهد العثماني في الجزائر، وأشار إلى أنّهم من جميع الفئات والطبقات المُكوِّنة للمجتمع الجزائري خلال نفس الفترة، فهم من العثمانيين، والحضر، والأحناف، والمالكيين، والكراغلة، والقرويين الأغنياء، ومتوسطي الحال، وحتّى بعض الفقراء، والرّجال، والنّساء، والمدنيين، والعسكريين، والحكّام والمحكومين[2]، وأشار "سعد الله" إلى نفس الفكرة، حين قال أنّ الباشوات والبايات والموظفين السّامين كانوا يشتركون مع الأهالي في هذه العملية (الوقف)[3]، لكنه لم يتّطرق لفئة أخرى ساهمت في الوقف خلال الفترة العثمانية بالجزائر، – رغم أنّ هذه الأوقاف قد نعتبرها استثناءً– وهذه الفئة في الحقيقة لا تنتمي إلى المجتمع الجزائري، أي أنّهم غرباء، ولسبب من الأسباب قاموا بوقف ما على إحدى المؤسّسات في إيّالة الجزائر، ونذكر على سبيل المثال وقف علي بن حسين بن علي تركي على زاوية خنقة سيدي ناجي.

ففي سنة 1695م حبس محمّد باي المرادي ثلاثة (03) أوقاف على الشّابية، وتمثلت هذه الأوقاف في هنشير قرابة بالدهماني، وجنة نخيل بلماري بحامة الجريد، وجنة نخيل كلما حمو بتوزر، وقد يسأل أحدهم ما علاقة هذه الأوقاف بالمؤسسات الدينية الجزائرية؟ والإجابة نجدها في تفاصيل الوقف فقد قام الباي بتقسيم الوقف إلى أخماس فكان نصيب شيخ بيت الشريعة أبي عبد اللّه محمّد بن جدو وعقبه ثلاثة أخماس، والخمسان الباقيان من نصيب عمه أبي عبد الله محمّد زوزو بن علي، فإذا ما انقطع عقبهما رجع التحبيس إلى زاوية جدهما الشّيخ محمّد مسعود الشّابي الواقعة بجبل ششار قرب خنشلة بالجزائر، على أنْ يُنفق ريع غلتها على المنقطعين والواردين على هذه الزاوية، وتجدر الإشارة إلى أن الباي حسين

---

1– كريم الطيب، المرجع السّابق، ص 252.

2– عليوان اسعيد، "**أوقاف الجزائر في العهد العثماني ومساهمتها الاجتماعية والثقافية**"، مجلة الإحياء، مج 09، ع 01، ديسمبر 2007م، جامعة باتنة 1، ص 299.

3– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...، المرجع السّابق، ص 277.

بن علي جدد رسم هذا التّحبيس سنة 1706/1705م بطلب من شيخ بيت الشّريعة[1]، وبقيت علاقات شيوخ الخنقة ببايات تونس جيدة نظراً لما قدمه[2].

وذكر "قوستاف مرسيي (Gustave Mercier)" أنّ علي بن حسين باي أعطى "الشيخ أحمد بن ناصر"[3] (شيخ خنقة سيدي ناجي) أرضاً بمنطقة ماطر التّونسية، ويبدو أنّ الباي أوقفها على الزّاوية المذكورة، وهي ملك لعائلة بن ناصر إلى غاية بداية القرن العشرين، زمن كتابة المؤلف للمقال المذكور في الهامش[4]، تقدّر بـ 26 جابدة، والثّانية بمنطقة بنزرت.

## خلاصة الفصل:

لم تكن انعكاسات الأزمات السّاسية في إيّالة تونس محدودة من حيث الزّمان والمكان، فبالرّغم من أنّ هذه الأزمات كانت داخلية إلا أنّ انعكاساتها تخطت حدود الإيّالة التّونسية لتصل إلى الإيّالة المجاورة (إيّالة الجزائر)، وقد مسّ تأثيرها جميع مناحي الحياة في إيّالة الجزائر، السّياسية والاقتصادية والاجتماعية والدّينية والثّقافية، كما ساعد العامل الزّمني الممتد على أكثر من قرنين (17 و18م) في قضية تبلور موقف عدائي لبايات تونس من الجزائر خاصة وأنّ النِّصف الثّاني من القرن الثّامن عشر عرف هيمنة جزائرية على بايات تونس، ورغم أنّ هؤلاء البايات استطاعوا مع بداية القرن التّاسع عشر التّخلص من هذه الهيمنة، إلاّ أنّ أثرها بقي محفوراً في ذهنية البايات وهو ما ظهر جلياً بعد ذلك في موقفهم السّلبي من الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م.

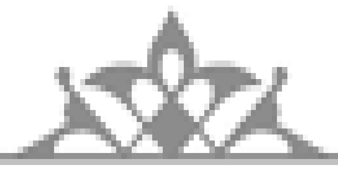
---

1- علي الشابي، **العلاقات**...، المرجع السّابق، ص-ص 85-86.

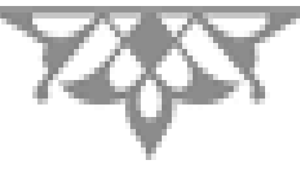
2- حمودة بن عبد العزيز، المصدر السّابق، ص 206؛ جميلة معاشي، **الأسر**...، المرجع السّابق، ص 98.

3- وهو مؤسس المدرسة النّاصرية بخنقة سيدي ناجي سنة 1171هـ/ 1757م، وسميت المدرسة على اسمه، وقد اشتهرت هذه المدرسة بعلوم الفقه والنّحو والحديث، وأصبحت مقصدًا لطلبة الزّيبان والأوراس ووادي سوف، وحتّى قسنطينة وعنابة، **يُنظر:** أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...، المرجع السّابق، ص 284.

4- Gustave Mercier, Op.Cit, p 159؛ جميلة معاشي، **الأسر**...، المرجع السّابق، ص 97.



# الخاتمة



بعد خوض غمار البحث في موضوع العلاقات الجزائرية التونسية فترة الأزمات السّياسية خلال الفترة الحديثة، وبعد محاولة الإجابة على الإشكالية الرّئيسية وكذا التّساؤلات الفرعية للدّراسة، توصلنا في ختام هذه الدّراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- عرفت تونس خلال تاريخها الحديث الكثير من الأزمات السّياسية الدّاخلية كانت في مجملها صراعات على السّلطة والنّفوذ بين عدة أطراف مثلت مؤسسات الدولة في ذلك الوقت كالدّايات والبايات، أو بين أحد هذه المؤسسات والحركات الدّينية؛ كالشّابية، وتغير بسبب ذلك نظام الحكم في تونس بسبب هذه الأزمات، حيث انتقل نهاية القرن السّادس عشر الميلادي من الباشاوات إلى الدّايات، وقيام أُسَر محلية حاكمة كالأسرة المرادية بداية من الثّلث الثاني من القرن السّابع عشر ثمّ الأسرة الحسينية مع مطلع القرن الثّامن عشر.

- لم يتغير الوضع كثيراً بعد وصول البايات إلى السّلطة بقيام الأسرة المرادية، حيث تواصلت الصّراعات بين بايات هذه الأسرة وبين الدّايات، وتطور الأمر فيما بعد إلى صراع على السّلطة بين أفراد الأسرة الواحدة إلى غاية سقوطها، ونفس الوضع عرفته الأسرة الحسينية إلى غاية نهاية القرن الثّامن عشر حيث عرفت إيالة تونس الاستقرار السّياسي.

- القبائل التّونسية القوية، خاصة التي تستوطن أطراف الإيالة كأولاد شنوف وأولاد سعيد وعلى الرّغم من أنها لم تقم بثورات ضدّ السلطة الحاكمة في تونس إلى نهاية القرن الثّامن عشر إلاّ أنها في الوقت ذاته كانت طرفاً فاعلاً في جميع الثّورات التي قامت ضد الحكم العثماني في تونس، بينما اختلف الوضع مع بداية القرن التّاسع عشر.

- من خلال تعرضنا لهذه الأزمات ولأسبابها بالتّفصيل في ثنايا هذه الدّراسة، خلصنا إلى أنّ الجزائر وحكامها لم يكن لهم دخل في اندلاع هذه الأزمات وظهورها في إيالة تونس، أي أنّ هذه الفئة (حكام الجزائر) لم تسع لخلق أزمات سياسية في تونس طوال العهد العثماني.

- تدخلات حكام الجزائر في شؤون الإيّالة التّونسية ليست منهج أو سياسة دولة، بل خضعت لطبيعة العلاقة القائمة بين حكام الإيالتين من جهة، ولمصلحة القبائل الجزائرية من جهة أخرى، وإذا كان حكام الجزائر قد ساعدوا أطرافاً تونسيّة متصارعة على السّلطة، فإنّ الطّرف التّونسي أيضا تدخّل في شؤون الجزائر الدّاخلية بمساعدته لأطراف جزائرية ناقمة على حكومة الإيّالة، مثل ما فعله حسين بن علي باي وعلي باشا من بعده.

– تعددت مواقف السّلطات الجزائرية تجاه الأزمات السّياسية في تونس، ولم تقتصر على التّدخلات العسكرية كما هو متداول، بل التزمت هذه السّلطة الحياد في الكثير من الأزمات التّونسية، وتدخلت بالصّلح بين أطراف الصّراع في أزمات أخرى، وساعدت السّلطات التّونسية في الحفاظ على الأمن والاستقرار داخل الإيّالة، ومن الجدير بنا أنْ ننوه بأنّ تدخلاتها كانت بإغراء من أطراف تونسيّة سعت في الوصول إلى حكم تونس، دون أنْ ننسى بأنّ بعض التّدخلات حتّى وإنْ كانت لنصرة أحد الأطراف فقد ساهمت في انهاء حالة الصّراع، ووضع حد للحروب الأهلية التي مزّقت إيّالة تونس، وبالتالي حقن دماء المسلمين بها.

– لم يكن هناك إجماع حول المواقف من أزمات تونس السّياسية فأجهزة السّلطة في الجزائر (الدّاي–الدّيوان–الانكشارية) لم تكن على وفاق دائم في مواقفها تجاه هذه الأزمات، وقد انجرّ على ذلك صراعات بين الدّايات في الجزائر وبين الدّيوان والانكشارية، وانتهت بعض هذه الصّراعات بقتل الدّاي أو الباشا، وفي أحسن الأحوال يكون مصير هذه الفئة النّفي خارج الإيّالة.

– اختلفت نتائج التّدخلات العسكرية الجزائرية في إيّالة تونس، حيث كان بعضها نصرة لأحد أطراف الصّراع على الطّرف الآخر مثلما ساعدت الأخوين محمّد وعلي أبناء مراد الثاني في صراعهم مع الدّاي أحمد شلبي سنة 1685م، بينما ساهمت تدخلات أخرى في عزل باي وتعيين آخر مكانه، مثل الإطاحة بالباي محمّد المرادي وتعيين بن شكر خليفة له 1694م، وكذلك تعيين علي باشا مكان عمه حسين بن علي سنة 1735م، في حين كانت سبباً في قيام أسرة جديدة سنة 1705م، عُرفت بالأسرة الحسينيّة بعد التّخلص من إبراهيم الشّريف.

– التدخلات الجزائرية كانت في مجملها تقريبا بطلب وبإغراء من أطراف تونسية طامعة في الوصول إلى السّلطة، وبسبب رفض السّلطات الجزائرية في بعض الأحيان لطلب هؤلاء فقد كانت تطول مدة إقامتهم في الجزائر، حيث فاقت إقامة بعض البايات في الجزائر ربع قرن، وذاك طمعاً في الوصول إلى مبتغاهم، في حالة تغير حاكم الجزائر، كما حصل مع أبناء حسين بن علي باي.

– حاولت بعض الدّراسات، عن قصد أو عن غير قصد، شيطنة السّلطة العثمانية الحاكمة في إيّالة الجزائر من خلال التّركيز على التّدخلات الجزائرية في شؤون تونس وربطها

بأطماع حكام الجزائر في السّيطرة على إيّالة تونس، في حين اغفلوا الأسباب المباشرة لهذه التّدخلات، وهي كثيرة ومتنوعة، التي جعلت حكام الجزائر يتدخلون في شؤون تونس.

- إيّالة الجزائر لم تقم بضم تونس لأراضيها والسّيطرة عليها رغم أنّ الفرصة أتيحت لها أكثر من مرّة بسبب تزامن الفراغ السّياسي في تونس مع وجود الجيش الجزائري وانتصاره على عسكر تونس، لكنّها كانت تكتفي بعقد معاهدة تُبقي تونس وحكامها تحت هيمنة داي الجزائر.

- لم يكن ارسال الحملات العسكرية ضدّ الطرف الآخر حكراً على حكام الجزائر ضدّ جيرانهم في تونس، لأنّ حكام تونس كذلك قاموا بشن حملات عسكرية على إيّالة الجزائر أكثر من مرّة كما فعل مراد باي الثّالث (مراد بوبالة) سنة 1700م وحمودة باشا الحسيني سنة 1807م، وكانت في نية إبراهيم الشّريف إعلان الحرب على الجزائر بعد حملته على طرابلس الغرب لكن يقظة الحكومة الجزائرية أوقفت مخططه.

- تحالفات بايات تونس مع أطراف خارجية كسلاطين المغرب الأقصى وأمراء طرابلس الغرب، عديد المرات، ضدّ إيّالة الجزائر بهدف القضاء على الحكم العثماني فيها. وبالتّالي فالطّرفان الجزائري والتّونسي كانا في كفة واحدة من حيث تغليب المصلحة الخاصة على المصلحة العامة.

- دعمت فرنسا استقلال البلاد التونسية عن الدولة العثمانية، منذ عهد أحمد باي التّونسي (1837-1855م)، في حين أنها كانت تدعم النّفوذ العثماني في إيالات المغرب خلال القرنين السّابع عشر (17) والثّامن عشر (18) الميلاديين عندما كانت مصلحتها تتطلب ذلك، وهو في حقيقة الأمر تدعيم لتبعية تونس للدّولة الفرنسية تمهيدا للسّيطرة عليها.

- حتّى ولو سلمنا برغبة ومحاولات السّلطات في الجزائر إخضاع بايات تونس لسلطتهم وجعلهم في تبعية دائمة لهم، فإنّ الوضع بداية من فترة حكم حمودة باشا الحسيني 1782-1814م رغم مجهوداته التي توجت بإعادة هيبة ومكانة تونس على السّاحة الدولية إلاّ أنّ النّفوذ الفرنسي مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي (19م) ازداد بسبب ضعف البايات الحسينيين الذين خلفوا حمودة باشا على حكم تونس.

- شاركت القبائل الجزائرية مثل الحنانشة وطرود والنّمامشة والذواودة في الأزمات السّياسية في تونس مع أحد أطراف الصّراع، والذي يحقق أهدافها ومصالحها، وجاءت مواقفها مخالفة

في الكثير من الأحيان لمواقف السلطات الجزائرية، وساهمت هذه القبائل عن طريق دعمها لحلفائها بالفرسان والمحاربين في انتصارهم على خصومهم، ووصول من ناصرته إلى سُدة الحكم في تونس، مثل ما حصل مع محمّد باي المرادي وأخيه علي باي 1675-1686م، وعلي باشا سنة 1735م، وأبناء حسين بن علي سنة 1756م.

– صحيح أنّ قبائل بايلك السّرق الجزائري شاركت في الأزمات السّياسية بإيالة تونس مع أحد أطراف الصّراع كما أشرنا إلى ذلك، إلاّ أنّه يجب التّنويه أنّ تدخلاتها هذه لم تكن بمحض ارادتها دائما، بل حتمت عليها الظروف ذلك في كثير من الأحيان، فقد وقعت تحت ضغط الاغراءات المادية لأطراف الصّراع كما لم تَسْلَم في أحيان أخرى من عقاب بايات تونس أو خصومهم، حيث شنت عليها هذه الأطراف الغارات كما تعرض شيوخها للعقاب والملاحقة وحتى القتل كثلما فعل علي باشا مع شيوخ الحنانشة سنة 1739م.

– بعد سقوط الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي سنة 1830م لم تتمتع إيّالة تونس بالاستقلال كما كان يحلم باياتها، وتحوّلت الهيمنة على إيّالة تونس من الجزائر إلى فرنسا، ودليل ذلك أنّ السّلطات الفرنسيّة أجبرت باي تونس على إبرام معاهدة في الثامن (08) أوت 1830م، –أي بعد حوالي شهر من احتلالها للجزائر–، كان من بنودها حق التّملك للمسيحيين واليهود في إيّالة تونس.

– بالرغم من سقوط الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي الذي حاول قبل ذلك بكل ما أوتي من قوّة الحد من التّقارب الجزائري التّونسي على المستوى الشّعبي، إلاّ أنّه فشل وهو ما تثبته مناصرة القبائل الجزائريّة لِعلي بن غذاهم عندما ثار ضدّ باي تونس سنة 1864م، وغيرها من المواقف الكثيرة.

– على الرّغم من مقومات التّكامل الموجودة بين الإيالتين إلاّ أنّ الواقع كان عكس ذلك، فبدل أنْ يتعاون حكام إيالات المغرب فيما بينهم ضدّ العدو الذي يتربص بهم؛ والمتمثل في الدّول الأوروبية، راح كل طرف يحيك المؤامرات ضدّ الآخر من أجل مصالحه الضّيقة حفاظاً على مُلْكٍ متداعٍ، سرعان ما تمّت الإطاحة بهم واحداً تلو الآخر.

– مواقف حكام إيّالة تونس كانت كذلك غير مشرفة تجاه الأزمات والمحن التي مرّت بها إيّالة الجزائر، فإيّالة تونس –ممثلةً في حكامها– لم تقدِّم أي مساعدة تذكر للجزائر في حربها

ضدّ الإسبان من أجل تحرير وهران سنة 1732م، وكانت المساعدات التونسيّة من نصيب الإسبان، وكذلك الحال عندما تعرضت الجزائر للحملة الفرنسية التي احتلتها سنة 1830م.

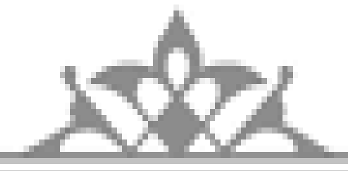
– دون الخوض في تفاصيل تعاون باي تونس مع فرنسا أثناء احتلالها للجزائر، أهو خوف من فرنسا أو انتقام من حكّام الجزائر، فإنّ السلطة في تونس كانت سنة 1830م قد وقعت على معاهدة الحماية الفرنسية لها، والتي تحققت بعد حوالي خمسين (50) سنة 1881م.

– الدّول الأوروبية سعت بكل ما أوتيت من قوة إلى الحد من التقارب بين إيالات بلاد المغرب، طلية الفترة العثمانية، وراحت تزرع بذور الشّقاق والعداء بين الأخوة إلى أن نجحت في ذلك، ومع انتهاء الرّبع الأوّل من القرن التّاسع عشر، وتسوية خلافاتها داخل القارة الأوروبية، بدأت بحملتها التّوسعية خارج هذه القارة، وكانت الجزائر أول الدّول التي ابتلعها المد الاستعماري، وما كاد ينتهي هذا القرن حتّى أصبحت جميع بلاد المغرب تحت السّيطرة الاستعمارية (الفرنسية، الاسبانية، والايطالية).

## آفاق وتوصيات الدّراسة:

منحتني هذه الدّراسة فرصة للتّعامل مع الأرشيف والمؤسسات الأرشيفية داخل وخارج الوطن، ولو أنّي لم أوفق لزيارة جميع دور الأرشيف التي خططت لزيارتها لظروف قاهرة، ولكنها بالنّسبة لي تبقى تجربة مميزة بحكم أنّها الأولى من نوعها، وبحكم ما اطلعت عليه من كم هائل من الوثائق في دور الأرشيف التي استطعت زيارتها فترة إعدادي لهذا العمل، وفتحت آفاقي لمواضيع متعددة، ومن بينها:

- دراسة العلاقات الجزائرية التونسية خلال الفترة الحديثة من خلال مراسلات وتقارير قناصل الدّول الأوروبية في البلدين.
- دراسة الحدود الجزائرية التّونسية خلال العهد العثماني وفترة الاحتلال الفرنسي من خلال معاهدات البلدين.
- مواقف الدولة العثمانية من صراعات إيالاتها الغربية خلال القرنين 17 و18م.





# الملاحق

## قائمة الملاحق:

## <u>الملحق رقم 01:</u> أوّل رسالة من أهالي الجزائر إلى السّلطان العثماني سليم الأوّل سنة 1519م

1- <u>نص الرّسالة المعربة:</u>

**ترجمة رسالة القاضي والخطيب والفقهاء والأئمة والتجار والامناء وكافة سكان مدينة الجزائر العامرة.**

اننا ندعو بالسعادة والنصر لمقام السلطنة العلية، دعاء يبلغها اقصى الاماني، فان عبيدها بالجزائر يكتبون إلى مقامها العالي معبرين ومعترفين لمقامكم العالي بالاجلال والتعظيم أبدا، وأن رسالتنا هذه لا تستطيع أن تستعرض كل الأسرار. ان سعادة أيامكم هي فرحتنا ونحن لزمام أموركم وطاعتكم مستبشرون وعليكم لا محالة اعتمادنا. فظاهرنا كباطننا وخلصين لكم أولا وآخرا. فقد أطعنا أمركم وعبيدكم ليس لهم غير جنابكم يرفعون إليه غاية الاجلال والتقدير وليس لهم من قصد غير شريف مقامكم العالي.

لقد جرت حوادث جليلة ولها أخبار طويلة في نصر المؤمنين وهزيمة أعداء الله. ومفادها أن طائفة الطاغية لما استولت على بلاد الأندلس، انتقلوا منها إلى قلعة وهران للاعتداء على سائر البلاد. غير أنه بعد استلائهم على بجاية وطرابلس بقيت الجزائر (بين الكفار) كالنقطة في وسط الدائرة، وبقينا لذلك حيارى متأسفين يحفنا الكفار من كل جانب ولكن تمسكنا بحبل الله المتين واتكلنا عليه. غير أن طائفة الطاغية شددت علينا الطلب هادفة ادخالنا تحت ذمته (سلطته). وقد نظرنا في الأمر ورأينا أن المحن والشدائد تشتد وأن الضرورة تقضي بحقن دماء أنفسنا وخوفا على حريمنا وأموالنا وأولادنا من السبي والتفريق، تصالحنا مع أهل التثليث وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وبعد هذه المضايقة والحصار دخل الكفار إلى وهران وبجاية وطرابلس وكان قصدهم أن يأتوا بسفنهم ويستولون علينا ويأسروننا ويشتتون شملنا فجأة. آنذاك قدم ناصر الدين وحامي المسلمين المجاهد في سبيل الله أوروج باي مع ثلة من الغزاة. فقابلناه بالعز والاكرام واستقبلناه، لأننا كنا في خوف (من عدونا) فخلصنا بفضل الله. وأوروج باي المشار إليه جاءنا من تونس لإنقاذ بجاية من يد الكفار وتأهيلها بالمسلمين. فلما وصل إلى القلعة وحاصرها مع المجاهد الفقيه الصالح أبو العباس أحمد بن قاضي زلزلوا أركانها .../...

وهدموا بنيانها، وشاهد الكفار عندما دخل القلعة المسلمون وهاجموهم واستولوا عنوة على برج منها، اختلال بنيانهم وقرب حتفهم هرب بعض الكفار الموجودين بالقلعة وقتل الباقون منهم.

لقد حارب المسلمون الكفار أناء الليل وأطراف النهار من طلوع الشمس إلى غروبها. وعلى الرغم من ترك بعض من جماعة أوروج القتال، بقي المشار إليه يقاتل الكفار مع جماعة قليلة، وكان قد عزم على لقائنا غير أنه وقع شهيدا في حرب تلمسان رحمه الله. وقد حل مكانه أخوه المجاهد في سبيل الله أبو التقي خير الدين وكان له خير خلف، فقد دافع عنا ولم نعرف منه إلا العدل والانصاف واتباع الشرع النبوي الشريف، وهو ينظر إلى مقامكم العالي بالتعظيم والاجلال ويكرس نفسه وماله للجهاد لرضاء رب العباد واعلاء كلمة الله ومناط آماله سلطنتكم العالية مظهرا اجلالها وتعظيمها. على أن محبتنا له خالصة ونحن معه ثابتون. وكيف لا نحبه وهو المشمر عن ساعد الجد والاقدام، ويقود الجهاد معنا في سبيل الله بنية خالصة وقلب صادق متفق الكلمة معنا في الشدة والرخاء لاعلاء كلمة الله. فالعقيدة الايمانية كوكب وهاج ودليل واضح المنهاج. ومفاد ما يريد عبيدكم اعلامه لمقامكم العالي هو ان خير الدين كان قد عزم قصد جنابكم العالي إلا أن عرفاء البلدة المذكورة رفعت أيديها متضرعة إليه حتّى لا يرتحل خوفا من الكفار ذ هدفهم هو «النيل منا» ونحن على غاية الضعف والبلاء. ولهذا أرسلنا إلى بابكم العالي الفقيه العالم المدرس سي أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد ونحن واميرنا خدام اعتابكم العالية وأهالي إقليم بجاية والغرب والشرق خدمة مقامكم العالي وأن المذكور حامل المكتوب سوف يعرض لحضرتكم ما يجري في هذه البلاد من الحوادث والسلام[1]. أوائل ذي القعدة 925هـ[2].

1- عبد الجليل التميمي، "**أوّل رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السّلطان سليم الأول سنة 1519**"، المجلة التاريخية المغربية، ع 06، 1976م، تونس، ص-ص 119-120؛ فاضل بيات، **البلاد العربية...**، مج 08، ص 29-32.

2- ما بين 26 أكتوبر و3 نوفمبر 1519م.

2- نص الرّسالة باللّغة التّركية (العصمانلية)[1]:

**مترجم مكتوب قاضي وخطيب وفقها وأيمة وتجار وامنا وكافهء رعايا وعامهء براياي مدينهء جزاير**

**مقام عالي سلطانييه**

دعاء سعد ونصر كه أقصاي آماله ايرشدرر، ايصال قلندقدن صكره مدينهء جزايرده اولن بنده لرك يازوب اعلام ايلدكلرى بودر كه:

مقام عظيمكوزه بيزوم يانمزده بر مرتبه ده تعظيم واردركه ايام اوزرنه وجوبنه ولزومنه معترفلرز. وباب مرفعكوزه بر وجهله اجلال ايدارزكه، مكتوب انوك مكتومنه وافى دكلدر، بيز سعادت ايامكوزله فرحلرز وزمام عبوديتكوزه إرتساملە مستبشرلرز، وسيزه بر وجهله اعتماد ايدارز كه باطنى وظاهرى خالص واوايلى واواخرى مستحسندر امركوزى سامعلرز بو بنده لر ياننده جناب معظمكوزه غايت تعظيمدن غيرى نسنه يوقدر. ومقام اشرفكوزك مشرف اولمه سن طلب ايدرز. بو بنده لره اعداء ديندن حادث اولن اهوالله والله دوستلرى اولن مؤمنلرك نصرى وعدو الله اولن كافرلرك هزيمتى ايله اخبار طويله در وحادثه دخى جليله در. أما محصولى بودر كه: طائفهء طاغيه اندلس وطننه مستولى اولدقده وهران قلعه سنه انتقال ايلدى، ساير بلاده تعدى ايملك ايجون پس كلوب بجايه ايله طرابلسى آلدقدن صكره كه بيزوم شهرموز اولن جزاير باقى قالدى، وسط دائره ده قلن نقطه كبى غريب وحاير قالدق. هر جانبدن اهل كفر بيزه مضايقه ويردى. بيز همان حبل متين دينه تشبث ايدوب اللهه صغندق پس طائفهء طاغيه بيزى طلب ايلدى كه تحت ذمتنه ادخال ايليه، بيز داخى نظر ايدوب كوردك كه، محنت وشدايد مشتد اولدى. بالضروره حق تعالى أهل تثليث اوزرنه نصرت ميسر ايلينجه نفسلرموز وحريملرموز واولادموز واموالموز قورقسندن صلح ايلدك. وسبي وتفريق خوفندن مدارا اتدك. انا لله وانا اليه راجعون.

---

1- فاضل بيات، **البلاد العربية**...، مج 08، ص 29-32.

بو مضايقه دن صكره كه، كفار كلوب وهراني وبجايهء وطرابلسى آلدى. قصد ايلدى كه كميلرله بيزه دخى مستولى اولوب أسير ايليه، وبر بريموزدنتفريق ايده، ناكاه ناصر دين وحامي مسلمين ومجاهد في سبيل الله اولن اروج بك بر مقدار غازيلريله چيقه كلدى. بيز داخى آنى قبول واكرامله استقبال ايلدك. زيرا خوفموزدن الله فضليله بيزى خلاص اتدى. مشار اليه اروج بك بيزه كلمزدن اول تونس شهرندن بجايه حصارنه كلمش ايدى. اعداء ديندن آلوب اخوان مسلمين ايجون تعمير ايلمك قصدنه پس قلعهء مزبورهء مجاهد صالح فقيه ابو العباس أحمد بن قاضى ايله محاصره ايدوب اركاننه تزلزل ويروب بنياننى هدم ايليوب، قلعه يه كيردكلرنده كافرلر بنيه لرنك اختلالنى ومنيه لرنك حلولنى مشاهده ايلديلر. قلعهء مزبوره نك إزاسنده مسلمانلر هجوم ايدوب عظيم البنا بر برجن آلديلر. عنوة قلعه يه داخل اولديلر. كافرلرك اول قلعه دن بعضى قاچوب وبعضى كه روحلرى ناره اولاشمه سنى حق تعالى معجل ايلمش إيدى قتل اولندى. والحاصل مسلمانلر اول كافرلريله انواع محاربه ومقاتله ايله أناء الليل والنهار اشراقدن غروبه دكين جنكلر ايلديلر. تاكه مشار اليه اروج بكوك اصحابندن بر جماعت مفارقت ايلديلر. مشار اليه جماعة قليله ايله اول كافرلر آراسنده قلدى. مشار اليه بيزه كلوب ملافى اولمغه واعداء ديندن بيزى خلاص قلمغه سبب بو اولمش ايدى. پس مشار اليه اورج بك تلمسان شهرى محاربه سنده رحمه الله شهيد اولدقده قرنداشى مجاهد في سبيل الله ابو التقى خير الدين خير خلف اولوب، بيزى حامى اولدى. عدل تامندن وشرع شريف نبويه اتباعندن غيرى نسنه سن كورمدك. مذكور داخى دايما مقام اعلاكوزى غاية تعظيمله تعظيمده وأمر جهاده اشتغالده ورب العبادك ورضاسنه مالنى ونفسنى بذل ايلمكده اولوب اعلاه كلمة الله حريص اولمغين وجملهء آمالى سلطنت عليه كوزه منوط وكمال احترامكوز اوزره مبسوط اولدغى أجلدن بيزم داخى محبتموز انوك حقنده خالص وثابت اولمشدر. نيجه محبت ايلميالوم كه، بيزومله بيله اتك بيلده ساعد اقدام اوزرنه كلوب، بيزومله بيله اتك بيلده ساعد اقدام اوزرنه كلوب، بيزومله بيله جهاد في سبيل الله نيت خالصه وقلب صادقله توجه ايلمشدر. وشده ورخاده حق تعالى نك امرى اوزرنه قايم اولمغه اتفاق ايدوبدر. عقيدهء ايمانيه ده كوكب وهاجه ودليل واضح المنهاجه بكزر.

والحاله هذه بو بنده لرك مقام عالييه اعلام ايلدكلرى اولدركه، مذكور اميرموز خير الدين جانب اعلاكوزه كتمكه عزيمت ايلمش ايدى. بلدهء مزبوره نك عُرفاسى تضرع ايدوب قوييوير مديلر كفرهء طاغيه دن خوف ايلدكموزدن اوترو، زيرا نصارى بيزه زياده يرامز قصدده در، بيز خود غايت ضعف وفلاكتده يوز. بو سببدن اوترو باب اعلاكوزه فقيه عالم مدرس سيد ابى العباس احمد بن علي بن احمد ارسال اولندى. بيز مذكور اميرموزله جناب اعلاكوزك خدمتكارلريوز. واقليم بجايه وغرب وشرق اهاليسى مقام اعلاكوزك خدمه سيدر. وساير بو بلاده ده واقع اولن امورى اشبو مكتوبله واردقده مقام اعلاكوزه مزبور اعلام ايلسه كركدر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وحرر في اوايل شهر ذي القعده من عام خمسة وعشرين وتسعماية.

**الملحق رقم 02: أمر من السّلطان العثماني إلى بيلرباي الجزائر بالاستعداد وجمع العدة والعتاد لتحرير تونس من الإسبان[1]**

**صورة رقم 01: التّرجمة العربية للفرمان.**

DZ/AN/ZCA/...

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

الجزائر في :

مهمة دفترى رقم 24 صحيفة 91 ــ 92 حكم رقم 246

بتاريخ 981/12/14

اعطى الى اسكندر جاوش في 14 ذى الحجة

حكم الى اميــر امراء جزائر الغرب

لقد عقدنا النيــة على ارسال اسطولنا الهمايوني ــ بعناية الله تعالى الى تلك الاطراف في هذه السنة الخيرة ، ونظرا لاهمية اعداد وتواجد عساكر جزائر الغرب المنصورين في هذه المهمة ، فقد امرنا بتجهيز واعداد ستين فارسا من لواء تنس ، ومائة فارس من لواء معلمامة ( كذا ) ، وعشرين فارسا من منطقة سلسل ( كذا ) وثمانين فارسا من لواء مديــة ، ومائة فارس من رفقاء شرمى ( كــــذا ) الموجودين في نفس الجزائر ، ومائة فارس من اغوات المتفرقة ( متفرقة غالرى ) ومن قادة البلوك ( بلوك باشتيرى ) في الجزائر ، وعشرين فارسا من بوابى ( قيوجى ) الجزائر ، واربعين فارسا من جاوشيها ( جاوش ) ، وخمسة وثلاثين فارسا من منطقة عمرين ( كذا ) واربعمائة فارسا من قسنطينة ، وثمانين فارسا من بسكرة ، وستين فارسا من بلد عاس ( كذا ) ، والف من الانكشارية الاكفاء المسلحين ببنادقهم ، مع قواد بلوكاتهم ( بلوك باشيرى ) ، وكذلك يجب تواجد القائد محمد ــ دام مجده ــ امير الاى ( الاى بكيسر ) قسنطينة ، ومعه رفاقه الاكفاء التابعين له .

وبذلك يكون مجموع العساكر التي يجب حضورها الف وخمسة وتسعون فارسا والف انكشارى ، عدا عن امير الالاى المشار اليه ورفاقه ، فيجب اعداد هذه العساكر بكامل عدتها وعتادها منذ الآن ، ووضعها على اهبة الاستعداد بانتظار اسطولنا الهمايوني وامرنا :

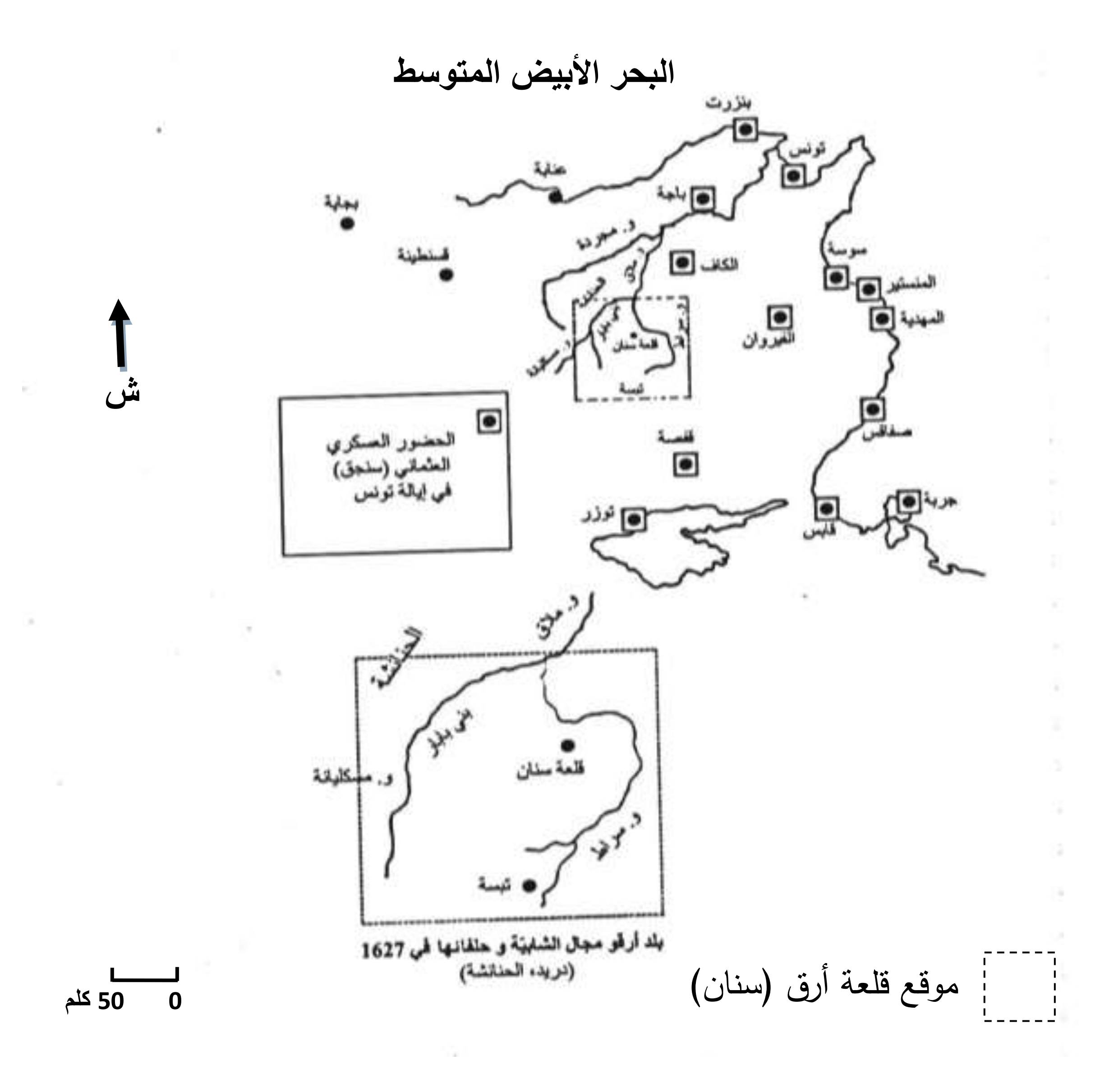
بعدم التوانى ــ منذ وصول هذا الحكم ــ والعمل على تهيئة الفرسان والمشاة وكافة العساكر الذين تم تعيينهم بموجب الفرمان ، كما يجب اعداد بنادقهم وسائر معداتهم ولتكن بانتظار اسطولنا الهمايوني ، عند وصوله ، وطلب القائد العام وزيرنا لك شخصيا ، ينبغي تحركك فورا مصطحبا تلك العساكر بشكل مرتب وبكامل العدة والعتاد ، لا يصالهم الى المشار اليه ، كي يقدموا خدماتهم على اكمل وجه .

تعريب: محمد داود التميمي

1- أ.و.ج، مهمة دفتري رقم 24، حكم رقم 216، بتاريخ: الرّابع عشر (14) ذي الحجة 981هـ. حدد الفرمان مناطق جمع العساكر في إيّالة الجزائر، وعدد الجنود من كل منطقة.

**<u>صورة رقم 02:</u> نسخة من الفرمان باللّغة العصمانلية.**

## <u>الملحق رقم 03</u>: خريطة تبين موقع قلعة أرق[1]




---

1- فاطمة بن سليمان، المرجع السّابق، ص 113 (بتصرف).

## الملحق رقم 04: رسم الحدادة بين الإيالتين مؤرخ في 1037هـ/1628م[1]

**صورة الوثيقة:**

24



**محتوى نص الوثيقة:**

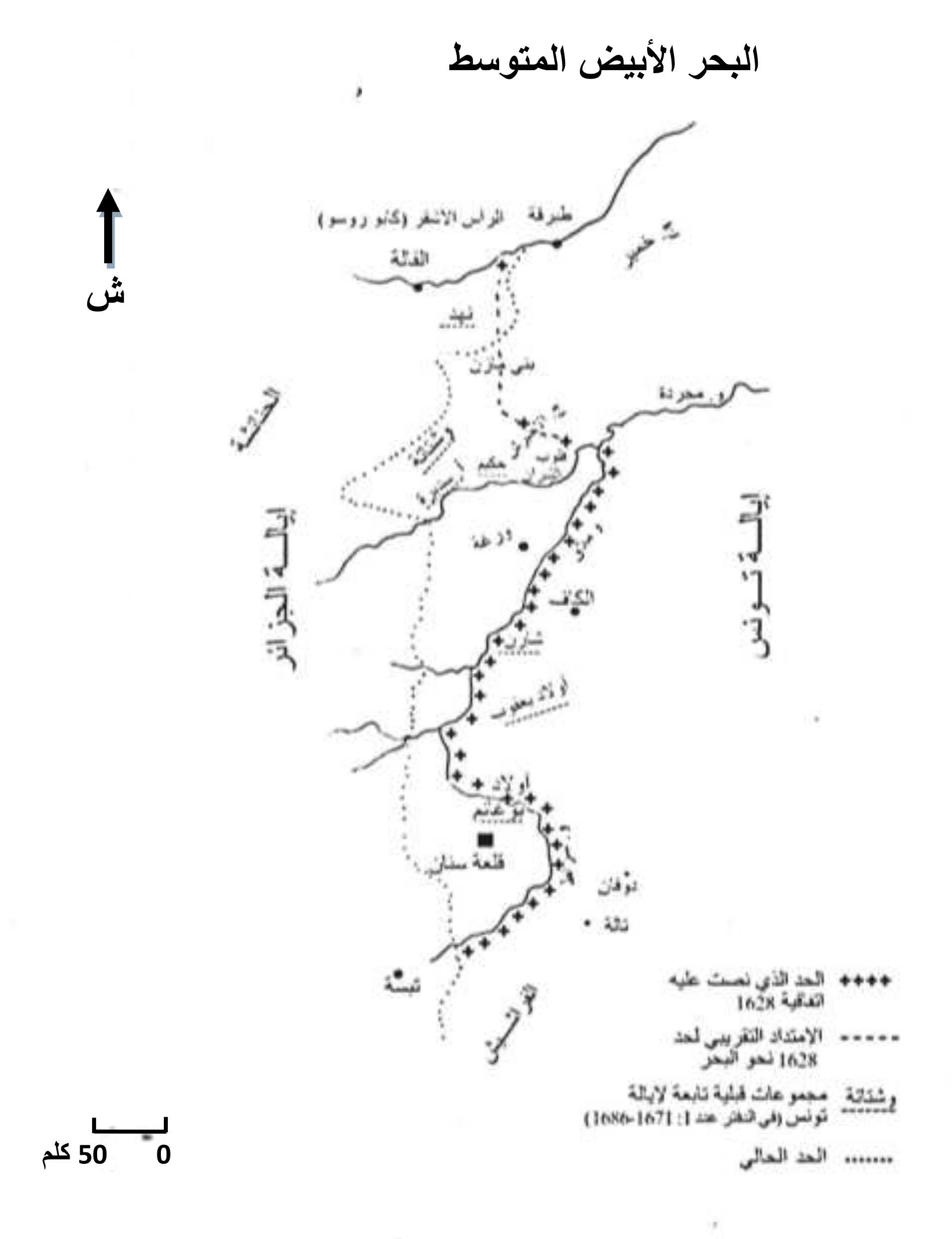
الحمد لله   ما سيذكر أسفله نقل من ذفتر عدد 3750 محفوظ مع دفاتر الوزارة الخارجية

اتفاق بين ولاة الجزائر وولاة المملكة التونسية مؤرخ برابع ذي القعدة الحرام من عام 1037 في شأن حدود المملكتين مبني على رسم تحديد عند الجزائريين مؤرخ بأواسط صفر الخير سنة 1023 واتفقوا على أن الحد الفاصل بين الإيالتين وادي سراط كما بالرسم المشار إليه وأن قلعة أرق تخرج منها النوبة ويهدم ما فيها من البناء والعمران ولا يتعاطاها جيش تونس ولا عسكر الجزائر بعمارة  ولا بوجه من الوجوه وتبقى على حال الخراب وأن الحد من ناحية القبلة دادي ملاق والأحيرش وقلوب الثيران إلى ... جبل الحفا إلى البحر وكما اتفقوا على أن دخل من التونسيين إلى عمالة الجزائر وحل غرب وادي سراط يكون خراجه لقسنطينة ومن دخل من الجزائريين إلى العمالة التونسية واجتاز الوادي المذكور وكان شرقيه فخراجه لها ولا يطالبه أهل الجزائر بشيء.

---

1- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 212، ملف رقم 229، وث 24.

**<u>الملحق رقم 05</u>: خريطة تبين الحدود بين الإيالتين حسب اتفاقية 1628م**[1]




---

1- فاطمة بن سليمان، المرجع السّابق، ص 132.

**الملحق رقم 06: يبين امضاءات مختلفة لإبراهيم الشّريف باي تونس**

**صورة 01[1]:**

**صورة 02[2]:**

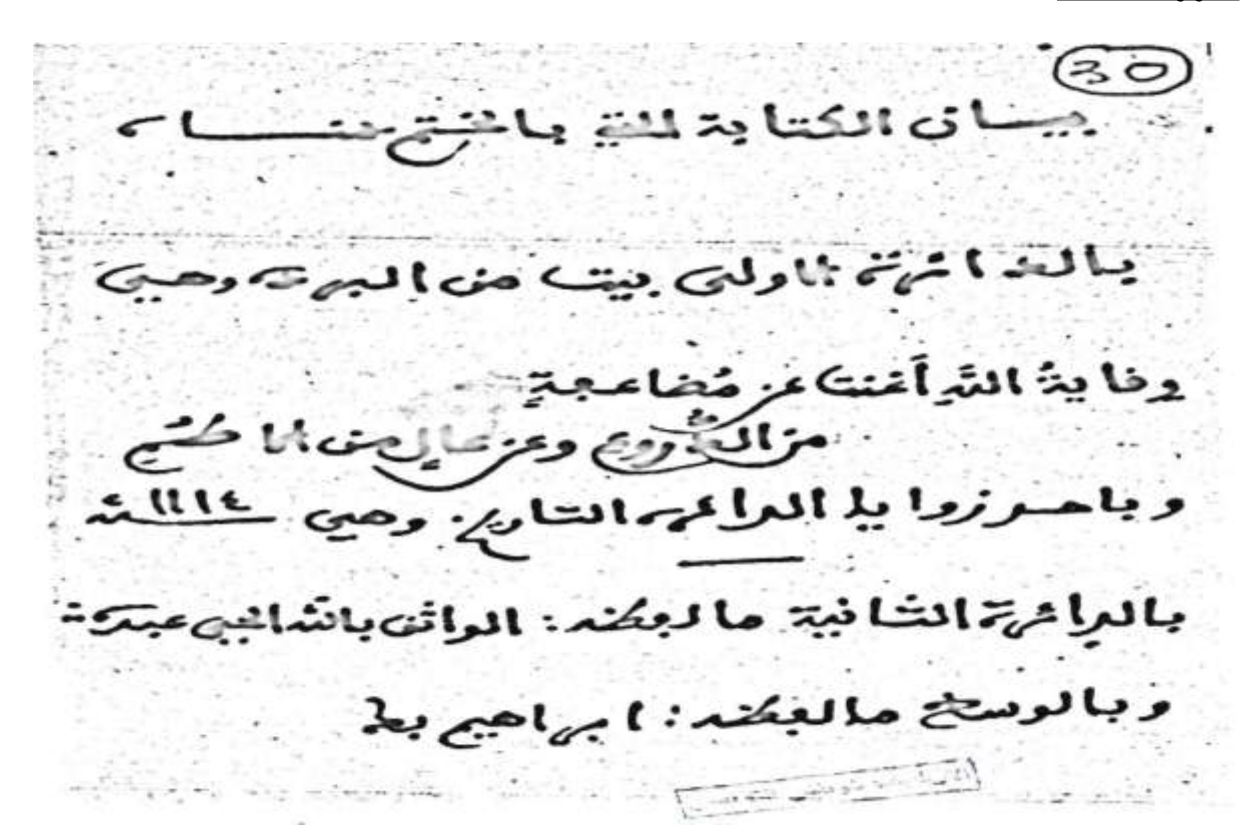
1- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 01، ملف رقم 02، وث 13.

2- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 01، ملف رقم 02، وث 16.

**صورة 03[1]:**


(November 1702)

**صورة 04[2]:**


بيان الكتابة التي باختم ...

بالدائرة الاولى بيت من البردة وهي

وغاية الشر أعنتا عن مضاعفة

من الخروج وعن عمال ...

وباهر زوايا الدائرة التاريخ وهي سنة 1114

بالدائرة الثانية ما لفظه: الواثق بالله الغني عبده

وبالوسط ما لفظه: ابراهيم بك

1- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 01، ملف رقم 02، وث 29.

2- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 01، ملف رقم 02، وث 30.

**<u>الملحق رقم 07</u>: خريطة طريق الحملات العسكرية المتبادلة بين إيالتي الجزائر وتونس وأهم المدن التي يمر بها**[1]

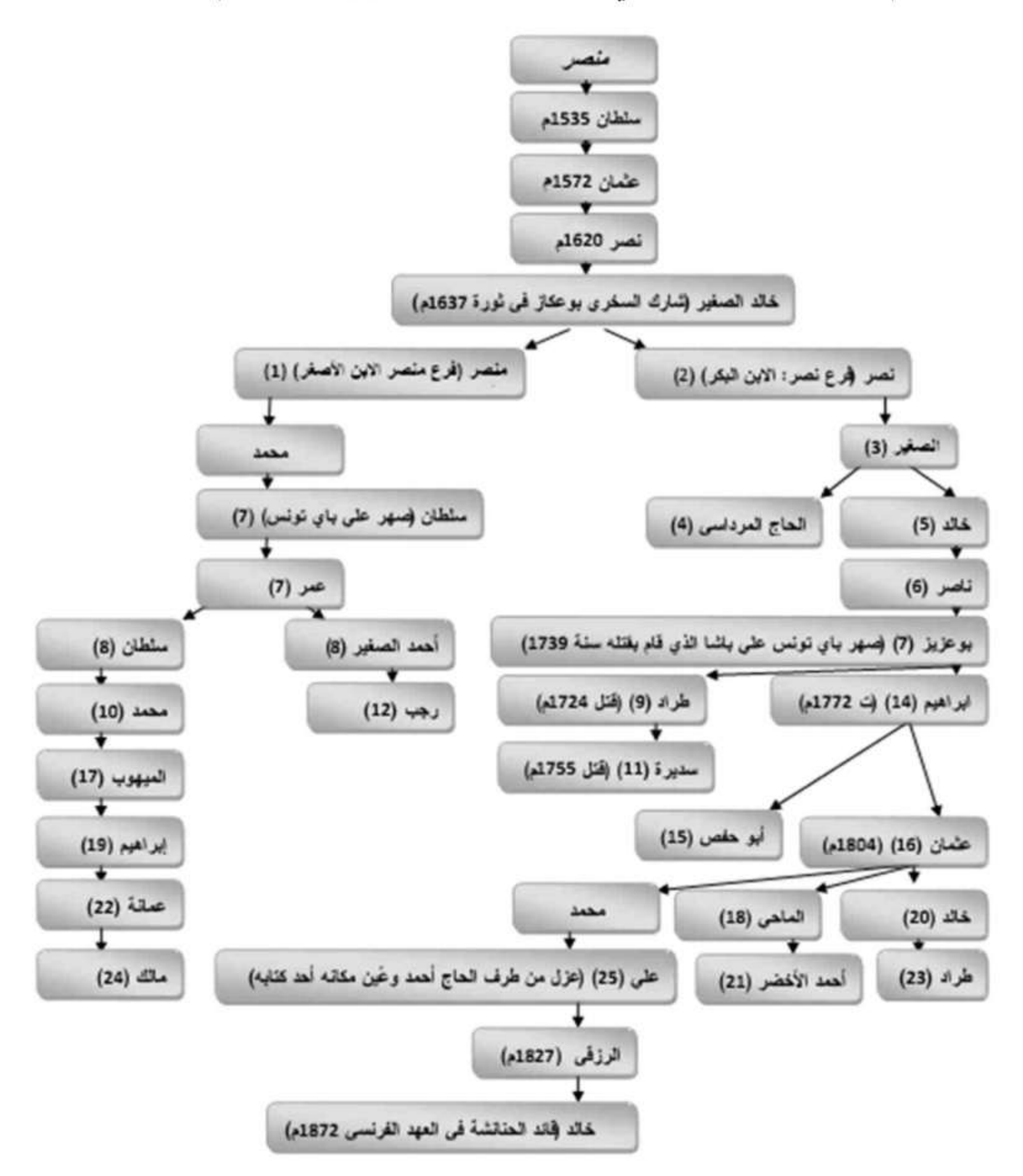



---

1- أحمد السعداوي، المرجع السّابق، ص 2؛ عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام...**، المرجع السّابق، ص 300، (بتصرّف).

## الملحق رقم 08: شجرة نسب أسرة أحرار الحنانشة[1]

عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)_عبد إله_ حنش_ عامر_نصر _جابر_محمد_بعرة_عامر_ابراهيم_جابر_سعد_محمد_أبوبكر_علي_عثمان_ نصر(1510م) "بداية العهد العثماني" خالد الكبير "بوزرودة 1530م"

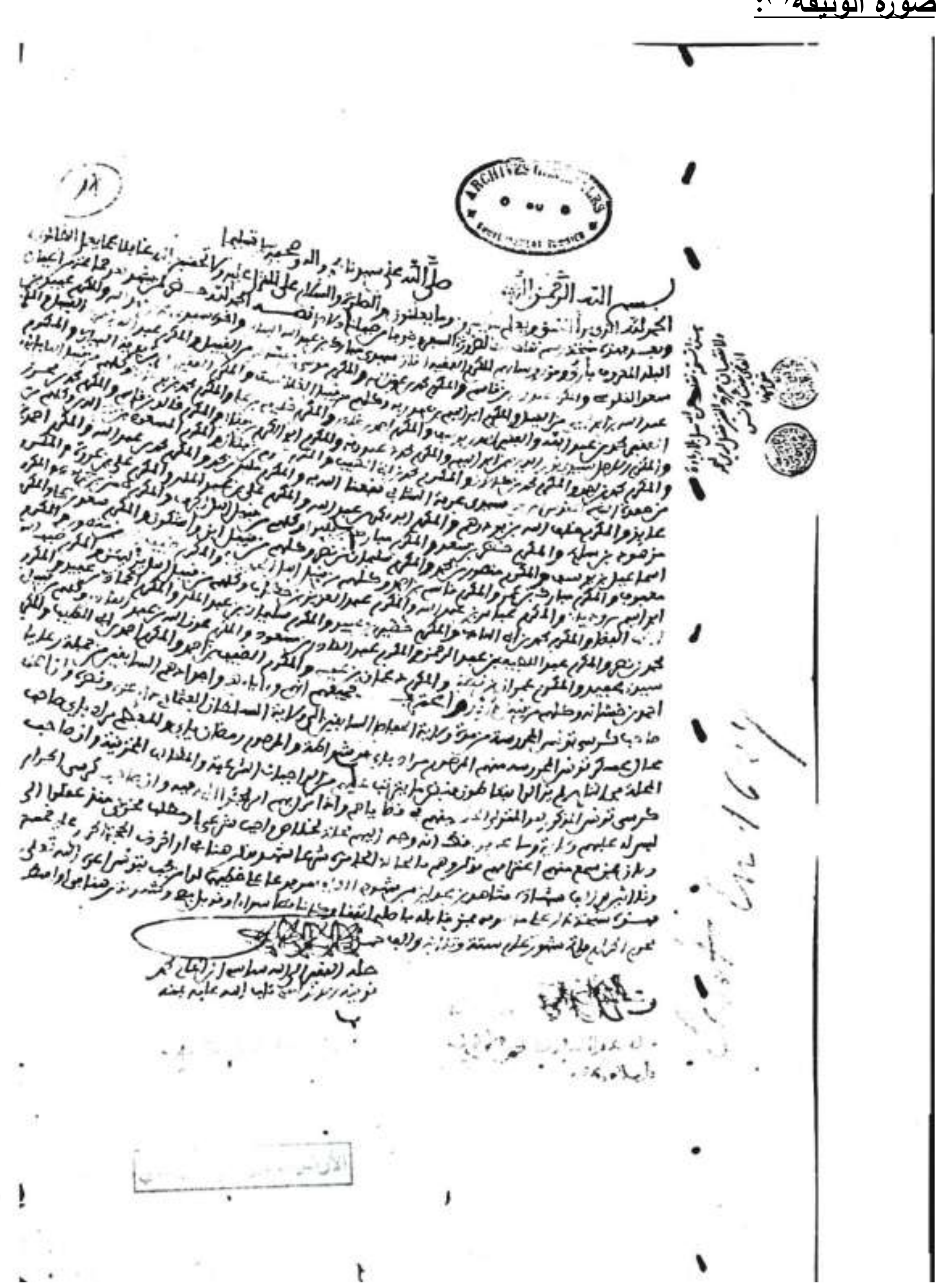



---

1- جميلة معاشي، **الأسر**...، المرجع السّابق، ص 51.

**<u>الملحق رقم 09:</u> وثيقة من أعيان قلعة أرق يعترفون فيها بتبعيتهم لبايات تونس**

**<u>صورة الوثيقة[1]:</u>**


بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

1- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 212، ملف رقم 229، وث 17.

**محتوى الوثيقة:**

بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا محمد آله وصحبه سلم تسليما الحمد لله الذي يرا الخلق ويعلم ما يسرون وما يعلنون والصلاة والسلام على المنزل عليه ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وبعد فهذه نسخة رسم نقلت هنا لضرورة السفر وخوفا من ضياع الأصل نصه الحمد لله حضر لمن يشهد بعد جماعة من أعيان البلد المعروف بأرق ومن رؤسائهم المكرم الفقيه القاريء سيدي مبارك بن عبد الله البباري واخوه سيدي محمد بن عبد الله والمكرم عبيد بن سعد الغلوسي والمكرم عبد الله بن قاسم والمكرم محمد بن عون الله والمكرم موسى بن عساس من القبيل والمكرم عبد الله بن عمر من القبيل والمكرم عبد الله بن إبراهيم بن عبد ربه وكلهم من قبيل الغلالسة والمرم الفقير نصر بن برية البباري والمكرم الفقير محمد بن عبد الله والفقير أحمد بن يوسف والمكرم أحمد بن ضاوي والمكرم خليفة بن علي والمكرم محمد بن بوعزيز وكلهم من قبيل أهل بابار والمكرم الاجل سيدي نور الدين بن ابراهيم والمكرم محمد بن عبد ربه والمكرم أبوالكرم بن فضال والمكرم خالد بن قاسم والمكرم محمد بن محرز والمكرم محمد محمد بن أحمد والمكرم محمد بن كانون والمكرم محمد بن ابي الطيب والمكرم كرم بن فضال والمكرم المسعي بن نصر الدين وكلهم من حفدة الشيخ المقدس سيدي عرفة الشابي نفعنا الله به والمكرم مليز بن محمد والمكرم محمد بن عبد الله والمكرم احمد بن عابد والمكرم خلف الله بن بودرهم والمكرم أبوبكر بن عبد الله والمكرم علي بن عبد الله والمكرم علي بن عروة مزهود بن سالم والمكرم خضر بن سعد والكرم مبارك بن فلفول وكلهم من قبيل أهل الجرف والكرم حسن بن جربوع والمكرم إسماعيل بن يوسف والمكرم منصور بن محمد والمكرم سليمان بن نصر وكلهم من قبيل ابن واشكون والمكرم سعد بن علي والمكرم محبوب والمكرم مبارك بن عمر والمكرم قاسم بن أحمد وكلهم من قبيل أهل الحنديرة والمكرم ضيف الله بن منصور والمكرم إبراهيم بن وديان والمكرم عباس بن عبد الله والمكرم عبد العزيز بن حطاب وكلهم من قبيل أهل يزليتن والمكرم ضيف الله بريك الفضل والمكرم محمد بن ابي البادي والمكرم خضير بن عبيد والمكرم سليمان بن عبد الله والمكرم الحماد بن عبيد والمكرم محمد بن نصر والمكرم عبد اللطيف بن عبد الرحمان والمكرم عبد القادر بن مسعود والمكرم عون الله بن عبد القادر وكلهم من قبيل سيدي عبيد والمكرم عمران بن نصير والمكرم دغمان بن عيسى الضيف بن احمد والمكرم

احمد بن ابي الطيب والمكرم احمد بن خشانة وكلهم من قبيل دريد واعترف جميعهم انهم واباءهم واجدادهم السابقين من جملة رعايا صاحب كرسي تونس المحروسة من مدة ولاية الحفاصة السابقين الى ولاية السلطان العثماني دام عزه ونصره وان أصحاب محال عسكر تونس المحروسة منهم المرحوم مراد باي بوشواطة والمرحوم رمضان باي والمعظم مراد باي صاحب محال عسكر تونس في التاريخ لم يزالوا يتعاطون قبض ما يترتب عليهم من الواجبات الشرعية والمطالب المخزنية وان صاحب كرسي تونس المذكور هو المتولي الحكم بينهم في قضاياهم واذا نزل بهم امر لجئوا اليه فيه وان صاحب كرسي الجزائر ليس له عليهم ولاية ولا عرفوا قط انه وجه اليهم محلة لخلاص واجب شرعي أو مطلب مخزني منذ عقلوا الى الآن فمن سمع منهم اعترافهم بذلك وهم بالحالة الجائزة شرعا شهد بذلك هنا في أواخر ذي الحجة الحرام عام خمسة وثلاثين والف شهادة شاهدين عدلين من شهود الكاف مرفوعا على خطيهما لدى من يجب بتونس ايده الله تعالى فهذه نسخة ذلك على ما هوبه فمن قابله بأصله اتفقا وكانا نضا سواء وقوبل فصح وشهد هنا في أواسط محرم الحرام فاتح شهور عام ستة وثلاثين والف.

**<u>الملحق رقم 10</u>: رسالة من داي الجزائر علي بوصبع إلى محمّد بن حسين باي تونس سنة 1171م بشأن سداد مصاريف حملة 1756م**

**<u>صورة الوثيقة[1]:</u>**





1- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 212، ملف رقم 229، وث 01.

**محتوى الوثيقة:**

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمّد وآله وصحبه وسلم

حضرة المعظم الأرفع والصدر الهمام الأنفع الأسعد الأرضى والمرعي الأحظى إبننا الأعز علينا والأغلى الأعلى المكرم لدينا السيد محمد باي ولاية تونس وما والها دام علاه وكان له فيما أولاه وزاده اسعادا واقبالا وامدادا آمين السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه الأعم ... ولازلين بحمد الله تعالى شانه وتقدس عزه وسلطانه إلا الخير والعافية ونعم الله المتوالية التي أطلب من الله الكريم رب العرش العظيم دوامها وبقاءها علينا وعليكم آمين وبعد ابننا الأسعد فإنه ورد علينا كتابكم الأثير وخطابكم الخطير وقرانا وعرفنا مضمنه ومعناه وحمدنا الله تعالى على ما استفدت منه من صحتكم وسلامتكم ودوام عافيتكم التي هي نهاية قصدنا ومرادنا ثم أنه وصل إلى حضرتي ...[1] جميع الثلاثة والثلاثين بندقي فدوة النصراني الجنوي وكذلك ثلاثة وسبعين سلطاني ونصف قيمة حوايج اليلداش ... زمامهم كما في علمكم وكذاك عشرون فردة متاع الرحى وجميع ما وجهته لنا وصل على الوفاء والتمام شكر الله سعيكم وأمدكم بعونه وسدد رايكم آمين وأما امر البابا‌ص الكبير تبقى تبعثه لنا يأتي لحضرتنا لأنه كذاب يهزابنا والقونصو الفرنصيص تبقى تعطيه العصا لأنه يهزابنا ويتمسخر علينا وهذا عار عليكم ونحن وجاق واحد وأنت ابننا ومنا وإلينا فلا ترضى مثل هذا لنا إذ لا يحمل بكم وأيضا مالك نسيت لازق (كذا) متاع المحلة متاعكم وتركت الباي ابننا السيد أحمد يكلمنا في ذلك وهذا لا يخفاكم إذ جملة مصروف محلتكم التي كان نحو اثني عشر ألف دينار سلطانية وهو في علمكم ولا يخفاكم تبقى أنت تتفكر الباي مرة بمرة أبعث له من هذه الحسبة ولا تنساه ولا تحوجه إلى الكلام على ذلك مرة أخرى هذا الذي وجب اعلامكم به وعليه يكون عملكم من كل بد ولا بد وسلم لنا على ابننا الأعز علينا السيد علي باي أخيكم كثير السلام وما أنت إلا ابننا ومحبنا الأعز علينا كان الله في عوننا وعونكم. آمين والسلام وكتب عن اذن المعظم الأرفع الدولاتي السيد علي باشا وفقه الله بمنه تعالى أواسط رجب سنة 1171هـ.

---

1- تمثل الثلاث نقاط متتالية (...) كلمة غير واضحة أو غير مفهومة في أصل الوثيقة.

**<u>الملحق رقم 11:</u> رسالة من أحمد باي قسنطينة إلى علي بن حسين باي تونس سنة 1182هـ بشأن تمام مصاريف حملة 1756م**

**<u>صورة الوثيقة[1]:</u>**

1- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 212، ملف رقم 229، وث 04.

**محتوى الوثيقة:**

الحمد لله هذه تذكرتنا بيد المعظم الأرفع أخينا السيد علي باي على أنه واصلنا على كرات صحبة خدامنا بمايتي ألف ريال وستة وأربعين ألف ريال وسبعماية ريال وثمانين ريال خرج قسنطينة وذلك جميع مصروف المحلة المنصورة لما توجهت لتونس سنة الدوشمان من ثمن البشماط والدهان والزيت والجلب والابل والحص (كذا) الطبانجة والهرقلة والفراسات والمكاحل ولم يبق لنا قبله من ثمن البشماط وما عطف عليه شيء وامنا وجوه من ذلك ابراه تاما جدا كتب هذا بقسنطينة والسلام من الفقير لربه السيد أحمد باي وفقه الله بمنه وكرمه أمين لاواسط ذي الحجة الحرام عام 1182.

**ملخص الوثيقة:** (الفقرة على الجهة اليمنى)

تذكرة من أحمد باي لسيدي علي باي في أنه وصله مايتي ألف ريال وستة وأربعين ألف ريال وسبعماية ريال وثمانين ريال خرج قسنطينة وذلك مصروف المحلة لما توجهت إلى تونس من ثمن البشماط وغيره وابراه براءة تامة إلخ.

## الملحق رقم 12: عدد الغنائم البحرية وقيمتها المالية 1611-1671م[1]

| السّنة | الغنائم من سفن وسلع | القيمة الماليّة |
|---|---|---|
| 1611-1613م | أخذت سفينتين كبيرتين | 700 ألف قرش |
| 1620م[2] | أخذت سفينتين إسبانيتين<br>19 أفريل أخذت سفينة فرنسية محملة بـ 121برميل<br>15 أوت أخذ قارب محمل 66برميل من النبيذ<br>22 سبتمبر أخذت سفينة محملة بالملح مع عدد من الأسرى<br>في شهر أكتوبر تم أخذ 4 سفن تحتوي كل منها على بضائع تختلف عن الأخرى فواحدة بها النبيذ وأخرى بها فيها عدة أنواع من التوابل كالفلفل والقرفة وغيرها وواحدة بها السكر وهناك ما احتوت على الخمور والكحول<br>في شهر نوفمبر تم أخذ سفينتين وقاربين محملة بسلع متنوعة | 45000 ايكي<br>450000 ايكي<br>15000ايكي<br>2000 ايكي<br>قدرت القيمة المالية لها ب 385000 ايكي<br>قدرت ب 420300 ايكي |
| 1622-1623م | أخذت خمسة بوارج وسفن عظمى<br>وكذلك على سفن إنجليزية وفرنسية وإسبانية وألمانية وإيطالية | ب 1700000 قرش |
| 1624-1625م | هجوم البحارة الجزائريين مع التونسيين عل ميناء بيراستو بالبندقية | 100000 ايكي |
| 1626م | أخذ البحارة الجزائريون والتونسيون على 18 سفينة كبرى من البندقية محملة بسلع ذات قيم عالية | ب 160000 قرش |
| 1628 -1630م | تم أخذ على 20 سفينة فرنسية | بقيمة 380000 ايكي |
| 1633-1634م | تم الاستيلاء على 80 سفينة فرنسية | 4752000 ليرة تيرنو |
| 1638م | أخذت عدة سفن مرسيلية | 56000 قرش |
| 1639م | أخذ البحارة الجزائريين سفينة إسبانية وصندلا يحتوي على 60 سبيكة من الفضة | / |
| 1640م | أخذ الجزائريون بارجتين وسفينة من إسبانيا<br>كما اخذ الجزائريون سفينتين انجليزيتين محملة بالسلع واحدة تحتوي على سبائك الفضة وريالات إسبانية وكمية من القرمز | /<br>32000 ايكي<br>– مليون ليرة ترنو |
| 1642-1644م | أخذ البحارة الجزائريون 5 سفن انجليزية | / |
| 1651 -1653م | أخذ سفينتين فرنسية أحدهما للرجال الدين | / |
| 1654م | اخذ الجزائريون بارجتين وسفينة محملة بسلع ثمينة قادمة من الهند | 80000 قرش |
| 1655-1656م | دخلت إلى الجزائر 17 سفينة منها 6 سفن هولندية<br>4 سفن اسبانية | /<br>100000 ايكي |
| 1657-1658م | 88سفينتين من مالطا ومركبين صيد من جنوة | |
| 1660-1661م | 62 سفينة انجليزية -35 سفينة هولندية<br>1. بارجة فرنسية | /<br>8.3 ملايين ليرة ترنوا |
| 1662-1663م | 33 سفينة من دول أوروبية مختلفة إسبانيا، الندوقية، فرنا، نابولي، مالطة... | / |
| 1664م | 20 بارجة و 23 سفينة من انجلترا واسبانيا وهولندا | / |
| 1665م | عدة صنادل وسفينة من البندقية<br>سفينة اسبانية | 2 مليون ليرة ترنوا |
| 1666م | سفينتين و 4 صنادل وبارجتين | سلع أحد السفن 40000 ايكي |
| 1667-1669م | 7 سفن من اسبانيا ونابولي وهولندا | / |
| 1670م | 5 سفن انجليزية وبارجة هولندية | / |
| 1671-1672م | 8 سفن الدانمارك، والبندقية، جنوة، إسبانيا، هولندا، احدى السفن الهولندية كانت تحمل 1500 برميل من الكحول المقطر ومن خمر بوردو[1] | / |

1- هيبة كنيوة، المرجع السّابق، ص-ص 87-88.

**<u>الملحق رقم 13:</u> نماذج من احسانات بايات تونس إلى فئات مختلفة من الجزائريين**

**<u>صورة 01:</u> احسانات لبايلك قسنطينة 1169-1170هـ/1756-1757م[1]**



الخارج لقسنطينة وعملها

1- أ.و.ت، الدّفتر رقم 2144، ص 176.

**صورة 02: احسانات لحنانشة إبراهيم سنة 1170هـ/1757م**[1]



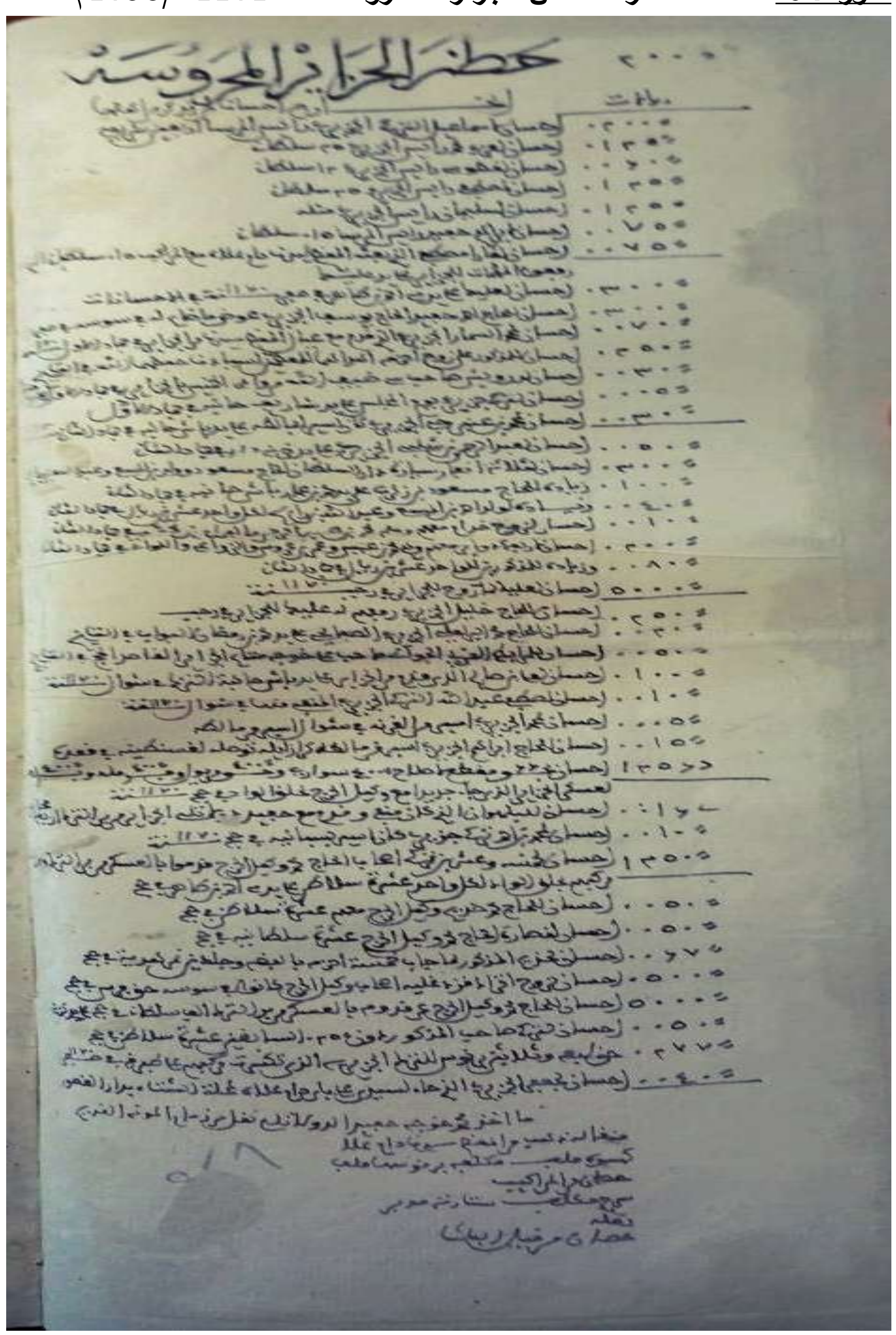
1- أ.و.ت، الدّفتر رقم 2144، ص 210.



**صورة 03: احسانات لحنانشة محمّد بن سلطان سنة 1173هـ/1760م**[1]

1- أ.و.ت، الدّفتر رقم 2144، ص 221.

**<u>صورة 04:</u> احسانات لدار السلطان الجزائر المحروسة سنة 1171هـ/1758م**[1]



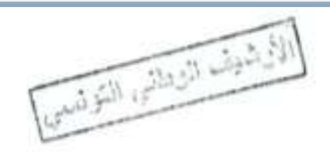
1- أ.و.ت، الدّفتر رقم 2144، ص 251.

**<u>الملحق رقم 14:</u> مراسلة من قنصل فرنسا بتونس إلى الوزير الأكبر شاكير تبين الهدف الحقيقي لفرنسا من احتلال الجزائر**

**<u>صورة الوثيقة</u>[1]:**

**<u>محتوى الوثيقة:</u>**

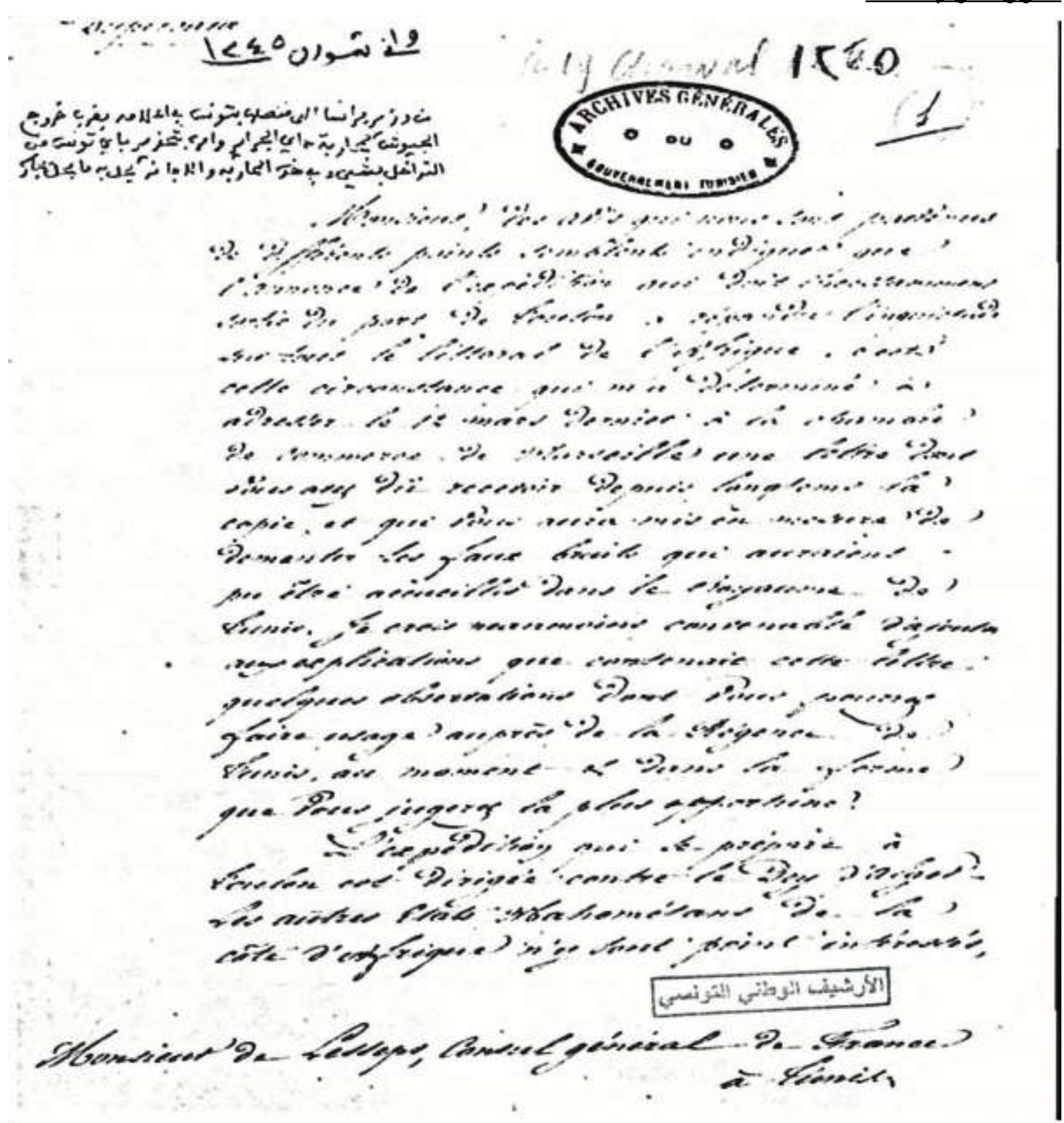
الحمد لله            إعلام من مسيو ماتيو دولسبس قنصل جنرال فرانسا بتونس إلى السيد شاكير الوزير الأكبر بها مضمونه أن انتصار الجيوش الفرنساوية لم يكن المراد منه الانتقام من داي الجزائر فقط بل محو الأسباب التي حملت الممالك البربرية على التعدي على سكان حافة البحر المتوسط واراحة أوروبا من تلك المصيبة التي دامت قرون وذلك بابطال تاسير النصارى والقرصان وابطال الجزية التي تؤديها ممالك النصارى للممالك الافريقية وتسريح النصارى الذين لم يزالوا على حالة الرق وترجيع منحة صيد المرجان إلخ




1- أ.و.ت، س.ت، صندوق 223، ملف 384، وث 02.

**<u>الملحق رقم 15:</u> مراسلة من وزير فرنسا إلى قنصلها بتونس يخبره بقرب خروج الجيش الفرنسي من أجل احتلال الجزائر**

**<u>صورة الوثيقة[1]:</u>**



19 شوال 1245

le 19 Chawal 1245

من وزير فرانسا الى قنصله بتونس بالاعلام بقرب خروج الجيوش لمحاربة داي الجزاير وامره بتحذير باي تونس من التداخل بشيء في هذه المحاربة والا فانه يحل به ما حل بجاره



Monsieur, [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] le littoral de l'Afrique. C'est
cette circonstance qui m'a déterminé à
adresser le 12 mars dernier à la chambre
de commerce de Marseille une lettre dont
vous avez dû recevoir depuis longtemps la
copie, et qui avait pour [illegible] de
demander les [illegible] qui auraient
pu être accueillis dans la Régence de
Tunis. Je crois néanmoins convenable d'ajouter
aux explications que contenait cette lettre
quelques observations dont vous pourrez
faire usage auprès de la Régence de
Tunis, au moment et dans la forme
que vous jugerez la plus opportune.
L'expédition qui se prépare à
Toulon est dirigée contre le Dey d'Alger;
les autres États Mahométans de la
côte d'Afrique n'y sont point intéressés,



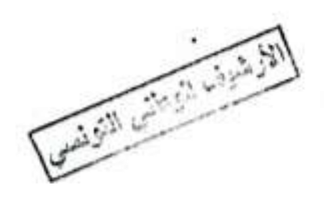
Monsieur de Lesseps, Consul général de France
à Tunis

**<u>ملخص الرسالة</u>: (أعلى يسار الوثيقة):** من وزير فرنسا إلى قنصلها بتونس في اعلامه بقرب خروج الجيوش لمحاربة داي الجزائر وأمره بتحذير باي تونس من التدخل بشيء في هذه المحاربة وإلا فإنه يحل به ما حل بجاره.

1- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 223، ملف رقم 384 مكرر، وث 01.

**<u>الملحق رقم 16:</u> مراسلة من حسين باي تونس إلى الجنرال كلوزيل بالجزائر، تُبين عبارات التعظيم من باي تونس للجنرال كلوزيل وللدّولة الفرنسية**

**<u>صورة الوثيقة[1]:</u>**



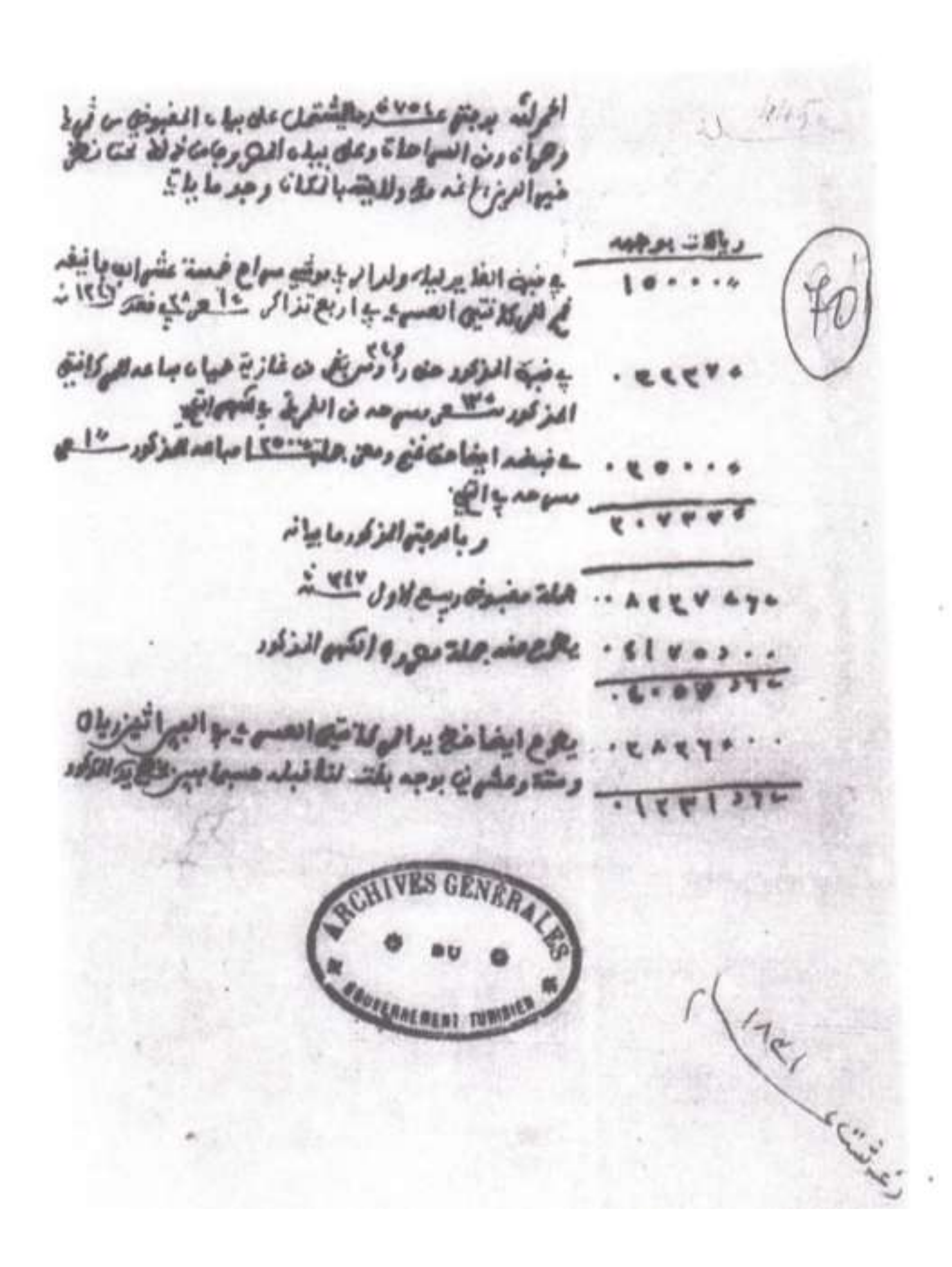

1- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 01، ملف رقم 11 مكرر 03، وث 29.

**نص الرّسالة الأولى من الوثيقة:**

الحمد لله وحده وإليه يرجع الأمر كله من عبد الله سبحانه الراجي عفوه وغفرانه المتوكل عنه المفوض جميع الأمور إليه حسين باشا باي أمير افريقية وفقه الله لما يرضاه وأعانه على ما أولاه إلى كبير العساكر الفرنساوية وأحد عظماء الحملة المسيحية كبير المقام وركن الوزراء العظام معاهدنا الكونتي كلوزيل الجنرال الكبير بالجزائر أما بعد فإنه وصلنا كتابكم المؤرخ بالعاشر من نوفمبر صحبة أولادنا الأجلاء محمد ومصطفى وحسونة الذين وجهناهم إليكم لتقرير المودة لديكم فأخبرونا أنكم بالغتم في اكرامهم وترفيع مقامهم وعزهم واحترامهم وشكروا فعلكم غاية لأنكم وصلتم في اجلالهم إلى النهاية ونحن نعلم أن ذلك اجلال فينا واحسان منكم إلينا وهذا ما تقتضيه المودة الراسخة بيننا وبين الدولة الفرنساوية والمحبة التي لم تزل بيننا مرعية خصوصا وقد حصلت المجاورة بيننا بالأوطان و... إن شاء الله مزيد في المحبة الراسخة بيننا من سالف الزمان وهذا هو المعروف من طبيعتكم والمعهود من دولتكم والله يعيننا على مكافاتكم ويجعل محبتنا ليس لها حد دايمة إلى الأبد ولا زايد بعد حمد الله إلا الخير والعافية وكتب أوائل جمادى الثانية سنة 1246 ستة وأربعين ومايتين وألف.

**<u>الملحق رقم 17:</u> وثائق تحوي مداخيل ومصاريف الدّولة التّونسية من عمالة وهران بعد الاتفاقية التي عقدتها مع الحكومة الفرنسية بشأن حمايتها على قسنطينة ووهران**

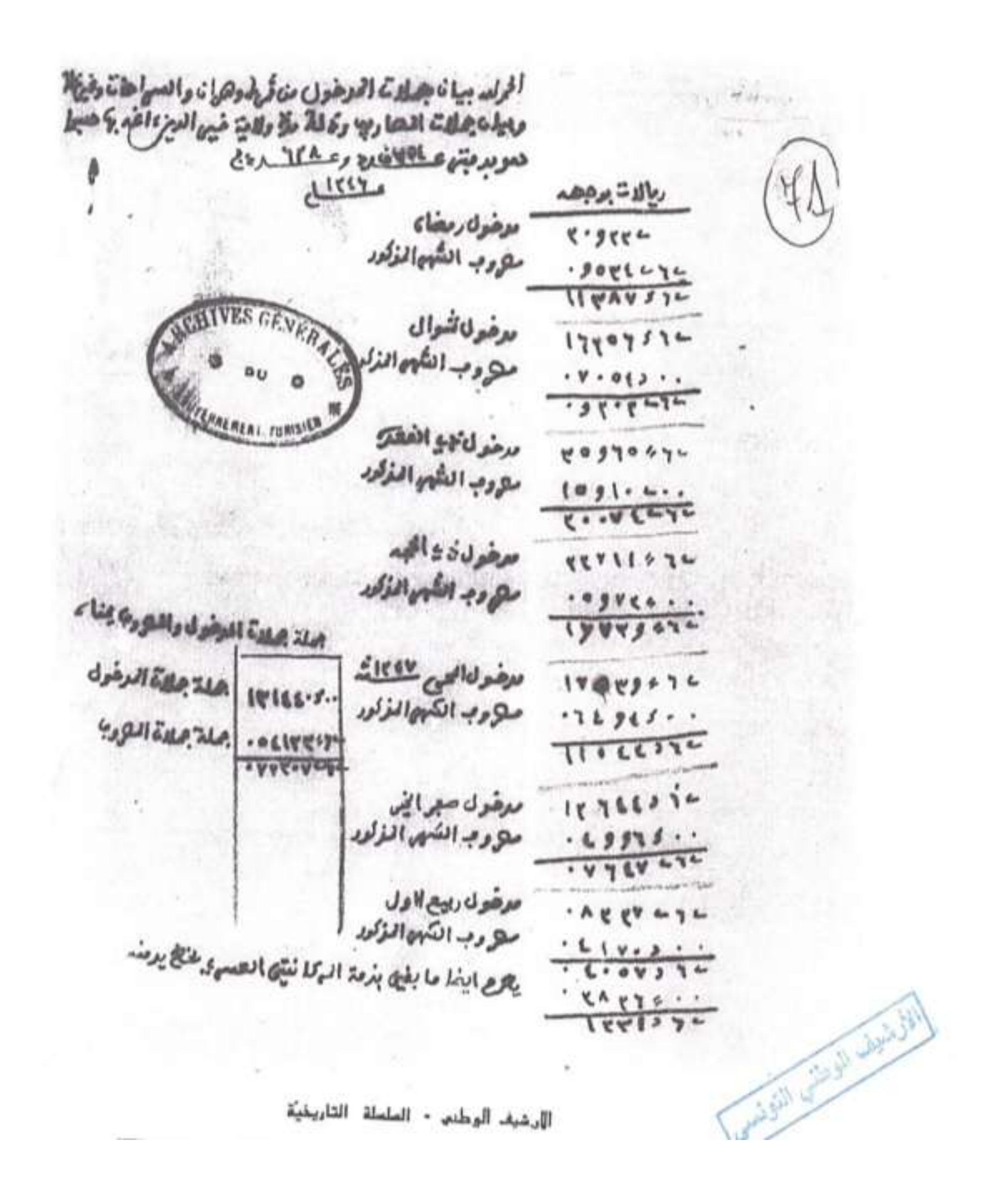
**<u>صورة الوثيقة 01</u>[1]:**





1- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 01، ملف رقم 11 مكرر 03، وث 70.

**<u>صورة الوثيقة 02</u>[1]: مدخول ومصروف الأشهر من رمضان 1246هـ إلى شهر ربيع الأول 1247هـ**



الحمد لله بيان جملة المدخول من قمرق وهران والسراحات وغيرها وبيان جملة المصاريف بوكالة ولاية خير الدين آغة

ريالات بوجهه

مدخول رمضان

مصروف الشهر المذكور

مدخول شوال

مصروف الشهر المذكور

مدخول ذي القعدة

مصروف الشهر المذكور

مدخول ذي الحجة

مصروف الشهر المذكور

جملة جملة الدخول والمصروف

جملة جملة الدخول

جملة جملة المصروف

مدخول المحرم 1247

مصروف الشهر المذكور

مدخول صفر

مصروف الشهر المذكور

مدخول ربيع الأول

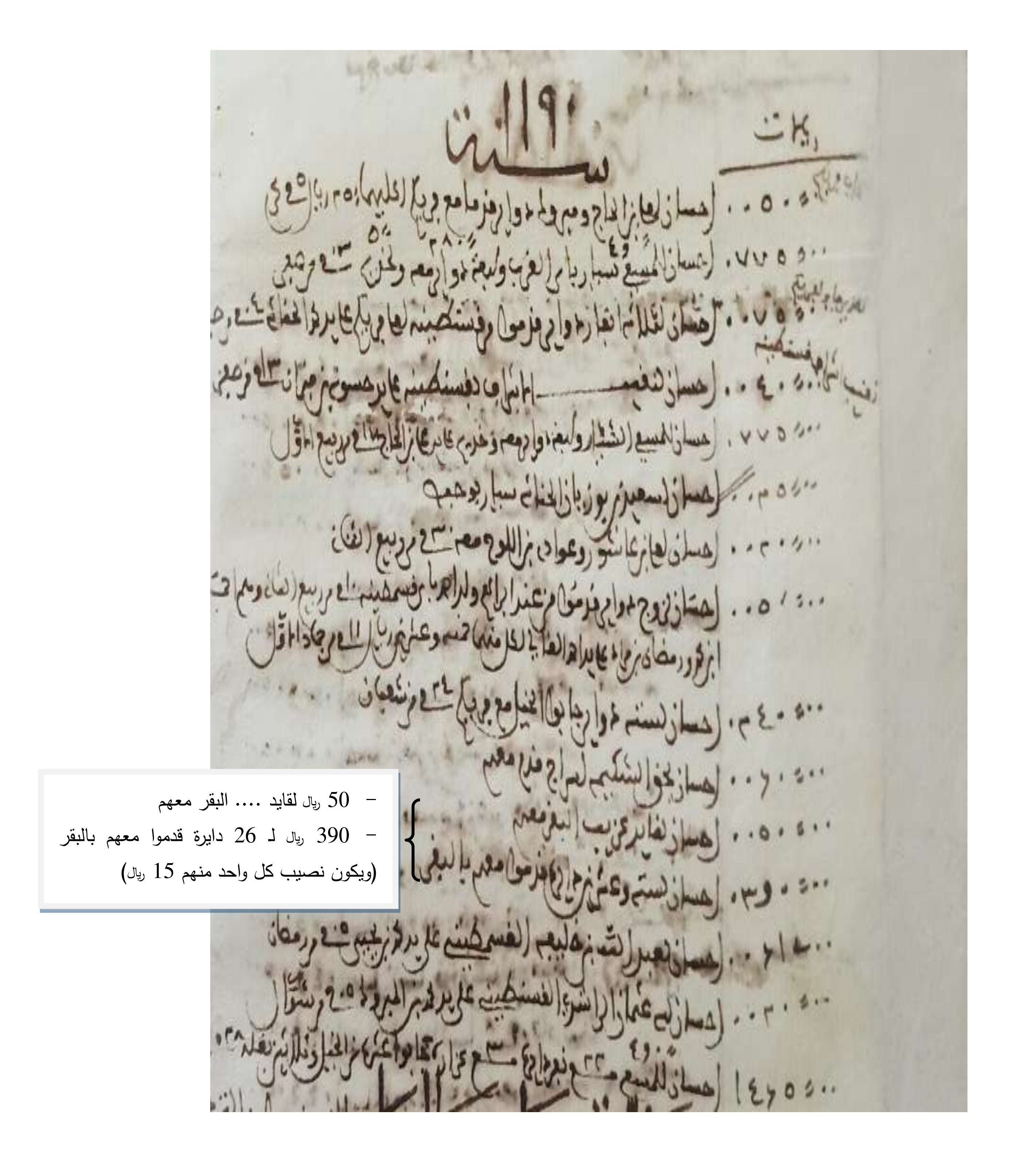
مصروف الشهر المذكور

الأرشيف الوطني - السلسلة التاريخية

---

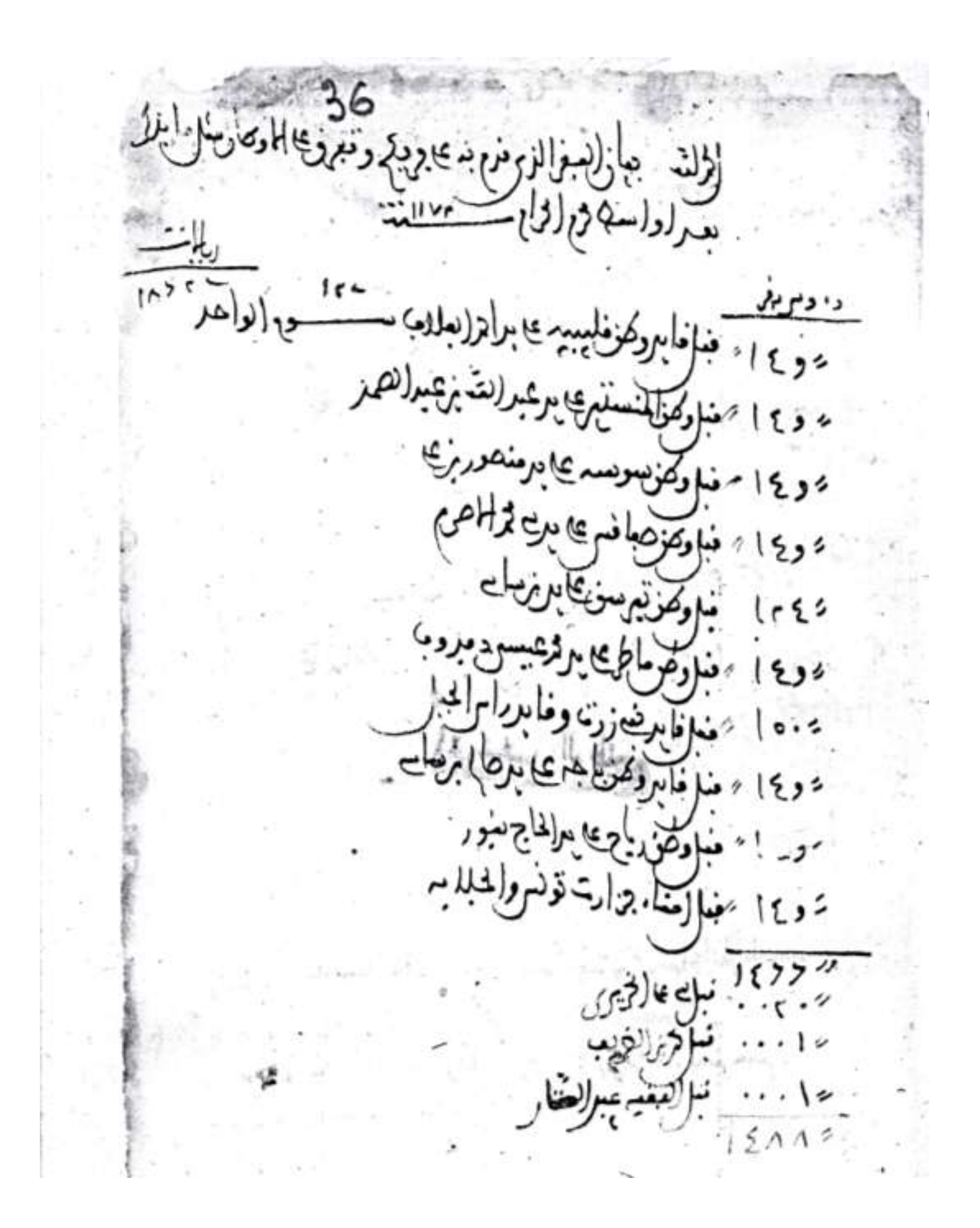
1- أ.و.ت، س.ت، صندوق رقم 01، ملف رقم 11 مكرر 03، وث 71.

**<u>الملحق رقم 18:</u> نموذج من احسان باي تونس إلى القايد الذي أتى بالبقر من الجزائر ليباع في تونس ولمجموعة أنفار قدموا معه**[1]




1- أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 2144، ص 202.

**<u>الملحق رقم 19</u>: بيان البقر الذي قدم به علي فريكح وتفرق على الأوطان أواسط محرم 1172هـ/ سبتمبر 1758م[1]**



36

الحمد لله بيان البقر الذي قدم به علي فريكح وتفرق على الأوطان

بعد أواسط محرم الحرام سنة 1172

قبل قايد وطن ... على يد ... 140

قبل وطن ... على يد عبد الله بن عبد الصمد 140

قبل وطن ... على يد منصور ... 140

قبل وطن ... على يد ... محمد ... 140

قبل وطن ... على ... 140

قبل وطن ... على يد ... 140

قبل قايد ... وقايد راس الجبل 150

قبل قايد وطن باجة على يد ... 140

قبل وطن ... على يد الحاج ... 100

قبل ... تونس والجلابة 140

1466

... 20

... 1

قبل الفقيه عبد الغفار 1

1488

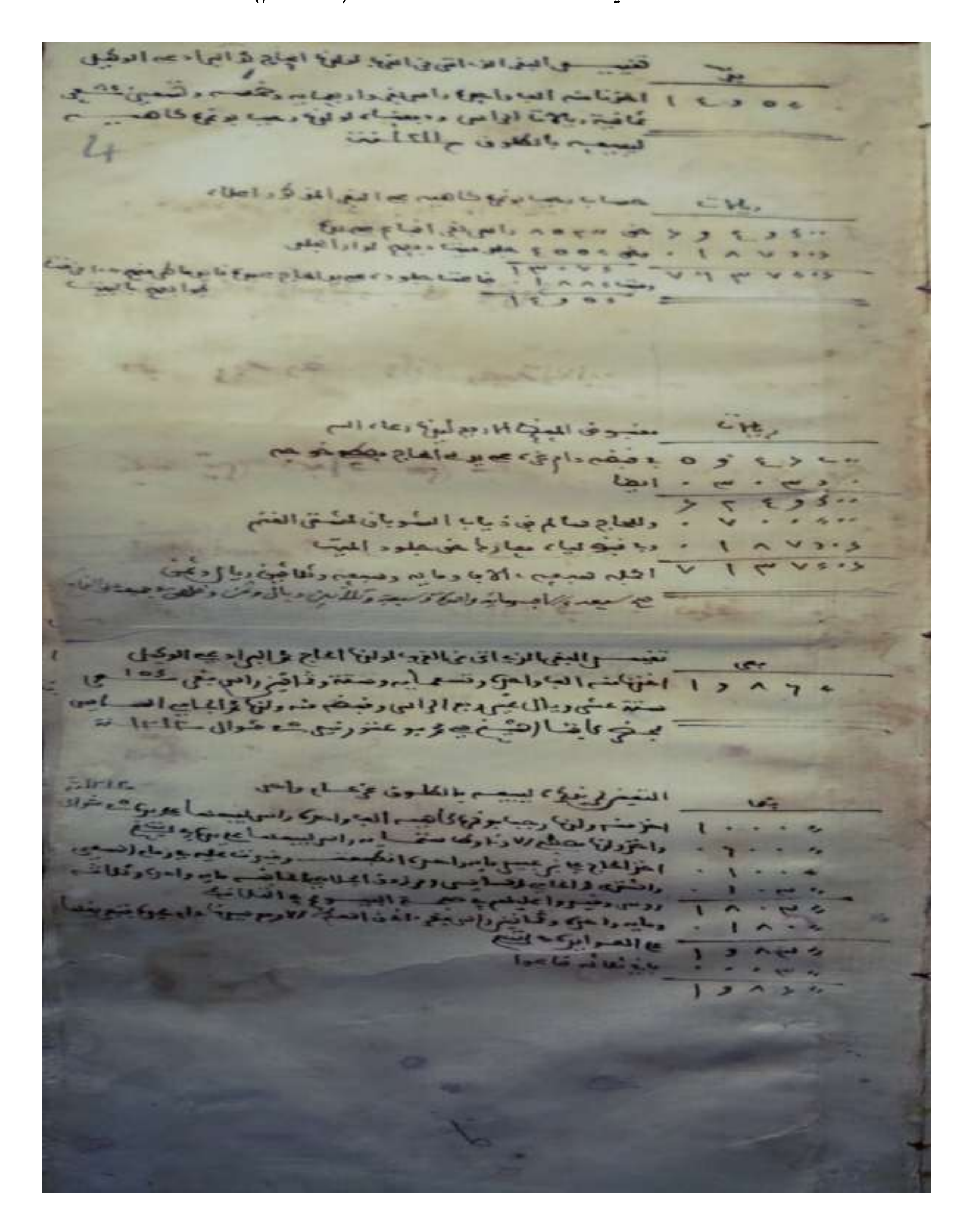
1- أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 100، ص 65.

**محتوى التقييد:**

**الحمد لله بيان البقر الذي قم به علي فريكح وتفرق على الأوطان مثل ما يذكر بعد أواسط محرم الحرام سنة 1172**

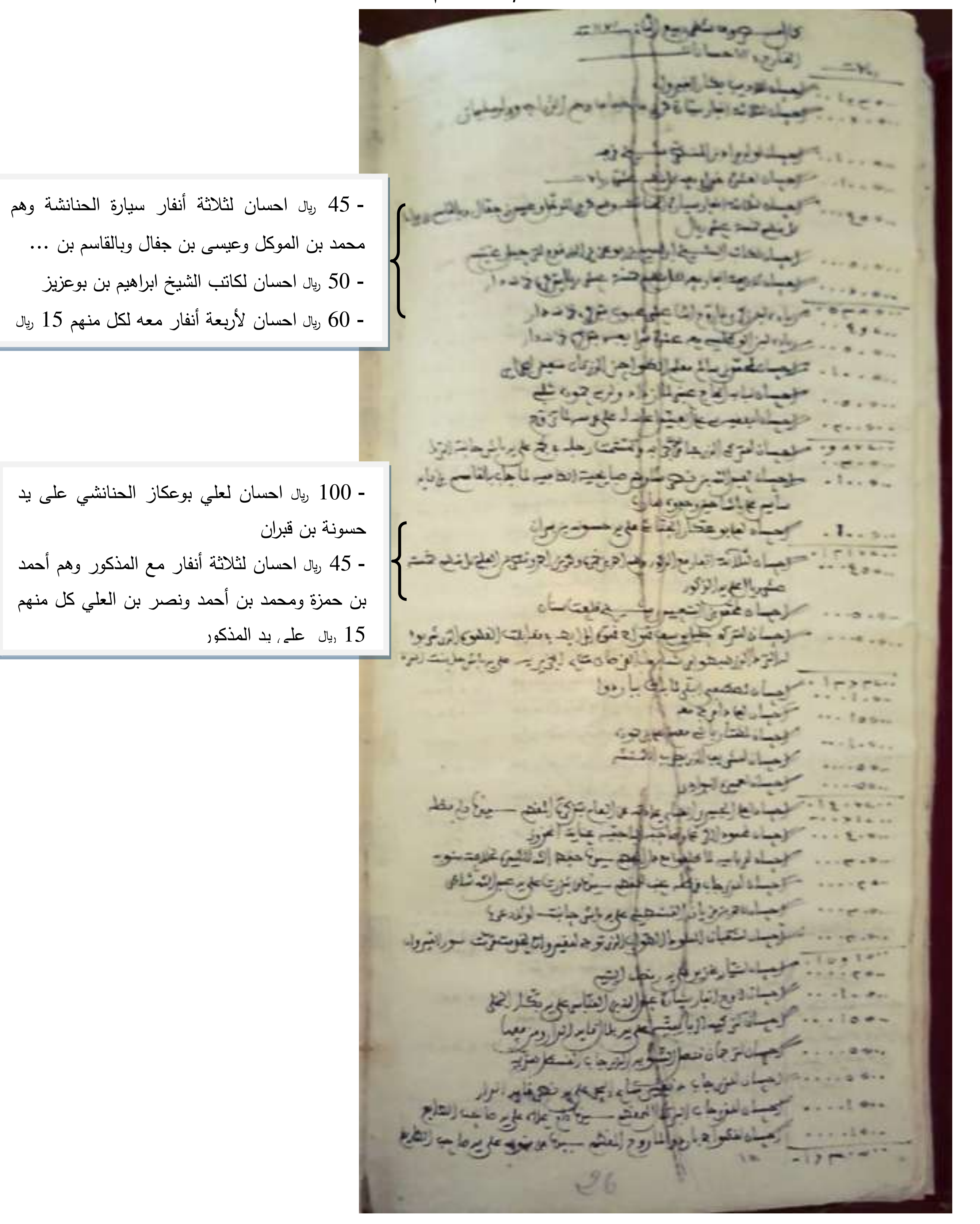
| رأس بقر | | الريـــالات |
|---|---|---|
| 149 | قبل قايد وطن قليبية على يد احمد الفلاف سوم الواحد 12.5 | 1862 |
| 149 | قبل وطن المنستير على يد عبد الله بن عبد الصمد | |
| 149 | قبل وطن سوسة على يد منصور بن علي | |
| 149 | قبل وطن صفاقس على يد سي محمد الأصرم | |
| 124 | قبل وطن تبرسق على يد بن ساسي | |
| 149 | قبل وطن ماطر على يد محمد عيسى دفدوف | |
| 150 | قبل قايد بني رزق ورأس الجبل | |
| 149 | قبل وطن باجة على يد صالح بن ساسي | |
| 149 | قبل وطن رياح على يد الحاج بنور | |
| 149 | قبل أمناء جزارات تونس والجلابة | |
| 1466 | | |
| 20 | قبل سي علي الجزيري | |
| 01 | قبل محمد بن الظريف | |
| 01 | قبل الفقيه عبد الستار | |
| 1488 | | |

**<u>الملحق رقم 20</u>: حساب رجب بونمره كاهية على البقر الذي أتى به محمّد البرادعي من الجزائر وقُيد في05 شوال سنة 1212هـ (1797م)**[1]



1- أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 291، ص 6.

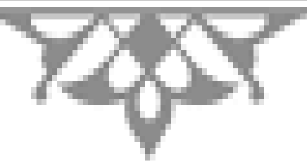
## الملحق رقم 21: احسان باي تونس لأنفار من الحنانشة قدموا إلى تونس 1171هـ/1758م[1]




1- أ.و.ت، الدّفتر الجبائي رقم 99، ص 26.



# ثبت المصادر والمراجع



**القرآن الكريم برواية ورش**

**أولاً- المصادر:**

**أ-الوثائق غير المنشورة:**

- **الأرشيف الوطني الجزائري: (وثائق دفتر مهم)**


- مهمة دفتري رقم 02، حكم رقم 538، بتاريخ: الثّامن (08) جمادى الثّانية 963هـ.
- مهمة دفتري رقم 02، حكم رقم 565، بتاريخ: التّاسع (09) جمادى الثّانية 963هـ.
- مهمة دفتري رقم 9، حكم رقم 231، بتاريخ: الرّابع والعشرين (24) شوال 977هـ.
- مهمة دفتري رقم 10، حكم رقم 6، بتاريخ: الثّاني (02) محرم 979هـ.
- مهمة دفتري رقم 12، حكم رقم 1004، بتاريخ: الثّالث والعشرين (23) شوال 979هـ.
- مهمة دفتري رقم 12، حكم رقم 1074، بتاريخ: الرّابع (04) ذي االقعدة 979هـ.
- مهمة دفتري رقم 12، حكم رقم 1088، بتاريخ: السّابع (07) ذي القعدة 979هـ.
- مهمة دفتري رقم 14، حكم رقم 62، بتاريخ: 979هـ.
- مهمة دفتري رقم 14، حكم رقم 283، بتاريخ: الثّالث (03) صفر 979هـ.
- مهمة دفتري رقم 14، حكم رقم 1597، بتاريخ: الثّامن عشر (18) محرم 979هـ.
- مهمة دفتري رقم 16، حكم رقم 40، بتاريخ: عشرين (20) جمادى الأولى 979هـ.
- مهمة دفتري رقم 16، حكم رقم 637، بتاريخ: الثّاني والعشرين (22) جمادى الأولى 979هـ.
- مهمة دفتري رقم 18، حكم رقم 287، بتاريخ: التّاسع عشر (19) شوال 979هـ.
- مهمة دفتري رقم 19، حكم رقم 264، بتاريخ: الرّابع (04) صفر 980هـ.
- مهمة دفتري رقم 21، حكم رقم 637، بتاريخ: السّادس عشر (16) ذي الحجة 980هـ.
- مهمة دفتري رقم 21، حكم رقم 779، بتاريخ: الحادي عشر (11) محرم 981هـ.
- مهمة دفتري رقم 23، حكم رقم 783، بتاريخ: الثّامن عشر (18) ذي الحجة 981هـ.
- مهمة دفتري رقم 24، حكم رقم 216، بتاريخ: الرّابع عشر (14) ذي الحجة 981هـ.

- مهمة دفتري رقم 24، حكم رقم 293، بتاريخ: عشرون (20) ذي الحجة 981هـ.

- مهمة دفتري رقم 25، حكم رقم 3106، بتاريخ: السّابع والعشرين (27) شعبان 982هـ.

- مهمة دفتري رقم 30، حكم رقم 431، بتاريخ: الخامس (05) ربيع الأوّل 985هـ.

- مهمة دفتري رقم 36، حكم رقم 621، بتاريخ: السّادس (06) ربيع الأوّل 987هـ.

- مهمة دفتري رقم 42، حكم رقم 85، بتاريخ: 925هـ.

- مهمة دفتري رقم 46، حكم رقم 178، بتاريخ: 989هـ.

- **الأرشيف الوطني التّونسي:**

**1- وثائق السّلسلة التّاريخيّة:**

- صندوق رقم 01، ملف رقم 02، وث 13، 16، 29.

- صندوق رقم 01، ملف رقم 11 مكرر 2، وث 06.

- صندوق رقم 01، ملف رقم 11 مكرر 03، وث 01، 29، 70، 71، 74، 75، 76.

- صندوق رقم 212، ملف رقم 229، وث 01، 04، 16 ،17، 24.

- صندوق رقم 220، ملف رقم 348، وث 01، 03.

- صندوق رقم 223، ملف رقم 384 مكرر، وث 01، 02، 17، 19.

**2- وثائق السّلسلة A :**

- أ.و.ت، السّلسلة A، صندوق رقم 278، ملف رقم 18، تقرير رقم 01، 02، 03، 04، 05، 06.

**3- الدّفاتر الاداريّة والجبائيّة:**

- الدّفتر الجبائي رقم 99.

- الدّفتر الجبائي رقم 100.

- الدّفتر الجبائي رقم 142.

- الدّفتر الجبائي رقم 206.

- الدّفتر الجبائي رقم 291.

- الدفتر الجبائي رقم 620.
- الدّفتر الجبائي رقم 2144.
- الدّفتر رقم 2847.

- **المكتبة الوطنية الجزائرية:**

**الرّصيد العثماني (قسم المخطوطات):**

- مجموعة رقم 1641، وث 44.
- مجموعة رقم 1642، وث 15، 18، 19، 26.
- مجموعة رقم 1903، وث 12، 38، 42، 54
- مجموعة رقم 3190، ملف رقم 01، وث 03، 04، 04 مكرر، 05، 09، 20، 25، 30، 53، 143.

**ب- الوثائق المنشورة:**

- **الوثائق المنشورة باللّغة العربيّة:**

1- بوداق مصطفى وآخرون، **الجزائر في الوثائق العثمانية**، (تر): زينب دراج وعبد الباسط مكي، سيستام أوسات، أنقرة، دار الوراق للدراسات والنشر، الجزائر، 2018م.

2- بيات فاضل، **البلاد العربية في الوثائق العثمانية: ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/ السّادس عشر الميلادي**، مج 08، (تق): خالد أرن، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، 2019م، د.ط.

3- بيات فاضل، **البلاد العربية في الوثائق العثمانية: ولاية تونس في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**، مج 10، (تق): خالد أرن، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، 2022م، د.ط.

- **الوثائق المنشورة باللّغات الأجنبيّة:**

1- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey de Tunis et des consuls de France avec la Cour 1577-1830**, T01 (1577-1700), Félix Alcan Editeur, Paris, 1894,.

2- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey de Tunis et des consuls de France avec la Cour 1577-1830**, T02 (1700-1770), Félix Alcan Editeur, Paris, 1894.

3- Eugène Plantet, **Correspondance des Bey de Tunis et des consuls de France avec la Cour 1577-1830**, T03 (1770-1830), Félix Alcan Editeur, Paris, 1894.

4- Eugène Plantet, **Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France 1579-1833**, T01(1579-1700), Félix Alcan Editeur, Paris, 1889.

5- Eugène Plantet, **Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France 1579-1833**, T02 (1700-1833), Félix Alcan Editeur, Paris, 1889.

6- H-D de Grammont, **Correspondance des consuls d'Alger (1690-1742)**, Adolphe Jourdan libraire- Editeur, Alger, libraire Ernest Leroux, Paris, 1890.

## ج-المخطوطات:

1- الصغير بن يوسف، **المشرع الملكي في سلطنة أولاد بن علي تركي (مخ)**، المكتبة الوطنية التونسية، رقم 10868.

**2-** أسعد أفندي، **خلاصة أحوال تونس غرب (مخ)**، متاح على الانترنت عبر موقع أرشيف عبر الرّابط: https://archive.org/details/MS.TURC.97

## د-المصادر المطبوعة:

- **المصادر المطبوعة العربيّة والمعرّبة:**

1- الأندلسي محمّد بن محمّد ، **الحلل السّندسيّة في الأخبار التّونسيّة**، مج 02، (تق) و(تح): محمّد الحبيب الهيله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ط 01.

2- بربروس خير الدّين، **مذكرات خير الدين بربروس**، (تر): محمّد دراج، شركة الأصالة للنّشر والتوزيع، الجزائر، 1431هـ/ 2010م، ط 01.

3- بن أبي الضياف أحمد، **اتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، مج 01، ج 02، (تح): لجنة من وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، الدار العربية للكتاب، تونس، 2016م، د.ط.

4- بن أبي الضياف أحمد، **اتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، مج 02، ج 03، (تح): لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999م، دط.

5- بن أبي الضياف أحمد، **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، مج 04، ج 07، (تح): لجنة من وزارة الشّؤون الثقافيّة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999م، د.ط.

6- بن أبي الضياف أحمد، **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، مج 04، ج 07، (تح): لجنة من وزارة الشّؤون الثقافيّة، وزارة الثقافة، تونس، 1999م.

7- بن الخوجة محمَّد، **صفحات من تاريخ تونس**، (تق) و(تح): حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ط 01.

8- بن العطار أحمد بن المبارك، **تاريخ بلد قسنطينة**، (تح) و(تعل) و(تق): عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنّشر والتوزيع، قسنطينة، 2011م، د.ط.

9- بن خلدون عبد الرحمان، **تاريخ ابن خلدون المُسمّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر**، ج 07، (تح): خليل شحادة، (مر): سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م، د.ط.

10- بن خلدون عبد الرّحمان، **تاريخ ابن خلدون المسمّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)**، ج 06، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، (مر): سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ/2000م، د.ط.

11- بن عبد العزيز حمّودة بن محمّد، **الكتاب الباشي**، ج 01، (تح): محمّد ماضور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970م، د.ط.

12- بن يوسف الصغير، **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي**، مج 01، (تق) و(تح): أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، 1998م، ط01.

13- بن يوسف الصغير، **المشْرع الملكِي في سلطنة أولاد عَلي ترْكي**، مج 02، (تق) و(تح): أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، 2009م، د.ط.

14- بن يوسف الصّغير، **المشْرع الملكِي في سلطنة أولاد عَلي ترْكي**، مج 03، (تق) و(تح): أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، 2008م، د.ط.

15- بن يوسف الصغير، **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي**، مج 04، (تق) و(تح): أحمد الطويلي، المكتبة العصرية، تونس، 2009م، د.ط.

16- بيسونال جون إندريه، **الرحلة إلى تونس (1724)**، (تر) و(تح): محمد العربي السنوسي، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003م، د.ط.

17- الثامري إحسان ذنون وآخرون، **أحكام متعلقة بالولايات العربية من دفتري المهمة العثمانيين رقم 3 ورقم 4 (967-968هـ/ 1568-1569م)**، دار الجنان للنشر والتوزيع، الأردن، 2017م، ط 01.

18- الجزائري عبد الرزاق بن حمادوش، **رحلة بن حمادوش الجزائري المسماة: لسان المقال في النّبأ عن النسب والحسب والحال**، (تق) و(تح) و(تعل): أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، د.ط.

19- الجزائري محمّد بن ميمُون، **التحفة المرضيّة في الدَّولةِ البَكدَاشيّة في بِلادِ الجزائر المَحْمِيَّة**، (تق) و(تح): محمّد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ط 02.

20- الخامس محمَّد بيرم، **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**، مج 02، (تح): علي بن الطاهر الشنوفي ورياض المرزوقي وعبد الحفيظ منصور، بيت الحكمة، تونس، 1999م، ط 02.

21- خوجة حسين، **ذيل كتاب بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان**، مكتبة الثّقافة الدينية، د.ب.ن، د.ت، د.ط.

22- خوجة حمدان بن عثمان، **المرآة**، **(تق)** و**(تح)** و**(تعر)**: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2006م، د.ط، ص 125.

23- دونان هنري ، **الإيالة التونسية سنة 1858**، (تر) و(تع): محمد فريد الشريف، المطبعة العصرية، تونس، 2012م، د.ط.

24- الراشدي أحمد بن سحنون، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، (تح) و(تق): المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ط 01.

**25**-روسي ايتوري، **طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا**، (تر وتق): خليفه محمَّد التّليسي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، 1985م، ط 02.

26- الزركشي أبي عبد الله محمّد بن إبراهيم، **تاريخ الدولتين الموحّديّة والحفصيّة**، (تح) و(تعل): محمّد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ط 02.

27- الزهّار أحمد الشريف ، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، **(تح)**: أحمد توفيق المدني، موفم للنشر، الجزائر، 2011م.

28- شاوش ابن المفتي حسين بن رجب ، **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، جمعها واعتنى بها: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2009م، ط 01.

29- الطرابلسي أبي عبد الله محمَّد بن خليل بن غلبون، **التّذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار**، عني بتصحيحه والتعليق عليه: الطاهر أحمد الزاوي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م، ط 01.

30- العدواني محمّد بن محمّد بن عمر، **تاريخ العدواني**، (تق) و(تح) و(تعل): أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ط 01.

31- الفاسي الحسن بن محمّد الوزان، **وصف إفريقيا**، ج 02، (تر): محمّد حجي ومحمّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ط 02.

32- فاقليبيري لورا فيشيا، **أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر من قبل القوات الفرنسية لشارل العاشر أو الحروب الصليبية المجهولة**، (تق): ايمانويل باتاي، (تر): حميد عبد القادر، عالم الأفكار، د.ب.ن، د.ت.

33- الفكون عبد الكريم ، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، (تح) و(تق) و(تعل): أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1987م، ط 01.

34- القيرواني محمد بن أبي القاسم الرعيني المعروف بابن أبي دينار، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، دار المسيرة، بيروت، 1993م، ط 03.

35- كاثكارت جيمس ليندر، **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، (تر): العربي إسماعيل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، د.ط.

36- كربخال مارمول، **افريقيا**، ج 02، (تر): محمّد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1989م.

37- المزاري الأغا بن عودة، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، (تح) و(درا): يحي بوعزيز، ج 01، درا الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ط 01.

38- المسعودي الباجي، **الخلاصة النّقيّة في أمراء إفريقية**، (تق) و(تح) و(تعل): محمد زينهم محمد عزب، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2012م، ط 01.

39- مقديش محمود، **نزهة الأنظار في عجائب التّواريخ والأخبار**، مج 02، (تح): علي الزاوي ومحمَّد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

40- مؤلف مجهول، **سيرة المجاهد خير الدين بربروس في الجزائر**، (تح) و(تق) و(تعل): عبد الله حمادي، دار القصبة للنّشر، الجزائر، 2009م.

41- مؤلف مجهول، **كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر (تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب)**، (ضبطه وعلّق عليه): الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1423هـ/ 2002م، ط 01.

42- مؤلف مجهول، **يوميات رحلة فاسكو داجاما وتقرير رحلة دوز سانتوس**، (تر) و(درا): عبد الرحمان عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995م، د.ط.

43- الناصر محمد بن أحمد أبي راس، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، ج 02، (تق) و(تح): محمد غالم، منشورات CRASC، د.ب.ن، د.ت، د.ط.

44- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولة المرينية)**، ج 04، (تح وتعل): جعفر الناصري ومحمَّد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م، د.ط.

45- هابنسترايت ج.أو، **رحلة العالم الألماني ج.أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)**، (تر) و(تق) و(تع): ناصر الدّين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.ت، د.ط.

46- الورثيلاني الحسين بن محمد، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، (تص): محمد ابن أبي شنب، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1326هـ/1908م.

▪ **المصادر المطبوعة باللغات الأجنبية:**

1- Béranger Nicolas, **La Régence de Tunis à la fin du XVII$^{e}$ siècle,** Introduction et notes de Paul Sebag, L'Harmattan, 1993.

2- Dan Pierre, **Histoire de Barbarie et ses Corsaires**, Pierre Rocolet Imp et Libr, Paris, 1637.

3- Flaux Armand de, **la régence de Tunis au dix-neuvième siècle**, Challamel Aine libraire-éditeur, Paris, Bastide, libraire, Place de gouvernement, Alger, 1865.

4- Haedo Fray Diègo de, **Histoire des Rois d'Alger**, Trad et Ann: H-D de Grammont, Adolphe JOURDAN Libraire-Editeur, Alger, 1881.

5- Paradis Venture de, **Alger au XVIII ème siècle**, Adolphe Jourdin Imprimeur- Libraire- Editeur, Alger, (1898).

6- Peyssonnel et Desfontaines, **Voyages dans les régences de Tunis et d'Alger**, T 01, Libraire de Cide, Paris, 1838.

7- Salamé Abraham, **Narrative of the expedition to Algiers in the year 1816 under the command of the right hon admiral Lord Viscount Exmouth**, Publishde by John Murray, London, 1819.

8- Tassy Laugier de, **Histoire du Royaume d'Alger: Avec l'Etat présent de songouvernement, de ses Forces de Terre et de Mer, de ses Revenus, Police, Justice, Politique et Commerce**, Amsterdam, 1725.

9- Tassy Laugier de, **Histoire du Royaume d'Alger: Un diplomate Française à Alger en 1724**, Préf: Noël Laveau et André Nouschi, Edition Loysel, Paris, 1992.

10- Voulx Albert de, **Tachrifat recueil de notes historiques sur L'administration de l'ancienne régence d'Alger**, Imprimerie du gouvernement, Alger, 1852.

## ثانياً-المراجع:

### أ-المراجع العربية والمعربة:

1- إبراهيم عيسى علي، **الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000م، د.ط.

2- الأرقش دلندة وآخرون، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي-ميدياكوم، تونس، 2003م، د.ط.

3- الانكشاري الهادي بن يونس بن محمّد، **الدولة الحسينية من 1705 إلى 1855**، المطبعة الرسمية، تونس، د.ت، د.ط.

4- أوزتونا يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية**، (تر): عدنان محمود سلمان، (مر) و(تن): محمود الأنصاري، مج 01، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1408ه/1988م، ط 01.

5- اينالجيك خليل، **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار**، (تر): محمَّد.م.الأرناؤوط، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2002م، ط 01.

6- الباروني عمر محمد، **الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، مطبعة ماجي، طرابلس، 1952م، د.ط.

7- براون جفري، **تاريخ أوروبا الحديث**، (تر): علي المرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع، عَمَّان، 2006م، ط 01.

8- بروديل فرنان، **المتوسّط والعالم المتوسّطي**، (تع وايج): مروان أبي سمرا، دار المنتخب العربي، بيروت، 1993م، ط 01.

9- البشروش توفيق، **جمهورية الدايات في تونس 1591-1675**، د.د.ن، تونس، 1992م، د.ط.

10- بعلي حفناوي، **التواصل الثقافي المغاربي في الأصلاح والكفاح والوحدة والتحرير والتنوير**، دار الأيام، الأردن، 2020م، ط 01.

11- بك محمد فريد، **تاريخ الدّولة العليّة العثمانيّة**، مطبعة محمد أفندي مصطفى، مصر، 1314ه/1896م، ط 02.

12- بن أشنهو عبد الحميد، **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، د.ت، د.ط.

13- بن العربي الصّديق، **كتاب المغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1404ه/1984م، ط 03.

14-بن خروف عمار، **العلاقات السياسية بين حكام الجزائر وتونس في القرن 18م/12هـ**، دار الأمل، الجزائر، 2017م، د.ط.

15-بن زردة توفيق، **احسانات بايات تونس لبايات وأعيان وقبائل بايلك قسنطينة 1170-1192هـ/1756-1778م وثائق من الدفاتر الإدارية والجبائية بالأرشيف الوطني التونسي الدفتر رقم: 2144**، دار الأقصى، الجزائر، 2015م، ط 01.

16-بن سليمان فاطمة، **الأرض والهوية (نشوء الدولة الترابية في تونس 1574-1881)**، منشورات Edisciences، تونس، 2009م، د.ط.

17-بن عميرة محمّد وبن عميرة لطيفة بشاري، **تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين**، دار الفاروق للنشر والتوزيع، الجزائر، 1436هـ/2015م، ط 01.

18-بن مصطفى محمَّد صالح، **العثمانيون في تونس 1505-1957 (التاريخ-الآثار-السكان وسلوكاتهم)**، دار نقوش عربية، تونس، 2021م، ط 02.

19-بن منصور عبد الوهاب، **قبائل المغرب**، ج 01، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ/1968م، د.ط.

20-بوعزيز يحي، **الموجز في تاريخ الجزائر**، ج 02، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م، ط 02.

21-بوعزيز يحي، **علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830**، دار البصائر للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2009م، د.ط.

22-بوعلي لطفي، **التحديث العسكري: قراءة ميكرو- تاريخية في التجربة التونسية (1830-1881)**، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2019م، ط 01.

23-بيات فاضل، **الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً (مطلع العهد العثماني- أواسط القرن التاسع عشر)**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007م، ط 01.

24- التايب محمود، **السلوك السياسي للقبيلة بتونس في العهد الحديث- أولاد سعيد بين الولاء والمقاومة-عائلة بن الواعر نموذجا (1864-1881)**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 2009م، د.ط.

25- التر عزيز سامح، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشّماليّة**، (تر): محمود علي عامر، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت، 1989م، ط 01.

26- تشارلس لي هنري، **العرب والمسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة**، (تر): حسن سعيد الكرمي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 1409هـ/1988م، ط 01.

27- جدلة إبراهيم، **المجتمع الحضري بإفريقيّة في العهد الحفصي**، المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الانسانيات، قفصة، 2010م.

28- جلال السيد حسين، **فضل المسلمين في كشف الطريق البحري إلى الهند (1415-1498)**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2003م، ط 01.

29- الجمل شوقي عطا الله، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1977م، ط 01.

30- الجمل شوقي عطاالله وإبراهيم عبد الله عبد الرزاق، **تاريخ أوروبا من النهضة حتّى الحرب الباردة**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م، د.ط.

31- جوليان شارل أندري، **تاريخ افريقيا الشمالية: تونس- الجزائر-المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م**، ج 02، (تع): محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1983م، ط 02.

32- حاطوم نور الدّين ، **تاريخ عصر النّهضة الأوربيّة**، دار الفكر، دمشق، د.ت، د.ط.

33- الحبّاشي محمَّد على، **عروش تونس**، سوتيميديا للنّشر والتّوزيع، تونس، 2017م، ط 03.

34- حتاملة محمَّد عبده، **محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها**، مطابع دار الشعب، الأردن، 1397هـ/ 1977م، ط 01.

35- حليم إبراهيم بك، **التّحفة الحليميّة في تاريخ الدّولة العليّة**، مطبعة ديوان عموم الأوقاف، د.ب.ن، 1323هـ/1905م، ط 01.

36- حليمي عبد القادر، **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م**، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972م، ط 01.

37- حمّادي عبد الله، **المورسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس 1492-1616**، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، د.ط.

38- حماش خليفة، **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي**، ج 01، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية-جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1437هـ/2016م، ط 02.

39- حماش خليفة، **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية**، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 1432هـ/2012م، د.ط.

40- حماش خليفة، **وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني: مراسلات وكلاء الجزائر بالخارج**، ج 01، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1437هـ/2016م، ط 02.

41- خلاّصي علي، **الجيش الجزائري في العصر الحديث**، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ط 01.

42- داهش محمّد علي، **الدولة العثمانية والمغرب (اشكاليّة الصّراع والتّحالف)**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011م، ط 01.

43- دراج محمّد، **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543)**، (تص): ناصر الدّين سعيدوني، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1433هـ/ 2012م، ط 01.

44- ديلماس كلود، **تاريخ الحضارة الأوربيّة**، (تر): كوليت حبيب، (مر): إبراهيم أبو حيدر، الفن الحديث العالمي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، د.ت.ن، ط 01.

45- رايت لويس و ماكليود جوليا، **الحملات الأمريكية على شمالي افريقيا في القرن الثامن عشر**، (تع): محمّد روحي البعلبكي، مكتبة الفرجاني، ليبيا، د.ت، د.ط.

46- روسو ألفونص، **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتّى احتلال فرنسا للجزائر**، (تر): محمّد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، د.ت.

47- الزبيري محمَّد العَربي، **التجارة الخارجيّة للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، د.ط.

48- سبنسر وليم، **الجزائر في عهد رياس البحر**، (تع وتق): عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، د.ط.

49- سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 01، دار البصائر، الجزائر، 2007م.

50- سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 04، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ط 01.

51- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ط 03.

52- سعد الله أبو القاسم، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال**، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، د.ط.

53- السعدي أبي نصر عبد العزيز بن عمر بن نباتة، **ديوان ابن نُباتة السعدي**، ج 01، (درا) و(تح): عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، وزارة الإعلام، العراق، 1977م، د.ط.

54- سعيدوني ناصر الدّين والشيخ المهدي بوعبدلي، **الجزائر في التاريخ العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، د.ط.

55- سعيدوني ناصر الدّين، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830**، البصائر للنشر والتّوزيع، الجزائر، 2012م، ط 03.

56- سعيدوني ناصر الدّين، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، البصائر للنّشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، د.ط.

57- سعيدوني ناصر الدّين، **ورقات جزائريّة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ط 01.

58- الشابي علي، **تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني**، جمعية الشابي للتنمية الثّقافيّة والاجتماعيّة، دار نقوش عربية، 2015م، ط 01.

59- الشابي علي، **تاريخ الشابيّة خلال العهدين الحفصيّ والعثماني-من سنة 1431 إلى سنة 1867-**، دار نقوش عربية، تونس، 2015م، ط 01.

60- الشابي علي، **عرفة الشّابّي رائد النّضال القومي في العهد الحفصي**، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م.

61- الشريف محمَّد الهادي، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، (تعر): محمّد الشاوش ومحمّد عجيّنة، دار سراس للنشر، تونس، 1993م، ط 03.

62- شوفالييه كورين، **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541**، (تر): جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، د.ط.

63- شويتام أرزقي، **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519-1830م**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2016م، ط 02.

64- شويتام أرزقي، **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011م، د.ط.

65- عامر محمود علي و فارس محمد خير ، **تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى-ليبية)**، جامعة دمشق، سوريا، د.ت، د.ط.

66- عبّاد صالح، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م**، دار هومة، الجزائر، 2014م، د.ط.

67- عبد الوهاب حسن حسني، **خلاصة تاريخ تونس**، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1953م، ط 03.

68- عُبيَّة طه عبد المقصود عبد الحميد، **موجز تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة (92-897هـ/ 711-1492م)**، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، د.ب.ن، د.ت، د.ط.

69- العسلي بسّام، **خير الدّين بربروس والجهاد في البحر 1470-1547م**، دار النفائس، بيروت، 1400هـ/1980م، ط 01.

70- العكيلي صالح حسن، **الوجه الآخر للنهضة الأوروبية (محاضرات في تاريخ أوروبا في عصر النهضة 1453-1789)**، الوراق للنشر والتوزيع، عمَّان، 2006م، ط 01.

71- عميراوي احميدة، **علاقات بايلك الشّرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث، قسنطينة، د.ت، د.ط.

72- عنان محمَّد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس (نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين)**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ط 04.

73- العوامر إبراهيم محمّد السّاسي، **الصُّرُوف في تاريخ الصحراء وسوف**، (تعل): الجيلاني بن إبراهيم العوامر، المعارف للطباعة، د.ب.ن، د.ت، د.ط.

74- غنابزية علي، **تاريخ العلاقات العثمانية المغاربية وأثرها الجيوستراتيجي على ضفتي البحر المتوسط 1492-1911م**، دار رؤى حضارية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط 01، 2018م.

75- فارس محمّد خير، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، مطابع ألف باء الأديب، دمشق، 1969م، ط 01.

76- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)**، ج 01، موفم للنشر، الجزائر، 2002م، د.ط.

77- قاسم أحمد، **إيالة تونس على ضوء فتاوى ابن عظوم (1574-1600م)**، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2004م، د.ط.

78- قانياج جان، **أصول الحماية الفرنسية على تونس (1861-1881)**، (تر): عادل بن يوسف ومحمّد محسن البوّاب، برق للنشر والتوزيع، تونس، 2012م، د،ط.

79- قدورة زاهية، **تاريخ العرب الحديث**، دار النّهضة العربيّة، بيروت، د.ت، د.ط.

80- القدوري عبد المجيد، **المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر (مسألة التجاوز)**، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2012م، ط 02.

81- قرم جورج، **تاريخ أوروبا وبناء أسطورة الغرب**، (تر): رلى ذبيان، دار الفارابي، بيروت، 2011م، ط 01.

82- القفصي عبد الحكيم، "**نظرة حول بعض الحرفيين والمهنيين الأندلسيين والأتراك بالإيّالة التونسية أثناء القرن التاسع عشر من خلال خزينة الوثائق التونسية**"، ضمن كتاب: "**الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني**"، (جم) و(تق): عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1988م، د.ط.

83- قنان جمال، **معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م**، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.

84- كاريت.إ، **الاستكشاف العلمي للجزائر خلال الأعوام 1840، 1841، 1842 العلوم التاريخية والجغرافية (دراسة الطرق التي يسلكها العرب في الجزء الجنوبي من الجزائر وإيالة تونس)**، (نقله إلى العربية): حمزة الأمين يحياوي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016م، طبعة خاصة.

85- كراتشكوفسكي اغناطيوس يوليانوفتش، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ج 02، (تر): صلاح الدِّين عثمان هاشم، (مر): ايغور بليايف، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر لجامعة الدُّول العربيّة، القاهرة، 1963م.

86-كنده خوسيه أنطونيو، **تاريخ حكم العرب في إسبانيا**، (تر): لارا نيكولا ڤاليه، (مر) و(تحر): أحمد أيبش، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 1435هـ/2014م، ط 01.

87-كوران آرجمنت، **السّياسة العثمانيّة تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، (تر): عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970م، د.ط.

88-متولي أحمد فؤاد، **تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتّى نهاية عصرها الذهبي**، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، د.ط.

89-محفوظ محمَّد، **تراجم المؤلفين التونسيّين**، ج 05، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م، ط 01.

90-المدني أحمد توفيق، **حرب الثّلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م**، الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، د.ت، د.ط.

91-المدني أحمد توفيق، **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية، الجزائر، د.ت، د.ط.

92-المدني أحمد توفيق، **مُحّمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1792**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، د.ط.

93-المرعول محمَّد عبد الله، **الأزمات مفهومها أسبابها وآثارها ودورها في تعميق الوحدة الوطنية**، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض، 1435هـ/2014م، ط 01.

94-مروش المنور، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الأساطير والواقع**، ج 02، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م.

95-مزالي محمَّد صالح، **الوراثة على العرش الحسيني ومدى احترام نظامها**، الدّار التونسّية للنشر، 1969م، د.ط.

96-معاشي جميلة، **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشّرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) إلى 13هـ (19م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015م، د.ط.

97- المكني عبد الواحد، **شتات أهل وسلات بالبلاد التونسية-مقاربة في الأنثروبولوجيا التاريخية**، دار سحر للنشر، تونس، 2020م.

98- موسى فيصل محمَّد، **موجز تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر**، (مر): ميلاد المقرحي، منشورات الجامعة المفتوحة، د.ب.ن، 1997م، د.ط.

99- مونشيكور شارل، **القيروان والشّابية (1450-1592)**، (تر): محمّد العربي السنوسي، دار نقوش عربية، تونس، 2015م، ط 01.

100- نوّار عبد العزيز سليمان وجمال الدّين محمود محمّد، **التّاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتّى نهاية الحرب العالميّة الأولى**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1419هـ/ 1999م، د.ط.

101- هلايلي حنيفي، **أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي**، دار الهدى، الجزائر، 2010م، د.ط.

102- هلايلي حنيفي، **العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815-1830**، دار الهدى، عين مليلة، 1428هـ/2007م، ط 01.

103- هلايلي حنيفي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى، الجزائر، 1429هـ/2008م، ط 01.

104- هنيّة عبد الحميد، **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، أوتار-تبر الزّمان، تونس، 2016م، ط 02.

105- وولف جون.ب ، **الجزائر وأروبا 1500-1830**، (تر) و(تع): أبو القاسم سعد اللّه، عالم المعرفة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2015م، د.ط.

106- ياغي إسماعيل أحمد، **الدّولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، مكتبة العبيكان، د.ب.ن، 1995م، د.ط.

107- يحياوي جمال، **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين 1492-1610م**، دار هومة، الجزائر، 2004م، د.ط.

**ب- المراجع باللغات الأجنبية:**


1- Berbrugger Adrien, **Le pégnon d'Alger ou les origines du gouvernement Turc en Algérie**, Challamel libraire, Alger, 1860.

2- Biguet Faure, **Histoire de l'Afrique septentrionale sous la domination musulmane**, Henri Charles-lavauselle éditeur militaire, Paris.

3- Blili Leila Temimi, **Sous le toit de l'Empire-Deys et Beys de Tunis Du Pouvoir militaire à la Monarchie 1666-1922**, T 02, Editions SCRIPT, Tunis, 2017.

4- Blum Nelly, **La croisade de Ximénès en Afrique**, Imprimerie Typographique et Lithographique, Oran, 1898.

5- Cherif Mohamed Hédi, **Pouvoir et Société dans la Tunisie de H'usayn Bin 'Ali (1705-1740)**, T 01; T 02, C.P.U, Tunis, Deuxième Edition.

6- Devoulx Albert, **Le Rais Hamidou**, Adolphe Jourdan Editeur, Alger, 1859.

7- Faucon Narcisse, **La Tunisie avant et dpuis l'occupation Française**, T 01, Augustin Challamel Editeur, Paris, 1893.

8- Fey Henri Léon, **Histoire d'Oran avant, pendant et après la domination Espagnole**, Oran, Typographie Adolphe PERRIER Editeur, 1858.

9- Galibert Léon, **Histoire de l'Algérie Ancienne et Moderne**, Furne et C$^{ie}$ Libraires-Editeurs, Paris, 1843.

10- Garrot Henri, **Histoire général de l'Algérie,** Imprimerie P.Crescenzo, Alger, 1910.

11- Grammont H.-D. de, **Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)**, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1887.

12- Grandchamp Pierre, **La France en Tunisie à la Fin du XVI$^{e}$ Siècle (1582-1600)**, société anonyme de l'imprimerie rapide, Tunis, 1920.

13- Guellouz Azzedine et autres, **Histoire générale de la Tunis (les temps modernes)**, T 03, Sud édition, Tunis, 2010.

14- Juillet Saint-Lager Marcel, **La Régene de Tunis (géographie physique et politique description générale, gouvernement,**

**administration, finances)**, Juillet Saint-Lager Editeur, Alger, 1874.

15- Mercier Ernest, **Histoire de Constantine**, J.MARLE et F.Biron Imprimeurs Editeurs, Constantine, 1903.

16- Moalla Asma, **The regency of Tunis and the Ottoman Porte 1777-1814**, RoutledgeCurson, London, New York, 2004.

17- Monchicourt (Ch), **la région du haut tell en Tunisie (Le Kef, Téboursouk, Mactar, Thala)**, librairie Armand Colin, Paris, 1918.

18- Nicolle David and McBride Angus, **Armies of the Ottoman Turks 1300-1774**, Men-at-Arms series, Osprey Military.

19- Weissmann Nahoum, **les Janissaires: Etude de l'organisation militaire des Ottomans**, Libraire Orient Edition, Paris, 1964.

**ثالثاً- الرّسائل والأطروحات الجامعية:**

1- الأسطل رياض محمود، **الصراع الاسلامي البرتغالي وأثره في حركة التجارة الدولية 1500-1730م/ 906-1143هـ**، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة السند، باكستان، 1412هـ/ 1991م.

2- بولصباع وهيبة، **العلاقات التجارية بين مدينة الجزائر ومدينتي تونس وسلا كمراكز للجهاد البحري خلال القرنين (17-18م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1434-1435هـ/ 2013-2014م.

3- تومي طاهر، **العلاقات الجزائرية الاسبانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، 2015/2014م.

4- حصام صورية، **العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012-2013م.

5- حلوان محمد، **العلاقات بين إيالة الجزائر وإيالتي تونس وليبيا 1750-1830**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كاية العلوم الإنسانسة والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2015/2014م.

6- حماش خليفة، **العلاقات بين إيّالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 إلى 1830م**، رسالة ماجستير في التّاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب، جامعة اسكندرية، 1408هـ/1988م.

7- الحناشي العربي، **الحنانشة وعلاقتهم بالسلطة في تونس من 1640-1740**، شهادة الكفاءة في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، تونس، 1987-1988م.

8- بن حيدة يوسف، **التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية- الطريقة الشابية نموذجاً**، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2017/2016م.

9- بن خروف عمار، **العلاقات بين الجزائر والمغرب 923-1069هـ/ 1517-1659م**، رسالة ماجستير في التّاريخ، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1403هـ/1983م.

10- درويش الشافعي، **علاقات الإيالات المغاربية في غرب المتوسّط مع إسبانيا خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، المركز الجامعي بغرداية، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، 1431-1432هـ/2010-2011م.

11- دغموش كاميلية، **قبائل الغرب الجزائري بين الإحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509-1792)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2014/2013م.

12- رزيم صدام، **تداول العملات الأجنبية في الجزائر خلال العهد العثماني وأثرها في علاقاتها الخارجية (1518-1830)**، أطروحة دكتوراه في التّاريخ، قسم العلوم الإنسانية،

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 1442-1443هـ/ 2020-2021م.

13- بن زردة توفيق، **الكنفدراليات القبلية الحدودية ودورها في العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني- الحنانشة أنموذجا-**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1434-1435هـ/ 2013-2014م.

14- شافو رضوان، **الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري-ورقلة أنموذجا 1844-1962م**، أطروحة دكتوراه علوم في التّاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، بوزريعة، 1432/1433هـ-2011/2012م.

15- الشيخ لكحل، **نشاط وكالة الباستيون وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال النصف الأول من القرن 11هـ/17م (1013-1070هـ/1604-1659م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، 2012/2013م.

16- طوبال نجوى، **طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700-1830م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2004-2005م.

17- العايب كوثر، **العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات 1711-1830**، رسالة ماجستير في التاريخ الحيث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي، 2013/2014م.

18- العايب كوثر، **حركة القبائل الجزائريَّة التُّونسية على المناطق الحدوديَّة خلال القرنين الثَّامن عشر والتَّاسع عشر ميلادي**، أطروحة دكتوراه العلوم في التّاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي، 1442-1443هـ/ 2020-2021م.

19- العايبي محمد، **تطور الجيش التّونسي خلال الحكم العثماني وتأثيره على الوضع العام للإيالة (1574-1881م)**، أطروحة دكتوراه الطّور الثالث (ل-م-د) في التّاريخ، تخصص: تاريخ بلاد المغرب الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشّهيد حمّه لخضر، الوادي، 2022/2021م.

20- العزيزي محمد الحبيب، **ظاهرة الحكم المتجول في بلاد المغرب العربي الحديث: المحلة التونسية أنموذجا**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006-2007م.

21- عطية محمّد، **الصراع بين الإيالتين الجزائرية والتونسية من خلال المصادر المحلية الجزائرية والتونسية 1587-1830م**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2015/2014م.

22- عمراني معاد، **منطقة وادي ريغ في ظل الاحتلال الفرنسي (1854-1962م) دراسة سياسية**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، بوزريعة، 1436-1437هـ/ 2015-2016م.

23- قاسم فيصل، **الحركة التجارية بين موانئ بلدان المغرب خلال العهد العثماني**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1434-1435هـ/ 2013-2014م.

24- كنيوة هيبة، **تراجع مداخيل البحريّة الجزائريّة في عهد الدّايات وانعكاساتها على المستوى الدّاخليّ والخارجيّ**، أطروحة دكتوراه الطّور الثّالث (LMD) في التّاريخ، قسم التّاريخ، كلّية العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، جامعة الشّهيد حمّه لخضر، الوادي، 1443-1444هـ/ 2022-2023م.

25- محيدب حبيبة، **العلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، رسالة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة

الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1435-1436هـ/ 2015-2016م.

26- عطية محمّد، **التحالفات الإقليمية والدولية ضد إيّالة الجزائر 1541-1830م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 1441هـ/2019-2020م.

27- بوخاوش مريم، **آثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط 6-10هـ/ 12-16م**، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2014/2015م.

28- مشوشة سمير، **الموارد البحرية للجزائر العثمانية خلال القرنين 11-12هـ/ 17-18م**، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2018/2019م.

**رابعاً- المجلات والدّوريات:**

**أ- المجلات والدّوريات باللغة العربية:**

1- اسعيد عليوان، "**أوقاف الجزائر في العهد العثماني ومساهمتها الاجتماعية والثقافية**"، مجلة الإحياء، مج 09، ع 01، ديسمبر 2007م، جامعة باتنة 1.

2- بالحميسي مولاي، "**إرشاد الحيران في أمر الدّاي شعبان**"، مجلة الدراسات التاريخية، مج 01، ع 02، جوان 1986م، جامعة الجزائر 02.

3- بخدّة الطاهر، "**دور العثمانيين الأتراك في انبعاث ووحدة الدولة الجزائرية الحديثة**" مجلة عصور الجديدة، العدد 11-12، 2013/2014م، جامعة وهران.

4- بن أشنهو عبد الحميد، "**أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة دفين فاس أم تلمسان؟**"، مجلة الأصالة، عدد 26، جويلية/ أوت 1973م.

5- بن أشنهو عبد الحميد، "**الدور الذي لعبته الجزائر في القرن السادس عشر بالبحر المتوسّط**"، مجلة الأصالة، الجزائر، العدد 08، 1972م.

6- بن حيدة يوسف، "**عبد الصمد الشابي ونشاطه الثوري بين الإيّالة التونسية وبايلك الشرق خلال القرنين 17 و18م**" مجلة أفاق فكرية، مج 04، ع 08، مارس 2018م، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس.

7- بن حيدة يوسف، "**علاقة القبيلة بالطريقة الصوفية في الجزائر وتونس خلال الفترة الحديثة (الحنانشة والشابية نموذجا)**"، مجلة المعيار، مج 24، ع 50، 2020م، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.

8- بن خروف عمار، "**العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس من 1574 إلى 1671**"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، مج 02، ع 01، ديسمبر 2002م.

9- بن خروف عمار، "**نظرة عن العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، مج 01، ع 01، جوان 2001م.

10- بن زردة توفيق، "**احسانات بايات تونس لجماعات الحنانشة 1170هـ/1756م-1192هـ/1779م من خلال الدفترين 2145،2144 بالأرشيف التونسي**"، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، مج 10، ع 20، جانفي 2017م جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

11- بن عمر علال، "**قسنطينة في العهد الحفصي؛ محور صراع وتنافس بين دول المغرب الإسلامي**"، مجلة المعارف للبحوث والدِّراسات التَّاريخيَّة، جامعة الوادي، مج 01، ع 03، نوفمبر 2015م.

12- بن نعماني سيد أحمد، "**وظيفة وكيل الجزائر لدى الدولة العثمانية وبعض إيالاتها من خلال بعض وثائق الرصيدين العثمانيين الموجودين في الجزائر**"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 01، ع 01، جانفي 2013م، مركز الحكمة، الجزائر.

13- بوحمشوش نعيمة، "**دور البحرية الجزائرية في الصراع العثماني الإسباني بالبحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر**"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، الجزائر، مج 15، العدد 01، جوان 2015م.

14- بوديبة سهام وقشي فاطمة الزّهراء، "**مصاهرات الوسلاتية والحنانشة بمدينة قسنطينة 1800-1825م**"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 49، جوان 2018م، جامعة قسنطينة 2.

15- البوعبدلي المهدي، "**أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**"، مجلة الأصالة، العدد 08، 1972م، الجزائر.

16- بوعزيز يحي، "**إسبانيا توسط الجزائر لإبرام صلح مع تونس**"، مجلة الدراسات التاريخية، مج 03، ع 01، 1988م.

17- بوعزيز يحي، "**المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية 1236-1554م**"، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد 26، 1973م.

18- بيشي رحيمة وسعيود إبراهيم ، "**العمليات الجهادية لأسطول الجزائر العثمانية خلال القرن (10هـ/16م) من خلال وثائق مهمة دفتري؛ دراسة نماذج**"، مجلة دراسات تاريخية، مج 09، ع 01، صفر 1443هـ/ سبتمبر 2021م، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلمية.

19- التايب المنصف، "**المجال والسّلطة في البلاد التونسية خلال العهد العثماني**"، مجلة روافد، ع 04، 1998م، المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، تونس.

20- تركي عباس، "**إضاءات حول شخصية بايلرباي الجزائر قليج علي 1568-1587**"، مجلة الدّراسات التّاريخية العسكرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في التاريخ العسكري الجزائري، الجزائر، مج 02، ع 04، جويلية 2020م.

21- تركية عبد الحكيم، "**التوسع البرتغالي الإسباني في العالم خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر**"، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر 2، المجلد 17، العدد 01، ديسمبر 2016م.

22- التليلي مصطفى، "**حضور الدولة وتمثلاتها في المجالات الطرفية: إيالة تونس في الفترة الحديثة**"، مجلة أسطور، ع 12، جويلية 2020م.

23- التميمي عبد الجليل، "**أوّل رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السّلطان سليم الأول سنة 1519**"، المجلة التاريخية المغربية، ع 06، 1976م، تونس.

24- التميمي عبد الجليل، "**رؤية منهجية لدراسة العلاقة العثمانية-المغربية في القرن 16م**"، المجلة التاريخية المغربية، مج 10، ع 29-30، 1982م، مؤسسة التميمي، تونس.

25- التميمي عبد الجليل، "**مغامرة الحماية التونسية على وهران -سنة 1831-**"، المجلة التاريخية المغربية، ع 05، تونس.

26- التميمي عبد الجليل، "**وثيقة عن أملاك المحبّسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر**"، منشورات المجلة التاريخية المغربية، ع 05، 1980م، تونس.

27- جعني زينب، "**ثورة ابن الأحرش في بايلك السّرق (1800-1807)**"، مجلة عصور جديدة، ع 18، أوت 2015م، جامعة وهران 01 أحمد بن بلة.

**28-** جوامع سالم وزريوح عبد الحق، "**آل بربروس وآل القاضي بين التحالف والصراع خلال القرن 16م (دراسة تاريخية انثروبولوجية)**"، مجلة أنثروبولوجية الأديان، جامعة تلمسان، المجلد 16، العدد 02، 2020/06/15م.

29- حصام صوربة، "**لجوء بايات إيّالة تونس إلى الجزائر خلال القرن الثامن عشر من خلال وثائق أرشيفية**"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج 11، ع 12، فيفري 2015م، جامعة وهران 1، الجزائر.

30- خضير رابحة محمد، "**من أعلام الجغرافيا البحرية العثمانية محي الدين بيري ريس**" مجلة التّربية والعلم، جامعة الموصل، العراق، المجلد 16، العدد 04، 2009م.

31- دبش نرجس، "**سكان الحدود الغربية التونسية قبيل الاستعمار: من الإغارة إلى التعاون مع المقاومة الجزائرية**"، المجلة التاريخية المغربية، ع 137، فيفري 2010م، مؤسسة التميمي، تونس.

32- درويش الشافعي، "**المعاهدة التونسية البندقية 1763م أول معاهد للسلم بين تونس وجمهورية البندقية في العصر الحديث (دراسة وثيقة)**"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج 12، ع 02، 2019م، جامعة غرداية.

33- درويش الشافعي، "**أمير البحر درغوث رايس (طرغوت) ودوره في الحوض الغربي للبحر المتوسط**" مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج 05، ع 02، ديسمبر 2021م، جامعة عين تموشنت.

34- درويش الشافعي، "**دور الجزائر في معارك البحر المتوسط خلال القرن 16م (مواجهة المشروع المسيحي)**"، المجلة الجزائرية للدّراسات التاريخية والقانونية، المجلد 10، العدد 10، ديسمبر 2020م، المركز الجامعي بتندوف.

35- درويش الشافعي، "**علي باي الحسيني التونسي 1759-1782 (مواقف من سياسته)**"، مجلة مدرات للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ع 03، جانفي 2021م، المركز الجامعي بغليزان، الجزائر.

36- رزيم صدام و فكاير عبد القادر، "**تداول النقود التونسية في الشرق الجزائري خلال العهد العثماني (1519-1830)**"، المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج 14، ع 01، 2022م، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف.

37- الزموري عبد الحق، "**من مليشيات انكشارية إلى طبقة حاكمة: الجند التركي في الأجوبة العضومية (982-1012هـ/ 1574-1604م)**"، مجلة أبحاث اليرموك "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، جامعة اليرموك، الأردن، مج 30، ع 01، 2021م.

38- سعيدوني ناصر الدّين، "**الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر-تونس-طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (من**

**القرن السادس عشر حتّى القرن التاسع عشر الميلادي)**"، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، العدد 31، 1431هـ/ 2010م.

39- سعيدوني ناصر الدين، "**الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية 1827-1830**"، المجلة التاريخية المغربية، ع 05، 1976م، مؤسسة التميمي، تونس.

40- السلامي صدق، "**أسئلة وأجوبة بين الجزائر وتونس الحياة الثقافية بين الإيالتين في مخطوطات العصر الحديث**"، المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 18، أكتوبر 2021م.

41- سوداني عبد القادر، "**الجزائر والأزمات السياسية في تونس خلال القرنين 18 و19**"، مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، العدد 11، أكتوبر 2017م، مركز جيل للبحث العلمي، لبنان.

42- شافو رضوان، "**العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والإمارات الصحراوية في الجزائر(إمارة بني جلاب بوادي ريغ أنموذجا 1531-1854م)**"، مجلة القرطاس، ع 02، جانفي 2015م، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان.

43- الشيخ عبد الرحمان عبد الله، "**دور المسلمين في انهاك الاقتصاد الإسباني في القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر**"، مجلة جامعة الملك عبد العزيز الآداب والعلوم الإنسانية، مج 01، 1408هـ/1988م، المملكة العربية السّعودية.

44- الصباغ ليلي، "**ثورة مسلمي غرناطة عام 976هـ أواخر عام 1568م والدولة العثمانية**"، مجلة الأصالة، الجزائر، عدد 27، سبتمبر/ أكتوبر 1973م.

45- صحراوي عبد القادر وعطية محمّد، "**مشروع توحيد الإيّالات المغاربية في عهد الداي شعبان 1688-1695م**"، مجلة الحوار المتوسطي، مج 08، ع 01، مارس 2017م، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس.

46- طوبال نجوى، "**واقع السّلطة وإشكالية الحكم خلال فترة الدايات (1710-1830)- مقاربة تحليلية إحصائية**"، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 13، ع 02، أفريل 2021م.

47- الطيب كريم، "**المعالم الأثرية الإسلامية في منطقة الزاب الشرقي**"، مجلة العلوم الإنسانية، ع 47، جوان 2017م، جامعة محمد خيضر بسكرة.

48- عساسي عبد الحليم وقدوح مروان سمير، "**خنقة سيدي ناجي أو تونس الصغيرة: حاضرة علم وفن وجمال**"، مجلة جماليات، مج 05، ع 01، 2019م.

49- عقيب محمّد السّعيد، "**دور خير الدين بربروسا في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر**"، مجلة البحوث والدراسات، العدد 13، السنة 9، 2012م، جامعة الوادي.

50- عنان محمَّد عبد الله، "**موقف القسطنطينية وباقي العالم الإسلامي من سقوط الأندلس وآخر مسلميها وأمام الغزو الأوربي للعالم الإسلامي عموماً**"، مجلة الأصالة، عدد 27، سبتمبر/أكتوبر 1973م، الجزائر.

51- فكاير عبد القادر، "**دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571**"، مجلة المواقف للبحوث والدّراسات في المجتمع والتّاريخ، ع 09، ديسمبر 2014م، جامعة معسكر.

52- قرفال نجاة الطاهر، "**الصلة بين علماء تونس وباياتها كما تمثّلها المستعرب جان قانياج**"، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، مج 07، ع 02، جويلية 2022م، جامعة بوبكر بلقايد، تلمسان.

53- قرين مولود، "**قضايا الدّولة العثمانية في اهتمامات الشيخ عمر بن قدور الجزائري**"، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 13، ع 01، جانفي 2021م.

54- مالكي يوسف و آيت حبوش حميد، "**النفوذ الاقتصادي الجزائري في إيالة تونس (1705-1782م)**"، مجلة عصور الجديدة، مج 12، ع 01، ماي 2022م، جامعة وهران 01.

55- مجوري أحمد وعمراني معاد، "**دور الجزائر في الازمة الباشية الحسنية 1728-1756م بتونس العثمانيّة**"، مجلة الإحياء، مج 20، ع 26، سبتمبر 2020م، جامعة باتنة 01.

56- معاشي جميلة، "**أسرة أحرار الحنانشة بين بايات قسنطينة وبايات تونس**"، المجلة التاريخية المغاربية، ع 128، جوان 2007، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس.

57- المناري مؤيّد، "**وثائق عثمانية حول حرب الإيالات الثلاث: طرابلس الغرب، الجزائر وتونس نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر**"، السبيل: مجلة التّاريخ والآثار والعمارة المغاربية [نسخة الكترونية]، عدد 11، سنة 2021م.

58- هلايلي حنيفي، "**التطور السياسي والعسكري للجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية**"، مجلة الحوار المتوسطي، مج 09، ع 01، مارس 2018م، جامعة الجيلالي اليابس، الجزائر.

59- يعقوب خديجة، "**حامد بن شريفة شيخ أولاد مساهل وثورته على السلطة بتونس سنة 1795م**"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 02، الجزائر، مج 04، ع 02، ديسمبر 2018م.

60- يوسفي صرهودة، "**وكلاء إيالة الجزائر في أزمير أواخر الحكم العثماني: دراسة في الأدوار والمهام**"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج 21، ع 02، ديسمبر 2020م، جامعة باتنة 01.

**ب- المجلات والدّوريات باللّغات الأجنبية:**

1- Aloui Hayet, **Le protectorat Tunisien à Oran et Constantine (1830-1831): quelles perspectives?**, Revue Oussour Al Jadida, Vol 06, N° 25, Octobre 2016, Université Oran 01 Ahmed ben Bella, Oran.

2- Boyer Pierre, **la révolution dite "des Aghas" dans la régence d'Alger (1659-1671)**", R.O.M.M, N°13-14, 1973, Mélanges Le Tourneau.

3- Braudel Fernand, **Les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492 à 1577**, R.A, N° 69, 1928.

4- Chérif M.-H, **Les mouvements paysans dans la Tunisie du XIXe siècle**, R.O.M.M, N°30, 1980.

5- Cresti Federico, **Description et iconographie de la ville d'Alger au XVIe siècle**, R.O.M.M, N° 34, 1982.

6- Dakhlia Jocelyne, **Dans la mouvance du prince: la symbolique du pouvoir itinérant au Maghreb**, A.E. S.C, N° 3, 1988.

7- Devoulx Albert, "**Le registre des prises maritimes"**, R.A, Vol N° 15, 1871, A.Jourdin Libiraire-éditeur, Alger.

8- Devoulx Albert, **Le registre des prises maritimes**, R.A, Vol N° 16, 1872, A.Jourdin Libiraire-éditeur, Alger.

9- Féraud Charles, **Les Hrar seigneurs des Hanencha étude historique sur la province de Constantine**, R.A, N° 104, Mars 1874.

10- Féraud Charles, **Les Hrar seigneurs des Hanencha étude historique sur la province de Constantine**, R.A, N° 105, Mai 1874.

11- Gürkan Emrah Safa**, The centre and the frontier: Ottoman cooperation with the North African corsairs in the sixteenth century,** Turkish Historical Review, N° 01, 2010.

12- Halil Kaya, **Ottoman Empire and Moroccan Resistance to the French Protectorate in the First World War: Activities of Teşkilat-i Mahsusa in Morocco,** History Studies, Vol 15, N° 01, Fabruary 2023.

13- Markria Souhila, **Lepanto; un encuentro de maxima rivalidad entre Felipe II y el mundo osmanli**, OUSSOUR Al jadida, Vol 07, N° 27, Octobre 2017.

14- Mercier Gustave, **Khanguet Sidi Nadji (Quelques inscriptions arabes inédites)**, R.N.M.S.A.D.C, Constantine, Vol 49, 1915.

15- Monchicourt (Ch), **La Frontière Algéro-Tunisienne dans le telle et dans la steppe**, R.A, Vol 82, N° 374-375, 1er-2eme Trimestres 1938.

16- Ozkya Sevda, **cezayir’in siyasi ve iktisadi önemi ve misir valisi mehmet ali paşa’nin cezayir’in fransa tarafindan işgalindeki rolü,** Ortadoğu Etütleri, Vol 07, No 2, January 2016.

17- Roy (B), **Deux documents inédits sur l'expédition algérienne de 1628 (1037 Hég) contre les Tunisiens**, R.T, N°122, Mai 1917, l'Institut de Carthage, Tunis.

**خامساً- الملتقيات:**

1- الخداري محمد، "**الجزائر في بداية القرن التاسع عشر من خلال وثائق فرنسية**"، أبحاث الندوة الدولية حول المغارب والبحر الأبيض المتوسط الغربي في العصر العثماني، 12-14 نوفمبر 2009م بالرباط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، 2013م.

2- فيلالي عبد العزيز، "**الأحوال الصحية لسكان تلمسان في عهد بني زيان (تأثير الأمراض والأوبئة والكوارث الطبيعية والأزمات السياسية على السكان)**"، الملتقى الدولي التغييرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، قسنطينة، 23-24 أفريل 2001م، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة.

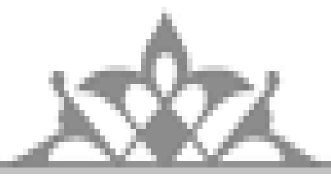
**سادساً-الموسوعات والمعاجم:**

1- حلاق حسن، صباغ عباس، **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية**، دار العلم للملايين، بيروت، 1999م، ط 01.

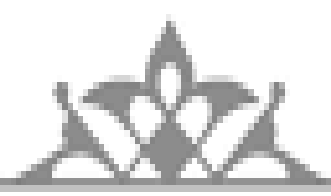
2- صابان سهيل، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التّاريخية**، (مر): عبد الرزاق محمد حسن بركات، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1421هـ/ 2000م.

3- الكيالي عبد الوهاب وآخرون، **موسوعة السياسة**، ج 01؛ ج 03؛ ج 07، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985م، د.ط.

4- نصار حسين محمد وآخرون، **الموسوعة العربية الميسرة**، مج 04، المكتبة العصرية، لبنان، 1431هـ/2010م، ط 01.



# الفهارس



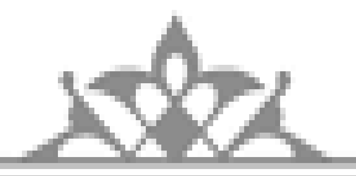
# فهرس الجداول والأشكال البيانية



## أولاً- فهرس الجداول:



## ثانياً- فهرس الأشكال البيانية:



# فهرس الأعلام



-أ-

## - ف-

**- هـ -**



**- ي -**

# فهرس القبائل والمجموعات



-أ-

-و-

# فهرس الأماكن والبلدان



-أ-

**-ت-**



**-ج-**



**-ح-**

-ع-



-غ-



-ف-



-ق-

-ك-

-ل-



-م-

-ن-



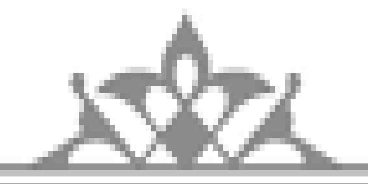
-هـ-

-و-

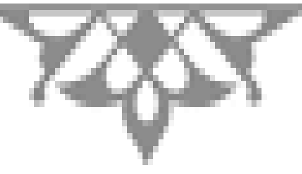


# فهرس المحتويات





# ملخصات الأطروحة



**ملخّص الأطروحة باللّغة العربيّة:**

دخلت تونس تحت لواء الدّولة العثمانية منذ سنة 1574م، وقد سبقتها إلى ذلك جارتها الغربية (الجزائر) التي عرفت العثمنة قبل أكثر من نصف قرن؛ حوالي 1520م، وقد ارتبط القطرين بحكم الجوار بعلاقات منذ أقدم العصور شملت جميع الأصعدة؛ الاقتصادية والاجتماعية والثّقافية، لكن العلاقات السّياسية بين الطّرفين كان لها طابع خاص ارتبط بقوة وضعف النّظام السّياسي في كل بلد، حيث تراوحت بين السّلم والتّعاون تارة والعداء والحروب تارة أخرى، وهو حال العلاقات السّياسية بين البلدين خلال الحقب الزّمنية السّابقة لفترة الدّراسة أو خلال الفترة العثمانية والتي اختيرت كإطار زماني للبحث.

وقد اعتمد الباب العالي على الجزائر في حروبه البحرية مع القوى الأوروبيّة، بسبب ما تمتعت به من قوّة خلال الفترة الحديثة، وساهمت بشكل كبير في عثمنة بلاد المغرب، حيث كان لولاتها الفضل في دخول طرابلس الغرب وتونس تحت لواء الدّولة العثمانية، ولم تمنع الوحدة السّياسية والدّينية الإيالتين من الدّخول في صراعات بين الحين والآخر وتدخل كل طرف في الشّؤون الدّاخلية للطّرف الآخر، غير أنّ الجزائر بحكم ما تمتعت به من قوّة وقتئذ جعل البعض يتهمها بمحاولة السّيطرة على إيّالة تونس ومحاولة ضمها إلى أراضيها خاصة وأنّ داياتها تدخلوا في بعض الحالات في اقالة وتنصيب بايات تونس، وكان البحث عن الحقيقة التّاريخية بخصوص هذا الموضوع الهدف الرّئيسي لهذه الدّراسة.

وقد شهدت تونس خلال الفترة العثمانية الكثير من الأزمات السّياسية، غير أنّ أطراف الصّراع فيها كانت تلجأ دوماً إلى السّلطة العثمانية في الجزائر وإلى قبائل الشّرق الجزائري لطلب الدّعم والنّصرة، لكن الدّراسة بينت أنّ السّلطة الجزائرية لم تخطط إلى ضمّ إيّالة تونس، وأنّ تدّخلات داياتها كانت بطلب من أطراف الصّراع ذاتها أو رداً على تحالفات بايات تونس مع أطراف خارجية هددت استقرار السّلطة في الجزائر، وكذا الحصول على بعض المكاسب المادية من الحكومة التونسية خاصة وأنّ القرن الثّامن عشر عرف تراجع مداخيل البحرية، أمّا القبائل الجزائرية فقد شاركت في هذه الصّراعات مع الطّرف الذي يحقق مصالحها أو من أجل التّخلص من الضغط الجبائي لسلطات البلدين عليها، خاصة وأنّ هذه القبائل كانت لا تعترف بالحدود بين البلدين والتي حددتها معاهدتي الحدود لسنتي 1614 و1628م.

**الكلمات المفتاحية:** إيّالة الجزائر؛ إيّالة تونس؛ الأزمات السّياسيّة، الصّراع، التّدخلات.

**Abstract:**

Tunisia came under the banner of the Ottoman Empire in 1574 CE. Its western neighbour, Algeria, had already experienced Ottoman influence over half a century earlier, around 1520 CE. Throughout history, these two regions have shared deep-rooted connections across various domains, including the economic, social, and cultural spheres. However, their political relations were intricately tied to the strength and weaknesses of their respective political systems. These relations oscillated between periods of peaceful cooperation and instances of animosity and conflict. Such dynamics characterized the political ties between the two nations during the pre-study period as well as the Ottoman era, which serves as the chosen timeframe for this research.

The Sublime Porte (the Ottoman government) relied on Algeria in its naval wars against European powers due to its formidable strength during the modern period. Algeria played a significant role in the Ottomanization of the Maghreb region, as it was instrumental in the Ottoman Empire's entry into Tripoli and Tunisia. Despite the political and religious unity between the two provinces, occasional conflicts arose, and each party interfered in the internal affairs of the other. However, due to Algeria's perceived power at the time, some accused it of attempting to control the Tunisian province and incorporate it into its territories. This accusation was fueled by instances where Algerian deys intervened in the removal and installation of Tunisian beys. Unravelling the historical truth regarding this matter was the primary objective of this study.

During the Ottoman period, Tunisia witnessed numerous political crises. However, the conflicting parties always sought the support and assistance of the Ottoman authority in Algeria and the tribes of eastern Algeria. The study revealed that the Algerian authority did not plan to annex the Tunisian province. Their interventions were carried out at the request of the conflicting parties themselves or in response to alliances formed by the Tunisian beys with external forces that threatened the stability of the Algerian authority. Additionally, they aimed to gain some material gains from the Tunisian government, especially since the 18th century saw a decline in maritime revenues. As for the Algerian tribes, they participated in these conflicts on the side that served their interests or to alleviate the tax pressure imposed by the authorities of both countries, particularly because these tribes did not recognize the borders defined by the 1614 and 1628 treaties.

**Key terms**: Regency of Algiers, Regency of Tunis, political crises, conflict, interventions

**Résumé:**

La Tunisie est entrée sous la gouvernance ottomane depuis 1574. Sa voisine de l’ouest, l’Algérie, a connu la domination ottomane cinquante ans avant, c'est-à-dire en 1520. De fortes relations liées les deux voisins depuis les temps anciens dans les domaines économiques, sociales et culturelles. Cependant, sur le plan politique, les relations ont été toujours instables en raison du système politique installé dans chaque pays. Dans notre étude, nous mettons la lumière sur ces relations, qui ont connu la paix, la rivalité et parfois même la guerre surtout lors de la période ottomane.

Le pouvoir ottoman a utilisé l’Algérie comme base et point de départ dans ses guerres maritimes contre les puissances européennes en raison de la force des flottes navales lors de cette période. Ces flottes ont joué un rôle principal permettant à l’empire ottoman d’étaler son pouvoir sur la plupart des pays du Maghreb comme Tripoli et Tunis. Cependant, l’unité politique et religieuse de ces beyliks n’a pas empêché les conflits politiques d’avoir lieu. Des ingérences mutuelles dans les affaires intérieures ont eu lieu. Par conséquent, l’Algérie, la puissance ottomane à cette époque, a été accusée de chercher à annexer Tunis à son territoire surtout si on sait que les deys de l’Algérie ont parfois été impliqués dans la destitution et l’installation de beys en Tunisie. Notre recherche porte aussi sur la vérité historique liée à ce sujet lors de la période ottomane.

En effet, Tunis a connu de nombreuses crises politiques lors de la période ottomane. Les parties en conflits accusaient toujours le voisin de l’ouest et se tournaient vers le pouvoir ottoman en Algérie ainsi que vers les tribus de l’est pour demander de l’aide et du soutien. Notre étude a montré que le pouvoir ottoman en Algérie n’avait pas prévu d’annexer la Régence de Tunis. Ses interventions étaient sollicitées par les parties en conflit ou en réponse à des alliances entre les beys de Tunis et des forces extérieures menaçant la stabilité du pouvoir en Algérie. En outre, ces interventions avaient pour but l’obtention de gains matériels du gouvernement tunisien, notamment en raison du déclin des revenues maritimes au XVIIIe siècle. Quant aux tribus, leurs participations dans ces conflits étaient du côté de celui qui défendait leurs intérêts ou pour échapper à la pression fiscale des autorités de deux pays, d’autant plus que ces tribus ne reconnaissaient pas les frontières établies par les deux traités frontaliers de 1614 et 1628.

**Mots clés:** Régence d’Alger, Régence de Tunis, crises politiques, conflits, interventions.